الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد/ تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الحرب والاقتصاد بالمغرب الأوسط

من القرن السابع إلى القرن التاسع هجري (13-15م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم (ل.م.د)
تخصص: تاريخ وسيط .

إعداد الطالب
رضوان زيرار

إشراف
أ.د. نصر الدين بن داود

الأسماء	الرتبة	المؤسسة	الصفة
عمرسي عبد القادر	استاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
نصر الدين بن داود	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مقررا /المشرف
فاطمة مطهري	أستاذة التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا
محمد بن معمر	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران01	عضوا
مبخوث بودواية	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي النعامة	عضوا
مصطفى بن واز	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي النعامة	عضوا

السنة الجامعية: 1444- 1445هـ/ 2023-2024م

﴿وَلَوْلَا دِفَعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة/الاية 249

إهـداء

إلى ....

روح أبي الغالي الذي رحل عن عالمنا

ومازال دويُّ نصائحه يوجهني.

نبع المحبة والإيثار والكرم أمي الموقرة.

روح أختي العزيزة رحمة الله عليها.

أفراد أسرتي الأعزاء الزوجة والأبناء والإخوة والأخوات.

داخل الوطن وخارجه.

جميع الباحثين وطلبة العلم.

إليكم جميعا اهدي خلاصة جهدي العلمي.

الطالب

زيرار رضوان

شكر وتقدير

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

الحمد لله سبحانه وتعالى الذي سخر لنا نعمة العقل وفضلنا على كافة مخلوقاته، ونشكره مرة أخرى على عونه وعلى إتمام نعمه وعلى لطفه ويسره، فليس عندنا شيء ولا من شيء ولا لنا شيء فالفضل كل الفضل لله الواحد الأحد.

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أنحني تواضعا أمام أستاذي المشرف الاستاذ الدكتور نصر الدين بن داود. و أتقدم له بالشكر الجزيل على قبوله الإشراف على هذا البحث، وتتبع مراحل انجازه خطوة بخطوة، إذ بفضل نصائحه وتوجيهاته ارتسمت معالم الموضوع وطرق معالجة الافكار التي وردت فيه، فهو لم يترك شاردة أو واردة في البحث تمر بسهولة من بين يديه، اذ كانت جميع تفاصيل البحث يقف عندها مدققا ومناقشا لها، حتى وصل البحث الى ما هو عليه. فجزاه الله مني كل الخير.

وفي ذات الوقت، يطيب لي ان اتقدم بالشكر الوفير الى الاستاذة الدكتورة مطهري فطيمة -رئيس المشروع- على الجهود التي بذلتها من أجل تسهيل جميع العقبات التي كانت تواجهنا اثناء فترة التكوين البيداغوجي واختيار مواضيع البحث، فضلا عن دعمها العلمي في توفير بعض من المصادر والمراجع التي صعب علينا الوصول اليها. كما اتقدم في هذه المناسبة بالشكر والتقدير الى الاستاذ علي العبيدي الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه، وإلى جميع الاساتذة الافاضل الذين ساهموا في عملية التاطير العلمي في السنة الاولى من التحاقنا بمرحلة الدكتوراه.

قائمة المختصرات

أ. المختصرات العربية

المختصر	المصطلح	المختصر	المصطلح
د.ت	دون تاريخ نشر	إع	اعداد
د. م	دون مكان نشر	و	ورقة
ع	العدد	م	مجلد
ج	الجزء	مج	مجلة
تق	تقديم	جم	جمع
تح	تحقيق	ضب	ضبط
تر	ترجمة	تص	تصحيح
تا	تاريخ	ت	توفى
إ	إشراف	شر	شرح
هـ	هجري	م	ميلادي
إع	إعداد	تن	تنسيق
مرا	مراجعة	ص	صفحة
ط	الطبعة	ص ص	صفحات
د.ط	دون طبعة	ر.ح	رقم الحديث

ب. المختصرات الأجنبية

المختصر	الكلمة	المختصر	الكلمة
Art	Article	Op.cit	(Opus citatum) Ouvrage déjà cité
No	Numéro	P	Page
		Ibid	(Ibidem): même ouvrage, même

مقدمة

مقد م . . . .ة :

تعتبر هزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب سنة (609هـ/1212م) هزيمة عسكرية واقتصادية واجتماعية وثقافية و دينية ومعنوية، وتمثل نقطة البداية لمرحلة من التراجع الشامل الذي طال كل الميادين بسبب التفتت الذي عرفه المغرب الإسلامي بسقوط دولة الموحدين وتآكل قواها، ومن هنا جاءت تحركات القبائل الزناتية نتيجة حوافز اقتصادية محضة فرارا من شظف العيش وخشونته إلى مناطق الخصب، لأجل قهر الظروف الطبيعية وتأمين الرزق وحماية الذات، وبالتالي دخلت هذه الأخيرة في حروب مستمرة ما أن تخمد واحدة إلا وبدأت ثانية، خاصة وأن هذه الحروب اقترنت بنهاية استقرار الدولة الموحدية، وبداية قيام الدول العسكرية التي ولدت من رحم هذه القبائل، والتي لم تعد تستند في المطالبة بالملك على أي فكرة دينية أو حركة مذهبية، وإنما على مبدأ القوة والغلبة، هذه الدول استطاعت أن تخضع لسلطتها ونفوذها بالحرب والتحالف مجموعة من القبائل العربية والبربرية المغلوبة على أمرها أو المتحالفة معها من أجل مصلحة معينة حينا والمتطاحنة حينا آخر.

وبطبيعة الحال وفي ظل هذا التحول العام الذي طرأ على الخريطة السياسية لبلاد الغرب الإسلامي وتفتته، والذي عبر عنه ابن خلدون الذي عاصره بزمن الانقلاب، أو التبدل بالجملة، سارعت قبائل بني عبد الواد لملء هذا الفراغ و تكييف جل مقوماتها الاقتصادية لخدمة الأهداف الحربية على حساب الموارد الاقتصادية الثابتة (كالزراعة والصناعة والتجارة)، بسبب الصراعات الداخلية والتهديدات الخارجية من طرف جيرانها الحفصيين والمرينيين، وتصاعد طلائع الهجمات المسيحية- القرصنة- على المدن الساحلية للمغرب الأوسط مع نهاية القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي.

و في هذا الإطار تندرج دراستنا الموسومة بـ" الحرب والاقتصاد بالمغرب الأوسط من القرن (07-09هـ/13-15م" من خلال تجاوز سرد الأحداث العسكرية، والوقائع الحربية إلى البحث في حقائقها ومتغيراتها، والكشف عن انعكاساتها العميقة في مختلف مظاهر الحياة الاقتصادية.

1.دواعي اختيار الموضوع:

ولعل من أسباب اختيارنا لهذا الموضوع أن تاريخ اقتصاد الغزو بالمغرب الأوسط حسب علمنا لم يحظ بدراسة متخصصة وشاملة، ومن ثم وجب أن ينال هذا النوع من الدراسات حظه من التاريخ والدراسة، من خلال الغوص في حقائق تلك الغارات والحروب على كونها ذات بعد اقتصادي مادي محض، ومصدر دخل لأعداد هائلة من ساكنة المنطقة خلال تلك الحقبة سواء خلال مرحلة القبيلة أو مرحلة الدولة، والابتعاد عن المواضيع التي تنظر في التاريخ السياسي والثقافي والاجتماعي، والتي نالت نصيبها من الكتابة التاريخية سواء من قبل المصادر أو المراجع، وبذلك المساهمة ولو بقسط قليل في إبراز تاريخ المغرب الأوسط الذي لم تكتمل حلقاته البحثية من خلال التنقيب والبحث في تاريخه المنسي والمغيب.

2.الهدف من الدراسة:

إن الهدف من دراستنا هذه هو ليس دراسة الحرب كظاهرة أو كرد فعل والاقتصاد كبنية وإنما الربط الجدلي بين ثنائية الحرب والاقتصاد، وتجاوز سرد الأحداث العسكرية والأعمال الحربية، إلى البحث في متغيراتها، والكشف عن آثارها على الأنشطة الاقتصادية من خلال إلقاء أضواء كاشفة على القضايا الاقتصادية المرتبطة بظاهرة الحرب من قبل الغنائم والمصادرات، والضرائب المجحفة، وهي موارد مبنية على قوى حربية غير طبيعية متولدة بالقوة والاستبداد، وإلى تفسير وقراءة بعض المفاهيم التي تعد مفاتيح للكشف عن هذه العلاقة الجدلية مثل: اقتصاد المغازي-الغزو-، أو اقتصاد الغنيمة، أو كما يعرف في نصوص أخرى باقتصاد الحرب.

3.الدراسات السابقة:

ومن باب الأمانة العلمية وجب الإشارة ولو بشكل وجيز إلى الدراسات التي تناولت مثل هذه المواضيع ولو من زاويا متعددة، وفي حقب مختلفة، ومن دون شك تطرقت لبعض جوانبه، فكانت بمثابة خارطة طريق ساعدتنا في تفسير تلك الوقائع والأحداث، ولعل من أهم هذه الدراسات على سبيل المثال لا الحصر:

- كتاب الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني (609-869هـ/1212-1464م) لحميد تيتاو: والذي أفادنا كثيرا في إعداد خطة بحثنا خاصة وفي الكشف عن العلاقة الجدلية بين الحرب والاقتصاد من خلال الصراعات المرينية مع جيرانها في الشرق الزيانيين، وفي الشمال مع النصريين.

- الحرب والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني-دراسة في انعكاسات الحرب على البنى الاقتصادية والاجتماعية والذهنية(633-962هـ/1235-1554م) للباحث مُحَمَّد ناصري وهي عبارة عن رسالة دكتوراه من جامعة سيدي بلعباس 2020-2021م: استفدنا منها في كيفية تعامل السلطة الزيانية مع الحرب، كما أمدتنا بمعلومات قيمة عن أهم المعارك التي خاضتها السلطة الزيانية مرتبة ترتيبا كرونولوجيا.

- أثر الحروب على النشاط الاقتصادي في المغرب الأوسط من القرن الثاني هجري إلى القرن السابع هجري (8-13م) للباحثة أحلام بوسالم: وهي عبارة عن رسالة دكتوراه من جامعة قسنطينة(2020-2021م): استفدنا منها في بعض الآثار المترتبة عن الحروب على الإنتاج الاقتصادي، وفي انتعاش بعض الحرف.

- الجيش في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م) للباحث قويدر عباس: وهي عبارة عن رسالة دكتوراه من جامعة سيدي بلعباس 2015م-2016م: استعنا بها في معرفة بعض النظم الإدارية والتعبوية للجيش الزياني.

4.إشكالية البحث:

وانطلاقا من هذه الدراسات وادراكا منا بأهمية الجانب الاقتصادي كأحد أبرز نقاط الجذب في قضايا هذا الموضوع، حاولنا تفسير الأحداث التاريخية التي شهدها المغرب الأوسط من القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي إلى القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي بالخلفية الاقتصادية سواء في مرحلة القبيلة، أو مرحلة الدولة من خلال طرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى ساهمت الموارد الاقتصادية في إثارة الحروب بين القبائل والدول خلال مرحلة دراستنا؟

ومن أجل مناقشة الإشكالية المطروحة وجب تفكيكها لمجموعة من التساؤلات الفرعية، وهي على النحو التالي:

- لأي مدى يمكن ضبط وتفسير ثنائية الحرب والاقتصاد بين جدلية المفهوم والتخصص العلمي؟
- هل يمكن أن نعتبر حدود المغرب الأوسط هي نفسها الحدود الموروثة عن نهاية الدولة الموحدية بعد انقسامها؟

-هل كان للموارد الاقتصادية دور في صياغة علاقات التنازع والصراع بين قبائل ودول المرحلة؟.

- إلى أي مدى ساهمت المصادر الوسيطية وكتب الأنثروبولوجيا في إزالة الغبار عن بعض القضايا العالقة والمرتبطة بظاهرة الحرب القبلية؟
- ما هي أبرز المحددات الاجتماعية والاقتصادية التي ساهمت في تفشي هذه الحروب الداخلية والخارجية؟
- ماهو الدور الذي لعبه الجيش في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الدولة الزيانية؟
- ما هي أبرز الممارسات التي انتشرت وانعكست بالسلب على النشاط الاقتصادي من جراء الحروب؟
- هل ساهمت الحروب في انتعاش بعض الحرف؟.

5.المنهج المتبع:

ومن أجل الإجابة على الإشكالية المطروحة والتساؤلات المنبثقة عنها، كانت الحاجة في البحث لتوظيف مناهج ومقاربات عديدة نذكر منها: المنهج التاريخي من خلال وصف وتحليل ووصف وسرد الظواهر التي أفرزتها الحروب على جل الحرفيين من زراع وصناع وتجار، وتعرضهم للقتل والتشريد والسجن والاضطهاد، وإعطاء صورة واضحة على مشاهد الانتهاك الذي تعرض له المشهد الفلاحي، وتخريب الورشات، وقطع الطرقات على التجار والمسافرين، كما وظفنا بعض أدوات المنهج التاريخي كالإحصاء في معالجتنا لبعض الأرقام والبيانات وتطويعها على شكل دوائر نسبية وأعمدة بيانية، كما قادتني الدراسة إلى استخدام المنهج المقارن وذلك لإبراز ما خفي من الموضوع وذلك بالرجوع إلى المصادر واستخراج المادة ثم تمحيصها ومناقشة النصوص الواردة فيها والتي تناولت بإيحاءات محتوى البحث، اضافة إلى المنهج المادي فيتفسير الاحداث التاريخية الهامة في انقسامات المجتمع وفي صراع هذه المجتمعات مع بعضها البعض.

6.هيكل البحث:

بعد جمع المادة العلمية وتحليل معطياتها، وضعنا خطة مضمونها كالآتي: مقدمة وفصل تمهيدي، وأربعة فصول وخاتمة، فقد عنون الفصل التمهيدي: بتحديد وضبط المصطلحات والمفاهيم التي لها صلة بموضوع دراستنا، وقد قسمناه إلى ثلاثة مباحث تناولنا في المبحث الأول مصطلحات ذات دلالة عسكرية(كالحرب، والغزو، والحرابة، والجيش...)، والمبحث الثاني مصطلحات ذات دلالة اقتصادية من قبيل (الاقتصاد، الغنائم، الضرائب، الاحتكار...)، أما المبحث الثالث فقد عالجنا فيه فكرة التنظير للحرب والاقتصاد في التشريع الإسلامي.

تناول الفصل الأول: (المجال الجغرافي والموارد الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط)، حيث قسمناه إلى مباحث وعناصر فرعية، ففي المبحث الأول تناولنا الإطار السياسي للمغرب الأوسط حسب كتب الرحلات والجغرافيا والتاريخ السياسي والتي أجمعت على أنها حدود غير ثابتة بسبب التجاذبات السياسية وزخم الحدث بشقيه السياسي والعسكري الذي عرفه المغرب الأوسط على امتداد فترات العصر الوسيط. كما عرجنا على دخول المنطقة حكم جديد مع مطلع القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي ألا وهو عهد بني عبد الواد فقمنا بتحديد أصولهم، وتتبع المراحل الأولى لبروز دولتهم على مسرح الأحداث، ثم انتقلنا لمعرفة طبوغرافيا وتضاريس المغرب الأوسط لأجل تحديد درجات

التبادل أو التنافس والصراع بينهم، وصياغة مجموعة من الظواهر الاجتماعية في بعض جوانبها على الأقل ومنها الحرب على سبيل التخصيص. أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه الموارد الاقتصادية للمغرب الأوسط من إمكانيات زراعية ونظم وطرق استغلالها ومناطق انتشار المحاصيل الزراعية وتربية الحيوانات بمختلف أنواعها، ثم أحصينا أهم الموارد الصناعية من معادن وصناعات مختلفة، كما عرجنا على الطرق والمسالك والمبادلات التجارية للمغرب الأوسط سواء الداخلية والخارجية في توفير الحاجات الغذائية لساكنة المنطقة.

وركز الفصل الثاني (الحرب والقبيلة) في الحديث عن مستويات حضور الحرب القبلية بين الرصد المصدري والتفسير الأنثروبولوجي. ومن بين المصادر الوسيطية التي اعتمدنا عليها في جمع المادة العلمية كتب النوازل والمناقب والرحلات والجغرافيا والحوليات والتي أجمعت في معظمها على قدم هذه الظاهرة بالشيوع والاستمرار. أما في العنصر الثاني: عالجنا ظاهرة الحرب القبلية من منظور أنثروبولوجي، والذي ساعدنا كثيرا في إزالة الغبار عن بعض القضايا العالقة حول الظاهرة الحربية، بينما في العنصر الثالث:تناولنا فيه الحرب القبلية والعصبية، أما العنصر الرابع: المعنون بالمحددات السوسيو اقتصادية للحرب القبلية كالمجال الطبيعي وإكراهاته، والصراع على الموارد وتنازع البقاء.

بينما تناول الفصل الثالث و الذي عنوناه (بالدولة الزيانية والحرب بين التعبئة العسكرية والتحديات الأمنية)، حيث قسمناه إلى ثلاث مباحث في المبحث الأول تناولنا عناصر ومقومات الجيش الزياني، وقسمناه إلى خمسة عناصر: العنصر الأول تحدثنا على عناصر وفرق الجيش الزياني وقيادته العسكرية، أما العنصر الثاني، التركيبة البشرية للجيش الزياني، أما العنصر الثالث: فرق الجيش واختصاصاته وفقا للأسلحة المستعملة، وفي العنصر الرابع تحدثنا عن التنظيم التعبوي والإداري للجيش الزياني تكلمنا فيه عن التعبئة المادية، والتعبئة الإدارية، أما العنصر الرابع فتناولنا فيه استراتيجية وأساليب القتال المعتمدة من قبل الجيش الزياني كأسلوب الكر والفر، أسلوب حرب العصابات، أسلوب المهادنة...وغيرها من الأساليب الأخرى، أما المبحث الثاني فدرسنا فيه مصادر تمويل الجيش الزياني، وقسمناه إلى عناصر ففي العنصر الأول تناولنا الموارد الجاهزة غنائم الحرب، وفي العنصر الثاني الضرائب الشرعية كالزكاة والخراج، والعنصر الثالث: تناولنا فيه موارد أخرى(ضرائب الحرب)، والعنصر الرابع، التسلط على الأموال- المصادرات، وغيرها. بينما في المبحث الثالث فعنوناه بالتحديات بالتحديات الأمنية التي واجهت الدولة الزيانية وقسمناه إلى تحديات داخلية(بين أفراد الأسرة الحاكمة، والقبائل البربرية، والقبائل العربية)، وقمنا بإحصاء وترتيب هذه المواجهات ترتيبا كرونولوجيا من

خلال أشكال بيانية مختلفة مع التركيز على الصراعات ذات طابع الاقتصادي المادي المحض، ثم خصصنا العناصر المتبقية للتحديات الخارجية مع الحفصيين، ومع المرينيين، من خلال التركيز على المواجهات العسكرية التي مست النشاط الاقتصادي، ولأجل توضيح الصورة قمنا بإحصاء تلك المواجهات وترتيبها ترتيبا كرونولوجيا على شكل جداول ورسوم بيانية.

أما الفصل الرابع المعنون(آثار وانعكاسات الحرب على الأنشطة الاقتصادية)خصصناه لدراسة أثار وانعكاسات الحرب على الأنشطة الإنتاجية وقسمناه إلى أربع مباحث وعناصر: ففي المبحث الأول تناولنا أثر الحرب على النشاط الفلاحي من تخريب المحاصيل، وفي المبحث الثاني تحدثنا عن آثار الحرب على النشاط الحرفي من تخريب الورشات وتشريد الحرفيين، وفي المبحث الثالث تكلمنا عن آثار الحرب على النشاط التجاري سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي من فرض ضرائب قاسية على التجار وممارسة اللصوصية في الطرقات. أما المبحث الرابع فعنوناه بـ: آثار الحرب في بروز بعض الممارسات وانتعاش بعض الحرف، وقسمناه إلى عنصرين رئيسيين: العنصر الأول آثار الحرب في بروز بعض الممارسات مثل تزييف العملة، وانتشار ظاهرة التهريب وغيرها من الممارسات السلبية الأخرى، بينما العنصر الثاني تناولنا فيه آثار الحرب في انتعاش بعض الحرف كصناعة الأسلحة وصناعة السفن والمراكب الحربية.

وفي الأخير أنهينا الدراسة بخاتمة استخرجنا من خلالها أهم النتائج المتوصل إليها وأهم النقاط التي تبقى بحاجة لمزيد من البحث والتعمق في دراستها، وقد دعمت دراستي بملاحق تضمنت خرائط وجداول توضيحية.

7.دراسة وتحليل لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها:

تم الاعتماد على بيبليوغرافيا متنوعة ضمت بين ثناياها مادة البحث بنوعيها الشرقية والمغربية، المتقدمة والمتأخرة، وبين دراسات حديثة، فكانت متنوعة بين تاريخية وجغرافية وفقهية، ومصادر الرحلة، ومصادر التراث العسكري، إضافة إلى مراجع عربية وأجنبية تطرقت إلى بعض جوانب الموضوع بصفة مباشرة أو غير مباشرة ويمكن تصنيفها بما اقتضته المادة الخبرية وحسب الأهمية إلى:

أولا: المصادر:

كتب التاريخ العام:

يعتبر هذا النوع من الكتب الضرورية في البحث التاريخي رغم أنها في مجملها تتناول التاريخ السياسي، لكن هذا لا يعني أنها تخلو من بعض المعلومات الاقتصادية وسنحاول هنا أن نقتصر على أهم المصادر التاريخية الخادمة للبحث:

- كتاب" بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد"يحي بن خلدون(ت780هـ-1378م) : وهو مؤلف يتحدث عن تاريخ الدولة الزيانية من نشأتها إلى عصر مؤلف الكتاب (عصر أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م)، ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الرسمية للدولة والمهمة لدراسة هذه الفترة لكونه شاهد عيان على أحداث عديدة: من حروب وصراعات خارجية وداخلية، كما أمدنا بمعلومات هامة عن أصول وأنساب بني عبد الواد، كما أفادنا بحالة ساكنة تلمسان خلال الحصار، والامتيازات التي منحها أبو حمو الثاني للقبائل العربية.

- كتاب" العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" لعبد الرحمن بن خلدون(ت808هـ-1405م): يعتبر كتاب العبر من أهم المصادر التاريخية، وقد استطاع صاحبه أن يغطي الأحداث السياسية والعسكرية والحضارية للدول والمجتمعات، حيث اعتمدنا في جزئه الأول المتمثل في"المقدمة" بالتحاليل المدققة حول ضبط بعض المصطلحات كالحرب، والقبيلة، والعصبية، والتجارة...وغيرها من المفاهيم الأخرى، كما أفادنا هذا الجزء بنمط حياة البدو القائمة على الظعن والانتجاع ووضع مقارنة بين خشونة البداوة ورقة الحضارة، والدوافع المؤدية للسلب والنهب والغصب، كما استفدنا كثيرا من الجزأين السادس والسابع خلال تطرقنا لحروب بني عبد الواد الداخلية مع القبائل العربية والبربرية ومع جيرانها الحفصيين والمرينيين.

- كتاب" تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من كتاب نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان":التنسي:مُحَمَّد بن عبدالله بن عبد الجليل (ت899هـ-1493م): يشتمل هذا الكتاب على التأريخ التأريخ للدولة الزيانية منذ نشأتها إلى عصر المؤلف (عصر المتوكل على الله 866-873هـ/1461-1468م)، ورغم أنه اعتمد في كتابه على البغية ليحي بن خلدون، إلا أننا استعنا بهذا الكتاب في تناول الحياة السياسية أثناء الحديث عن الحروب التي كانت بين بني عبد الواد مع بني مرين وبني

حفص ورتبها حسب فترة حكم كل سلطان زياني، وتكمن أهميته أيضا في تسليط الضوء على الحصار الحصار المريني لتلمسان.

- كتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس": ابن أبي زرع: علي الفاسي (ت726هـ-1325م): يعتبر هذا المؤلف من المصادر التي أرخت للعلاقات السياسية والوقائع الحربية التي جرت بين بني زيان وبني مرين، كما زودنا بمعلومات هامة عن مدى الأضرار التي لحقت ساكنة المغرب الأوسط من قتل وتشريد وانتهاك للأنشطة الاقتصادية.

كتب النوازل والفقه العام:

تعتبر كتب النوازل بالنسبة لدراستنا هذه من أهم المصادر لاحتوائها على عدد هائل من المعلومات حول الجانب الاقتصادي والاجتماعي للسكان، وخاصة فئة الحرفيين سواء زراع أو صناع أو تجار. ومن هذه المصادر التي اعتمدنا عليها:

- كتاب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة"المازوني: أبو زكريا المازونيمُحَمَّد بن أبي عمران المغيلي المغيلي (ت833هـ-1478م) : وهو كتاب في غاية الأهمية، وقد أفادنا كثيرا في الحديث عن أوضاع المغرب الأوسط خلال القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي وهو قرن انتشار القبائل العربية وسيطرتها على العديد من الإقطاعات، كما أمدنا بمعلومات مهمة حول بعض مظاهر الغش والتحايل في المعاملات التجارية، وانتشار ظاهرة اللصوصية في الطرقات.

- كتاب "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب" الونشريسي: أبو العباس أحمد بن يحيى(ت914هـ/1508م): قسمه صاحبه إلى أبواب، وإلى ثلاثة عشر جزءا ويكون الأخير عبارة عن فهارس، وقد نقل الونشريسي الكثير من نوازل المازوني، وكانت الاستفادة من عدة أجزاء من هذا المصنف خاصة أثناء حديثنا عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي للفلاحين في ظل انتشار ظاهرة الغصب والتعدي على أملاكهم من قبل السلاطين وشيوخ القبائل، كما قدم لنا إشارات هامة حول تفشي ظاهرة قطع الطرقات على التجار والمسافرين.

- كتاب" فتاوى ابن رشد" ابن رشد: أبي الوليدمُحَمَّد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي المالكي (520هـ-1126م): يعتبر من أهم المصادر الفقهية الجديرة بالانكباب عليها وحقيقة الاهتمام

بما ورد فيها، وقد قسمه صاحبه إلى ثلاثة أجزاء وقد أفادنا كثيرا في الإجابة عن أسئلة في أحداث تتصل بحياة الناس كالغصب والنهب وبعض مظاهر الغش والتحايل في المعاملات التجارية.

كتب الحسبة والأحكام:

تعتبر من أهم المصادر التي من خلالها يمكن التعرف على النمط التنظيمي داخل المدن، وكذلك معرفة أهل الحرف والصنائع التي سادت المدينة في العصر الوسيط.

- كتاب"تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر"مُحَمَّد العقباني التلمساني (ت871هـ-1467م): يعدّ من أهم مؤلفات الحسبة الزيانية، وقد أفادنا كثيرا في معرفة إجراءات تأمين الطرقات والمسالك من أجل ضمان سلامة التجار والمسافرين، كما أمدنا ببعض الصناعات التي انتشرت في بلاد المغرب الأوسط.

- كتاب "آداب الحسبة"السقطي: أبي عبدالله مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد السقطي المالقي الأندلسي(160-الأندلسي(160-253هـ/776-867م): يعتبر من أهم المصادر التي تناولت نظام الحسبة، وقد أمدنا بمعلومات قيمة عن وظيفة الحسبة والشروط الواجب توفرها في المحتسب، كما استعنا به في بعض الممارسات التي انتشرت في الأسواق من باب الغش والتدليس.

كتب المناقب والتراجم:

تعدّ من أهم المصادر التي تبحث في أحوال الشخصيات والأفراد من الناس الذين تركوا آثارا في المجتمع وفي شتى المجالات، ومن بين هذه المصادر التي استعنا بها في دراستنا:

- كتاب "المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن"ابن مرزوق الخطيب(ت781هـ-1380م): أمدنا هذا الكتاب بمعلومات هامة عن تحركات وتنقلات الجيش المريني وبعض الوقائع الحربية التي صاحبت حصار تلمسان وأضرت بالساكنة، كما أمدنا ببعض أشكال السلب والنهب التي التي مورست عند اقتحام المدينة، وبعض إنجازاته كبناء الجسور والقناطر وترميم القلاع وتأمين الطرقات.

- كتاب "أنس الفقير وعز الحقير في التعريف بالشيخ أبي مدين وأصحابه رضي الله عنهم"ابن قنفد قنفد القسنطيني:أبو العباس أحمد بن الحسين (ت810هـ-1407م): هذا الكتاب هو في أصله عبارة عن رحلة قام بها المؤلف في بلاد المغرب وتناول فيها أهم ما صادفه في المناطق التي زارها، واستفدنا منه أثناء حديثنا عن ظاهرة الحرابة في الطرقات وعن بعض الجوائح التي شهدها المغرب الأوسط.

● كتاب "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"ابن مريم: أبو عبدالله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد المليتي أحمد المليتي المديوني التلمساني (ت1014هـ/1605م): هذا الكتاب مخصص للتراجم، حيث ترجم صاحبه لمائة واثنين وثمانين عالما ووليا ممن دخلوا تلمسان أو استوطنوها، أو كان أصلهم منها ولقد أفادنا عند حديثه عن علاقة السلطان بالعالم، وعن بعض الأخبار التي سردها في ثنايا كتابه حول التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمنطقة كالموت والجوع والفقر وغيرها من الجوائح الأخرى.

كتب الرحلات والجغرافيا:

لا تقل أهمية عن كتب التاريخ في دراسة مثل هذا النوع من المواضيع، كونها تحتوي على مادة خبرية تغطي كل نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ومن بينها:

● كتاب "الرحلة المغربية"العبدري:مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد أبو عبدالله الحاحي (ت 725هـ-1325م): 1325م): يعدّ هذا الكتاب من أهم كتب الرحلات خاصة وأن صاحبه سجل كل ما رآه في ذهابه وإيابه، حيث استفدنا منه في تحديد الإطار السياسي للمغرب الأوسط، وفي تناول ظاهرة اللصوصية في في الطرقات والقفار.

● كتاب"الروض المعطار في خبر الأقطار"الحميري:مُحَمَّد بن عبد المنعم السبتي (ت أواخر القرن 09هـ/15م): هذا الكتاب عبارة عن معجم جغرافي، تناول فيه صاحبه المناطق التي زارها معتمدا على المصادر الجغرافية التي سبقته كمؤلفات البكري والإدريسي، وقد اعتمد في تبويب كتابه على ترتيب المناطق على حسب الحروف الهجائية، وقد استقينا من هذا المعجم العديد من المعلومات كالتعريف ببعض مدن المغرب الأوسط وفي الحديث عن الحياة الاقتصادية كأهم المحاصيل الزراعية ومناطق إنتاجها، وأهم الصناعات، وعن المبادلات التجارية والأسواق التي وجدت بالمغرب الأوسط.

● كتاب "وصف إفريقيا"الوزان: الحسن بن مُحَمَّد الوزان المعروف بليون الإفريقي (ت957هـ-1552م): يكتسي هذا الكتاب أهمية بالغة كونه وصف كل المناطق التي شاهدها، بل اعتمد على المصادر الجغرافية التي سبقته كمؤلفات البكري والإدريسي، ولقد اعتمدنا عليه كثيرا في معظم فصول بحثنا بداية من تحديد الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط، مرورا بأهم المحاصيل الزراعية ومناطق انتشارها، كما عرفنا على بعض المواد الأولية والصناعات ومناطق تواجدها، واستفدنا منه كثيرا في

أسعار المواد الغذائية خلال الأزمات، كما اهتم بتناول بعض ممارسات القبائل العربية في الطرق والمسالك التجارية، وبعض مظاهر الغش كتزييف العملة بتلمسان.

- كتاب "إفريقيا": مارمول كاربخال(عاش في القرن 10هـ/16م): طبع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء وله أهمية كبرى في دراسة جوانب مهمة من تاريخ بلاد المغرب عامة، ورغم أنه استعمل النقل الحرفي عن مؤلف الحسن الوزان حتى يخيل للقارئ أنه يتعامل مع كتاب وصف إفريقيا، فقد استفدنا منه في التعريف بالمجال الجغرافي للمغرب الأوسط وبعض مدنه وتضاريسه، أما فائدته الاقتصادية فإنه دلنا على نوعية المحاصيل الزراعية وأماكن زراعتها وأهم ما حوته من ثروة حيوانية، كما استقينا منه أهم الصناعات والسلع المتداولة في الأسواق ومداخيل التجارة.

كتب الآداب السلطانية:

يعتبر هذا النوع من التأليف عنصرا مهما في موضوعنا، لأنه يقدم لنا معلومات سياسية وعسكرية في مجال التنظير، يمكن الانطلاق منها لبناء أساسيات الموضوع، وقد اعتمدنا في هذا المجال على العديد منها من بينها:

- كتاب"واسطة السلوك في سياسة الملوك":أبو حمو: موسى الثاني بن يوسف بن زيان(723-791هـ/1321-1389م): يعتبر من أهم المصادر في مجال السياسة والتاريخ والأدب، خاصة وأن مؤلفه ينتمي الى الأسرة الحاكمة، وكانت حياته مليئة بالتجارب، فهو جوهرة ثمينة للاطلاع على الحياة السياسية والعسكرية للدولة الزيانية من خلال جملة من التوجيهات نص عليها هذا المؤلف، وقد استفدنا منه في جميع أطوار البحث تقريبا.

- كتاب"سراج الملوك"الطرطوشي: أبي بكر مُحَمَّد بن الوليد الفهري(451-520هـ/1059-1126م): وهو يعد من أهم المصادر الرئيسية في السياسة والحكم، وما يجب أن يكون عليه الراعي والرعية، وقد قسمه إلى أربعة وستين بابا، وقد أفادنا الباب الحادي والستين في ذكر الحروب وتدبيرها وحيلها وأحكامها، كما أنه قدم لنا صورة حربية في فن القتال والحروب خاصة في عنصر التدريب والتعبئة.

كتب التراث العسكري:

يكتسي هذا النوع أهمية بالغة لكل باحث في التاريخ العسكري الإسلامي، حيث تثير هذه التصانيف مواضيع مهمة كالأسلحة وكيفية استعمالها وأنواعها وصفاتها، ومن بين هذه المصادر:

- كتاب"الإنجاد في أبواب الجهاد":ابن المناصف:مُحَمَّد بن عيسى بن أصبغ الأزدي (ت620هـ-(ت620هـ-1223م): يعتبر من أهم المصادر التي جمعت كل ما يتعلق بالجهاد والحروب الخارجية والداخلية وكل ما يلم بها من أحكام فأفادنا كثيرا في ضبط العديد من المصطلحات مثل الحرب والغزو والغزو والجهاد والقتال، وفي تفسير بعض الممارسات كالسلب والغصب.

- كتاب"آثار الأول في تدبير الدول"الصفدي: الحسن بن عبدالله العباسي (كان حيا سنة 716هـ-1316م): يعتبر من أهم المصادر في التراث العسكري، تم تأليفه سنة 708هـ/1308م حسب مؤلفه، حيث خصص أبواب مهمة في الفروسية ورياضة الخيل، وباب في الأسلحة واستعمالها في الحرب وصفات الرمي وفضله والطعن، وقد استفدنا منه كثيرا في الفصل الثالث.

كتب الدواوين والأزجال:

قدمت لنا كتب الدواوين الشعرية والأزجال مادة شعرية غزيرة في بعض جوانب الموضوع سواء في مرحلة الانتصارات بالتفاخر والمدح والإطراء للسلاطين، أو في مرحلة الانتكاسات من خلال وصف الأحوال البائسة للسكان، كما ساهمت الأشعار في شحن الهمم ورفع المعنويات عند خوض الحروب. ومن بين هذه المصادر التي استقينا منها بعض الإشارات :

- كتاب"نظم السلوك في ذكر الأنبياء والخلفاء والملوك": الملزوزي: أبي فارس عبد العزيز بن عبد الواحد (عاش في القرن 07هـ/13م): يعتبر من شعراء البلاط المريني الذين خلدوا وقائع المرينيين وحروبهم بقصائد طوال وقد أفادنا كثيرا في وصف درجة الدمار والخراب الذي تسببت فيه قبائل مغراوة وتوجين وبني مرين عند غزوهم لتلمسان وخاصة على النشاط الفلاحي.

- ديوان ابن قزمان القرطبي (555هـ-1162م) صاحب كتاب" إصابة الأغراض في ذكر الأعراض": يعد درة من درر الفن الشعري في الغرب الإسلامي، وقد تناول الأوضاع المعيشية بنوع من التفصيل الدقيق خلال الأزمات والحروب.

- ديوان لسان الدين بن الخطيب السليماني(713-776هـ/1313-1374م): لقد تضمن "ديوانه" العديد من المعلومات القيمة حيث زودنا بطبيعة العلاقات السياسية بين دول الغرب الإسلامي، وأشكال التضامن بين الزيانيين وبني الأحمر خلال الأزمات.

ثانيا: المراجع والدراسات الحديثة:

لإنجاز هذه الدراسة كان لا بد من الرجوع إلى الدراسات الحديثة التي اهتمت بموضوع اقتصاد الحرب والعوامل المتحكمة في هذا النوع من الصراعات لأجل الربط الجدلي بين ثنائية الحرب والاقتصاد خلال العهد الزياني، والاستعانة بجميع المراجع التي أرخت لهذه الظاهرة خلال الفترة الوسيطة حتى قبل الحيز الزمني والإطار المكاني لدراستنا ووضع إسقاطات على مجال المغرب الأوسط.

ولعل أهم هذه المراجع الحديثة" كتاب الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني لمؤلفه "حميد تيتاو"، حيث كان خير دليل في إنجاز وضبط خطة دراستنا لما تضمنه من مادة علمية قيمة، وتساؤلات عميقة حول ظاهرة الحرب سواء في عهد القبيلة، أو الدولة ، كما اعتمدنا على كتاب "تلمسان في العهد الزياني" لعبد العزيز فيلالي والذي نعتبره من الدراسات المهمة لمثل هذه المواضيع، كون الباحث تناول الفترة الزمنية التي نحن بصدد دراستها وتغطيتها من جميع جوانبها، وكتاب"تاريخ الدولة الزيانية" لمختار حساني، كما اعتمدنا على كتاب "سوسيولوجيا الفكر الإسلامي" لمحمود إسماعيل عبد الرازق والذي يعتبر رائدا في هذا النوع من الدراسات التي ظلت تشكل لحد الآن فجوات تحجب رؤية التراث الحضاري للغرب الإسلامي بشكل مكتمل، إضافة الى مؤلفات تلميذه إبراهيم القادري بوتشيش كتاب(حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي)، وكتاب (مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين) والذي ربط الصراعات بالعامل المادي والاقتصادي واستطاع أن يجيب على العديد من الحلقات المفقودة في هذا النوع من الدراسات واستعنا بمؤلفاته في جميع أطوار البحث، وإذا تناولنا مثل هذه المواضيع لابد أن ننهل من دراساتمُحَمَّد عابد الجابري الذي استطاع أن يبرز لنا العوامل ا لمحركة لتلك الصراعات مثل كتاب(فكر كتاب(فكر ابن خلدون-العصبية والدولة) وكتاب(العقل السياسي العربي)، دون أن ننسى كتاب عبد الحميد حاجيات(أبو حمو موسى الثاني-حياته وآثاره-)، وكتاب (مجمل تاريخ المغرب) بجزأيه الأول والثاني للدكتوري عبدالله العروي.

ولكون موضوع دراستنا يقع على أرضية مشتركة بين العديد من التخصصات، وعلى رأسها الأنثروبولوجيا، أو علم الاستشراف الجديد اعتمدنا على بعض الدراسات الأنثروبولوجية لأجل ملامسة بعض نقاط الظل لبحثنا هذا مثل كتاب "الأنثروبولوجيا والاستعمار" لجيرار لكلرك، وكتاب "الأنثروبولوجيا البنيوية" لكلود ليفي ستروس، وكتاب (مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا) للباحثمُحَمَّد مُحَمَّد الجوهري، ومقال للباحث نور الدين كوسة تحت عنوان(إشكاليات المحددات الأنثروبولوجية

لموضوع القبيلة ببلاد المغرب في العصر الوسيط)، وغيرها من المراجع العربية والأجنبية والمقالات التي خدمت البحث على حسب مواضيعها وهي مذكورة في القائمة البيبليوغرافية.

الصعوبات:

وفي الأخير يجب الإشارة إلى بعض الصعوبات التي اعترضت سبيلنا أثناء إنجاز هذا العمل والتي يمكن اختصارها فيما يلي:

- شح المادة المصدرية المتعلقة بظاهرة الحرب القبلية، والانعكاسات الاقتصادية للحرب على المغرب الأوسط خلال فترة دراستنا.

- تلك المواجهات العسكرية كانت ذات طابع اقتصادي ومادي محض وهي انعكاس أمين لأسلوب اقتصاد الغنيمة، ولكن ما تضمنته مصادر المرحلة جاءت عبارة عن تلميحات وإشارات فقط مقارنة بالعهود السابقة.

- المادة العلمية المتوفرة سواء في المصادر أو الدراسات الحديثة غالبا ما كان مؤلفوها من المغرب الأقصى، فكانت عملية توظيفها تحتاج إلى الدقة والحذر قصد الاعتماد عليها في البحث، نتيجة ابتعاد الكثير من المؤرخين عن الموضوعية التاريخية. وعلى الرغم ما اتصفت به المصادر النوازلية من غزارة المعلومات إلا أننا واجهنا صعوبة التأريخ والتوطين لبعض النوازل.

- استحالة الحصول على بعض المصادر والدراسات، والمخطوطات الدفينة التي يمكن أن تقدم إضافة جديدة للبحث نتيجة عجزنا عن الحصول عليها. وبالرغم من ذلك إلا أنه وبمساعدة أستاذنا "نصر الدين بن داود" استطعنا بعون‌الله تذليل الكثير منها وتقديم الدراسة على الحالة التي هي عليها، وبالتالي تبقى مجرد محاولة ستفتح للدارسين والباحثين الباب لاستكشاف جوانب أخرى لهذا النوع من الدراسات.

وأخيرا، لقد حاولت قدر المستطاع أن يخرج هذا البحث على أحسن وجه، ولكن الكمال لله سبحانه وتعالى وحده وهو غاية لا يدركها العبد، وأن الجهد الذي بين أيديكم لا يخلو من الزلات والهفوات، وقد حاولت جهد الإمكان تجنبها والتخلص منها، وأنا واثق من أن ملاحظات لجنة المناقشة هي التي سوف تساهم في تعديل وتقويم الأمور فيها، وبعد فإني أتوجه بالحمد والثناء لله تعالى على عظيم فضله ومنه التوفيق والسداد . وفي الأخير نرجو التوفيق والسداد من‌الله عز وجل، فإن أصبنا فمن الله ونشكره على ذلك، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ونستغفره على ذلك.

الطالب زيرار رضوان

تلمسان في : 12 جوان 2023.

الفصل التمهيدي: ضبط المفاهيم

- المبحث الأول: مصطلحات ذات دلالة عسكرية وسياسية.
- المبحث الثاني: مصطلحات ذات دلالة اقتصادية.
- المبحث الثالث: الحرب والاقتصاد في التشريع الإسلامي.

لقد كان منطقيا منذ أقدم العصور مرورا بزمن هذا البحث أن تستحدث اصطلاحات عسكرية وسياسية واقتصادية لتقديم الإضافة للجهاز المفاهيمي لاقتصاد الحرب ومواكبة مستجداته وقضاياه، ولهذا ارتأيت أن أتتبع مسيرة المصطلحات ذات الدلالة أو ذات العلاقة بالشأن الحربي كالغزو والحرابة والقتال، والاقتصادي كالغنيمة والجباية والضرائب وغيرها والتي ظهر العمل بها منذ المرحلة التأسيسية للمجتمع الاسلامي.

ولهذا نقول أن لكل أهل علم مصطلحات خاصة يتداولونها في أصول مباحثهم، وفروع دراساتهم، وصنوف مؤلفاتهم، بحيث لا يتأتى لأحد اقتحام ميادينهم، وفهم علومهم، وإدراك مقولاتهم وأنظارهم، حتى يعرف معانيها ومدلولاتها، ويحيط بمرامي أربابها منها.

و لأجل تحديد البعد المفاهيمي التمهيدي للموضوع قمنا بتعريف أهم المصطلحات الرئيسية التي تخدم الدراسة في أبعادها اللغوية إن كانت من غريب اللغة ، والعرفية إن كانت لها دلالة عرفية، والشرعي إن كان لها معنى شرعي خاص نقلت إليه. لأن المصطلح مفتاح دال لسبر قضايا وإشكالات الموضوع ضمن عملية منهجية ومعرفية بالأساس تتأتى أساسا من الدلالة المعجمية.

المبحث الأول: مصطلحات ذات دلالة عسكرية وسياسية:

1.الحرب:

الحرب لغة مفردة وقد تذكر، جمع حُروبٌ ودارُ الحَرب بلاد المشركين الذي لا صلح بيننا وبينهم ورجل حرب ومحرب ومحراب: شديد الحرب شجاع ورجل حرب: عدوٌ مُحارِبٌ وإن لم يكن يكن مِحاربا للذكر والأُنثى والجَمع والواحد وقوم مُحربة وحاربه مُحَارَبةً وحرابا وتَحَاربوا واحتربوا والحربة: الآلة جمع: حراب وفساد الدين والطَّعنة والسلَب[1].

أما الجوهري فيعرف الحرب: الحرب تُؤنث، يقال: وقعت بينهم حرب، قال الخليل: تصغيرها حريب بلا هاء. رواية عن العرب. قال المازوني: لأنه في الأصل مصدر، وقال المبرد الحرب قد تذكر وأنشد – الرجز:

وهو إذا الحرب هفا عقابه مرجم حرب تلتظي حرابه.

[1] – فيروز آبادي مجي الدين مُحَمَّد بن يعقوب (ت1291م)، القاموس المحيط دار الحديث، القاهرة، المجلد، سنة الطبع1429/2008هـ، ص343.

وأنا حرب لمن حاربني: أي: عَدُوٌ وتحاربوا واحتربوا وحاربوا بمعنى ورجل مُحْرَبٌ بكسر الميم أي أي صاحب حروب وقوم محربة والحربة واحدة الحراب وحرب الرجل بالكسر: اشتد غضبه ورجل حرب وأسد حرب والتحريَب: التحَريش[1] وحربته أي أغضبته وحربت السنان أي حددته مثل قال الشاعر-البحر الطويل-:

سيصبح في سرحِ الرُّبابِ وراءها إذا فَزِعَتْ أَلْفَا سنان مُحَرَّبُ[2].

وحريبة الرجل: ماله الذي يعيش به، تقول: حربه يحربه حرباً مثل: طَلَبه يطلُبه طَلَبا: إذا أخذ ماله وتركه بلا شيء وقد حرب مالَه أي سلبه فهو محروب وحريب وأَحربته أي دَلَلْتُه على ما من عدو قال الفراء المحاريب: صدور المجالس ومنه يسمى محراب المسجد والمحراب: الغُرفة. ومنه محاريب غُمدان باليمن[3] وقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَيٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾[4].

أما ابن منظور فيعرف الحرب على أنها نقيض السلم، أنثى وأصلها الصفة كأنها مقاتلة حرب، هذا قول السيرافي وتصغيرها حريب بغير هاء، رواية عن العرب: لأنها في الأصل مصدر، ومثلها ذُريع وقُويس وفُريس وذُويد، تصغير ذود وقُدَيْر، تصغير قدْر ويقال: ملْحفة خُلَيْق، كل ذلك تأنيث بغير هاء. قال: وحريب أحد ما شذ مَن هذا الضرب، ويَقال: وقعتَ بينهم حرب. الأزهري: أنثوا الحرب لأنهم ذهبوا بها إلى المحاربة وكذلك السلم والسلم، يذهب به إلى المسالمة فتؤنث ورجل حرب، ومحرب بكسر الميم، ومحراب: شديد الحرب، شجاع والحرب بالتحريك نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له. والحارب المشلح أي الغاصب الناهب الذي يعري الناس ثيابهم والحريبة الغنيمة والسلب...[5] ويقال أيضا الحرب لغة: القتال بين فئتين... ويقال: قامت الحرب على ساق، اشتد الأمر وصعب

---

[1]- التحريش في اللغة إغراء الإنسان أو الحيوان لتقع بقرنه أي نظيره، يقال: حرش بين القوم إذا أفسد بينهم وأغرى بعضهم ببعض. قال الجوهري: التحريش الإغراء بين القوم أو البهائم كالكلاب والثيران وغيرهما، بتهييج بعضها على بعض، ففي التحريش تسليط للمحرش على غيره ويقال في تسليط الكلب المعلم نحوه على الصيد: أشلاء. ينظر: أنور محمود زناتي، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط01، 2011م، ص80.

[2]-نقلا عن الجوهري أبي نصر إسماعيل بن حماد (ت 298هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه واعتنى به د. مُحَمَّد مُحَمَّد تامر- أنس مُحَمَّد الشامي- زكرياء جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، سنة الطبع 1430هـ/2009م،ص235.

[3]- الجوهري، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- سورة مريم، الآية:10.

[5]- ابن منظور، لسان العرب، تولى تحقيقه عبد الله علي الكبير-مُحَمَّد أحمد حسب الله-هاشم مُحَمَّد الشادلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت،مج02، ص ص-815-816.

الخلاص منه، ورجل حرب: شديد الحرب شجاع. وحرب لي وعلي: عدو والحرب: الويل والهلاك، يقال وآحرباه، عند إظهار الحزن والتأسف والطلع إذا كان بقشره[1].

والحرب وردت كذلك في المعجم الوسيط كلمة حارب بمعنى قاتل واحتربوا أي حارب بعضهم بعضا وهي بتحريك الحاء دلالة على الويل والهلاك، إذ يقال واحرباه عند إظهار الحزن وا لـتأسف على الميت، وتأخذ أيضا معاني أخرى أبرزها السلب والغصب[2] فحربه بالكسر أي سلبه جميع ما يملك يملك ومعنى الشر والغصب، ويقال: حربت عليه غيري أي أغضبته[3]. والحرب: بفتح الحاء وسكون الراء: المقاتلة والمنازعة[4].

نستنتج أن التحديدات اللغوية التي وصفتها تلك المعاجم اللغوية أجمعت تقريبا على أن الحرب نقيضة السلم في الويل والهلاك والإغراء والغصب والهلاك والدمار والتخريب، وقد اقترنت كلمة الحرب في اللغة العربية بعدة ألفاظ من بينها: الجهاد، والقتال، والغزو.

بينما اصطلاحا هي بغيضة مذمومة لما فيها من إزهاق النفوس وتخريب العامر من البلاد، لكنهم يقولون أنها سنة من سنن الاجتماع البشري وأنها أكبر مظهر من مظاهر تنازع البقاع الذي هو وصف طبيعي ملازم لجميع الكائنات الحية لا ينفك عنها، ويستندون في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دِفَٰعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[6].

---

[1] – مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر مُحَمَّد علي النجار، وأشرف على طبعه عبد السلام هارون، المكتبة العلمية، طهران، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، مادة حرب، ص ص 163-164.

[2] – الفرق بين المعتدي والغاصب أن التعدي جناية على بعض السلعة، والغصب جناية على السلعة كلها. وأيضا فالمعتدي ضامن من يوم التعدي لأن يده كانت عليها بإذن ربها قبله والغاصب ضامن يوم الغاصب وأيضا فالمعتدي إن أتى بها سالمة ضمنها والغاصب إن أتى بها سالمة لم يضمنها، قال القاضي عياض: وقد جعل ابن القاسم الغاصب كالمعتدي إذا أمسكها عن أسواقها حتى نقصت من= قيمتها. ينظر: ابن فرحون المالكي: تبصرة الحكام في أمور الأقضية والأحكام، مرا و تق: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ج2، ص 168.

[3] – مجمع اللغة العربية، المرجع السابق، ص 164.

[4] – أنور محمود زناتي، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط01، 2011م،ص 167.

[5] – سورة البقرة، الآية 249.

[6] – سورة البقرة، الآية 37.

قال ابن خلدون مؤيدا لهذا الرأي أن الحرب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأهاالله، الله، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض يتعصب لكل منها أهل عصبته، فإذا تذامروا لذلك وتوافقت الطائفتان: إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع كانت الحرب. وهي في نظره أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة ولا جيل وسبب هذا الانتقام في الأكثر إما غيرة ومنافسة، وإما عدوان وإما غضب للملك وسعي في تمهيده[1].

يدعم هذا الرأي أيضا ما قرره علماء النفس من وجود غريزة المقاتلة في النفس التي توجه سلوك الإنسان، فتنبعث في الحياة بشكل التنازع الجماعي المجرد من أي تعاون فتكون الحرب[2].

أما الفلاسفة فينقسمون في شأن الحرب إلى قسمين: قسم جعلها ضرورية لا بد منها بين البشر، وقسم اعتبرها ضربا من الجنون البشري تجعل الإنسان أدنى رتبة من البهائم، وقد اعتبرها المسيحيون من القضايا الشرعية التي يسلم بها الناس والدين أيضا[3].

يرى "جاستون بوتول" (Gaston Bouthoul): على أن الحرب «ظاهرة من ظواهر الخلاف والصراع وينتهي الى وضع كلمة –صراع- كتعريف لأشد الأفعال تباينا واختلافا»[4].

أما "مارتن" (MARTEN) : فاعتبر الحرب صراع بين الناس.[5]

بينما "فون بوجيسيلافسيكي" (Vonboguilslawski): فعدّها المعركة التي تشنها جماعة معينة من الرجال أو القبائل أو الأمم أو الشعوب أو الدول ضد جماعة مماثلة أو شبيهة لها، أما "لاجورجيت" LaGorgette: فيقول أن هناك سمتان أساسيتان لا بد أن تتوفرا في شكل الصراع لتسمى حربا وهما الرغبة أو الإرادة ثم التنظيم، لذلك يعرف الحرب بأنها حالة من الصراع العنيف الذي يقوم بين جماعتين، أو عدة جماعات من أفراد منتمية إلى نفس النوع بناء على رغبتهم أو إرادتهم[6].

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط01، 1431هـ/2010م، ص221.

[2]- وهبه الزحيلي ،آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة، دار الفكر، المطبعة العلمية بدمشق، دمشق، ط4، 1992، ص45.

[3]- وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص46.

[4]-Gaston Bouthou,،Traité de polémologie: sociologie des guerres، Payot Paris، 1991, pp 26.

[5]- Gaston Bouthou, Op.cit , p35.

[6] -Ibid, p35.

ولو عدنا إلى دائرة المعارف فنجدها عرف الحرب على أنها: «بقية من بقايا تنازع الطوائف البشرية على الحياة والوجود كله في حالة تدافع أو حرب مستمرة، فما نبات البذور التي ترميها إلى الأرض إلاّ أثر حرب شنتها القوى المودعة في تلك البذور بمساعدة الحرارة والضوء على ذرات التراب فحللتها. ولو تخطيت هذا العالم المنفعل إلى ما فيه إثارة من الروية والاختيار كعالم الحيوان لرأيت مظاهر الحروب أظهر وأفاعيلها أكبر»[1].

كما أن للحرب تعريفا تقليديا عند رجال القانون الدولي، وهو أن الحرب صراع مسلح بين دولتين أو بين فريقين من الدول ويكون الغرض منه الدفاع عن حقوق ومصالح الدول المحاربة. فالحرب لا تكون إلاّ بين الدول، أما النضال المسلح الذي قد يقع بين الجماعات داخل دولة ما، أو الذي تقوم به جماعة من الأفراد ضد دولة أجنبية[2]. وهي تتميز عن النضال والجرائم الفردية بصفتين هامتين: عنصر شخصي، وهو القصد، وعنصر سياسي، وهو التنظيم حيث يعرفها "كنسي رايت" (Quincy Wright) أنها: «هي الشرط القانوني الذي يتيح لرهطين حاقدين أو أكثر أن يقودوا معركة بالقوى المسلحة». وبهذا التعريف كأنه يربط الحرب بالمقصد الحقوقي أو ما تسمى بالنتائج الحقوقية من عقبى النزاع. يقول "كلوزفتير" (Clausewitz): «الحرب فعل عنف هدفه تحطيم الخصم لتنفيذ إرادتنا»[3].

كما جاء تعريفها على أنها هي المنازلة والمقاتلة أو اختلاف بين قومين بقوة السلاح أوهي ظاهرة استخدام العنف والإكراه كوسيلة لحماية مصالح أو لتوسيع نفوذ أو لحسم خلاف حول مصالح أو مطالب متعارضة بين جماعتين من البشر[4].

يتفق الفقهاء المسلمون والدوليون في اعتبار الحرب مصلحة من مصالح الدولة العامة ولها أحكام خاصة وأنها موجهة نحو عدو خارجي، وفي حال صراع قوتين مسلحتين أو أكثر وهي في نظر رجال القانون يلجأ إليها لأغراض مادية تدعو إليها مصلحة الدولة التي تشهرها على غيرها بمحض تقديرها

---

[1] – مُحَمَّد فريد وجدي، دائرة المعارف، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، 1921م، مج03، مادة حرب، ص ص 389، 390.

[2] – وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص26.

[3] –Gastin Bouthoul, La guerre, traduction Arabe de Marwan EL-Quanawati ،Edition OUEIDAT Beyrout ،Paris، 1981، pp 39، 41.

[4] – خالد مُحَمَّد عطوة، الخداع في الحرب، رسالة ماجستير في الفقه المقارن، كلية الشريعة، قسم الفقه المقارن، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2005م، ص06.

وفي سبيل نفعها الذاتي القائم على الهوى وحب التسلط وتدعيم الاقتصاد، قال أحدهم :«الحرب وسيلة من وسائل العنف، تلجأ إليها الدول لحل ما يقوم بينها من منازعات، أو سعيا وراء تحقيق غاية أو مطمح سياسي أو إقليمي»[1].

وحصادا لما سبق فإنَّ الحرب ارتبطت تاريخيا بجملة من المفاهيم كالعنف والقوة والصراع والنضال، فقط أن الحرب تختلف عن النضال العام والجرائم الفردية، والصراعات المسلحة الأخرى فهي على عنصريين مهمين القصد والتنظيم أي وجود عدو نشيط ومنظم.

2.القتال:

القتال أو القتل معروف وقتله وتقتالا وقتله قتلة سوء بالكسر ومقاتل الإنسان: المواضع التي إذا أصيبت قتلته: والمقاتلة : القتال والمقاتلة بكسر التاء: القوم الذين يصلحون للقتال لقوله ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾[2] و القتل بالكسر العدو[3]. بينما ابن منظور فيقول: تقاتل القوم وقتلوا تقتيلا: شدد للكثرة والمقاتلة : القتال، وقد قاتله قتالا وقيتالاً وهو من كلام المقاتل، قال كعب بن مالك:

أُقَاتِلُ حَتى لاَ أَرى لِي مقَاتِلاَ وأَنْجُوا إذا غُمّ الجَبَانُ من الكَرْبِ[4]

وقد وردت كلمة الحرب في القرآن الكريم في غير ما موضع للدلالة على القتال[5] في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾[7]. وتأخذ بهذا المعنى مفهوم-الصراع المسلح- مع العدو أي بعيدا عن الطرق السلمية في المعاملة[8]. وهو ما يوضحه قوله تعالى:﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ

[1]- وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص ص 26-27.

[2]- سورة المنافقون، الآية: 04.

[3]- الجوهري، المصدر السابق، ص ص 915-916

[4]- ابن منظور، المصدر السابق، ص3568 وما بعدها.

[5]- وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص 31.

[6]- سورة المائدة، الآية 66.

[7]- سورة الأنفال، الآية 85.

[8]- مُحَمَّد عمارة، الإسلام والحرب الدينية، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، ط01، 1982، ص08.

فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[1]. وفي الحديث الشريف يقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه: [با يعنا رسولَ الله بيعة الحرب...في السَّمع والطّاعة][2].

أما القتال فقد ورد في القران الكريم للدلالة المباشرة على النزال والصراع المسلح المباشر[3] لقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[4]. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ: [أُمرتُ أنْ أُقاتلَ أنْ أُقاتلِ النّاس حتى يقولوا: لا إلَه إلّاالله، فمن قالَ: لا إلَه إلّاالله، عصم منّي مالَه، و نَفْسه إلّا بحَقّه، وحسابُه علىالله].[5]

وعليه يتضح لنا من خلال هذه التعاريف اللغوية أنه لا يوجد تلازم بين القتل والقتال، وأن جواز القتال أوسع من جواز القتل، لأن لا يكون إلا في أشياء معينة، وتستعمل كلمة القتال اصطلاحا بمعنى كلمة الجهاد.

3.الجهاد:

الجهاد وجاهد في سبيل الله مجاهدة وجهادا والاجتهاد والتجاهد: بذل الوسع والمجهود[6]. ونقول ونقول جاهد العدو مجاهدة وجهادا: قاتله وجاهد في سبيل الله. وفي الحديث الشريف: [لا هجرةَ بعدَ الفتحِ ولكن جهادٌ ونيَّةٌ][7]، الجهاد محاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل والمراد بالنية إخلاص العمل لله أي أنه لم يبق بعد مكة هجرة لأنها قد صارت دار الإسلام وإنّما وإنّما هو الإخلاص في الجهاد وقتال الكفار. والجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب واللسان أو ما ما أطاق من شيء[8].

---

[1]– سورة مُحَمَّد، الآية 04.

[2]– البخاري، الجامع الصحيح، اعتنى به، أبو عبد الله محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة، ط01، 2003م، ج03، ص 46.

[3]– مُحَمَّد عمارة، الإسلام والحرب الدينية، ص ص،09-10.

[4]– سورة التوبة، الآية 05.

[5]– البخاري، التاريخ الكبير، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، د.ت، ج07، ص 35، ر.ح: 3267.

[6]– الجوهري، المصدر السابق، ص 207.

[7]– البخاري (ت256)، صحيح البخاري ، تح:د. مصطفى ديب البغا، دار اليمامة للنشر، دمشق، ط3، 1414هـ/1996م ج3،ص40.

[8]– ابن منظور، المصدر السابق، ص736.

إنَّ الحرب في الشريعة الإسلامية هي الجهاد ومعناه الجهد وهو المشقة، يقال جهدت الرجل بلغت مشقته[1]. فقد عرفه ابن رشد (ت520هـ/1126م) بكونه «المبالغة في إتعاب الأنفس في ذاتالله، الله، وإعلاء كلمته التي جعلها الله طريقا إلى الجنة وسبيلا إليها»[2]، مثلما حدده ابن عرفة (ت803هـ/1400م) بكونه: «قتال مسلم كافر غير ذي عهد لإعلاء كلمةالله أو حضوره له، أو دخوله أرضه له»[3]، وهو بهذا المعنى الحرب التي يعترف بها التشريع الإسلامي "غضبا لله ولرسوله"[4].

أما الفقهاء فيعرفون الجهاد على أنه مجاهدة النفس ومغالبة الهوى، والنهي عن المنكرات، والصدع بالمعروف وزجر أهل الباطل ثم قتال الكفار ومجاهدتهم[5]، حيث عرفه ابن حجر على أنه: «بذل الجهد في قتال الكفار»، بينما الكاساني قال: «هو بذل الوسع والطاقة بالقتل في سبيلالله»[6]. وقد اتفق الفقهاء أن الجهاد فرض على المسلمين[7]، لقوله تعالى: ﴿إِنفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِے سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[8]، وعليه فالجهاد يكون بالنفس والمال واللسان[9].

---

[1]– ابن المناصف، الإنجاد في أبواب الجهاد، درا وتح: قاسم عزيز الوزاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 2003م، ص ص87-88.

[2]– ابن رشد، المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط01، 1408هـ/1988م، ج01، ص 341. وعرفه ابن المناصف (ت620هـ/1223م) على: «أنه بذل الجهد في اكمال النفس وتدليلها في سبيل الشرع والحمل عليها بمخالفة الهوى ومن الركون إلى الدعة واللذات واتباع الهوى»، المصدر السابق، ص 89.

[3]– الرصاع التونسي، شرح حدود الإمام الأكبر البركة القدوة الأنوار أبي عبد الله بن عرفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1412هـ/1992م، ص193، إحسان الهندي، أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط01، 1993، ص 127.

[4]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص 212.

[5]– ابن رشد، المصدر السابق، ج01، ص ص341، 342.

[6]– غازي بن سالم بن لافي التمام، اقتصاديات الحرب في الإسلام –دراسة فقهية اقتصادية معاصرة–، ط01، 1990م، ص28.

[7]– ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1419هـ، ج01، ص384.

[8]– سورة التوبة، الآية41.

[9]– إحسان الهندي، المرجع السابق، ص 127، 128.

إنَّ الجهاد بالنفس معناه خروج المسلم بنفسه للقتال في ساحة الحرب أو المرابطة في الرباطات والثغور[1]، وهو في نظر الفقهاء أعلى مرتبة وأعظم أجرا، لأنه يتضمن المخاطرة بالنفس[2]، وهذا النوع من الجهاد يصنفه البعض في الجهاد الخاص أي مجاهدة الكفار وقتالهم لإعلاء كلمةالله[3].

أما الجهاد بالمال فيعني ضرورة أن يسهم الفرد المسلم في الإعداد المسبق للحرب والإنفاق في سبيلها من خلال العتاد والكراع والآلة الحربية بما في ذلك تموين الجيش وتقديم العون والزاد والعلوفات له[4]، ومن الأحاديث التي تحض على هذا النوع من الجهاد قوله ﷺ: [من جهَّز غَازيا في في سبيلِ اللَّه فَقَدْ غَزا، ومن خلَف غَازيا في أَهْله بخَير فَقَدْ غزا][5]، أمَّا الجهاد باللسان فيتمثل في تحريض الناس على الجهاد والحث عليه[6]، من خَلال الإخبار على عورات العدو والدعاية لضعفه وعجزه شدا لعزائم المحاربين ورفعا لمعنوياتهم في القتال، لقوله تعالى:﴿ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاًۖ﴾[7].

يقول وهبة الزحيلي: «أن الجهاد شيء غير الحرب حيث لا تتفق الكلمتان تماما إلّا في المعنى اللغوي دون الاصطلاح الشرعي والقانوني»[8].

ونستشف من خلال هذا التعريف أن كلمة الجهاد تعني جميع الأقوال والأفعال التي تصب في مصلحة الإسلام لصد عدو يستهدف الإسلام والمسلمين فعلا أو قولا أو كلاهما معا.

4.الغزو :

---

[1]– الثغور: مفردها الثغر بفتح الثاء مشددة وسكون الغين: هي موضع المخافة من العدو والمنافذ المعرضة لغزوه أكثر من غيرها من المواقع والموانئ والبلاد، ينظر: أنور محمود الزناتي، كتاب معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة عين شمس، ط01، 2011م، عمان، الأردن، دار زهران للنشر والتوزيع، ص135.

[2]– ابن رشد، المقدمات والممهدات، ج01، ص ص 343، 344.

[3]– غازي بن سالم بن لافي التمام، المرجع السابق، ص29.

[4]– ابن المناصف، المرجع السابق، ص ص، 125، 127.

[5]– البخاري، الجامع الصحيح، د. مصطفى ديب البغا، المصدر السابق، ج03، ص1045، ر.ح: 2688..

[6]– ابن هذيل، تحفة الأنفس، ص ص30،37.

[7]– سورة النساء، الآية 83.

[8]– وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص69.

غـزا الشـيء غـزوا. أَرادَهُ وطلبـه وغـزوت فـلانا أغْـزُوه غَـزوا والغـزوةُ مـا غَـزي وطُلـبَ والغـزو: القصـد وكـذلك الغـوز، وقـد غـزاه وغـازاه غـزوا وغـوزا إ ذا قصـده، وغـزاَ الأمـر واغْتَـزاه كلاَهمـا: قصـده والغـزو: السـير إ لى قتـال العـدو وانتهابـه، غَـزاهم، غـزوا وغـزوانا. عـن سـيبويه صـحت الـواو فيـه كراهيـة الإخلال، وغزاوة، قال الهذلي:

تَـقُولُ هَذيلٌ لَا غَزْوَةٌ عِنْدَهُ بلَى غَزَوَاتُ بينهن تَوَاثُب[1]

وفي الصحاح للجوهري: غزوت العدو غزوا والاسم: الغزاة والنسبة إلى الغَزْو وغَزْوي، ورجل غَازٍ والجمع غَزَاةٌ مثل: قَاضٍ وقُضَاةٌ... وأَغْزيت فلانا، أي جهزته للغزو والمَغْزِيَةُ: المرأة التي غَزا زوجها[2].

ويقال كذلك غَزاه غَزوا: أَراده، وطَلبه، وقَصدَه، كاغْتزاه، والعدو: سار إلى قتالهم وانتهابهم غزوا وغزوانا وغزاوة، وهو غَازٍ، ج: غَزي وغزي، كَدَلي. والغَزِيّ، كَغَني: اسم جمع. وأَغْزَاه: حمله عليه، كَغزاه، وأمهله، وأخر ماله عليه من الدين، والناقة: عسر لَقاحها، والمرأة: غزا بعلها. ومغْزى الكلام: مَقْصده. والمغَازي: مناقب الغُزاة[3].

وعليه فإنَّ كلمة الحرب والجهاد والغزو في أصل اللغة العربية لها مدلول واحد وهو القتال مع العدو[4]، وقد وردت كلمة الحرب في القرآن الكريم بمعنى القتال كما في هذه الآيات: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾[5]، أي كلما جمعوا وأعدوا شتت الله جمعهم، وعليه فإن هذا الاشتراك اللغوي الثلاث هو المقصود أيضا عند الاستعمال في عرف الفقهاء.

الجدول 1: الألفاظ والمعاني ذات صلة بالحرب[6]:

المصطلحات	الألفاظ والمعاني ذات صلة بالحرب

[1]- ابن منظور، المصدر السابق، ص3279.

[2]- الجوهري، المصدر السابق، ص847.

[3]- فيروز آبادي، المصدر السابق، ص1187.

[4]- الجوهري، المصدر السابق، ص42.

[5]- سورة المائدة، الآية، 66.

[6]- وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص26 وما بعدها

الحرب	نقيض السلم-الشدة والشجاعة-العداوة-نهب المال.
الجهاد	بذل الوسع في القتال-معاونة بمال-تكثير سواد-الدعاء إلى دين الحق.
القتال	الموت-الانتقام-التعريض للقتل-سبب القتل-المحاربة والمعاداة.
الغزو	الإرادة والطلب-المقصد-السير-صفة لجماعة الغزاة-التجهيز للغزو.

5.الحِرَابَةُ:

الحِرابة لغة يقال حرب فلان حَرْبا والحِرَابُ أن يؤخذ ماله كله ومَحْروب دينه أي سلب دينه. قال تعالى: ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[1]. ويعني المعَصية[2].

الحرابة شرعا هي كل فعل يقصد به أخذ المال على وجه يتعذر معه الاستعانة عادة كإشهار السلاح، والمحارب هو القاطع للطريق[3]، المخيف للسبيل، الشاهر للسلاح لطلب فإن أعطي وإلا قاتل عليه كان في الحضر أو خارج المصر، قال الشيخ ابن القاسم: «وقد يكون محاربا وإن خرج بغير فعل المحاربين من التلصص وأخذ المال ومكابرة ويكون الواحد محاربا»[4].

قال أكثر الفقهاء أن كل من خرج من المسلمين فسوقا، فشهر السلاح وحارب المسلمين ظلما وعدوانا[5] يعتبر محاربا لله ورسوله[6]ويكون حكمه ما ذكر في الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾...[7]، كما أورد ابن فرحون قولا للإمام مالك في أعراب قطعوا الطريق فقال: «جهادكم أحب إلي من جهاد الروم»[8]، وفي هذا الشأن يؤكد الونشريسي على أن مضرة المحارب أعظم على المسلمين من ضرر الكفار[9].

---

[1]- سورة المائدة، الآية 35.

[2]- أبو منصور مُحَمَّد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، مرا: مُحَمَّد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، د.ط، د.ت، ج05، ص22.

[3]- قطع الطريق: هو عبارة عن الخروج على المارة لأخذ المال بالقوة والقهر على وجه يمنع الناس من المرور سواء أكان واحدا أو جماعة ويتحقق هذا المعنى وإن لم يباشروا الجريمة بالفعل، والأصل في جزائهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ ورسولَهُۥ﴾ سورة المائدة الآية 35. ينظر: أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن حبيب البصري الماوردي (ت450هـ)، الأحكامَ السلطانَية والولايات الدينية، تح: الدكتور أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ط01، 1409-1989م، ص 58.

[4]- الإمام العلامة برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن الامام شمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن فرحون اليعمري المالكي، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة خاصة، 2003م، ج02، ص267.

[5]- العدوان: حالة اعتداء مباشر أو غير مباشر على المسلمين أو أموالهم أو بلادهم بحيث يؤثر في استقلالهم أو اضطهادهم وفتنتهم عن دينهم، أو تهديد أمنهم وسلاحهم ومصادرة حرية دعوتهم أو حدوث ما يدل على سوء نيتهم بالنسبة للمسلمين بحيث يعتبرون خطرا محققا. ينظر: وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص76.

[6]- ابن المناصف، المصدر السابق، ص393.

[7]- سورة المائدة، الآية:35.

[8]- ابن فرحون، المصدر السابق، ص393.

[9]- أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي ت914هـ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه مُحَمَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981، ج02، ص404.

وعليه فالحرابة هي السطو والغصب والبغي والسرقة والسلب والنهب وقطع الطرقات على المارة وسلبه بقوة السلاح، وتكون بشكل سري وفجائي وغالبا ما تكون خارج المدن، وهي عكس الحرب التي تكون أكثر تنظيما وإعدادا.

6.الدولة:

جاء في الصحاح: الدَّولة بالفتح في الحرب وبالضم في المال، فالدولة في الحرب أن تنال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال كانت لنا عليهم الدولة: والجمع الدول والدُّولة بالضم في المال يقال صار الفيء دولة بينهم يتداولونه، والدَّولة والدُّولة لغتان بمعنى[1]، قال تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾[2].

وجاء في لسان العرب الدَّولة والدُّولة: العقبة في المال والحرب سواء وقيل الدُّولة بالضم في المال والدَّولة بالفتح في الحرب وقيل هما سواء فهما يضمان ويفتحان، والدُّولة الانتقال من حالة الشدة إلى حالة الرخاء. قال الأزهري: الدَّولة بالنصب إنما الدولة للجيشين يهزم الهازم فنقول: قد رجعت الدَّولة الدَّولة على هؤلاء كأنها المرة، وقال: الدُّولة برفع الدال في الملك والسنن التي تغير وتبدل عن الدهر. والدولة الفعل والانتقال من حال إلى حال[3].

إن الدولة في اصطلاح ابن خلدون هي العموم (الامتداد الزماني والمكاني لحكم عصبية ما)[4] ، فمن حيث الامتداد في المكان تكون الدولة عامة أو خاصة، فالعامة هي مجموع المناطق والأقاليم التي تجري عليها سلطة العصبية الحاكمة سواء كانت هذه السلطة فعلية أم اسمية فقط.

والدولة الخاصة هي الولاية أو الإقليم الذي استقل به الوالي خارجا عن السلطة المركزية.

أما من حيث الامتداد في الزمان فإن الدولة إما كلية: أي يتعاقب على حكمها عصبية من العصبيات أو شخصية وهي مدة حكم شخص واحد من أشخاص الدولة الكلية مثل دولة عبد المؤمن بن علي، إضافة إلى الدولة المستقرة ونعني بها الدولة القائمة التي تنشب الثورات ضدها والدولة الحادثة

[1] – الجوهري، المصدر السابق، ص394.

[2] – سورة الحشر، الآية 07.

[3] – ابن منظور، المصدر السابق، ص ص1481، 1482.

[4] – عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 127.

أو المستجدة وهي الثائرة المطالبة بالملك من الدولة المستقرة[1]. وهي تعني كذلك «الحكومة ورجالها، والمملكة هي البلاد وأهلها»[2].

وجاء تعريفها كذلك على أنها عبارة عن نظام طبيعي وكائن ضروري خاضع للتطور من الشكل البسيط إلى المركب ومنطق تفكيرهم في ذلك مقولة أرسطو: «الإنسان كائن سياسي بالطبع»، بالطبع»، ثم قول ابن خلدون «أن الإنسان مدني بالطبع»،[3] أي أنَّ الإنسان لا يمكن له أن يعيش منفردا، ولا يتم وجوده إلا مع أبناء جنسه، فهو محتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته.

وإجمالا لما سبق يتضح لنا أن الدولة تعتبر شكلا من أشكال النظم السياسية . أي أنها مجتمع سياسي أو بناء سياسي، لها عاصمة مركزية وحدود إقليمية تتدفق من الولاء الشخصي الذي يربط الحاكم بالمحكومين أو بالرعية.

7.الرعية :

الرعية لغة يقصد بها العامة وراعيته أي لاحظته وراعيته من مراعاة الحقوق. والراعي الوالي وأرعيته سمعي أي أصغيت إليه[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿رَٰعِنَا﴾[5]. ورعى الأمير رعيته رعاية، أي ساسها وتدبر شؤونها وعليه حرمته حفظها، ويقال رعيا لك أي حفظا لك. والرعية جمعها رعايا: القوم عامة الناس الذين عليه راع. رعية ورعايا الملك أي الخاضعون لأوامره ومنه رعية الأسقف ونحوه[6].

بينما اصطلاحا الرعية هي ودائع‌الله تعالى قبل السلطان، ومرآة تعكس سياسته العادلة، فعلى السلطان أن يأخذ كل طبقة بما عليها ومالها[7]، وهي ركن من أركان المملكة أو السلطنة بانصياعها ورأس الفتنة بخروجها تحدث القلائل وتعرف بعدة تسميات: الدهماء، الغوغاء، الأوباش، الرعاع،

---

[1] – مُحَمَّد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط06، 1994م، ص275.

[2] – المرجع نفسه، ص276.

[3] – بوزياني الدراجي، العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية على ضوء الفكر الخلدوني، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط01، 2003م، ص49.

[4] – الجوهري، المصدر السابق، ص449.

[5] – سورة البقرة، الآية 103.

[6] – لويس معلوف اليسوعي، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، ط07، 1931م، ص 268.

[7] – لسان الدين بن الخطيب السلماني، الإشارة إلى أدب الوزارة، درا وتح: مُحَمَّد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر ط01، 1424هـ/2004م، ص ص86،87.

قطاع الطرق، الفساق وكل هؤلاء يشكلون قطاعات واسعة مما ندعوه اليوم بالجماهير الشعبية أو بالشعب[1].

نصح ابن رضوان السلطان بألاّ يتخذ الرعية مالا وقنية، فيكونون عليه بلاء وفتنة، ولكن ليتخذهم أهلا وإخوانا، يكونون له جندا وأعوانا[2].

وعليه فإن الرعية هم عامة الناس، لهم وال يرعى مصالحهم وأمورهم، ويستمع لانشغالاتهم، وهم عبارة عن شرائح اجتماعية متفاوتة المعيشة والدخل.

8.الجيش:

الجيش: واحد الجيوش، يقال: جيش فلان، أي جمع الجيوش واستجاشه أي طلب منه جيشا[3]، تَجيش القوم أي تَجمعوا واستجاش الجيش جمعه وجمع جيوش جماعة الجند[4]، والجيش الجند وقيل جماعة الناس في الحرب، والجمع جيوش. والجيش جند يسيرون لحرب أو غيرها، يقال جيش فلان أي جمع الجيوش واستجاشه أي طلب منه جيشا ومددا[5].

الجيش هم الأنصار وأبهة الخلافة والحصن المنيع والملك بلا جيش كالأرض دون نبات[6]، أو هم العسكر والأعوان، أما الجندية تعني نظام الجند[7]. وهم العمود الفقري لأي دولة في القديم والحديث وبشكل خاص بالنسبة للدول التي فرضت سلطانها بقوة السلاح[8].

---

[1]– عز الدين علام، الآداب السلطانية، عالم المعرفة، الكويت، محرم 1424هـ/فبراير 2006م، ص ص183،185 .

[2]– أبو القاسم بن رضوان المالقي ت783هـ/1381م، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط01 1984م، ص264.

[3]– الجوهري، المصدر السابق، ص215.

[4]– لويس معلوف اليسوعي، المنجد في اللغة، ص112.

[5]– ابن منظور، المصدر السابق، ص764، فيروز آبادي، المصدر السابق، ص315، المقري (أحمد بن مُحَمَّد التلمساني)، المصباح المنير، مكتبة لبنان، لبنان، 1987م، ص 45، مُحَمَّد فريد وجدي، المرجع السابق، ص280.

[6]– أبو حمو موسى بن يوسف الزياني (ت 971هـ/1389م)، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تح و تع: د. محمود بوترعة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2011م، ص37.

[7]– صلاح الدين المنجد، المعجم الوسيط، ط1، دار البحار، لبنان، 2007م، ص282.

[8]– خالد بلعربي، ورقات زيانية، دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني، دار هومة، الجزائر، 2014م، ص14. لخضر عبدلي، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، النديم للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط01، 2011م، ص153.

لقد عرفهم الطرطوشي: «أنهم عدد الملك وحصونه ومعاقله وأوتاده، وهم حماة البيضة والذابون عن الحرمة، والدافعون عن العورة، وهم حصن الثغور، وحراس الأبواب، والعدة للحوادث وإمداد المسلمين»[1]، وهم «حملة السلاح بهم تدفع الأعداء وتؤخذ المدن»[2].

والجيش يقصد به مجموعة من الأفراد المسلحين المنظمين الذين يكلفون بأعمال القتال البرية، ويتألف من الأفراد الذين يتدربون عسكريا للدفاع عن الدولة، ويطلق هذا الاصطلاح على جميع الذين الذين يحترفون مهنة الجندية ويتخذونها عملا مستديما وكذلك أفراد قوات الاحتياط الذين يقضون وقتا في التدريب[3].

وعليه فإنَّ الجيش هو الحصن المنيع والسد الدريع لأي دولة سواء في القديم أو الحديث وهو مجموعة من الأفراد المدربين على القتال والقادرين على حماية الحدود من أي خطر خارجي.

9.الحصار:

الحصار لغة هو فعل مشتق من الفعل الثلاثي حصر، حصره يَحصرهُ حصا أي ضيق عليه وأحاط به. والحصر الضيق البخيل والحصير المحبس، قال تعالى:﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيراً﴾[4]. والحصر ضيق الصدر[5]، والحصر التضييق والحبس عن السفر وغيره والحصير الضيق الصدر، ومحاصرة العدو وحصره استوعبه.[6]

وفي المنجد حصر حصرا ضيق عليه وأحاط به وحاصر واحصارا ومُحاصرةُ العدو احاَطُوا به ومنعوا عنه الإمداد[7].

---

[1]- أبو بكر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الوليد الفهري الطرطوشي (ت520هـ)، كتاب سراج الملوك، المطبوعات العربية، مصر، 1289هـ/1872م، ص216.

[2]- شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تح: عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996م، ص121.

[3]- جورج كاستلان، تاريخ الجيوش، تر:كمال دسوقي، مكتبة الإسكندرية، مصر، د.ت، د.ط، ص03.

[4]- سورة الإسراء، الآية 08.

[5]- الجوهري، المصدر السابق، ص255.

[6]- فيروز آبادي، المصدر السابق، ص369.

[7]- لويس معلوف، المنجد في اللغة، ص137.

إن مدلول لفظ الحصار لا يقتصر على معنى واحد وإنما يتعداه إلى معان متعددة ومتباينة، كما أن بعض الصيغ اللفظية المشتقة من نفس مصدر لفظ الحصار تحمل هي الأخرى نفس الدلالة على اختلاف الصيغ ومن دلالات ومعاني لفظ الحصار ما نجيزه فيما يأتي تبعا: (موضع حصر الإنسان، المحبس، الإحاطة، الوسادة، الكساء والحقيبة).

بينما اصطلاحا أن يمنع المسلمون على الدولة التي تحاربهم كل عناصر التقوية وعدم وصولها إليهم[1]، وهو من بين الأساليب الجيدة لفتح المدائن[2].

والحصار كذلك كما تعرفه دائرة المعارف هو العمل الذي يقوم به جيش ما بالمرابطة أو البقاء في مواجهة قلعة أو موقع محصن أو مدينة، فإذا أمكن الإحاطة بالحصن تماما فإن القوة المتفوقة يمكنها أن تمنع وصول الإمدادت إليهم ومن ثمة يسهل استسلامهم أو تقوم القوات بفتح ثغرات في الحصن والاستيلاء على المنطقة وأسر المدافعين أو الانتظار حتى يتضوروا جوعا (السلاح الأخضر) بالمفهوم الحالي[3].

وعليه نستنتج أن الحصار هو التضييق والحبس والمنع، وسلب الحرية بكل أشكالها المادية والمعنوية في بقعة محددة، مما يؤدي إلى إلحاق أضرار جسيمة بالمحاصرين كالأمراض والجوائح المختلفة.

10.العصبية:

العصبية في اللغة: مشتقة من العَصْب، وهو: الطَّيُّ والشَدُّ. وعَصَبَ الشيء يَعْصِبُه عَصْبا: ولَواه، وقيل: شدَّه. والتعصب: الحاماةُ والمدافعةُ[4]، والعصبة: الأَقارب من جهة الأَبَ، وعصبة أولياؤه الذكور من ورثته، سموا عصبة لأنهم عصبوا بنسبه، أي أحاطوا به فالأب طرف والابن طرف، والعم جانب والأخ جانب، والجمع العصبات، والعرب تسمي قرابات الرجل: أطرافه، ولما أحاطت به

---

[1]- ضو مفتاح غمق، نظرية الحرب في الإسلام وأثرها في القانون الدولي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط01، بيروت، لبنان، 1988، ص178.

[2]- مُحَمَّد بن منكلي الناصري (ت778هـ/1376م)، الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، درا وتح: نبيل مُحَمَّد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2000م، ص389.

[3]- مُحَمَّد فريد وجدي، المرجع السابق، ص312.

[4]- أبو منصور مُحَمَّد بن أحمد الأزهري (282هـ-370هـ)، تهذيب اللغة، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون و مرا: مُحَمَّد علي النجار، الشركة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، د.ت، د.ط، ج01، ص48.

به هذه القرابات وعصبت بنسبه، سموا: عصبة، وكل شيء استدار بشيء فقد عصب به[1].

والعصبة والعصابة: قوم الرجل الذي يتعصبون له والعصبة بالضم من الرجال هم: الجماعة وهم ما بين العشرة إلى الأربعين[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾[3].

وعليه فكلمة العصبية في مفهومها اللغوي تدل على التمسك بالأنساب والنعرة في سبيلها، ويمكن إجمال ذلك في المعاني اللغوية شد والشدة والطي والالتواء والتجمع والاستدارة حول الشيء أو المكان، أما كلمة عصبة فتعني إجمالا الحث على نصرة الأولياء والأقرباء ظالمين كانوا أو مظلومين كما تعني الدعوة إلى المدافعة والمحاماة والمطالبة في سبيل الأقارب والأولياء.[4]

إنَّ العصبية بالمفهوم الاصطلاحي تتجاوز مدلولها اللغوي فهي عند ابن خلدون "النُّعرة[5] ذوي القربى، وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة. ومن هذا الباب الولاء والحلف إذ نعرة كل أحد على أهل ولائه وحلفه[6].

وعرفها بعضهم بأنها: «رابطة اجتماعية سيكولوجية- نفسية – شعورية ولا شعورية معا، تربط أفراد جماعة ما، قائمة على القرابة، ربطا مستمرا، يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد، كأفراد أو كجماعة»[7]، وهناك من عرفها على أنها تلاحم بالعصب، والتصاق بالدم، وتكاثر بالنسل ووفرة بالعدد، وتفاخر بالغلبة والقوة والتطاول[8]، وهي نوعان: عصبة خاصة وعصبة عامة، فالعصبة التي يجمعها نسب خاص أو قريب تشكل عصبة خاصة، أما العصبات الأكثر اتساعا والأقل ترابطا والتي تجمعها نسب عام أو بعيد فهي تشكل عصبة عامة[9].

---

[1]- ابن منظور، المصدر السابق، ص2291.

[2]- فيروز آبادي، المصدر السابق، ص1098.

[3]- سورة يوسف، الآية 08.

[4]- بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص23.

[5]- النُّعرة: نعر الرجل ينعر نعيرا يقال: ما كانت فتنة إلا نعر فيها فلان، أي نهض فيها، ينظر: الجوهري في الصحاح، ص1150.

[6]- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص107.

[7]- محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، ص168.

[8]- خالد بن عبد الدراجي الجريسي، العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، مؤسسة الجريسي، د.ت، د.ط، ص ص25-26.

[9]- محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص162.

ومن هنا نقول أن العصبية تبقى من أهم النظريات التي وضعها ابن خلدون، فهي بمثابة المحور الذي تدور حوله معظم المباحث الاجتماعية، فهي رابطة معنوية تشد وتربط بين الأرحام والأقارب، وتسمي تلك الخصال الحميدة كالتعاضد باسم العصبية.

11.القبيلة:

القبيلة هم بنو أب واحد، وسير اللجام وصخرة على رأس البئر وفرس الحصين بن مرداس[1]، والقبيلة واحد قبائل الرأس وهي القطع المشعوب بعضها إلى بعض وهم بنو أب واحد[2]، وهي الجماعة، يقال لكل جماعة من واحد قبيلة، ويقال لكل جمع من شيء واحد قبيل، قال تعالى:﴿إِنَّهُ يَرَيٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[3] والقبيل جماعة من الناس يكونون من الثلاثة فصاعدا[4]، وهي دلالة على التضامن والتكافل والتعاون بين أفرادها.

ويعرف علماء اللغة القبيلة على أنها جماعة من الناس تنتسب إلى أب أو جد واحد، وهي بذلك لا تختلف عن المفهوم الغربي قبيلة Tribu مشتقة من اللفظ اللاتيني TRIBUS وذلك بناء على التقسيم الثلاثي لشعب روما القديمة وتعرف على أنها جماعة من الناس يشكلون مجتمعا محليا ويعلنون أنهم ينحدرون من جد أو سلف مشترك، أما القبيلة كنظام فهي وحدة اجتماعية لها نظامها الخاص تتكون على شكل هرمي من أسر وبطون وعشائر تلتقي بواسطة المصاهرة أو الجوار أو بواسطة رابطة الدم والنسب، وأحيانا بسبب طول المعاشرة[5]، وهم يسكنون إقليما مشتركا يعتبر ملكا لها وبلهجة مميزة وثقافة متجانسة، وتنظيم سياسي موحد يضمن وجود تضامن مشترك بين عناصرها[6].

---

[1]- فيروز آبادي، المصدر السابق، ص1284.

[2]- الجوهري، المصدر السابق، ص914.

[3]- سورة الأعراف، الآية26.

[4]- ابن منظور، المصدر السابق، ص3545.

[5]- خلفات مفتاح، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 06هـ-09هـ/12م-15م دراسة في دورها السياسي والحضاري، مؤسسة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، 2011م، ص23.

[6]- نبهان يحي مُحَمَّد، معجم مصطلحات التاريخ، دار يافا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط01، 2008م، ص219.

ويعتبر ابن خلدون من السباقين في دراسة القبيلة والظاهرة القبلية إذ جاء تناوله لهذه الظاهرة من خلال دراساته المتعلقة بالتاريخ والعمران البشري. ومن خلال هذه العلاقة نلمس أن التاريخ يدون أخبار المجتمعات الإنسانية، والقبيلة أحد أشكاله[1].

إنَّ مفهوم القبيلة في الفكر الخلدوني هي اجتماع لمجموعات بشرية تدعي الانتماء إلى جد أعلى مشترك، قد يكون حقيقة وقد يكون وهما، وفي هذه الحالة تكون وحدة المجال الجغرافي للقبيلة مقدمة عن النسب[2]. يرى ابن خلدون أن الإطار الحقيقي للقبيلة هو خضوع أفرادها للعادات والأعراف المتفق عليها ويسهر على تطبيق هذه الأعراف رئيس ينتمي إلى أقوى أسر القبيلة[3].

بينما عرفها الجابري بمعنى اعتقاد مجموعات من القبائل في انتمائها إلى جد أعلى مشترك انتماء يميزها عن مجموعات أخرى مماثلة ويفصلها عنها، بحيث تكون العلاقات بين الطرفين علاقات تعارض وتنافس وصراع يحكمها مفعول القبيلة في معناه الصدامي وهو ما يمكن أن نطلق عليه قانون الصراع القبلي وفحواه (أنا وأخي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب)[4]. وعليه فالتعريف العربي يتميز يتميز بالدقة من خلال الاتفاق على أنها تمثل جزءا يندرج في إطار تصنيفات أخرى متدرجة.

الجدول2 :يمثل تقاليد العرب في علم الأنساب[5]:

الجدم	الجمهور	الشعب	القبيلة	العمارة	البطن	الفخذ	العشيرة	الفصيلة	الرهط
Race	Ethnie	Peuple	Tribu	Fraction	Sous fraction	Segment	Clan	Lignage	Famille

ومن هنا نقول أن القبيلة تبقى عبارة عن جماعة من الناس يجمعهم إما نسب خاص، أو حلف قبلي. يسكن أفرادها إقليما مشتركا يعدونه وطنا، ولهم ثقافة متجانسة، وتضامن مشترك أي عصبية ضد أي خطر يهددهم.

---

[1] – محمد خداوي، القبيلة، الأحزاب والانتخابات في ظل التعددية في الجزائر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص أنثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2014/2013م، ص153.

[2] – محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، المرجع السابق، ص ص465–466.

[3] – دراجي بوزياني، العصبية القبلية وأثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي من القرن السادس إلى التاسع هجري، بحث لنيل درجة الماجيستر في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر،1988/1987م، ص206.

[4] – محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي– محدداته وتجلياته–،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط04، 2000م ص78.

[5] – محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط01، 2002م ص54.

المبحث الثاني: مصطلحات ذات دلالة اقتصادية:

1.الاقتصاد:

الاقتصاد لغة من القَصْد، والقَصْدُ بين الإسْراف والتَقْتير، يقال: فلان مُقْتَصد في النفقة وقوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾[1]. ويقال واقْصَدْ بذرعك أي: اربع على نفسك، والقَصْدُ: العَدْلُ، قال الشاعر:

على الحَكَمِ المأتي يوما إذا قَضَى قضيته أن لا يَجُور ويقْصِد[2]

وكذلك الاقتصاد من القصد: ضد الإفراط كالاقتصاد ومواصلة الشاعر عمل القصائد كالا قتصاد، ورجل ليس بالجسيم ولا بالضئيل كالمقتصد، والمقصد كمعظَّم والكسر بأي وجه كان أو بالنصف، كالتقصيد، وانقصد وتقصد والعدل والتقتير[3].

بينما يعرف ابن منظور الاقتصاد على أنه من القصد في الشيء: خلاف الإفراط وهو ما بين الإ سراف والتقتير، والقصد في المعيشة: ألاً يسرف ولا يقتر، يقال فلان مقتصد في النفقة وقد اقتصد واقتصد فلان في أمره أي استقام، وقد يكنى بالاقتصاد عما تردد بين المحمود والمذموم، كالواقع بين الجور والعدل، وفي قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقُۢ بِالْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[4] أي بين الظالم والسابق وفي الحديث الشريف عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: [ما عال ﷺ: [ما عال من اقتصد][5] أي ما افتقر من لا يسرف في الإنفاق ولا يقتر، وقوله تعالى:﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾[6]. وهو كذلك يعني المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي التفريط والإفراط[7]، بينما يعرف الاقتصاد في المنجد: »على أ نه من الفعل قصد. قصدا في مشيه: مشى مستويا، وفي الأمر: ضد وفي النفقة: توسط بين الإ فراط والتقتير، يقال: اقصد بذرعك أي اربع على نفسك، اقتصد في الأمر:

---

[1]– سورة لقمان، الآية 18.

[2]– الجوهري، المصدر السابق، ص944.

[3]– فيروز آبادي: المصدر السابق، ص1328.

[4]– سورة فاطر، الآية 32.

[5]– السيوطي (ت911)، الجامع الكبير، تح: مختار إبراهيم الهائج، عبد الحميد محمد ندا، حسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف، القاهرة، مصر، ج7، ص658.

[6]– سورة لقمان، الآية 18.

[7]– ابن منظور، المصدر السابق، ص 3668.

ضد أفرط. يقال: (بيننا وبين الماء ليلة قاصدة) أي هيئة السير لا تعب فيها ولا بطء والقَصد: استقامة الطريق نقيض الإفراط. يقال رجل قَصد: أي لا جسيم ولا نحيف، والاقتصاد مصدر اقتصد: أي التوسط في الأمور دون إفراط أو تفريط وضده الإسراف»[1]، وفي الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: [السَّمت الحسن والتُّؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة][2]. أما القصد قصد أي التوسط في الأمور، وهو ما بين الإسراف والتقتير[3]. قال ﷺ: [وأسألُك القصدَ في الفقرِ والغنى][4].

وكلمة الاقتصاد مشتقة من لفظ إغريقي قديم معناه: تدبير أمور البيت، بحيث يشترك القادرون في إنتاج الطيبات والقيام بالخدمات ويشترك جميع أفراده في التمتع بما يحوزون، ثم توسع الناس في مدلول البيت، فصار يقصد به الجماعة التي تحكمها دولة واحدة[5].

أما الأصل اللغوي للاقتصاد في اللغة الإنكليزية Economics فينحدر من المصطلح اليوناني oikonomos الذي يتكون من كلمتين oikos وتعني البيت وnomos وتعني التدبير وبذلك يكون معنى اللفظ اليوناني تدبير البيت، إلا أن اليونانيين القدماء لم يقصدوا هذا المعنى الحرفي فقط بل تعدى ذلك إلى المعنى الاصطلاحي وهو تدبير أمور المدينة أو الدولة[6].

تعددت التعاريف لعلم الاقتصاد باعتباره انعكاس للواقع الاقتصادي الذي كان يعيشه كل مجتمع، ومراحل تطوره الحضاري، وعليه فهناك من اعتبره هو: «أحد العلوم الاجتماعية لكونه يهتم بدراسة سلوك الأفراد في المجتمع وكيفية تحقيق الرفاهية لهم، مع تفسير ودراسة سلوك الإنسان والجماعة في كل ظرف ونتائج هذا السلوك»[7].

---

[1]- لويس معلوف، المنجد في اللغة، ص632.

[2]- جلال الدين السيوطي (ت911)، الجامع الصغير وزيادته، كتاب إلكتروني، د.ت، دط، ص 6005.ينظر: الموقع الإلكتروني:_ ص6005 -كتاب الجامع الصغير وزيادته - - المكتبة الشاملة(shamela.ws)

[3]- علي بن جاسر بن سليمان الشايع، ألفاظ المال والتجارة في الحديث الشرف -دراسة لغوية-، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا العربية، كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1425هـ، ص651.

[4]- ابن حبان (ت354)، صحيح ابن حبان، تح: مُحَمَّد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1433هـ/2012م، ج7، ص 372، ر.ح: 6619.

[5]- النبهاني- الشيخ مُحَمَّد تقي الدين، النظام الاقتصادي في الإسلام، طبعة بيروت، 1964م، ص44.

[6]- سعيد علي العبيدي، الاقتصاد الإسلامي، دار دجلة، عمان، الأردن، ط01، 2011م، ص21-22.

[7]- محمود حسن رضوان، أساسيات الاقتصاد الإسلامي، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط01، 1426هـ/2004م ص17.

– هو علم تدبير الثروات والأموال، الفردية والاجتماعية، ادخارا وتنمية وتوزيعا، على نحو من الاستقامة والتوازن، الذي يتوسط بين الإسراف والتقتير وبين المغالاة والتقصير، وبين الإفراط والتفريط[1].

– هو العلم الذي يبحث في كيفية إدارة واستغلال الموارد الاقتصادية النادرة لإنتاج ما يمكن إنتاجه من السلع والخدمات لإشباع الحاجات الإنسانية التي تتسم بالوفرة والتنوع في ظل إطار معين من القيم الإسلامية والتقاليد والتطلعات الحضارية[2].

كما جاء تعريفه في المعجم الاقتصادي الإسلامي: «على أنه علم يبحث في كل ما يتعلق بالثروة، والمال، والتكسب، والتملك، والإنفاق، والاقتصاد يبحث أيضا في مسائل الانتاج والاستثمار، ومسائل الانتفاع والخدمات، ومسائل التوفير والادخار، ومسائل الغنى والفقر»[3].

– وهو كذلك العلم الذي يبحث عن الطريقة التي يوزع بها الناتج الاقتصادي بين المشتركين في العملية الإنتاجية في ظل الإطار الحضاري (الأخلاق وقيم الدين الإسلامي)[4].

ومن هذا المنطلق فإن الفقهاء يستعملون كلمة الاقتصاد بمعنى: التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، حيث أن له في طرفين هما له: تقصير ومجاوزة. فالمقتصد قد أخذ بالوسط وعدل عن الطرف.

وفي هذا الشأن يقول العز بن عبد السلام: «الاقتصاد رتبة بين رتبتين ومنزلة بين منزلتين، والمنازل ثلاثة: التقصير في جلب المصالح والإسراف في جلبها والاقتصاد بينهما. فالتقصير سيئة، والإسراف سيئة، والحسنة ما توسط بين الإسراف والتقصير وخير الأمور أوسطها»[5].

قال ابن القيم رحمه‌الله: «أما الفرق بين الاقتصاد والشح أن الاقتصاد خلق محمود يتولد من خلقين عدل وحكمة وأما الشح فهو خلق ذميم يتولد من سوء وضعف النفس»[1].

---

[1]– محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط01، 1413هـ/1993م، ص61.

[2]– إبراهيم فاضل الدبو، الاقتصاد الإسلامي دراسة وتطبيق، ط01، دار المناهج، الأردن، 2008م، ص16.

[3]– أحمد الشرباصي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، بيت الحمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص20.

[4]– محمود سحنون، الاقتصاد الإسلامي: الوقائع والأفكار الاقتصادية، ط01، دار الفجر، القاهرة، 2006م، ص199.

[5]– حمزة عدنان يلدار مشوقة، ملامح الفكر الاقتصادي عند الإمام العز بن عبد السلام، أطروحة دكتوراه في الاقتصاد والمصارف الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن،2018-2019، ص34. نزيه حماد، المرجع السابق، ص72.

بينما مصطلح الاقتصاد الإسلامي فهو عبارة عن مذهب ونظام، يشمل مجموعة الأصول والمبادئ والقواعد الاقتصادية العامة، المستخرجة من القرآن الكريم والسنة النبوية، والبناء الاقتصادي المقام على هذه الأصول والمبادئ والقواعد، مراعى فيه مقتضيات المصالح المتغيرة والمتطورة بحسب الزمان والمكان[2].

وعليه فالاقتصاد في مفهوم علماء الفقه والشريعة عادة ما يرتبط بالمعاملات الخاصة المتعلقة بالأموال والسلوكيات المعيشية النابعة من أصول الدين الإسلامي والذي ينطوي مفهومه كما ذكرنا على الوسطية والاعتدال والاستقامة.

كما أن له تعريفات أخرى من بينها:

تعريف لـ "أدم سميث" (ADAM Smith) فقد عرفه على أنه هو «علم الثروة أو هو العلم الذي يختص بدراسة وسائل اغتناء الأمم»، أما "مارشال" (Marchal) فقد ذهب إلى أن الاقتصاد هو «العلم الذي يتعلق بدراسة تصرفات الإنسان المالية في حياته اليومية، وعلى الأخص بكيفية حيازة الثروة وكيفية إنفاقها»[3].

أما "روينز" (Rouyanz) فقد عرفه على أنه علم يبحث في سلوك الفرد تجاه حاجاته المتعددة، ووسائله المحدودة ذات الاستعمالات المتنوعة[4].

وهناك من يعرفه على أنه علم اجتماعي موضوعه الإنسان ذو الإرادة، يهدف إلى دراسة العلاقة بين الحاجات المتعددة والموارد المحدودة، بغرض تحقيق أكبر قدر ممكن من إشباع الحاجات عن طريق الاستخدام الكفء للموارد المتاحة، مع العمل على إنمائها بأقصى طاقة ممكنة[5].

---

[1]– أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، كتاب الروح، مج01، تح: مُحَمَّد أجمل أيوب الإصلاحي، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ت، ص666.

[2]– مُحَمَّد عمارة، المرجع السابق، ص59.

[3]– مصطفى كامل السعيد، محاضرات في علم الاقتصاد، دار النهضة العربية، القاهرة، 1970، ص165 وما بعدها.

[4]– محمود أبو السعود، خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط02، 1968، ص05.

[5]– محمود الخالدي، مفهوم الاقتصاد في الإسلام، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989م، ص ص26–27.

ومن خلال هذه التعريف يتضح لنا أن الاقتصاد يبحث عن أفضل السبل لتحقيق وإشباع حاجات الإنسان ضمن الموارد المتاحة. وبذلك يساهم في التقليل من حدة ندرة الموارد الاقتصادية من جانب وتعدد وتنامي المتطلبات الإنسانية من جانب آخر.

2.تعريف المال:

المال لغة: كل ما تمول، وعند أهل البادية النعم ويطلقه البعض على الذهب والفضة وغيرهم على ما سواهما، قال ابن فارس: «وقد سمي مالا لأنه يميل إليه الناس بالقلوب»[1]. وهو اسم للقليل والكثير من المقتنيات والجمع أموال ورجل مي ومال: كثير المال وقد مال يمال ويمول وقيل: أول معنى المال عند العرب كان الأرض لأنها أول شيء يملكه الانسان لولادته فيها، ولأنها تحرث وتزرع ويحصد ما ينمو عليها، فهي أول المقتنيات. وأطلقت كلمة المال على قطع كثيرة من الأرض، ثم انتقل معنى المال إلى ما ينبت على الأرض من الطعام، من أي ضرب كان[2].

والمال يطلق كذلك بمعنى الحيوان الذي يرعى نبات الأرض وكل ما يباع ويشترى وكل ما يقتنى وخصَّه القوم بالذهب والفضة وخصه آخرون بالماشية أو الإبل منها ومنهم من خصه بالنقد وأكثر وأكثر ما كان يراد به عند أهل البادية الإبل وعند أهل الحضر الضيعة. قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[3]. والميل هو صاحب المال وللمال أنواع عدة: مال الفيء والعشر وغيرها[4].

وهو في الاصطلاح الفقهي: «ما يتحقق الانتفاع به باستعماله مرارا مع بقاء عينية وذلك لقابليته لقابليته بحسب طبيعة الاستعمال المتكرر كالعقار والأثاث وهي أموال لا تستهلك بالاستعمال لأول مرة، بل لها دوام نسبي يختلف طولا وقصرا بحسب طبيعتها وقابليتها للبقاء»[5].

---

[1]- نزيه حماد، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، دار القلم، دمشق، سوريا، ط01، 1429هـ/2008م، ص388.

[2]- أحمد الشرباصي، المرجع السابق، ص246.

[3]- سورة الكهف، الآية: 45.

[4]- مُحَمَّد عمارة، المرجع السابق، ص ص503-504.

[5]- نزيه حماد، المرجع السابق، ص388.

فالمال هو إحدى الضروريات الخمس التي جاءت الشريعة للمحافظة عليها، وهو عصب الحياة، لأنه يبني ويعمر، وينتج ويصنع، به يصان العرض أن يسلب، والأرض أن تنهب، والكرامة أن تداس أو تدنس، ويمكن ادخاره لوقت الحاجة.

3.الضرائب:

الضرائب في اللغة: تعني الطبيعة، يقال إنه لكريم الضرائب، وتعني مضرب السيف، والصوف يضرب بالمطرق[1]، وهي مأخوذة من ضرب الخندق بمعنى عمله وأنشأه، ومعنى تضرب تجعل، نقول ضربت له أجلا وموعدا إذا جعلته له[2]، والغَلَّةَ تُضرب على العبد، وهي ما يؤدي العبد لسيده من الخراج المقرر عليه[3].

وتعني كذلك السيف وحده، والضرائب هي التي تؤخذ في الجزية ونحوها. وغلة العبد وضرب كفرح: ضربه البرد[4]، والضريبة السجية والمضروب بالسيف، يقال فلان كريم الضريبة ولئيم الضريبة[5].

الضريبة[5].

بينما الضريبة في المنجد جمعها ضرائب وهي موقع الضرب من الجسد ويقال هذه ضريبته التي ضرب عليها أي طبع عليها وكذلك ضرب ضربا الجزية عليهم: أوجبها وعليهم الذلة: أذلهم[6].

فالضرائب عند ابن منظور هي ما يؤخذ في الأرصاد والجزية ووظائف الخراج وإتاوة العبد أي ما ما يؤدي العبد إلى سيده من الخراج المقرر عليه، والضرائب: ضرائب الأرضين وهي وظائف الخراج عليها، وضرب على العبد الإتاوة ضربا: أوجبها عليه بالتأجيل[7].

أما الكاتب الزياني علي بن سعود الخزاعي[8] فالضريبة عنده هي المغرم، قال: «...ضرب عليك الشيء، أي ألزمكه، ومنه الضريبة من المغرم...» [1]، أي ما يلزم أداؤه للسلطة القائمة.

---

[1]– الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مادة ضرب، ترتيب وتح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ج03، ص12.

[2]– علي بن مُحَمَّد بن سعود الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق إحسان عباس، ط03، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010م، ص498.

[3]– الفراهيدي، المصدر السابق، ص12.

[4]– فيروز آبادي، المصدر السابق، ص969.

[5]– الجوهري، المصدر السابق، ص675.

[6]– لويس معلوف، المنجد في اللغة، المرجع السابق، ص448.

[7]– ابن منظور، المصدر السابق، ص2595.

[8]– ابن صاحب الأشغال في دولة السلطانين أبي حمو الأول وابنه أبي تاشفين مُحَمَّد بن سعود الخزاعي، اشتغل كاتبا عند الزيانيين ثم انتقل للعمل عند المرينيين، توفي سنة 789هـ/1387م، ينظر: أبو زكريا يحيى بن أحمد السراج الفاسي، فهرسة السراج، تح: نعيمة بنيس، دار الحديث الكتانية، المملكة المغربية، 2013م، ص625.

وتأتي الضريبة في نصوص ابن خلدون بمعنى ما تفرضه الدولة على الرعية الخاضعة لسيادتها وطاعتها، قال في معرض حديثه عن المرينيين والحفصيين، حيث ذكر أنه لما انقرض أمر الموحدين وتغلب بنو عبد الواد على المصامدة : «ساموهم خطّة العسف في وضع الضرائب والمغارم عليهم فاستكانوا لعزهم وأعطوهم يد الطواعية»[2].

فالضريبة في نصوص ابن خلدون تحمل معنى السيادة والطاعة للسلطة القائمة سواء كانت شرعية ممثلة في سلطة الدولة أو يأخذها الأعراب والمستبدون بالسلطان من أمراء الأقاليم وتأتي مقترنة بالمغارم والمكوس[3].

أما الضريبة في اللغة والاستعمال الفقهي تعني الخراج المضروب، أي المثبت والمقدَّر، قال النووي: «ضرب الجزية، أي إثباتها وتقديرها». ويسمى المأخوذ ضريبة، وجمعها ضرائب، وقد عنى ذلك المناوي في قوله: «والخراج مختص غالبا بالضريبة على الأرض»[4]. وكذا الخوارزمي في تعريفه للمكس بأنه: «ضريبة تؤخذ من التجار في المراصد»[5]، كما تطلق الضريبة على أكثر من معنى كغلة العبد، أو الخراج ونحو ذلك[6]، وفي الحديث الشريف عن أنس بن مالكﷺ: [فأمر له بصاعٍ – أو – أو صاعَيْنِ – من طَعامٍ، وكَلَّم مواليه فخفَّف عن غلَّته أو ضريبته][7].

ومن الملاحظ أن مصطلح "ضريبة" قليل الاستعمال في كلام الفقهاء، وأن مرادفاته المتداولة في مصنفاتهم: الخراج، العشور، المغارم، الوظائف... ومرادفهم بذلك غالبا: المقدار من المال الذي تلزم الدولة الأشخاص بدفعه لها من أجل تغطية النفقات العامة للدولة، وتحقيق تدخلها في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، دون أن يقابل ذلك نفع معين لكل ممول بعينه[8].

---

[1]– علي بن مُحَمَّد بن سعود الخزاعي، المصدر السابق، ص532.

[2]– عبد الرحمن بن خلدون (732هـ-808هـ/1332م-1406م)، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضب ومرا: خليل شحادة، وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1431هـ-2000م، مج06، ص354.

[3]– ابن خلدون، المقدمة، ص229.

[4]– نزيه حماد، المرجع السابق، ص289.

[5]– أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي، مفاتيح العلوم، مطبعة الشروق للنشر، الأزهر، مصر، 1342هـ، ص40.

[6]– علي بن جاسر بن سليمان الشايع، المرجع السابق، ص614.

[7]– البخاري (ت256)، صحيح البخاري، تح: د. مصطفى ديب البغا، المرجع السابق، ج2، ص 796.، ر.ح: 2157.

[8]– نزيه حماد، المرجع السابق، ص ص689-690.

وعليه نستنتج أن الضريبة هي كل الأموال النقدية التي تأخذها الدولة من الرعية لتمويل مشاريعها المختلفة كالحروب والبناءات ونفقات الجيش والبذخ وغيرها وقد تكون ضرائب شرعية كالخراج وغير شرعية كالمكوس.

4. الملكية:

ورد في لسان العرب لابن منظور والمِلْكَ: «ما ملكت اليد من مال وخول وأَملكَه الشيء تمليكا جعله ملْكا له يملكُه»[1]، وجاء في المنجد: «ملَكَ: تَمَلّكَ الشيء ومملكة الشيء احتوائه والاستيلاء عليه والاستبَداد به»[2].

يستعمل ابن خلدون ملكة بمعنى التَملُّك وهو المعنى اللغوي للكلمة الملكة، الملك والتملك، يقال ما في مملكته شيء[3].

أما اصطلاحا الملكية هي اختصاص بالشيء يمنع الغير منه ويمكن صاحبه من التصرف فيه ابتداء إلا لمانع شرعي. بمعنى ذلك أن ملك الشيء هو الاختصاص به اختصاصا يمنع غير مالكه من الانتفاع به أو التصرف فيه إلا عن طريق مالكه بتوكيل منه مثلا أو عن طريق الشارع بإقامته نائبا عنه. فكان لمالكه القدرة التي يمنع بها غيره من التصرف فيه والانتفاع به إلا عن طريقه[4]، وقد قيل في تعريفها كذلك أنها عبارة عن اتصال شرعي بين الشخص وبين الشيء، يكون مطلقا لتصرفه فيها وحاجزا عن تصرف غيره فيها وهي قدرة يثبتها الشرع ابتداء على التصرف[5].

يقول الفقهاء: «الملك هو حيازة الشيء، متى كان الحائز له قادرا وحده على التصرف فيه والانتفاع به عند عدم المانع الشرعي، وعلاقة الإنسان بما يملك هي أنه مالك والشيء مملوك له، فهي إذن أمر نسبي كالأبوة والبنوة ونحوهما»[6].

---

[1]- ابن منظور، المصدر السابق، ص4293.

[2]- المنجد في اللغة، المرجع السابق، ص774.

[3]- مُحَمَّد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، ص282.

[4]- علي الخفيف، الملكية في الشريعة الإسلامية مع المقارنة بالشرائع الوضعية، دار الفكر العربي، 1996م، ص19.

[5]- نزيه حماد، المرجع السابق، ص441.

[6]- عيسى عبده، وأحمد إسماعيل يحيى، الملكية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ص 133-134.

ومن هنا يتبين لنا أنه تعددت عبارات الفقهاء واللغويين حول معنى الملك والملكية نظرا لتعدد عناصرها، فما يعدّ عنصرا من عناصر الملكية عند البعض لا يعدّ كذلك عند البعض الآخر، فهي كل حال تدور حول حيازة الشيء والقدرة على الاستبداد به.

5.الإقطاع:

الإقطاع لغة من قَطَعَ وأَقْطَعَ والقطْعَةُ من الشيءِ: الطائفة منه، وأَقْطَعْتُه قَطيعةَ أي طائفة من أرض الخراج، وأقطع الرجل: إذا انقطعَت حجته وبكتوُّه بالحق فلم يجب[1]، ويقال كذلك أَقْطَعَ الأجير الأجير على كذا وكذا من الأجر أو العمل: ولّاه إياه بأجرة معينة، والإقطاعة جمعها إقطاعات: قطعة من أرض الخراج يقْطَعها الجند فتجعل لهم غلتها رزقا[2]. أما فيروز آبادي فقد عرفه على أنه: من الفعل قَطَعَ، أَقْطَعْتُه قَطيعة: أي طائفة من أرض الخراج، وفلانا قُضبانا: أذن له في قَطْعها»[3].

أما ابن منظور: «ا قْتَطَعت، ا قْتَطَع طائفة من الشيء: أخذها. والقَطيعةُ: ما اقْتَطَعت منه و أَقْطَعني إياها: أذن لي في ا قْتطاعها. واسْتَقْطَعه إياها: سأله أن يقطعه إياها وأَقطعته قَطيعةً أي: طائفة من أرض الخراج»[4].

ويقال كذلك قَطَع: أعطى. وفي الحديث: [فقطع له النبي - ﷺ- أرضا وغيلا بالجوف][5]. ويقال أقطع: أعطى ومنح. عن أبيض بن حمال أنّه: [أنه استقطع الملح الذي يقال له: ملح شذا، بمأرب فأقطعه له].[6] واقتطع: أخذ الشيء وتملكه. وفي الحديث الشريف: [من ا قْتَطَع مالَ امرئ بيمين كَاذبَة، لَقي اللَّه وهو عَلَيْه غَضْبانُ][7]. واستقطع: طلب قطاعا للتمليك. والاقتطاع: مصدر اقتطَعَ اَقتَطَعَ أيَ: أخذَ الشيء وتملكهَ. جاء في الحديث الشريف: [المجالس بالأمانة، إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حقٍ][8]. والقَطيعة: الأرض الممنوحة التي يمنحها الحاكم

---

[1]- الجوهري، المصدر السابق، ص952.

[2]- المنجد، المرجع السابق، ص640.

[3]- فيروز آبادي، المصدر السابق، ص1340.

[4]- ابن منظور، المصدر السابق، ص3703.

[5]- ابن ماجه (ت273هـ)، سنن ابن ماجه، تح: الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ/2009م، ج3، ص530، ر.ح: 2475.

[6]- ابن ماجه (ت273هـ)، سنن ابن ماجه، تح: الأرنؤوط، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[7]- البخاري، صحيح البخاري، تح: البغا، المصدر السابق، ج6، ص2710، ر.ح: 7007.

[8]- السيوطي (ت911)، الجامع الصغير ، المرجع السابق، ج22، ص120، ر.ح: 24481.

لمن يريد[1]. وفي الحديث عن أبيض بن حمال: [فاستقال رسول الله ﷺ أبيض بن حمال في قطيعته في الملح][2].

ويتضح من هذه التعاريف اللغوية على أن مصطلح الإقطاع هو منح جزء من أراضي الخراج لشرائح معينة في المجتمع.

بينما اصطلاحا هو جعل الأراضي الموات مختصة ببعض الأشخاص[3]، ويعني دفع وإعطاء السلطة لقطعة من الأرض لرجل يتصرف فيها ويقوم بإحيائها وزرعها[4]، أو هو ما يقطعه الإمام من الأراضي أي يعطيها لمن ينتفع بها، وهي تمليك واستغلال وإرفاق حيث أحيانا يقطعون الأرض بأنفسهم وبغير إذن السلطان، وقد أجاز لهم الفقهاء الانتفاع منها من الناحية التجارية بيعا وشراء شريطة أن يُجهل ورثتهم[5]. وهو كذلك ما يقطعه السلطان رجلا أرضا فتصير له رقبتها وتسمى تلك الأرضون قطائع واحدتها قطيعة.[6]

يطلق الفقهاء في الاصطلاح الفقهي على إعطاء السلطان رقبة الأرض العائدة لبيت المال أو منافعها فقط للمستحق من بيت المال.

قال الماوردي: «إقطاع السلطان مختص بما جاز فيه تصرفه ونفذت فيه أوامره ولا يصح فيما تغيب فيه مالكه وتميز مستحقه، وهو ضربان: إقطاع تمليك تنقسم فيه الأرض المقطعة إلى ثلاثة أقسام (موات وعامر ومعادن) وإقطاع استغلال فيها ضربين (عشر وخراج)»[7] .

---

[1]- علي بن جاسر بن سليمان الشايع، المرجع السابق، ص651.

[2]- ابن ماجه، صحيح ابن ماجه، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ/2009م، ج3 ،ص530،ر.ح: 2475.

[3]- يحي أبو المعاطي محمد عباسي، الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس(238هـ-488هـ/852م-1095م)، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، جامعة القاهرة، مصر، 1421هـ/2000م، ص32.

[4]- مختار حساني، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الدولة الزيانية (633هـ-962هـ/1235م-1554م)، رسالة دكتوراه، المعهد الوطني للدراسات التاريخية، وزارة التعليم العالي، جامعة الجزائر، الجزائر، 1985م-1986م، ص200.

[5]- شخوم سعدي، خصائص النظم التجارية لدويلات المغرب الأوسط- النظم التجارية لدويلات المغرب الأوسط من ظهور الرستميين إلى نهاية الزيانيين (160-962هـ/777-1554م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة وهران، 2014/2013م، ص33.

[6]- الخوارزمي، المصدر السابق، ص40.

[7]- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (ت450هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: الدكتور أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ط01، 1409-1989م، ص 288.

يقول أحمد الشرباصي: «إقطاع الاستغلال هو إعطاء الأرض لشخص يستغلها، ويكون عليه فيها الخراج أو العشر[1]، وهو كذلك ما يقطعه ولي الأمر لنفسه أو لغيره، من أرض أو من غيرها من أي نوع من أنواع المال، الثابت أو المنقول، وهو في الأصل تمليك للمنفعة لا للرقبة. أما الإقطاع الحربي هو إقطاع الجند الأرض الزراعية مقابل حمايتهم للبلاد»[2].

6.الاحتكار:

جاء تعريفه في المنجد: حَكَرَ، حَكَرّا: لجَّ فهو حَكِرُه، حَكَرَ، حَكْرا بالأمر استبد ومنه الاستبداد بحبس البضاعة كي تباع بالكثير، تَحكّر واحتكَر الشيءَ: جمعه وَاحتبسه انتظارا لغلائه فيبيعه بالكثير، والحكْر: من احتبس انتظارا وتسببا بالغلاء، والحكْر، الحكْر: احتباس الوقف من العقار تحت مرتب معين، والحكْرة: اسم من الاحتكار الحاكورة: قطعة من الأرض تحكر لزرع الأشجار قريبة من الدور والمنازل[3].

وفي الصحاح: احتكار الطعام: جمعه وحبسه، يتربص به الغلاء وهو الحكر بالضم[4]، والحكْرةُ: احتكار، أي حبس السلع عن البيع حتى يرتفع ثمنها. جاء في الأثر:" ليس في الثَّمر حكْرة"، والمحتكر: صاحب الاحتكار، وهو من يتردد على الأسواق ليشتري منها ما يحتاجه الناس ليحتكره[5].

وعرفه فيروز آبادي: الحَكْر: الظلم وإساءة المعاشرة واحْتَكَر: أي احْتبَس انتظار غلائه، كالحَكْرِ وهو الاستبداد بالشيء[6].

وفي دائرة المعارف: حَكَره، يحكره، حَكْرا: ظلمه وأهانه وحكَر الرجل يحكر حكرا استبد به، واحتكر القمح جمعه ومنع بيعه منتظراَ غلاءه، والحكر ما منع بيعه من الطعام انتظارا للغلاء والحكرة الاسم من الاحتكار[7].

---

[1]- أحمد الشرباصي، المرجع السابق، ص21.

[2]- محمد عمارة، المرجع السابق، ص61.

[3]- المنجد في اللغة العربية، المرجع السابق، ص146.

[4]- الجوهري، المصدر السابق ، ص269.

[5]- علي بن جاسر بن سليمان الشايع، المرجع السابق، ص569.

[6]- فيروز آبادي، المصدر السابق، ص389،388.

[7]- محمد فريد وجدي، المرجع السابق، ص472.

بينما يعرف الاحتكار شرعا: على أنه اشتراء قوت البشر والبهائم، وحبسه إلى الغلاء، ومدة الحبس أربعون يوما، وقيل شهرا، وقيل أكثر من سنة. وهذه المقادير في حق المعاقبة في الدنيا، ولكنه يأثم وإن قلت المدة، فإن الاحتكار مكروه شرعا بشرائط معروفة[1].

أما شرعا فقد عرفه ابن خلدون في المقدمة: «أنَّ احتكار الزرع لتحين أوقات الغلاء مشئوم، وأنه يعود على فائدته بالتلف والخسران، وأن الناس لحاجتهم إلى الأقوات مضطرون إلى ما يبذلون فيها فيها من المال اضطرارا، فتبقى النفوس متعلقة»[2]. واعتبره ابن خلدون كذلك :«أعظم من ذلك في الظلم وإفساد العمران والدولة التسلُّط على أموال الناس، بشراء ما بين أيديهم بأبخس الأثمان، ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه الغصب والإكراه في الشراء والبيع، وربما تفرض عليهم تلك الأثمان على التراخي والتأجيل»[3].

إنَّ الاحتكار في علم الاقتصاد: «هو البيع والشراء مقيد بشخص أو عدة أشخاص بحيث لا يكون لمزاحمة غيرهم أثر، وهو مذموم لأنه يجعل المحتكر متصرفا في السعر يمليه كما تمليه عليه أهواءه غير خاضع لسلطان أي قانون من قوانين الاقتصاد، لأنه يربح المحتكرين أموالا طائلة بلا كد يناسبها وفي ذلك اختلال للموازنة الاقتصادية، كما أنه يعطل الكثيرين عن العمل والكسب ممن كانوا يتاجرون في الصنف المحتكر»[4].

إنَّ الاحتكار في الشريعة قسمان: جائز ومحظور.

– فأمَّا الجائز: فهو إمساك بعض السلع أو المنافع، وحبسها بغية الحصول على الربح نتيجة حوالة الأسواق من الرخص إلى الغلاء، من غير إضرار بعامة الناس أو التضييق عليهم.

[1]– أحمد الشرباصي، المرجع السابق، ص09.
[2]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص330.
[3]– المصدر نفسه، ص237.
[4]– مُحَمَّد فريد وجدي، المرجع السابق، ص472.

– أما المحظور: فهو إمساك ما يحتاج إليه الناس من السلع أو المنافع، واستئثاره بها، بحيث لا ينافسه في الاتجار بها غيره والامتناع عن بيعها بغير الثمن الجائر الذي يفرضه، أو حبسها عن البيع حتى يغلو ثمنها، طمعا في الحصول على الربح الفاحش الذي يلحق الضرر بعامة الناس[1].

وعليه يبقى الاحتكار مكروها شرعا في المحن والشدائد لأنه بمثابة تحكم في أرزاق الناس والتصرف في معاشهم وانتهاز الفرص والأوقات الصعبة للسيطرة على أقواتهم وحاجاتهم، مما يعود عليهم بالضرر والمشقة.

7.الغنائم:

الغنيمة والغَنم لغة ، بالضم الفيء، غنم بالكسر، غُنْما بالضم وبالفتح وبالتحريك وغَنيمة وغنمانا، وغُنمانا، بالضم والفوز بالشيء بلا مشقة، أوَ هذا الغنم والفيء الغنيمة، وغنَّمه كذا تغنيما أَي نفلهَ إياه[2] إياهَ[2] وفي الحديث الشريف: [خرجنا مع رسول ﷺ عام خيبر فلم نغنم ذهبا ولا ورقا إلا الثياب والمتاع][3]. يقال غنم القوم غنما وغناما: أن تفعل كذا أي غايتك والذي تتغنمه وغنمته تغنيما إذا نفلته[4]، وأصل غنيمة في اللغة: الربح والفضل[5]، والغنم بضم العين وسكون النون في الأصل الظفر بالغنم: الشاة، ثم استعمل في كل ما يظفر به من جهة العدو أو غيرهم، والمغنم: ما يغنم وجمعه مغانم[6]. مغانم[6]. وفي القرآن الكريم:﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾[7].

قال الأزهري الغنم: «الفوز بالشيء من غير مشقة والاغتنام انتهاز الغنم، يقال اغتنم الفرصة وانتهزها بمعنى واحدة والغنيمة الفيء»[8]، قلت الغنيمة ما أوجف عليه بالخيل والركاب من أموال

---

[1]– نزيه حماد، المرجع السابق، ص29.

[2]– فيروز آبادي، المصدر السابق، ص1207.

[3]– البخاري، صحيح البخاري، تح: البغا، المصدر السابق، ج6، ص2466، ر.ح: 6329.

[4]– الجوهري، المصدر السابق، ص861.

[5]– نزيه حماد، المرجع السابق، ص348.

[6]– مُحَمَّد عمارة، المرجع السابق، ص413.

[7]– سورة الأنفال، الآية41.

[8]– الفيء: هو ما أفاء الله من أموال الكفار على المسلمين بلا حرب ولا إيجاف عليه بخيل وركاب، وذلك مثل جزية الرؤوس وما صولحوا عليه من أموالهم فيجب فيه الخمس 5/1 أيضا لمن قسمه الله والباقي يوضع في بيت مال المسلمين لسد ثغر وإعداد سلاح وخير وأرزاق لأهل الفيء من المقاتلين والقضاة وغيرهم ممن تجري مجراهم. انظر تهذيب اللغة للأزهري، المصدر السابق، ص3781.

المشركين وأخذ قسرا ويجب فيه الخمس 5/1 لمن قسمهالله له ويقسم أربعة أخماسها لمن حضر الوقعة، الوقعة، للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم واحد[1].

أما الغنيمة اصطلاحا هي ما يؤخذ من أموال الكفار في الحرب، والفيء ما أخذ منهم بعد أن تضع الحرب أوزارها.[2] قال ﷺ: [ما من غازية، أو سَريَّة، تَغْزو فَتَغْنَم وتَسلَم، إلّا كانوا قَدْ ثُلُثَي أُجُورهمْ، وما من غازية، أو سَريَّة، تُخْفِقُ وتُصاب، إلّا تَمَّ أُجورهم][3]. وهي كذلك ما يؤخذ من أموال الكَفَرة بقوة الغزاة وَقَهر الكفرَةً، علىَ وجه يكون فيه إعلاء كلمةالله تعالى[4].

قال الماوردي: «الغنيمة هي أكثر أقساما وأحكاما لأنها أصل تفرع عنه الفيء فكان حكمها أعم وأشمل على أقسام: أسرى وسبي وأرضين وأموال»[5].

ويعرفها القاضي البغدادي المالكي: «هي كل مال أخذ من الكفار بقتال وهي على قسمين عقار وغير عقار فالعقار كالأرض والبناء يترك موقوفا لانتفاع به ولمصالح المسلمين وأما غير العقار كالأموال العينية والعروض فإن الإمام يأخذ الخمس والباقي يقسم على الجيش»[6].

وعليه تبقى الغنيمة هي كل ما غلب عليه المسلمون أعداءهم من خيل وركاب، أو ما يقوم مقامها في كل زمن ويدخل في سلاح العدو سلاحه وعتاده والمواشي والمعادن الثمينة كالذهب والفضة، والنساء والعبيد، وكل ما يصلح من متاع الدنيا.

8.الجباية:

[1]- المصدر نفسه، ص3781.

[2]- علي بن جاسر بن سليمان الشايع، المرجع السابق، ص637.

[3]- أبو الحسين مسلم (261هـ)، تح: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374هـ/1955م، صحيح مسلم، ج3، ص1515، ر.ح: 1906.

[4]- أحمد الشرباصي، المرجع السابق، ص181.

[5]- الماوردي، المصدر السابق، ص166.

[6]- أبو مُحَمَّد عبد الوهاب البغدادي المالكي، التلقين في الفقه المالكي، تح ودرا: مُحَمَّد ثالث سعيد الغاني، مكتبة نزار مصطفى الباز الرياض، مكة المكرمة، د.ت، د.ط، ج1، ص240.

الجباية لغة مشتقة من الفعل جبى، جبى الخراج، تَجْبَاهُ ويُجبيه أي جمعه، والجِبْيَةَ أي الحالة من جبى الخراج واستفائه والجباية هو استخراج الأموال من مظانها[1]، والجباية في اللغة الجمع والتحصيل، يقال جَبَى المال والخراج أَجبته جباية جمعته وجبوته جباوة الجابية حوض ضخم. والجابِي هو الذي يجمع الخراج وكذا من يجمع الماء للإبل والجباوةُ اسم الماءَ المجموع.[2] والجبايةُ بكسر الجيم المال وجمعه سواء كان خراجا أو زكاة والاجتباء منَ معانيه الاستخلاص والاصطَفاء[3]وفي القرآن الكريم قال تعالى:﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً ءَامِناً تُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[4]. وقال تعالى:﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَنْ يَشَآءُ﴾[5].

والجباية جمع المال والخراج وفي الأثر: «وما ولي إمارة قطُّ ولا جباية خراج ولا شيئا إلا أن يكون في غزوة مع النبيﷺ»[6].

وعليه فالجباية هي بمثابة إجراء قانوني تفرضه السلطة الحاكمة على الرعية، وهي بمثابة استيلاء قانوني على الممتلكات من أجل الوفاء بدين مستحق أو ضريبة غير مدفوعة، وهي أوسع وأشمل من الضريبة من حيث الشكل والغاية والجهات المخولة بتحصيلها.

9.الجائحة (الجوائح):

الجائحة لغة بكسر الهمزة وفتح الحاء والجمع: جوائح والمصدر الجوح والاجتياح هي الآفة والمصيبة تجتاح الأموال والثمار أي تستأصلها وتأتي عليها[7]، وفي الحديث: [إنَّ أبي يريد أن يجتاح

---

[1]– ابن منظور، المصدر السابق، ص567.

[2]– أنور محمود زناتي، المرجع السابق، ص105.

[3]– مُحَمَّد عمارة، المرجع السابق، ص141.

[4]– سورة القصص، الآية:57.

[5]– سورة آل عمران، الآية: 179.

[6]– علي بن جاسر بن سليمان الشايع، المرجع السابق، ص559.

[7]– مُحَمَّد عمارة، المرجع السابق، ص139.

مالي][1] أي يستأصله ويأتي عليه أخذا وإنفاقا. والاجتياح من الجائحة وهي كل مصيبة عظيمة وفتنة مبيرة: جائحة والجمع جوائح: وجاحهم يجوحهم جوحا: إذا غشيهم بالجوائح وأهلكهم[2].

إن المراد بالجائحة عند فقهاء المالكية: كل ما لا يستطاع دفعه من الآفات إن عُلِمَ به، سواء أكان بفعل الآدمي كالجيوش واللصوص، أو بغير فعله كالبرد والحر والثلج والمطر والجراد ونحو ذلك[3].

ومن هنا نستنتج أن الجائحة تجتاح المال والأرواح، فدلالة الجائحة الاجتياح والاستئصال، ورغم أنها نازلة طبيعية، إلاّ أن الحروب والتي هي من صنع البشر تعتبر جائحة، لأنه ينجم عنها تفشي المجاعات والأمراض والأوبئة المختلفة.

[1]- الطبراني (ت320)، المعجم الأوسط، تح: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن مُحَمَّد وأبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ/1995م، ج7، ص19، ر.ح: 6728.

[2]- أحمد الشرباصي، المرجع السابق، ص56.

[3]- نزيه حماد، المرجع السابق، ص160.

المبحث الثالث: الحرب والاقتصاد في التشريع الإسلامي:

لقد تحمل الرسولﷺ كل أشكال العذاب لمدة أربعة عشرة سنة، ومطالبته بكل أنواع الآيات بكل أنواع الآيات وخرق العادات على وجه العناد، لا وجه طلب الهدى والرشاد إلاّ أنه تحمل هذا الأذى ودعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة حتى يؤذن له بالقتال ورد العدوان لقوله تعالى:﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1]، لكن بعد الهجرة بسنة واحدة أذن له بالقتال بعد النهي عنه في نيف سبعين آية، وتحمل هذه الآيات القرآنية أسباب مشروعية القتال من دفع الظلم ومنع الفتنة في الدين وكفالة حرية العقيدة والوطن للناس وهو ما نسميه بمقتضيات الدفاع الوقائي[2]، قال تعالى:﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٧ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[3].

لما أباح الاسلام الحرب علل هذه الإباحة وحدد المقاصد والأغراض منها:

فهي صد لعدوان المعتدين ورد الطغيان، لقوله تعالى:﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]، وتسقط مشروعية الحرب بمجرد أن ينتهي المعتدي من إسرافه وإعناته في فتنة الناس[5].

إن الحرب في الإسلام حالة عارضة غير مرغوب فيها، ينبغي تجنبها ما أمكن ولكن إن كان لا بد منها فينبغي أن تقيد بقيود وسلوكيات تحقق قدر المستطاع من ويلاتها وآثارها المدمرة معنويا وماديا[6]، وللحرب في الشريعة الإسلامية أدب عام وأدب خاص من خلال إنذار عدوهم بنيتهم ويمهلوه للرد والتفاهم إن أراد، وقد قال الفقهاء أن هذه المهلة التي تعقب ما يسمى اليوم بالإنذار النهائي يجب أن تكون كافية ليخبر العدو بها أطراف أهله ودولته وهو أدب يتفق مع القانون الدولي

---

[1] – سورة النحل، الآية:125.

[2] – وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص55.

[3] – سورة الحج، الآية: 37-38.

[4] – سورة البقرة، الآية: 192.

[5] – عبد الرحمن عزام، الرسالة الخالدة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط01، 1432هـ/2001م، ص80.

[6] – إبراهيم يحي الشهباني، مفهوم الحرب والسلام في الإسلام– صراعات وحروب أم تفاعل وسلام؟–، منشورات مؤسسة مي للطباعة والتوزيع، ط01، ص08.

الحديث[1].

ومن أخلاقيات الحرب في الشريعة الاسلامية[2] كما جاء في حديث أنس بن مالكﷺ أن رسول أن رسولالله ﷺكان إذا بعث جيشا قال: [انطلقوا باسمِالله وعلى ملّة رسولالله لا تقتلوا شيخا فانيا فانيا ولا طفلاً ولا صغيرا ولا امرأةً ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إنّالله يحبُّ المحسنين][3]، وتحريم السلب والنهب لقوله ﷺ: [إنّ النُّهبةَ ليست بأحلَّ من الميتة] أو [إنّ الميتةَ ليستَ بأحلَّ من النُّهبة][4].

كما تدعو الشريعة الإسلامية إلى مسالمة المحاربين من شيوخ وصبية وصناع وتجار وزراع الذين لا يقاتلون أو بعبارة أعم تلك الطبقات التي يطلق عليها اليوم: المدنيون. ومبدأ المتاجرة مع العدو أي دخول المحاربين مستأمنين لغرض السفارة أو الزيارة وحتى في جواز التجارة والمعاملة الاقتصادية ولكن بقدر تسمح به ظروف الحرب مع التأكيد على عدم بيع العبيد والخيل والحديد وكل أجناس السلاح لكي لا يقوى العدو ولا للتخزين المقوي للمجهود الحربي لهم وإطالة أمد استسلامهم[5].

كما لا تبيح الشريعة الإسلامية بحال من الأحوال أن يحرق الزرع أو تقطع الأشجار أو يحرم المقيمين وسائل العيش في الأرض التي صارت ساحة للجيوش المتقدمة والمتأخرة[6]، والابتعاد عن الفساد والفصل بين الحلال والحرام وقد قال ﷺ: [انهوا جيوشكم عن الفساد فإنه ما أفسد جيش قط إلا قذفالله تعالى في قلبه الرعب][7]، مع الابتعاد عن الاشتغال بالزراعة أو التجارة لأن ذلك يذهب يذهب الاهتمام من مصابرة العدو[8]، كما يدعو الإسلام إلى الابتعاد على تدمير المعالم الحضارية والحث على وقف القتال عند عقد صلح دائم في حالة استسلام العدو لقوله تعالى:﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ

---

[1]- عبد الرحمن عزام، المرجع السابق، ص92.

[2]- إبراهيم يحي الشهباني، المرجع السابق، ص ص72-73.

[3]- أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، تح: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ/2003م، ج9، ص153، ر.ح: 8153.

[4]- أبو داود (ت275)، سنن أبي داود، تح: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ت، د.ط، ج3، ص66، ر.ح: 2705.

[5]- ضو مفتاح غمق، نظرية الحرب في الإسلام وأثرها في القانون الدولي العام، ص 271، ص272، ص273، ص274.

[6]- عبد الرحمن عزام، المرجع السابق، ص94.

[7]- شهاب الدين النويري (ت733هـ)، نهاية الإرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423هـ، ج6 ص158.

[8]- عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر الشيزري (ت590هـ)، النهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق مُحَمَّد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، مطبعة الظاهر، 1326هـ، ص168.

فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1]، ومن أحسن قول شوقي في هذا المعنى:

والحرب في حقٍّ لديك شريعة ومن السُّمُوم الناجعات دَواءُ[2]

وعليه يعتبر السلم هو المقصد الأسمى في الإسلام لأن العدو مثل الخراج الذي يبتدأ في علاجه بالترطيب والتحليل والتسكين فإن لم ينجح بذلك رجع فيه إلى الكي وهو آخر العلاج والحرب آخر ما يجب استعماله[3]، ولكن إن وقعت بين الناس وتصبح فريضة على كل مسلم ومسلمة فيحرم النكوص والفرار ويطلب الصبر والمصابرة والفداء والاستبسال وبذل الأرواح والأموال بسخاء وهجر المنازل والأوطان في حالة استيلاء العدو عليها[4] وطاعة الإمام والغزو مع كل أمير برا أو بحرا والوفاء بالأمان[5] والثبات عند الزحف[6] وترك الغلول، وتجنب الفساد كله[7]، وأن يقصد بالجهاد وجهالله تعالى وإعلاء كلمته[8]. واعتمدوا في ذلك ما صح في الأحاديث الشريفة عن أعرابي أتى النبيﷺ فقال: «يا وسلم فقال: «يا رسولالله، الرَّجل يُقاتِل لِلْمَغْنَم، والرَّجل يُقاتِل لِيُذْكَر، ويُقاتِل لِيُرى مكانه، من في سَبِيلِ اللَّهِ؟» فَقالَ: [من قاتَل لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيا، فهو فِي سَبِيلِ اللَّهِ][9] .

إنَّ الحرب الهجومية أو الاعتداء لا يبيحها الإسلام لأن الحرب في ذاتها قبيحة لما فيها من قتل النفوس والتخريب قال تعالى:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ﴾[10]، ولو كان القتال أمرا طبيعيا في

---

[1]- سورة الأنفال، الآية: 62.

[2]- إبراهيم يحيى الشهباني، المرجع السابق، ص75.

[3]- أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن المرادي الحضرمي (ت489هـ)، السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تح: مُحَمَّد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، ص62.

[4]- عبد الرحمن عزام، المرجع السابق، ص ص28-82.

[5]- الماوردي، المصدر السابق، ص ص48-49.

[6]- أبو الوليد مُحَمَّد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت 520هـ)، المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيَّات والتحصيلات المحكمات لأمريات مسائلها المشكلات، تح: مُحَمَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01 1408هـ/1988م، ج01، ص355.

[7]- ابن المناصف، المصدر السابق، ص ص140-141.

[8]- علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تحقيق عبد الإله أحمد نبهان ومُحَمَّد صالح زغل، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1، 1425هـ/2004م، ص 91 وما بعدها.

[9]- البخاري (ت256)، صحيح البخاري، تح: البغا، المصدر السابق، ج3، ص1034، ر.ح: 2655.

[10]- سورة البقرة، الآية:214.

النفوس لما قال القرآن ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[1] كما أنه لا تحل الحرب لغرض الحياة الدنيا كسيادة عنصر على عنصر أو شعب على شعب أو استعلاء ملك على ملك أو طبقة من الطبقات الاجتماعية على طبقة أخرى أو توسيع رقعة مملكة أو أغراض حربية أو استراتيجية أو لأغراض اقتصادية أو الاستئثار بالأسواق التجارية أو غير ذلك مما تتخذه الدول وسيلة لاستعمال الحرب ونقض العهد وهدم السلم[2].

إن الإسلام لما شرع الحرب أباح للمسلمين غنم عدوهم والاستيلاء على أمواله وأراضيه فيما يعرف عادة بالغنيمة وإن لم يجعلها غاية الجهاد ومقصده بل نتيجة فقط تترتب على الحرب[3]، والأصل في جواز استباحة أموال الكفار بالاغتنام وصحة تملك المسلمين ما حازوه منها على وجه الغزو والجهاد قوله تعالى:﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلاً طَيِّباً﴾،[4] وقوله ﷺ: [الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم][5].

إنَّ هذه الاستباحة تعدّ أمرا واقعا في نطاق إضعاف العدو ومعاقبته وتعويض ما أنفق على الحرب والقتال، فقط يحث الإسلام على الأمانة فيما حازه من الغنائم لم يغل[6] منها شيئا، بل يحمله جميعا إلى المغنم ليقسم بين الغانمين الذين شهدوا الواقعة لأن لكل واحد منهم فيها حقا[7].

إن الغنيمة تختلف عن الأموال التي يأخذها المسلمون من غير قتال ولا معالجة بإيجاف[8] خيل ولا

---

[1]- سورة البقرة، الآية:214.

[2]- عبد الرحمن عزام، المرجع السابق، ص86.

[3]- الماوردي، المصدر السابق، ص161 وما بعدها.

[4]- سورة الأنفال، الآية 70.

[5]- البخاري (ت256)، صحيح البخاري، تح: البغا، المصدر السابق، ج3، ص1048، ر.ح: 2697.

[6]- الغلو: هو أخذ الشيء من الغنائم قبل القسم بغير إذن الامام ويستحق صاحبه التأديب حسب ما يراه الإمام ويرد الشيء المأخوذ إن كان موجودا وإلا فقيمته ولا يحرم سهمه من الغنيمة. قال القاضي: « من غل شيئا من الغنيمة عوقب ولم يحرم سهمه لأنه قد استحق السهم بحصول سببه من القتال أو الحضور وغلوله لا يخرجه عن ذلك فلم يحرم وليس في الغلول أكثر من ركوب محرم، وذلك طارئ بعد استحقاق السهم لا يؤثر فيه». والأصل في تحريم الغلول قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَّغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، سورة آل عمران، الآية 161. ينظر: أبو مُحَمَّد عبد الوهاب البغدادي المالكي، المصدر السابق، ص241.

[7]- الشيرازي، المصدر السابق، ص169.

[8]- إيجاف: يعني أنه يقسم من الغنيمة ما أوجف عليها ما قوتل عليه بالخيل والركاب أي الابل وأما تركه الكفار وهربوا فزعا منه بغير قتال فهو فيء لا يقسم ولا يخمس وهو المشهور في المذهب. ينظر: المالكي، المصدر السابق، ص241.

ركاب[1]مثل الجزية والخراج ومال الصلح وعشور أهل الذمة وأهل الحرب إذا اختلفوا في تجارة وما جلا عنه أهل الحرب خوفا من المسلمين قبل خروج جيش إليهم[2]، ويعرف ذلك عادة بالفيء انطلاقا من قوله تعالى:﴿وَمَا أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾[3]، كما أن الإسلام يحث على قسمة الغنائم في دار الحرب ويكره تأخيرها الى دار الإسلام من غير عذر لأن النبي ﷺ قسم غنائم بدر بشعب من شعاب الصحراء قريب من بدر[4]، وأن لا يتنازعوا في شيء من قسمة الغنائم إذا قسمها فيهم، بل يرضوا به في القسمة فإنه يساوي بينهم ولا يأبى أن يعدل بين القوي والضعيف ويماثل بين الدنيء والشريف[5].

لقد قسم الفقهاء الغنائم إلى صنفين: رقاب الكفار وأسراهم وسبيهم ثم أموالهم وأراضيهم،[6] فبالنسبة للأرض التي فتحت عنوة تنزع ملكيتها من المحارب وتنتقل الى الفاتحين بمجرد الاستيلاء عليها[7] وتصير وقفا على المسلمين ولا تكون ملكا لأحد قول المالكية. ويصرف خراجها في المصالح العامة للمسلمين، إلاَّ أن يرى الإمام في وقت من الأوقات أنَّ المصلحة تقتضي قسمتها على من أوجف عليها[8]، وهناك من يقول أنه يجوز قسمته بين الغانمين وغير ذلك من الفوائد[9].

أما الأموال المنقولة فلا خلاف بين الفقهاء وأئمة المذاهب في أنها حق خالص للغانمين بعد أن يؤخذ منها الخمس(5/1)[10] ولا خيار للإمام في القسمة[11].

---

[1]- ابن رشد، المقدمات و الممهدات، ج01، ص355.

[2]- ابن المناصف، المصدر السابق، ص329.

[3]- سورة الحشر، الآية 06.

[4]- معزز إسكندر الحيثي، آراء الامام أبي إسحاق الشيرازي الاقتصادية والمالية دراسة مقارنة في الاقتصاد الإسلامي، الذاكرة للنشر والتوزيع، بغداد، العراق، ط1، 2018، ص519.

[5]- الشيرازي، المصدر السابق، ص170.

[6]- الماوردي، المصدر السابق، ص131.

[7]- وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص ص556-557.

[8]- القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي، المصدر السابق، ص241.

[9]- مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخيار، أخرج أحاديثه رائد بن صبري بن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية، بيروت، لبنان، 2004، ص1566.

[10]- ابن المناصف، المصدر السابق، ص ص259-260.

[11]- وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص ص608-609.

لقد اتفق معظم أهل المذهب المالكي أن للفارس ثلاثة أسهم، سهم له وسهمان لفرسه وللراجل سهمه وللإمام أن ينفل[1] الجيش أو بعضهم بمعنى أن يزيد للبعض على نصيبه إن رأى في ذلك مصلحة

[1]– النفل: بفتح النون والفاء: هو ما يأخذه المجاهد من القتيل زيادة على سهمه وأما النفل العام فهو ما ذكر في المصنف قال في الرسالة: «ولا نفل إلا من الخمس على الاجتهاد من الإمام ولا يكون ذلك قبل القسم والسلب من النفل». ينظر: المالكي، المرجع السابق، ص241.

تكون للمسلمين، أما ما سلبه المقاتل من المقتول أو ما يأخذ على وجه الحيلة أو التستر أو السرقة من العدو فليس ملكا للمحارب بل يضم للغنائم قبل قسمتها[1].

رأى الفقهاء أن أموال الفيء والخمس من الغنيمة توضع في بيت المال لتصرف في مصالح المسلمين[2].

يقول ابن المناصف: «فالفيء أو ما طاوع الفيء من ذلك أخماس الغنائم وجزية أهل العنوة وأهل الصلح وخراج الأرض وما صولح عليه أهل الشرك في الهدنة ومن أخذ من تجار أهل الحرب إذا خرجوا لتجارتهم إلى دار الإسلام، ومن أخذ من أهل ذمتنا إذا تجروا من بلد وخمس الركاز حيث وجد يبدأ في تفريق ذلك بالفقراء والمساكين واليتامى وابن السبيل ثم يساوى بين الناس فيما بين شريفهم ووضيعهم ومنه يرزق والي المسلمين وقاضيهم ويعطى غارمهم وتسد ثغورهم وتبنى مساجدهم وقناطرهم ويفك أسيرهم وما كان من كافة المصالح التي لا توضع فيها للصدقات»[3].

إنَّ تاريخ الحرب أو الغزو أو القتال عبر التاريخ الإسلامي هي حرب دفاعية بالدرجة الأولى لأن طريق الدعوة إلى الله تعالى تكون بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ولكن ولأجل الذوذ عن الملة والحوزة لم يقف الإسلام مكتوف اليدين بل واجهها بالحزم والعزم، والغنائم تابعة لما يترتب على الحرب، فهي نتيجة لها لا سبب لإعلائها.

[1]- ابن المناصف، المصدر السابق، ص 310.

[2]- ابن رشد، المصدر السابق، ج01، ص357.

[3]- ابن المناصف، المصدر السابق، ص332.

الفصل الأول: المجال الجغرافي والموارد الاقتصادية بالمغرب الأوسط.

- المبحث الأول: المجال الجغرافي والسياسي للمغرب الأوسط.
- المبحث الثاني:الامكانيات الزراعية.
- المبحث الثالث: الامكانيات الصناعية.
- المبحث الرابع: الامكانيات التجارية.

المبحث الأول: المجال الجغرافي والسياسي:

يصعب وضع حدود جغرافية لمجال المغرب الأوسط خاصة في ظل التجاذبات السياسية، وزخم الحدث بشقيه السياسي والعسكري الذي عرفته بلاد المغرب بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة على امتداد فترات العصر الوسيط، حيث أننا في كثير من المراحل التاريخية نجد أنفسنا أمام وحدة جغرافية لبلاد المغرب، إضافة إلى التركيبة القبلية لمجتمع المغرب الإسلامي خاصة في العهد الموحدي، حيث حدث تمازج كبير وتنقل واسع للقبائل العربية والبربرية.

لهذا قبل الخوض في مناقشة مسألة المجال الجغرافي لابد من الوقوف على أمرين مهمين قامت بهما الدولة الموحدية في النصف الثاني من القرن 06هـ/12م في رسم حدودها بين العاصمة الأم والمحيط (المغربين الأدنى والأقصى) باعتبار حدودهما بداية لحدود المغرب الأوسط.

الأمر الأول ذو بعد ثقافي حضاري متعلق بمحاولة الدولة الموحدية إذابة الانتماء الجغرافي في إطار الوحدة الأم من خلال تحويل بعض القبائل كقبائل بني مرين من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى، أو المغرب الأدنى.

الأمر الثاني له ارتباطات بالناحية السياسية حيث حاولت الخلافة الموحدية تعيين ولاة على مختلف الأمصار لهم علاقات متميزة مع بيت بني عبد المومن وبالتالي كان أغلب الولاة أصلهم من المغرب الأوسط خاصة خلال السنوات الأولى، أي أن تحديد المغرب الأوسط يتطلب الإلمام بالجانب الجغرافي والسياسي، باعتباره في هذه الفترة مصطلح جيو سياسي.

إن السؤال المطروح هل يمكن أن نعتبر حدود المغرب الأوسط هي نفسها الحدود الموروثة عن نهاية الدولة الموحدية بعد انقسامها؟ أم أن هناك حدود جديدة تشكلت على الساحة بعد مرحلة الانقسام؟

01- الإطار السياسي للمغرب الأوسط:

يعتبر المغرب الأوسط جزءا من فضاء واسع يشمل بلاد المغرب، والتي قسمت إلى مجالات جغرافية بحسب بعدها عن مركز الخلافة، أو قبلة المسلمين (مكة المكرمة)، فنجد المغرب الأدنى والمغرب الأوسط ثم المغرب الأقصى.

وبما أن المغرب الأوسط هو القسم الثاني لبلاد المغرب فإنه يعتبر منطقة جغرافية اختلف الرحالة والجغرافيون في ضبط حدودها خلال الفترة الوسيطة، فهي تمثل إشكالية يجد الباحث نفسه أمامها لعدم استقرار حدوده على وضع معين[1] نتيجة لعدة اعتبارات منها:

-كثرة النزاعات بين الدول القائمة، وا لحركة القبلية الغير مستقرة، كما أن لفظ أوسط ظهر ابتداء من القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي، وأول من استعمل هذا المصطلح هو البكري (ت 487هـ/1094م) حيث تميز عمن سبقه باستخدام مصطلح المغرب الأوسط ككيان جغرافي يتوسط إفريقية والمغرب الأقصى ومنذ ذلك الحين اهتمت المصادر الجغرافية برسم حدود هذا الإقليم ووجد له موضعا في كتابات الجغرافيين والمؤرخين، يقول البكري: «وهذه مدينة تلمسان[2] قاعدة المغرب الأوسط وهي دار مملكة زناتة»[3]. إلا أنه لم يوضح الحدود الطبيعية و اكتفى بذكر المسافات و تحديد

---

[1]- خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة سياسية وحضارية 633هـ-681هـ/1235م-1282م، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2011م، ص65.

[2]- تلمسان: تلمسان بكسرتين وسكون الميم سين مهملة وبعضهم يقول تنمشان بالنون عوض اللام بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رمية حجر أحدهما قديمة والأخرى حديثة، والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب وإسمها تاقرارت فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس واسم القديمة أقادير تسكنها الرعية فهما كالفسطاط والقاهرة من أرض مصر ويكون بتلمسان الخيل الراشدية لها فضل على سائر الخيل وتتخذ النساء بها من الصوف أنواعا من الكنانيش لا توجد في غيرها ومنها إلى وهران مرحلة، ويزعم بعضهم أنه البلد الذي أقام به الخضر عليه السلام الجدار المذكور في القرآن سمعته ممن رأى هذه المدينة، وينسب إليها قوم منهم أبو الحسين خطاب بن أحمد بن خطاب بن خليفة التلمساني ورد بغداد في حدود سنة 520هـ كان شاعرا جيد للشعر قاله أبو سعد. ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت626هـ، معجم البلدان، تص، وقراءة مُحَمَّد أمين الخانجي وأحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة السعادة، مصر، ط01، 1323هـ/1906م، مج02، ص793،794. وهذه الحادثة أكدها القزويني بقوله: «إنه كان جدارا عاليا عريضا مائلا فمسحه الخضر عليه السلام بيده فاستقام». وقال حدثني بعض المغاربة أنه رأى بتلمسان مسجدا يقال له مسجد الجدار يقصده الناس للزيارة. ينظر: زكرياء بن مُحَمَّد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، ص172.

[3]-أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ج02، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 2003م، ص259.

المسالك والطرق، وقد تبنى الإدريسي (ت558هـ/1162م) رؤية البكري واستعمل مصطلح المغرب الأوسط في قوله: ومدينة بجاية[1] في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد حماد»[2].

لكن ما ميز الإدريسي عن البكري أنه تفوق عليه في تحديد أمصار هذا الإقليم ومجاله واتضح ذلك جليا في قوله: «وفيه من بلاد المغرب الأوسط تنس وبرشك وجزائر بني مزغنة وتدلس وبجاية وجيجل ومليانة والقلعة والمسيلة والغدير ومقرة ونقاوس وطبنة وقسنطينة وباغاي وتنس ودار مرين وبلزمة ودار ملول»[3]، ولم يكتف بهذا بل اتخذ من تلمسان حدا غربيا للإقليم بقوله: «ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب»[4].

وتمكّن صاحب الاستبصار من رسم صورة لهذا الإقليم فحدد التخوم الشرقية بوادي مجمع، حيث اعتبره الحد الفاصل بين المغربين الأوسط وإفريقية، وحدد الثخوم الغربية ببلاد تازا[5]، وهو الحد الطبيعي يفصل بين المغربين الأوسط والأقصى وحدد الحدود الشمالية ببحر الروم والجنوبية بالصحراء حين قال: «وفيه مدن كثيرة، وقاعدتها مدينة تلمسان، وحد المغرب الأوسط من وادي مجمع وهو في نصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان، بلاد تازا من بلاد المغرب في الطول وفي العرض من البحر الذي على ساحل البلاد التي ذكرنا في البلاد الساحلية إلى مدينة وهران ومليلة وغيرها من البلاد الساحلية إلى مدينة تنزل وهي مدينة في أول الصحراء وهي على الطريق إلى سجلماسة»[6].

---

[1]- بجاية: بالكسر وتخفيف الجيم وألف وهاء مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين (454هـ-481هـ/1062م-1078م) في حدود سنة 457هـ/1064م كانت قديما عبارة عن ميناء ثم بنيت المدينة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977، ج01، ص399. كما يسانده ابن الأثير في تاريخ بناء بجاية بتحديده سنة 457هـ. ينظر: الكامل في التاريخ، تح: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر د.ت، ج08، ص349.

[2]-الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان والمغرب، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1422هـ/2002م، ص 15.

[3]-مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تع: سعد زغلول، دار الشؤون الدينية، بغداد، د.ت، ص176.

[4]- المصدر نفسه، ص178.

[5]- تازا: أو تيزا باللغة الإفريقية، مدينة كبيرة فيها عدد من الأعيان لأنها عاصمة الإقليم، لذا فأسوارها متينة محصنة ببروج وهي في سهل خصيب يكثر فيه القمح والماشية، بعيدة بستة عشر فرسخا من فاس وباثني عشر من ديدو وبخمسة وعشرين من مليلية عبر مفازة كرت وبفرسخين من جبل مظغرة، حيث يقطن قوم شجعان من زناتة، وفي تازا ما ينيف على خمسة آلاف دار مسكونة لكنها ليست منازل حقيرة من طين ما عدا المدارس والمساجد المشيدة بالحجر المنحوت. ينظر: مارمول كاربخال، كتاب إفريقيا، ج02، ص272.

[6]- مؤلف مجهول، الاستبصار، ص176.

وفي سياق وصفه لحدود هذا الإقليم يقول: «فيه مدن كثيرة وأقطار واسعة وعمائر متصلة تحد بلاد المغرب من آخر المغرب الأوسط إلى بلاد تازا إلى آخر بلاد المغرب على ساحل البلاد الكبير الداخل من البحر المحيط عند مرسى آزمور طولا»[1].

بينما ابن سعيد المغربي (ت 685هـ/1287م) قسم بلاد المغرب إلى سبعة أقاليم منها إقليم بالمغرب الأوسط وهو الإقليم الرابع والذي يشمل الجزء الأول منه تلمسان قاعدة بني عبد الواد من زناتة والجزء الثاني يضم بجاية والتي يجعلها قاعدة المغرب الأوسط[2]، على الرغم من أن بجاية كانت خلال هذه الفترة تابعة لسلطة الحفصيين وبالتالي فتقسيمه هذا لم يعتمد البعد السياسي بل البعد الجغرافي إن سلمنا أن تقسيمه لا يتبع تصنيفات سابقة له.

ونلحظ أبا الفداء (ت 732هـ/1331م) أنه قام بالنقل عن غيره إذ اعتبرناه ملتزما بالمعيار السياسي، أو أعاد التقسيم وفق منطلق جغرافي جديد، حيث قسم المغرب إلى ثلاثة أقسام بقوله: «وبلاد المغرب ثلاث قطع الغربية منها تعرف بالمغرب الأقصى وهو ساحل البحر المحيط إلى تلمسان غربا والقطعة الثانية تعرف بالمغرب الأوسط وهي من شرقي وهران إلى آخر حدود مملكة بجاية من الشرق»[3]. حيث نلاحظ أنه استثنى تلمسان وجعلها تابعة للمغرب الأقصى على الرغم من أن تلمسان تلمسان في وقته كانت تابعة للمغرب الأوسط باعتبار الدولة الزيانية إطارها السياسي.

لاسيما وأن هذا التضارب في تحديد حدود المغرب الأوسط نجده أيضا عند ابن عبد المنعم الحميري عاش في القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي عندما جعل بجاية ضمن مجال المغرب الأوسط مستحضرا البعد الجغرافي ومتجاوزا البعد السياسي، إذ قسم المغرب إلى ثلاثة أقسام: إفريقية، المغرب الأوسط، المغرب الأقصى. جاعلا بجاية قاعدة المغرب الأوسط وذكر أنها عين بلاد بني حماد

[1]- مؤلف مجهول، صاحب الاستبصار، ص178.

[2]- أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط02، 1982م، ص140. حيث أن الجزء الأول يبدأ من جزر السعادات الأربع وفيه سبتة ومراكش وتلمسان وصولا إلى جبال ونشريس، والجزء الثاني يبدأ من مدينة تنس وبجاية وقسنطينة وبونة وصولا إلى مدينة بنزرت وتونس، والجزء الثالث يبدأ من جزيرة جربة إلى الإسكندرية، أما الجزء الرابع فهو يبدأ من بحيرة تنيس شرق دمياط إلى الموصل. المصدر نفسه، ص ص137- 158.

[3]- عماد الدين اسماعيل بن مُحَمَّد بن عمر المعروف بأبي الفداء صاحب حماة (ت732هـ)، كتاب تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ص122.

على الرغم من أن بجاية كانت تابعة لسلطة الحفصيين في ذلك الوقت، بما يحيل على أنه تبنى رأي الإدريسي أو نقل عنه، ثم ألحق تلمسان الزيانية بنفس المجال بما يحيل أيضا إلى استحضاره الواقع السياسي جاعلا حد المغرب الأوسط مع المغرب الأقصى هو بلاد تازا[1].

أمَّا الزهري المتوفى في أواسط القرن السادس هجري فقد جعل مملكة تلمسان في الصقع الثاني إذ يقول: «وكذلك في هذا الصقع (الصقع الثاني) مما يلي المشرق مدينة تازة ومدينة تلمسان... وكذلك غربي هذا الصقيع-أي مقاطعة إفريقية- في البر مدينة مليانة وزواوة وقسنطينة وقلعة بني حماد ومدينة برشك»[2].

وأورد التجاني (717هـ/1317م) عندما تكلم عن مصطلح المغرب الأوسط في أثناء حديثه عن بجاية وأحوازها كذلك حيث كانت بجاية تابعة للمغرب الأدنى سياسيا[3].

أمَّا مارمول كاربخال فيقول: «ومملكة تلمسان هي ثالثة ممالك البربر، وقد سماها القدامى موريطانيا القيصرية، يحدها غربا مملكة فاس، إذ يفصل بينهما نهران، أحدهما يسمى زيز، والنهر الآخر ملوية[4]... وتمتد هذه المملكة إلى مصب نهر آخر يفصل هذه الإمارة عن جيجل آخر مدينة بحرية بإقليم بإقليم بجاية»[5].

---

[1]- مُحَمَّد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، مكتبة بيروت، لبنان، ط02، 1984م، ص80، ص81، ص135، ص136.

[2]- أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر الزهري المتوفى في أواسط القرن السادس هجري، كتاب الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب، تح: مُحَمَّد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، د.ت، ص ص123-107.

[3]- أبو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن أحمد التجاني، الرحلة، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس 1981م، ص343.

[4]-ملوية: نهر كبير ينبع من الأطلس في ناحية الحوز على بعد نحو خمسة وعشرين ميلا من مدينة كرسلوينن يجتاز بعض السهول الوعرة اليابسة ليصل إلى سهل أكثر وعورة نسبيا بين مفازات أنكاد وكرط ويسير في سفح جبل بني يزناسن ويدخل في البحر المتوسط غير بعيد عن مدينة ويقطع هذا النهر في الصيف خوضا على طول مجراه كله ويوجد قرب البحر سمك جيد. ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج02، ص250.

[5]- مارمول كاربخال، كتاب إفريقيا، تج: مُحَمَّد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1984م، ج02، ص75.

بينما الحسن الوزان جعل حدود مملكة تلمسان: «يحدها غربا واد زا ونهر ملوية وشرقا الواد الكبير الصمام وصحراء نوميديا جنوبا»[1].

بعد التطرق إلى هذه المصادر الجغرافية، كان لابد من التعرض للمصادر الإخبارية التي اهتمت هي الأخرى بجغرافية المغرب ويأتي في طليعة المؤرخين:

ابن الحكم القرشي (ت257هـ/862م) الذي اتخذ من برقة حدا شرقيا مستندا للعامل البشري في ذلك، حيث حدد المجال الجغرافي بمواطن البربر في سياق حديثه عن هجرة قبائل البربر من فلسطين واستيطانهم أرض المغرب غير أنه لم يتطرق إلى جغرافية أقاليم المغرب، كما أنه لم يذكر في كتابه اسم المغرب الأوسط حيث اكتفى بالتعميم فقط[2].

و يؤكد الغبريني (ت 704هـ/1305م) في أثناء حديثه عن الفقيهمُحَّد عبد الحق بن الربيع البجائي البجائي (ت 675هـ/1277م) استعمال مصطلح المغرب الأوسط عندما قال عن الفقيه: «لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله»[3]، وهذا دليل على أن بجاية كانت ضمن المجال الجغرافي للمغرب الأوسط حتى في الفترة الحفصية.

كما يصف المراكشي (ت647هـ/1249م) في كتابه المعجب حادثة تغلب عبد المؤمن بن علي[4] على بجاية بقوله : « حتى أتى بونة[1] وهي أول حد بلاد إفريقية »2، و يضيف : « فحد بلاد

---

[1]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص07.

[2]– ابن عبد الحكم القرشي، فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، د.ت، ط02، ص09.

[3]– الغبريني البجائي، عنوان الدراية فيمن عرق من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، منشورات الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط02، أبريل 1979، ص57. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ج02/01، إ وتق: عبد الحميد عبدالله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط01، 1398هـ/1989م، ص85.

[4]– عبد المؤمن بن علي: هو أبو مُحَّد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي الندرومي، ولد بقرية تاجرة بناحية بني عابد قرب مدينة ندرومة وعلى نحو ثلاثة أميال من هنين ولد سنة 487هـ/1094م وقيل سنة 500هـ/1106م أمه حرة كومية من قوم يقال لهم بنو مجبر وكان والده المسمى بعلي أو يعلو قاضيا حسب بعض المؤرخين وصانع الأواني حسب بعضهم الآخر ويحاول البعض رفع نسبه إلى علي بن أبي طالب وقد تعرف على ابن تومرت وبدأ معه رحلة إنشاء الدولة، حيث تولى قيادتها سنة 524هـ/1126م، بعد وفاة المهدي ليستطيع تكوين إمبراطورية تمتد من الأندلس إلى أعماق الصحراء ومن ليبيا إلى البحر المحيط وتوفي سنة 558هـ/1162م. ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: مُحَّد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، د.ت، ص265.

إفريقية مما يلي المغرب المدينة المعروفة بقسطنطينة الهواء، وسميت بذلك لإفراط علوها وشدة منعتها»[3].

وبالتالي يمكننا أن نرسم خطا افتراضيا عموديا يبدأ من بونة ويصل إلى قسنطينة كحد للمغرب الأوسط من ناحية الشرق، حيث حدده المراكشي بطول خمس مراحل من خلال قوله: «ومن مدينة بونة إلى مدينة قسنطينة التي هي أحد حدي إفريقية خمس مراحل».[4]

أما بخصوص الحدود الغربية فيحددها المراكشي دائما بقوله: «وحد عمل المغرب عندهم الذي يطلقون عليه هذا الاسم من مدينة تدعى تازا رباط إلى مدينة مكناسة الزيتون»[5] أي أن إقليم تلمسان كان جزءا من المغرب الأوسط رغم ما أضيف له من مدن تابعة للمغرب الأقصى كوجدة وتازا مما تسبب في نزاع بين المرينيين[6] وبني عبد الواد بعد تفكك الدولة الموحدية[7].

ومن زاوية أخرى يرى عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1405م) أن منتهى الحدود الشرقية للمغرب الأقصى هي بداية مجال بلاد المغرب الأوسط حيث يقول: «وهذه التي تسمى المغرب الأقصى... وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد المغرب الأوسط وقاعدتها تلمسان وفي سواحلها على

---

[1]- بونة: مدينة بإفريقية بين مرسى الخرز وجزيرة بني مزغناي وهي مدينة حصينة مقتدرة كثيرة الفواكه والبساتين وهي على البحر، ينسب اليهم جماعة منهم: أبو عبد الملك مروان بن مُحَمَّد الأسدي البوني فقيه مالكي من أعيان أصحاب أبي الحسن القابسي له كتاب في شرح الموطأ وأصله من الأندلس وانتقل إلى إفريقية وأقام ببونة فنسب اليها ومات قيل سنة 440هـ ويطل على بونة جبل زغوغ والمدينة الحالية بنيت نحو سنة 350هـ/961م وهي على نحو كيلومترين اثنين من موضع بون (عنابة) القديمة وتعرف ببلد العناب لأن أكثر شجر فجوجها العناب. ينظر: علي بن مُحَمَّد التمكروتي، كتاب النفحة المسكية في السفارة التركية (1589م)، تح: مُحَمَّد الصالحي، ارتياد الآفاق، المغرب، ط01، 2007م، ص51.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص144.

[3]- المصدر نفسه، ص250.

[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص252.

[5]- المصدر نفسه، ص181. هوبكنز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، نقله عن الإنجليزية أمين توفيق الطيبي، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط02، 1999م، ص69.

[6]- المرينيون: أصل بني مرين من أحواز تلمسان، قاعدة المغرب الأوسط ودار مملكة زناتة على قديم الزمان، وكان وطنهم ما بينها وبين تاهرت من شرقها، تجاورهم في السكنى من زناتة بنو يغمراسن وبنو توجين وبنو مغراوة وبنو راشد وغيرهم وكان غالبهم فرسان. ينظر: لمؤلف أندلسي (من أهل القرن الثامن هجري)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1439هـ/1979م، ط01، ص186.

[7]- قدور أحمد، المدن الموحدية وعلاقتها بالأقاليم، رسالة ماجستير، جامعة مُحَمَّد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1987م-1988م، ج02، ص308.

البحر الرومي، بلد هنين ووهران والجزائر»[1]. وهو ما أكده في موضع آخر بقوله: «فأما المغرب الأقصى فهو ما بين وادي ملوية من جهة الشرق، إلى آسفي حاضرة البحر المحيط... وأما نهر ملوية فهو آخر المغرب الأقصى...»[2] ويجعل الزهري مدينة وجدة ومدينة تازا ضمن إقليم تلمسان[3].

وفي موضع آخر حدد موقع المغرب الأوسط بديار زناتة وكل قبائلها وبطونها وقاعدتها اليوم تلمسان بالإضافة إلى ديار زواوة وهوارة وكتامة الممتدة على إقليم بجاية وقسنطينة[4].

ليعود عندما يتحدث عن قبيلة بني ومانو وبني يلومي[5] ويصفهم بقوله: «وموطنهم جميعا المغرب الأوسط»[6]، ورغم صعوبة اتخاد القبائل كدليل للضبط الجغرافي نظرا لتنقلهم المستمر فإنَّ ذلك لا يغني عن الاستعانة به، ويدعم طرحنا هذا المؤرخ "هويثي مرندا" عندما يكتب عنوان "الحرب في المغرب الأوسط" حيث يبدأها بالحديث عن قبيلة بني ومانو[7].

تعتبر مدينة بونة في نظر ابن خلدون هي الحد الفاصل بين المغرب الأوسط وإفريقية إذ يقول: «هذا الإقليم الثالث الكبير من بلاده ثم يتصل ببلاد الجزائر من شرقيها بلاد بجاية في ساحل البحر ثم قسطنطينة درن في الشرق منها وفي آخر الجزء الأول وعلى مراحل من هذا البحر في جنوبي هذه البلاد ومرتفعا إلى جنوب المغرب الأوسط بلد آشير ثم بلد المسيلة ثم الزاب وقاعدته بسكرة تحت جبل أوراس المتصل بدرن كما مر ذلك عند آخر هذا الجزء من جهة الشرق». ثم يضيف: «بين جبل

---

[1]- ابن خلدون، كتاب العبر، ج01، ص76.

[2]- ابن خلدون المصدر السابق، ج06، ص133.

[3]- الزهري، المصدر السابق، ص113.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج06، ص134.

[5]- بنو ومانو وبنو يلومي: هما قبيلتان من قبائل زناتة ومن توابع الطبقة الأولى، ولم نقف على نسبهم إلى جانا، إلا أن نسابتهم متفقون على أن يلومي وورتاجن الذي هو أبو مرين أخوان وأن مديون أخوهما للأم، ذكر غير واحد من نسابتهم وبنو مرين لهذا العهد يعرفون لهم هذا السبب ويوجبون لهم العصبية له وبنو ومانو في الجهة الشرقية عن واد ميناس وبنو يلومي بالعدوة الغربية منه، وكانوا في كثير من الحالات في عداء مستمر. ينظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، ج07، ص ص74- 75.

[6]- المصدر نفسه، ج07، ص ص74-75.

[7]- هويثي مراندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تج: عبد الواحد أكمير، مطبعة النجاح الجديدة- مطبعة الزمن- الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2004م، ص ص120-121.

درن والبحر الرومي في الغرب منها جبل أوراس وتبسة والأوبس وعلى ساحل البحر بلد بونة ثم في سمت هذه البلاد شرقا بلاد إفريقية»[1].

أما الحدود الجنوبية للمغرب الأوسط فتصل إلى مدينة وركلان[2] كحد تبدأ منه الصحراء الكبرى مثلما ذكره الجغرافي الزهري[3] وابن خلدون إذ قال أنَّ حدود المغرب بصفة عامة هي مدينة وركلان[4]، وهناك من جعلها تصل إلى إقليم توات[5] مثلما ذكرهمُحَمَّد بن عبد الكريم البكري حيث قال: قال: «أن أهل توات كانوا معنيين بدفع الإتاوات للموحدين وأنَّ السلطان قبله منه في المغرم»[6].

يرى صاحب عجائب الأسفار أن تسمية المغرب الأوسط تكتسي دلالتين جغرافيتين مختلفتين فمجال الدولة الزيانية يبدأ من بجاية إلى وجدة وليس نهر ملوية وأنَّ قبلته في الجنوب مدينة

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج01، ص76.

[2]- وركلان: تعتبر إقليما إباضيا تقع في الجنوب واحتلت مكانة اقتصادية باعتبارها ممر نحو السودان الغربي والأوسط في تجارة الرقيق والذهب. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1990م، ص62.

[3]- ويحدد في موضع آخر المسافة بين ساحل بحر الروم ومدينة وركلان بخمسة وتلاثون يوما وهي ثلاثمائة وخمسون فرسخا. ينظر: الزهري، المصدر السابق، ص137.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج06، ص134.

[5]- توات: أصلها أعجمي فقد كانت قبائل من لمتونة جاءت إلى توات في منتصف القرن06هـ/12م، فأطلق هذا اللفظ، وهي عبارة عن مجموعة كبيرة من واحات الصحراء الجزائرية بالجنوب الغربي، بها عدة قصور وقصبات وقرى ومدن، تؤلف في مجموعها إقليما يتموقع بين سفوح الأطلس الجنوبي وبلاد السودان، وهي تقع بين خطي طول °04 غربا و°01 شرقا وبين خطي عرض °26 و°30 =شمالا. ينظر: كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص203. الوزان، المصدر السابق، ج02، ص159. فرج محمود فرج، إقليم توات بين القرنين 18 و 19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص02. الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 10-11هـ، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط01، 2003م، ص35.

[6]- علي عشي، المغرب الأوسط في عهد الموحدين دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية (534هـ-1139م/633هـ-1235م)، رسالة دكتوراه في التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011م/2012م، ص33.

تيكورارين[1]، ويضيف أيضا أن هذا المصطلح عند أهل التواريخ يعني إيالة الغرب الذي كان يمتد من خميس مليانة شرقا إلى وجدة غربا[2].

إنَّ هذا الحد أشار إليه كذلك الطاهر بونابي حيث قال: «أن التمييز بين المغربين الأقصى والأدنى والأدنى يدل على أن المغرب الأوسط ضارب في العمق الممتد من بونة شرقا إلى ما وراء تلمسان غربا ومن البحر شمالا إلى الصحراء جنوبا»[3].

كما أشار عبد الرحمن بنمُحَّد الجيلالي إلى حدود المغرب الأوسط خلال القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي، حيث قال: «تمتد حدود مملكة الجزائر الزيانية غربا إلى مدينة وجدة وتبلغ في بعض الأحيان شرقا إلى أعمال قسنطينة ودلس وبجاية وهي في ذلك تسير حسب تقدم الدولة وانتصاراتها على منافسها ومزاحميها من بني أبي حفص وبني مرين وبلغت حدودها الجنوبية الغربية إلى سجلماسة-تافيلات-»[4].

بينما صاحب كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث جعل الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط هو ما بين بجاية شرقا ووادي ملوية غربا[5]، وهذا الامتداد إلى غاية بجاية راجع لقوة دولة المغرب الأوسط خاصة في عهد السلاطين الزيانيين الأوائل.

وعلى العكس من ذلك يرى عبد العزيز فيلالي أن حدود المغرب الأوسط طيلة الحكم الزياني كانت تمتد من بونة وبجاية وبلاد الزاب شرقا إلى نهر ملوية وتاوريرت ووجدة وتامزيردكت[1] وفجيج

---

[1]- تيكورارين: وتعرف أيضا باسم قورارة، يحدد مجالها الجغرافي ابن خلدون بأنها تقع قبلة تلمسان على مسافة عشرة مراحل في بسيط واد منحدر من المغرب إلى المشرق واستبحرت في العمران وغصت بالساكن. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص77.

[2]- ينتهي عند وجدة وليس نهر ملوية يقول: ولما أكثر المولى إسماعيل ملك المغرب الأقصى من الأجلاب على المغرب الأوسط وشن فيه الغارات وتخطى مرة هو بنفسه إلى البطحاء وأناخ بها فزحفت إليه الأتراك فكان بينهم حرب عظيم على نهر جديوية ثم احتل مصاف أهل المغرب الأقصى فانهزموا ثم ذهب أمير حرب الأتراك وراءه فعملوا الثخوم بينهم وجدة وما سامتها من الجوف إلى القبلة واحة فكيك. ينظر: مُحَّد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح: مُحَّد غالم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، د.ت، ج01، ص11-12.

[3]- الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 06و07هـ/12و13م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م، ص33.

[4]- عبد الرحمن بن مُحَّد الجيلالي، المرجع السابق، ص121.

[5]- مبارك بن مُحَّد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق وتص: مُحَّد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت،ج01، ص46.

من الغرب والجنوب الغربي ومن مصب نهر ملوية وهنين ودلس وحصن بكر وتامزيردكت عند مصب وادي بجاية (وادي الصومام) على ساحل البحر المتوسط إلى ورجلان وغرداية[2] أو بلاد مصعب الإباضية[3] وإقليم توات جنوبا وهي الحدود التي استمرت عليها الدولة الزيانية في أغلب الأحيان طوال وجودها[4]، خاصة في عهد أبي تاشفين الأول(718هـ-737هـ/1318م-1337م) ثم تقلصت في عهد خلفه إلى جبل الزان وأكفادو ووادي الصومام من الشرق[5]، وعليه فإن هذه الحدود لا تختلف كثيرا عن المجال الذي تشغله الجزائر الحالية.

بينما صاحب كتاب نزهة الأنظار فقد ذكر لنا بعض مدن المغرب الأوسط والتي هي بمثابة الحد الفاصل بينها وبين المغربين الأدنى على وجه الخصوص حيث قال: «وفيه من بلاد المغرب الأوسط تنس وبرشك وجزائر بني مزغنا وتدلس وبجاية وجيجل ومليانة والقلعة والمسيلة والغدير ومقرة ونقاوس وطبنة وقسنطينة وتبحس وباغية ودور مدين ودار ملول وميلة»[6].

وقد درس الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط خلال القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي الجغرافي الفريد المؤرخ الفرنسي"E.F.Gautier" وقال: «إنه حلقة من حلقات طريق رئيسي يمتد من

---

[1]- تمزيردكت: قصر في أعلى صخرة على الطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان بين صحراء أنكاد وإقليم هذه المدينة. يقول المؤرخون أنه أسس من طرف سكان البلاد لحماية هذه المدينة ويمر في السفح نهر ينحدر من جبل الأطلس ويصب في نهر أرشكول، و البلاد المحيطة صالحة جدا للقمح وفيها مزارع كثيرة يجوب فيها أعراب كثيرون كان ملوك تلمسان يقيمون حرسا قويا بهذه المدينة نظرا لأهميتها، لكن الأعراب استحوذوا عليها عند مجيء الأتراك وتركوها مدة طويلة خالية من السكان ولا يستعملونها إلا لخزن حبوبهم عند ذهابهم إلى الصحراء ثم حصنها الأتراك منذ ذلك الحين وأقاموا بها حامية. ينظر: مارمول كاربخال، كتاب إفريقيا، ج02، ص293.

[2]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002م، ج01، ص44.

[3] -Attallah Dhina, Le Royaume ABD-ELoadid à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1erAbou Tachfin 1er, office des publications universitaires, Alger, 1985, p19.

[4]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج01، ص45.

[5]- عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، ص29.

[6]- محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواوي ومُحَمَّد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1988م، مج01، ص51.

آشير إلى المدية إلى مليانة إلى الجزائر ثم يسير إلى مرسى هنين حتى يصل إلى آجرسيف[1] على نهر ملوية ومن هناك ينحدر إلى الجنوب فتكون تلمسان من أكبر محطاته»[2].

ويظهر من خلال كل هذه الإشارات التي ذكرها المؤرخون والجغرافيون أن الحدود السياسية للمغرب الأوسط لم تكن ثابتة ولم تضبط بصورة واضحة المعالم بسبب غياب الأمن والاستقرار في المنطقة.

الجدول 3: الحد الجغرافي للمغرب الأوسط من خلال المصادر الجغرافية:

الجغرافي	المجال– الإطار– الجغرافي–	المصدر والصفحة
البكري	أول من استخدم مصطلح المغرب الأوسط ككيان جغرافي لقوله: «تلمسان قاعدة المغرب الأوسط».	المصدر السابق، ص259.
الإدريسي	قام بتحديد أمصار هذا الإقليم حيث جعل بجاية مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد حماد.	المصدر السابق، ص ص15-178.
صاحب الاستبصار– مؤلف مجهول	يمتد المغرب الأوسط من وادي مجمع شرقا إلى بلاد تازا غربا ومن بحر الروم شمالا إلى مدينة تنزل بالصحراء جنوبا.	المصدر السابق، ص ص176-178.
ابن سعيد المغربي	جعل المغرب الأوسط في الإقليم الرابع وقسمه إلى جزأين (تلمسان وبجاية) حيت جعله يمتد من بجاية شرقا إلى تلمسان غربا.	المصدر السابق، ص 140.
أبو الفداء	يمتد من شرقي وهران إلى آخر حدود مملكة بجاية في الشرق مستثني تلمسان وجعلها تابعة للمغرب الأقصى.	المصدر السابق، ص122.
الحميري	تبنى رأي الإدريسي وجعل بجاية قاعدة المغرب الأوسط.	المصدر السابق، ص ص135-136.
الزهري	جعل المغرب الاوسط الصقع الثاني والذي يمتد من تازا غربا إلى قسنطينة شرقا.	المصدر السابق، ص ص107- 123.

[1]- آجرسيف: مدينة في أحواز تلمسان من أرض المغرب الكبيرة لها بساتين كثيرة وهي على نهر ملوية وهو نهر كبير من الأنهار المشهورة وكانت آجرسيف قرية كبيرة على النهر المذكور حتى خرج الملثمون من الصحراء فنزلوها ومدنوها وبنوا عليها سورا من طوب. ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، المصدر السابق، ص177. الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص34.

[2]- حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، ط01، 1407هـ/1987م، ص ص182-183.

التجاني	جعل بجاية وأحوازها تابعة لإفريقية سياسيا.	المصدر السابق، ص343.
الوزان	من وادي ملوية ووادي زا غربا إلى الوادي الكبير شرقا وصحراء نوميديا جنوبا.	المصدر السابق، ج02، ص07
مارمول كاربخال	من نهر ملوية غربا إلى مدينة جيجل في الشرق.	المصدر السابق، ج02،ص75.
أبو راس الناصر	من بجاية شرقا إلى وجدة غربا وإلى تيكورارين جنوبا.	المصدر السابق، ج01، ص ص11-12.

ورغم تباين أقوالهم في ضبط هذا الإطار الجغرافي بشكل محدد، إلا أن آراءهم مكنتنا من حصر دائرة البحث زمانيا ومكانيا.

02- العهد الزياني في المغرب الأوسط:

إنَّ القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي، هو بداية تحول سياسي لم تعد فيه سلطة مركزية واحدة قادرة على إخضاع القبائل المتفرقة، فكان الوضع يقتضي اقتسام القبائل تركة الموحدين لإقامة ملك فيها، وبالفعل نتج عن هذا التحول في الخريطة السياسية لبلاد المغرب قيام ثلاث دول أو سلط توزعت على جغرافيته كالآتي: سلطة بالمغرب الأوسط تمثلها قبيلة بني عبد الواد أو ما يعرف بالدولة الزيانية لاحقا، وسلطة بالمغرب الأدنى (إفريقية) ممثلة من قبل بني حفص، وسلطة بالمغرب الأقصى مثلتها قبيلة بني مرين.

أ- أصل دولة بنو عبد الواد (بنو زيان):

تنتمي هذه الدولة إلى قبيل بني عبد الواد[1] أحد بطون زناتة[1] البربرية[2]، وقد أطلق على بني عبد الواد هذا الاسم نسبة إلى جدهم الذي كان يتعبد مترهبا في واد فعرف بلقب عابد الوادي، وفي ذلك يقول الشاعر علي بنمُحَمَّد بن عبد الحق العقيلي:

[1]- عرف يحي بن خلدون بني عبد الواد بقول: «وهم فخذان أحدهما بنو عبد الواد وبهذا الاسم عرف الجميع تغليبا، وأصله عابد الوادي رهبانية عرف بها جدهم من ولد سجيج بن واسين بن يصلتين بن مسري بن زكيا بن ورسيج بن مادغيس الأبتر، ثم يواصل تعداد الآباء إلى معد بن عدنان، وعندها يكمل قوله: «والفخذ الثاني بنو القاسم من ولد إدريس بن إدريس، فكان القاسم هذا ممن أصحر بعد سقوط دولة الأدارسة وانضاف إلى قبيل بني عبد الواد فأكرموا نزله ومثواه فتزوج فيهم ونسل ذرية كثيرين». ينظر: يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص ص186-190. عبد الرحمان بن مُحَمَّد الجيلالي، المرجع السابق، ج02، ص114. مؤلف غير معروف، زهر البستان في دولة بني زيان، تح وتق: بوزيان الدراجي، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، ج02، ص13.

وَسَلْ بَنِي عَابِدِي الوَادِي غَدَاةَ عُتُّوا وَقَد أَتُو بِعَظِيمِ المكْرِ فِي الأَصْلِ

يطلق على هذه الدولة أسماء مختلفة الدولة العبد الوادية نسبة إلى بني عبد الواد، والدولة الزيانية نسبة إلى زيان بن ثابت بن مُحَمَّد من بني طاعالله[3] والد يغمراسن، ويقال أول من أطلق عليها هذا الاسم هو الاسم هو أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1382م)[4] ، وسميت هذه الدولة بدولة بني يغمراسن باعتباره أول مؤسس لها[5].

أمَّا بخصوص نسبهم وأجدادهم من بني القاسم فنلاحظ أن هناك اختلافا بين المؤرخين وبين السلاطين الزيانيين .

---

[1]- زناتة: قبيلة بترية أمازيغية عظيمة، يرى بعض المؤرخين أنهم ينحدرون من شخص يسمى (زانا أو جانا أو شانا) وتتفرع زناتة إلى فروع كثيرة لا تحصى، بحيث أضحى كل فرع منها يعادل قبيلة أو أكثر، وحتى عبد الرحمن بن خلدون فإنه يضعها في مرتبة جيل أي أكثر من مرتبة قبيلة بكثير لكثرتها وللهجتها التي تختلف فيما يبدو عن اللهجات الأمازيغية الأخرى والدليل على ذلك قول ابن خلدون: «وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها، وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر». ومواطن زناتة منتشرة عبر بلدان المغرب العربي كلها، إلا أنها اختصت بالمغرب الأوسط ونعني بها زناتة المسلمة المستعربة التي تأثرت تأثرا عميقا بالغزوة الهلالية، حيث غيروا مواطنهم كما غيروا أسلوبهم وخصالهم خلال القرن 07هـ فاستقروا في المنطقة الممتدة من وادي ملوية غربا إلى وادي شلف والزاب شرقا ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تيهرت جنوبا. وأهم ما تميزت به زناتة هي روح البداوة وحب الحرية والانطلاق في البراري، مثلها مثل قبائل الأعراب، وهم قوم رحالة ظواعن ينتجعون من مكان إلى مكان غيره. ينظر: زهر البستان، مؤلف مجهول، ص14. ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، تق وتح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط01، 1421هـ/2001م، ص04. مُحَمَّد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص21.

[2]- البربر: اسم أطلقه اليونان على سكان شمال إفريقيا، واختلفت المصادر في أصلهم، منها ما قال أنهم من فلسطين من نسل جالوت، ومنها ما قال أنهم من قبيلة حمير في اليمن، انقسم البربر إلى بربر البتر (البدو) وبربر البرانس (الحضر)، وتعتبر قبيلة زناتة من أكبر القبائل البربرية البترية، تنسب إلى زانا بن جانا بن يحيى سكنت المغرب الأوسط والأدنى، واختلف في نسبهم ما بين جالوت من فلسطين إلى قبيلة حمير في اليمن. ينظر ابن خلدون، العبر، ج6، ص49، ج07، ص753. الدراجي، نظم الحكم، في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، ص23. مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ص185-186.

[3]- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج02، ص439.

[4]- أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، د.ط، د.ت، ص198. الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج02، ص182.

[5]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج01، ص30.

الجدول 4: يمثل نسب بنو عبد الواد (الزيانيين):

المؤرخ/ السلطان	الموقف من النسب	المصدر/ المرجع
يحي بن خلدون	اعتبر أن الزيانيين يعودون في نسبهم وأصلهم إلى الأدارسة قائلا: «بنو القاسم من ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب».	يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص190.
مُحَمَّد بن عبد الله التنسي	أيَّد يحي بن خلدون في نسب الزيانيين قائلا: «والقاسم جد أمير المؤمنين اتفق النساب على أنَّه من ولد عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ولكن اختلفوا في طريق اتصاله به».	مُحَمَّد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص110.
عبد الرحمن بن خلدون	رفض نسبهم إلى الأدارسة قائلا: «ويزعم بنو القاسم هؤلاء أنهم من أولاد القاسم بن إدريس ... زعما لا مستند له إلاَّ باتفاق بين بني القاسم هؤلاء عليه مع أن البادية بعدا عن معرفة الأنساب».	ابن خلدون، العبر، ج07، ص72.
يغمراسن بن زيان	لم يول لهذا الانتماء أهمية قائلا: «إن كان هذا صحيحا، فينفعنا عند الله، وأما الدنيا فإن نلناها بسيوفنا»	عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07،ص72.
أبو حمو موسى الثاني	أصبح يخاطب وينادى بذلك قائلا: وَالمُنْتَمِي العَلَوِيُّ عَطْفُكَ لَمْ تَكُنْ تَرَى دَخِيلًا فِي نَبِيه دَسِيا بَيْتُ البَتُولِ وَمَنْبَتُ الشَّرَفِ الَّذي تَحْمِي المَلَائِكُ رُوحَه المَغْرُوساً وقال عنه: كما قالَ جده عَلي بن أبي طالب، وقال وجبت خلافته الهاشمية.	يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص186. ج02، ص ص08-09.
أبي عبد الله مُحَمَّد المتوكل	منح التنسي السلطان أوصافا تعيده إلى البيت الهاشمي قائلا: «أبواه هاشميان، إلاَّ علي بن أبي طالب، والأمين بن الرشيد، فمولانا ثالثهما في هذه الخاصية الشريفة»	التنسي، المصدر السابق، ص256.

إنَّ هذا الاختلاف في قضية النسب الشريف تأرجحت بين التأييد والصمت والرفض وخاصة في بداية عهودهم، ثم سرعان ما تغيرت مع مرور الزمن بسبب الظروف الصعبة التي مرت بها الدولة الزيانية، مما اضطر السلاطين إلى استخدام هذه الفكرة لأجل كسب تأييد ونصرة الرعية ومحاربة الأعداء.

ب- قيام دولة بني عبد الواد:

شهد النصف الأول من القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي مولد دولة بني زيان على مسرح الأحداث، حيث كانوا قبل هذا التاريخ يعيشون حياة الترحال وينتجعون المراعي الخصبة ويترددون على المناطق التي تقع ما بين فجيج وجبل راشد[1].

ولما وصل الموحدون بقيادة عبد المؤمن بن علي (524-558هـ/1130م-1163م) إلى ديار المغرب الأوسط اعترضتهم زناتة وفي مقدمتهم بنو عبد الواد فكانت بينهم حروب مشهورة[2].

وعلى إثر ذلك انحاش بنو عبد الواد انحياشا إلى الموحدين، وأصبحوا من أخلص قبائل زناتة ولاء لهم وانصياعا لأوامرهم[3]، فاتخذوهم أنصارا وحماة[4]، خاصة بعدا أطلقوا أيديهم على الأراضي الواقعة في إقليم وهران وأحواز تلمسان من البطحاء شرقا إلى نهر ملوية غربا[5] مكافأة لموقفهم ومساعدتهم في حروبهم ضد القبائل المعارضة.

لقد كان دخول بنو عبد الواد تلمسان تحت إمرة جابر بن يوسف[6] بعد أن استولى عليها سنة (627هـ/1229)، حيث كان أكثر كياسة وفطنة في استمرار علاقته الحسنة بالموحدين فظل الخليفة الموحدي يذكر على منابر تلمسان ويدعو له لمدة ستة أشهر باعتبار أن الدولة لا تزال في مهدها[7]، وبعد وفاة جابر آلت الإمارة إلى ابنه الحسن(629هـ/1231م)، إلاَّ أنه تخلى عن مركزه بعد ستة

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص148، ويقول أنهم عاشوا في المغرب الأوسط "متغلبين عليه عامة الأزمان"، العبر، ج07، ص72.

[2]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج01، ص30.

[3]- المرجع نفسه، ص ص14-15.

[4]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص198.

[5]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج01، ص15.

[6]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج02، ص439.

[7]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة المدبولي، القاهرة، مصر، ط01، 1414هـ/1994م، مج05، ص113.

أشهر لعمه عثمان(630هـ-631هـ/1232-1233م)[1]، وحسب ابن خلدون «أنه تخلى عن منصبه بسبب ضعف على الأمر»[2] ثم إلى ابن عمه زيدان بن زيان (631هـ-633هـ/1233م-1235م) واصطدم هذا الأخير بمعارضة قوية من بعض عناصر قبيلته، فحاربهم ولكنه قتل أثناء معركة دارت رحاها خارج تلمسان(633هـ/1235م)[3]، فخلفه أخوه الأمير الشاب يغمراسن[4] الذي بويع بتلمسان يوم الأحد 21 من ذي القعدة عام (633هـ/1235م)[5]، حيث كان أعظم فرسان عصره وقد وصفه ابن الخطيب في منظومته رقم الحلل بالأبيات التالية:

أَوُلُ أَملاَكهُمْ يغْمُورْ ... لَيثَ الثَرى والبطَل
تثْني عليه حومةُ الميدان ... ما لامرئ ببأْسه يُدانُ
لاقى الجموع من بني مرين ... كالليثَ حْمي جانب العرين[6]

حيث متن صلاته ببني يلومي وبني ومانو بوادي مينة وحوض غليزان[7]، وقام بتنظيم شؤون دولته على قبيلة بني عبد الواد فاعتنى بتكوين الجيش وعين الوزراء وأعلن استقلاله على دولة الموحدين[8] دون قطع كل علاقة مع الخليفة الموحدي بمراكش، قال ابن خلدون: «ومحا يغمراسن آثار

---

[1]- بسام كامل عبد الرازق شقدان، تلمسان في العهد الزياني، ص62.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص74.

[3]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني-حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م، ص ص12-13.

[4]- يغمراسن بن زيان: يعد أبو يحيى يغمراسن وقد سمي يغمور وهو ابن زيان بن ثابت بن مُحَمَّد بن زكدان بن تيدوكين بن طاع الله بن علي بن يمل بن فزقين بن القاسم من أشد سلاطين بني زيان حرصا على علاقته بقبائل المغرب الأوسط وأعرفهم بمصالح قومه وعشيرته، أوضح للخلافة الحسنية الأثار، ورفع لمن ضل عن السبيل، فابتهج الدهر بوجوده، وأسر من فلك اليمن نجم سعوده. فأحسن السيرة مع الرعية واستكثر من العشيرة واستمال أغلب القبائل العربية إلى جانبه خاصة بعدما قضى على السعيد الموحدي بجبل جنوب وجدة سنة 646هـ ومن تم بدأت الدولة العبد الوادية تشكل قوة يعتد بها إلى أن توفي يوم الاثنين 29 من ذي القعدة عام 681هـ برهيو من وادي شلف وكتمت بطانته وفاته حتى وصلت يسر من أحواز تلمسان فأعلنتها وبويع ابنه أبو سعيد عثمان، توفي وله 81 سنة وكانت دولته 50 سنة و05 أشهر. ينظر: مُحَمَّد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تح: محمود أغا= =بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص115. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج01، ص21. عبد الحميد حاجيات، أبو حمو حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م، ص13. إسماعيل بن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، مطبوعات القصر الملكي، الرباط، المغرب، 1382هـ/1962م، ص45. محمود مقديش، نزهة الأنظار. ج01، ص533.

[5]- إسماعيل بن الأحمر، روضة النسرين، ص45.

[6]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[7]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ج01، ص ص220-221.

[8]- عمور عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2002م، ص79.

الدولة المومنية، وعطل من الأمر والنهي دستها، ولم يترك من رسوم دولتهم وألقاب ملكهم إلاّ الدعاء على منابره للخليفة بمراكش»[1].

إنَّ هذا التقارب بين يغمراسن وآل عبد المؤمن في مراكش هو نوع من الذكاء والمناورة حتى يأمن شرهم ومكرهم من جهة[2] والوقوف في وجه بني مرين الذين كانوا خطرا على كلتا الدولتين من جهة ثانية[3]، ومن الشرق بنو حفص بتونس يزعمونّ أنهم ورثة الموحدين، وأن لهم الحق في بسط نفوذهم على المغرب الأوسط، والقبائل العربية تسيطر على وديان الساحل الشمالي للمغرب الأوسط[4].

أمام هذه الصعوبات الداخلية والأخطار التي كانت تحدق ببلاد المغرب الأوسط شرق وغربا ظل بنو عبد الواد متمسكين بالبيعة للرشيد بن المأمون الموحدي (624هـ-630هـ/1227م-1232م)[5]، [5]، إلى أن حدث ذلك الزحف من قبل علي السعيد الموحدي[6] (640هـ-646هـ/1242م-1248م) بجيش قوي فتصادم الجيشان، وتمكن يغمراسن المحاصر بقلعة تمزيردكت[7] من أحواز تلمسان من

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج06، ص ص162-163.

[2]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص114.

[3]- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج07، ص164.

[4]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1999م، ص787.

[5]- يقول المراكشي: بايع أصحاب المأمون ولده الصبي أبا مُحَّد عبد الواحد ولقبوه بالرشيد واستمرت المعارك ناشبة بين المعتصم وابن عمه الرشيد حتى مات المعتصم في رمضان سنة 633هـ ثم مات الرشيد غريقا في جمادى الأخرة سنة 640هـ. ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص417-418، ويذكر التنسي مؤرخ بني زيان بأن الرشيد هو الذي بعث ليغمراسن بهدية ثمينة يأمل من خلالها في الإبقاء على ذكر اسمه على المنابر والدعاء له يوم الجمعة، غير أن يغمراسن رفض، لكن يبدو أن هذا التصرف مستبعد لأن يغمراسن كان في بداية الطريق والحاكم الشرعي حينذاك هو خليفة مراكش. ينظر: التنسي، نظم الدر، ص116.

[6]- علي السعيد الموحدي: هو أمير المؤمنين علي بن إدريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي، أمه ولد نوبية، كنيته أبو الحسن، لقبه السعيد، وسمي بالمعتصم، صفته أسمر اللون شديد السمرة، تام القد، ورث عن والده العزم والصرامة والطبع العنيف، وعن أمه المنتمية للجنس الأسود قصر النظر والسذاجة وأنه مغفل ضعيف التدبير. ينظر: علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972م، ص256. أمبروسيو هويثي ميراندا، المرجع السابق، ص521. ابن خلدون، العبر، ج07، ص73.

[7]-تمزيردكت: يطلق الحسن الوزان على هذا الحص قصر بينما يسميه التنسي حصن تامزيرديت، أما صاحب البغية فيذكرها بجبل تمرجريت ويقع جنوب وجدة بنحو 20كلم، وكذلك سماه صاحب الذخيرة السنية تامزجردت، وهي كلها متشابهة تدل على معنى واحد. ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج02، ص11. التنسي، نظم الدرر، ص118. يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص206. عبد

هزمهم وقتل السعيد (يوم الثلاثاء متم صفر عام 646هـ الموافق لـ 23 يونيو 1248م)ولم يكن الخليفة قد تجاوز الثلاثين عاما، حكم منها خمسة أعوام وثمانية أشهر وواحدا وعشرين يوما[1].

ورغم هذا الانتصار العسكري، إلاّ أنّ يغمراسن استطاع بطريق السلم أحيانا وبطريق الحرب أحيانا أخرى أن يكون قوة قبلية عشائرية ذات كيان سياسي محدود ومحصور بين قوى مناوئة له (الحفصيين من الشرق والمرينيين من الغرب والقبائل العربية والزناتية من جهة أخرى)، إلاّ أنه بفضل ذكائه استطاع خلال الخمسين عاما من حكمه أن يغير معالم دولته وصورتها الخاصة من النمط البدوي إلى النمط الحضري أو دولة بمفهومها العصري، وذات إمكانيات طبيعية هائلة أهلتها لتحافظ على وجودها لمدة تجاوزت ثلاثة قرون رغم الصراع المرير الذي خاضته مع أعدائها في الداخل والخارج، وعليه نطرح التساؤل التالي: فيم تكمن هذه الموارد الطبيعية لبلاد المغرب الأوسط؟

03- المكونات الجغرافية للمغرب الأوسط:

إنّ دراسة الحياة الاقتصادية لمجتمع ما تتطلب الإحاطة بالبيئة الجغرافية لذلك المجتمع ونوعية العناصر البشرية التي يتكون منها لأن العملية الاقتصادية هي تفاعل الإنسان مع بيئته ودرجة سيطرة الإنسان على الطبيعة بالزراعة أو الصناعة والتغلب على نواقص البيئة أو استثمار فائضها بالتجارة، تحدد حال اقتصاده فقرا أو غنى، حركة أو جمودا ولهذا فدراسة المكونات الجغرافية للمغرب الأوسط ليس مدخلا ضروريا لمعرفة الظاهرة الاقتصادية فيه مثل هذه الدراسة جزء عضوي لا ينفصل عنها.

وعليه فإن المغرب الأوسط يشتمل على أربعة مناطق طبيعية تختلف عن بعضها اختلافا كبيرا هي:

أولا: الساحل[2]. ثانيا: التل[3]. ثالثا: النجود أو الهضاب[1]. رابعا: الصحراء[2].

الله بن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، اعتنى بنشره محمّد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، 1339هـ/1920م، ص78.

[1]- أمبروسيو هويثي ميراندا، المرجع السابق، ص521.

[2]- الساحل: هو شاطئ البحر أو النهر. وفي القرآن الكريم قال تعالى: ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ سورة طه، الآية 38.

[3]- التل: بفتح التاء كلمة عربية عتيقة، جمعها تلال وتلول وهي تطلق على كل مرتفع من الأرض. فالتل الجزائري هو سلسلة الأطلس التي تشرف على البحر من وراء الساحل الجزائري وتنحدر أحيانا حتى مياه البحر المتوسط. ينظر: أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، الجزائر، 1948م، ص12.

وسندرس كل قسم من هذه الأقسام فيما يلي:

أولا: الساحل:

هو الشريط المطل مباشرة على البحر الأبيض المتوسط.

– الساحل الشرقي: يمتد من حد إفريقية إلى مدينة بجاية وهو ساحل قليل الصخور كثير السهول واسع الغنى، فيه تعاريج وكثير الخلجان وغني بالعيون مثل خليج بجاية.

– الساحل الأوسط يمتد من مدينة بجاية إلى مدينة دلس[3] وهو دون الساحل الشرقي جمالا وغنى وليس به من تعاريج أو خلجان أو نتوء، ولم تستقر به مدينة من المدن الكبرى أو مرسى ذو شأن.

– الساحل الغربي: يبتدأ عند مدينة دلس ويستمر حتى الحد المغربي في انحدار متواصل على مسافة 600 كيلومتر حيث يضم أشهر المدن والمراسي مثل مدينة جزائر بني مزغنة ومرسى وهران وهنين وغيرها من المدن والمراسي الأخرى.

يتميز هذا القسم من الساحل عن غيره من الأقسام الأخرى أنه ليس كثير الرؤوس مثل رأس تنس[4].

---

[1]– النجود أو الهضاب: توجد عدة أوجه شبه بين الهضاب وكل من السهول والجبال كما توجد أوجه اختلاف ظاهرة بين الهضاب من ناحية والسهول أو الجبال من ناحية أخرى، فالهضاب تشبه السهول في استواء سطحها ولكنها تشبه الجبال في ارتفاعها وهي تختلف عن السهول في وجود بعض المرتفعات التي تعلو سطحها أحيانا وإلى جانب وجود انحدارات وميول حادة عند أطراف الهضاب ونهاياتها ولكن الهضاب تختلف عن الجبال في أن تضاريسها تتباين في ارتفاعاتها بمئات الأمتار بينما ترتفع هذه الفروق في المناطق الجبلية إلى ما يصل إلى عدة آلاف من الأمتار أحيانا. وقد يرجع استواء سطح الهضاب إلى أن الصخور التي تشكلها عبارة عن صخور في وضع أفقي أو لأن عوامل النحت والتعرية سوت تلك السطوح سواء بواسطة المياه الجارية كالأنهار أو الرياح في المناطق الجافة. ينظر: أحمد علي إسماعيل، الجغرافية العامة–موضوعات مختارة–، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1996/1995م، ص72.

[2]– الصحراء: هي الفضاء الواسع لا نبات فيه. ينظر: مُحَّد عمارة، المرجع السابق، ص326.

[3]– دلس: وتسمى كذلك تدلس وهي آخر مدينة في إقليم الجزائر من جهة الشرق، بناها السكان الأصليون على ساحل البحر المتوسط على بعد عشرة فراسخ من مدينة الجزائر وبنحو تسعة وثلاثين ميلا من شاطئ البحر المتوسط. جعلها بطليموس عند اثنين وعشرين درجة طولا واثنين وثلاثين درجة وخمسين دقيقة عرضا تحيط بها أسوار قديمة ومتينة وهي تتبع دائما عاصمة الجزائر في كل شيء حكومة وإمارة. ينظر: مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص372 والحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص42.

[4]– أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، الجزائر، ص08، ص09، ص11.

تنس: مدينة أزلية قديمة بناها الأفارقة في منحدر جبل على مسافة قريبة من البحر المتوسط يحيط بها سور وكانت دائما خاضعة لملك تلمسان. ينظر: الوزان، المصدر السابق، ص ص35–36.

لقد استطاع العديد من الجغرافيين أن يقدموا لنا صورة واضحة حول الواجهة البحرية لبلاد المغرب عموما وبلاد المغرب الأوسط خصوصا ومن بينهم ابن حوقل إذ يعتبر شاهد عيان على واقع هذه المراسي، فقد تكلم عن المراسي وأطنب في مميزاتها وخصائصها راسما خريطتها الجغرافية وفي وصفه للمراسي يقول: «وهذه جملة أحوال المدن المشهورة والمراسي والقرى المعروفة على نحو بحر المغرب من حد برقة إلى البحر المحيط مما انتهيت إليه وأ دركته بالعيان أو أخذته عمن نشأ فيه»[1]، ومن أشهر مراسي المغرب الأوسط هي:

الجدول 5: يمثل أشهر مراسي المغرب الأوسط:

اسم المرسى	مميزاته	المصدر/المرجع
مرسى الخزر	ومن مرسى الخزر إلى طبرقة أربعة وعشرون ميلا كما يبعد عن بونة مسافة مرحلة خفيفة. وعن القيروان قدرت المسافة بينهما بثلاثة مراحل.	الإدريسي ، المصدر السابق، ج02، ص ص291-299. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص197.
ميناء عنابة	يطلق عليه اسم الأزقاق وهو من المراسي المشهورة، والأزقاق اسم خليج بونة يحد غربا رأس الحمراء وشرقا رأس بوفحل ويتكون ميناء بونة من ثلاثة مراسي.	صاحب الاستبصار، المصدر السابق، ص127. البكري، المصدر السابق، ج02، ص87.
مرسى القل	ومن القل إلى آستورة عشرون ميلا. وذكرها صاحب الاستبصار بقوله: «وهي على ضفة البحر وهي مرسى مدينة القسطنطينة».	الإدريسي، المصدر نفسه، ص274. صاحب الاستبصار، ص 127.
مرسى تكوش	مرسى مأمون فيه قرى كثيرة يتصل به جبل كثير الفواكه	البكري، المصدر نفسه، ص269.
مرسى جيجل	هي مدينة على ضفة البحر والبحر يحيط بها ولها ربض.	اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، البلدان، ط01، تح مُحَمَّد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية بيروت، 2002م، ص190.

[1]- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، ط02، دار صادر، بيروت، 1938م، ص83.

ميناء جزائر بني مزغنة	وجزائر بني مزغناي مدينة عليها سور على رصيف البحر	ابن حوقل، المصدر نفسه، ص88
مرسى الدجاج	مدينة عليها سور منيع على نحر البحر وفي شفيره وليس لها مرسى مأمون. أمَّا البكري فوصفه بأنه مرفأ غير مأمون لضيقه وقرب قعره	ابن حوقل، نفسه، ص76. البكري، نفسه، ص246.
ميناء بجاية	هي مدينة على سفح جبل كبير ينظر إلى البحر على بعد ثلاثين ميلا شرقي الجزائر.	مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص327.
المرسى الكبير	ميناء على ساحل البحر المتوسط بعيدة ببضعة أميال عن وهران ويراها ابن حوقل أنَّها أكبر الموانئ بقوله: ما أظن في دنيا أكبر منه.	حسن الوزان، المصدر السابق، ص35.
ميناء تنس	هي في منتصف الطريق بين وهران والجزائر تبعد عن كل منهما بثلاثين فرسخا.	مارمول كاربخال، المصدر نفسه، ص359.
ميناء هنين	المسافة من وهران إلى هنين ثلاثة وثلاثون ميلا. ويقول ابن حوقل أنَّ لها ميناء صغيرا محروسا ببرجين كل منهما في جهة وتحيط بها أسوار عالية متينة لا سيما من جهة البحر.	الأصطخري، بن إسحاق إبراهيم بن مُحَمَّد الفارسي المعروف بالكرخي، المسالك والممالك، تج مُحَمَّد جابر عبد العال الحسيني، القاهرة، دار القلم، 1961م، ص37. حسن الوزان، المصدر السابق، ص15.

إضافة إلى وجود مراس أخرى مثل: مرسى عين فروج بينه وبين وهران في البر أربعون ميلا، ومرسى قصر الفلوس ومرسى مغيلة وشرشال ومرسى البطال وغيرها من المراسي المنتشرة على طول الساحل، حيث اختلفت مواقعها ومساحتها وتنوعت أدوارها بين مراس شتوية وصيفية ومراس مأمونة وغير مأمونة[1].

ثانيا: التل:

[1]- البكري، المصدر السابق، ص ص81-82.

يضم عدة سلاسل جبلية تمتد من أقصى شرق البلاد إلى غربها[1] موازية للساحل بوجه عام تتراءى هذه السلاسل متصلة مع أنها منفصلة[2] ومعدل ارتفاعها يتجاوز 900متر[3] ويمكن تحديد هذه السلاسل على النحو الآتي:

- جبل بني يزناسن: على بعد 50ميلا[4] غربي تلمسان. طوله 25 ميلا وعرضه 15 ميلا وهو شديد الوعورة والارتفاع.[5]

- جبل تارني: يقع جنوب تلمسان يتصل بقلعة ابن الجاهل وهي قلعة منيعة كثيرة الثمار وهو وما وما يليه جبال معمورة إلى مدينة تيزيل وهي أول الصحراء[6].

- جبل البغل: يقع شمال تلمسان وينبعث من أسفله نهر سطفسيف ويصب في بركة عظيمة[7].

- جبل جيدر: يقع في قرية لازداجة وهي على خمسة وعشرون مرحلة على وهران وبه عين عذبة[8].

- جبل جزول: وهو الجبل الذي تتمركز على سفحه مدينة تيهرت[9].

- جبل مطغرة: جبل شاهق جدا شديد البرودة يبعد بنحو 06 أميال عن ندرومة[1]. يسميه صاحب كتاب تقويم البلدان بمدغرة وهو يقع شرق جبال مديونة ومعظم أهل هذا الجبل كومية قبيل عبد المؤمن بن علي وفي شرق هذه الجبال جبال يسر وفي شرقيها جبال ونشريس[2].

---

[1]- أحمد توفيق مدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، محرم1350هـ، ص ص7-8.

[2]- عز الدين عمر أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي في القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي، رسالة دكتوراه في التاريخ، بيروت، لبنان، أكتوبر 1975، ص48.

[3]- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب مُحَّد مزالي والبشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011م، ص.ص08-09.

[4]- الميل يساوي 1,851 متر. ينظر: الحسن الوزان، كتاب وصف إفريقيا، ج02، ص24.

[5]- المصدر نفسه، ج02، ص43.

[6]- البكري، المصدر السابق، ص76.

[7]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[8]- المصدر نفسه، ص69.

[9]- المصدر نفسه، ص71.

- جبل الصخرتين: يوجد بتلمسان وينبع منه واد يمر شرقي المدينة وعليه أرحاء كثيرة[3].

- جبل تاقريست: والذي توجد به قلعة بني حماد وأعلى هذا الجبل متصل ببسيط من الأرض ومنه ملكت القلعة وبه عقارب سود كثيرة تقتل في الحال[4].

- جبل عجيسة: بالقرب من مدينة المسيلة وبه العديد من البساتين الخضراء[5].

- جبل أرزاو: بالقرب من مدينة تنس وهو غني بالمعادن كالحديد والزئبق[6].

- جبل ولهاصة: يجاور مدينة هنين[7].

- جبل أغبال: سكانه خاضعون لحكومة مدينة ندرومة[8].

- جبل بني ورنيد: يقع على بعد نحو 03 أميال من تلمسان[9].

- جبل مغراوة: يمتد على طول نحو 40 ميلا محاذيا شاطئ البحر المتوسط وقريبا من مدينة مستغانم[10].

- جبل بني بوسعيد: يجاور هذا الجبل مدينة تنس[11].

---

[1]- المصدر نفسه، ص43.

[2]- أبو الفدا، المصدر السابق، ص123.

[3]- محمود مقديش، المرجع السابق، ص75.

[4]- محمود مقديش، المرجع السابق، ص ص81-82.

[5]- البكري، المصدر السابق، ص59.

[6]- المصدر نفسه، ص60..

[7]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص44.

[8]- المصدر نفسه، ص44.

[9]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[10]- المصدر نفسه، ص45.

[11]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

– جبل ونشريس: جبل تسكنه قبيلة نبيلة وسكانه حاربوا ملوك تلمسان ويعرف سكانه ببنو توجين الزناتيون[1] مثل مطماطة وكتامة وزواوة وغيرهم وطول هذا الجبل أربعة أيام وينتهي طرفه إلى القرب من تيهرت[2].

– جبل بني جبير: يعتبر أعظم جبال سلسلة بجاية يبعد عنها بثمانية فراسخ، عرضه عشرة فراسخ وطوله يزيد عن هذا القدر وهو جبل عال وعر تنبت في جناته العديد من الأشجار[3].

– جبل بني عباس: جبل عال وعر شديد الانحدار متصل بالأطلس الكبير يقع على بعد خمسة عشر فرسخا من بجاية من جهة الغرب والجنوب، ويبعد عن مدينة كوكو بأربعة فراسخ، ينتج قليلا من الحنطة ولا زيت به على الإطلاق[4].

– جبل فاساس: هو جبل شامخ بالقرب من مدينة باغاية وجبل الأوراس[5].

– جبل يعرب بزيغيري: يقع في الطريق إلى بسكرة ويوجد في وسطه كهف[6].

– جبال قسنطينة: تكتظ شمالا وغربا بجبال لا تحصى تمتد من ثخوم بجاية وتمتد على طول البحر حتى قرب عنابة[7]. تزيد عن خمسة وأربعين فرسخا فهي إذاً جبال كثيرة العدد ولكنها تحمل كلها أسماء القبائل التي تسكنها من برابرة وزواوة وأرضها طيبة رائقة كثيرة الزرع والمواشي[8].

– جبال الأوراس: هي عبارة عن كتلة جبلية شاهقة تقع على بعد نحو ثمانين ميلا من بجاية وستين ميلا من قسنطينة تتاخم جنوبا صحراء نوميديا وشمالا بلاد المسيلة وسطيف ونكاوس

---

[1]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2]– الحميري، المصدر السابق، ص600.

[3]– مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص384.

[4]– كاربخال، المصدر السابق، ص385.

[5]– المصدر نفسه الصفحة نفسها.

[6]– البكري ، المصدر السابق ، ص ص50–53.

[7]– البكري، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[8]– مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص ص15–16.

وقسنطينة[1]، ويقال أنه قطعة متصلة من جبل درن بالمغرب الأقصى، محني الأطراف وطوله نحو من اثنى عشر ميلا[2]، وهو غير متصل بالجبال الأخرى بالرغم من كونه جزءا من الأطلس الكبير وسكانه متوحشون لا يسعدهم غير قطع الطرق وقتل المارة[3].

– جبل سحاو: يبعد بثمانية أميال عن حصن كلديس وهو من أعظم الجبال علوا وأسماها ارتفاعا وأصعبها مسلكا وعلى أعلاها حصن ويصعد إلى أعلاه نحو من خمسة أميال ويسار في أعلاه أيضا نحو من ثلاثة أميال وينحدر منه إلى أسفل واد هناك يسمى وادي شال وهو جبل تخترقه مياه عذبة.

– جبال ترارة: ترارة جبل عالي وعر وقريب من مدينة هنين[4] وتوجد به بعض المناجم كالحديد[5].

– جبل مسينون: يقع شمال بجاية وهو سامي العلو، صعب المرتقى وفي أكنافه جمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل الأفستين وغير ذلك من الحشائش، وهو جبل عظيم قد ذهب في الجو وخرج في البحر وفيه مياه سائحة وعيون كثيرة[6].

– وهناك سلاسل جبلية أخرى مثلك جبال تاوردت وجبل الطماطة وجبل قصر عطية: تتميز بتباين ارتفاعها وتنوع نباتاها[1].

---

[1]– البكري، المصدر السابق، ص ص50–53.

[2]– محمود مقديش، المرجع السابق، ص96.

[3]– مارمول كاربخال، المصدر نفسه، ص390.

[4]– هنين: مدينة ساحلية وبوابة تلمسان على البحر، عرفت بعدة تسميات: أهناين، وهن، هن، هنين، هذا الأخير هو الاسم الرسمي القائم لحد الساعة، ويحتازها واديان هما واد هنين الذي يعبرها من جهة الشرق وواد مسايب أو واد ريغو الذي يعبرها من جهة الغرب. انظر عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر، المصدر السابق، ج01، ص76، ج06، ص166، ج7، ص ص121–156 وهي بلدة نضيرة لا كبيرة ولا صغيرة جميلة المنظر، موضوعة أسفل جبلين بين بحر وشجر، يخفضها ارتفاع قلعة، دار صنعة وأسواق موفورة ومساجد معمورة ولقربها من الأندلس هي مذكورة. ينظر: خالد بن عيسى بن أحمد البلوي (ت767هـ)، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق –الرحلة الحجازية–، تح و تق: الحسن بن محمد السائح، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، دط، د.ت، ج01، ص148.
Abderrahmane Khalifa , Honaine à travers ses mouvements, catalogue national sur Honaine passé et présent, Université Oran, Février 1985, P 16.

[5]– مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص352.

[6]– الحميري، المصدر السابق، ص80.

– جبل تاجرا: بالقرب من مدينة ندرومة وهنين وهي منشأ عبد المؤمن بن علي وقبيلة كومية، يبعد عن البحر بعشرة أميال[2].

– جبل هيدور: جبل بوهران استوطنته قبائل بني عامر من ضواحي تلمسان[3].

– جبل تامروت: يقع في مدينة ميلة وبه عين تعرف بعين أبي السباع[4].

– جبل العنصل:[5] يقع في ميلة وهو أخصب البقاع فيه جميع الفواكه من التفاح والسفرجل والأعناب الكثيرة[6].

أما اليوم فأصبحت تعرف هذه الجبال القريبة من الساحل بسلاسل جبال الأطلس التلي وتختلف باختلاف القبائل المجاورة لها ففي كل مكان يطلق اسم خاص على جبل تلك السلسلتين:

ففي جبال الأطلس التلي نجد جبل تنوشفي بجهات تلمسان ارتفاعه 2680 ذراعا، جبال الضاية، جبال ونشريس ما بين وادي مينة ونهر واصل أعلاها جبل عين الدنيا ارتفاعه 3070 ذراعا[7]، سلسلة جبال بني إسماعيل (بني صميل) الواقعة شرق تلمسان وهي عبارة عن سلسلة تتألف من اثنى عشرة قمة تدعى الاثنا عشرة رسولا وتظهر من بعيد كأنها أشباح عظيمة جالسة وهي تنظر إلى جنوب تلمسان[8].

هذا الوضع الطبيعي الممتاز هو الذي جعل يحي بن خلدون مؤرخ بني عبد الواد يقول عن تلمسان: «اقتعدت بسفح جبل ودون رأسه ببسط أطول من شرق إلى غرب عروسا فوق منصة

---

[1]– محمود مقديش، المرجع السابق، ص85، ص86، ص92، ص94، ص95، ص96.

[2]– الحميري، المصدر السابق، ص572.

[3]– أبو راس الناصري، المرجع السابق، ج01، ص71.

[4]– الحميري، المصدر السابق، ص569.

[5]– جبل العنصل: يعرف اليوم بجبل بني زلدوي وهم قبيل كبير من البربر سكنوا ذلك الجبل. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص569.

[6]– المصدر نفسه، ص569.

[7]– مبارك الميلي، المرجع السابق، ص49.

[8]– الحاج مُحَمَّد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001م، ج01، ص30.

والشماريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الجبين تطل منه على فحص أفيح معد للفلاحة»[1]. وهذه السلسلة من الجبال المشرفة على المدينة كلها مكسوة بغابات من الصنوبر ذلك الشجر الدائم الاخضرار الذي يزيد المدينة بهاء وجمالا بمنظره الخلاب[2].

ثم في الجهة الشرقية والوسطى نجد في الساحل جبال إيدوغ المشرفة على عنابة يبلغ ارتفاعه ميلا وجبال مجردة على الحد التونسي، جبال الرحمن وهي ما بين مرسى الزيتونة شرق مرسى جيجل ومرسى القل قال البكري: «وهو كثير الثمار والأنهار ويسكنه قبائل من كتامة وغيرها وفيه مزارع كثيرة ومراع مربعة ومنه يحمل عمود الخرط إلى إفريقية وما والاها وفيه أسواق كثيرة ومراس». ثم جبال البابور شمالا يقرب بعضها من ميلين، وبعدها كتل الجبال الكبرى جرجرة شمالا ارتفاعها ميلان وستمائة وست عشرة ذراعا، جبال سور الغزلان يبلغ بعضها 3600 ذراعا والبيبان جنوبا ثم جبال ديرا وفوقها جبال تيطري (3200 ذراعا) وفي شمالها الغربي جبال البليدة[3] مثل جبال متيجة التي يصل علوها إلى1400 متر[4]، وبعد انقطاع صغير جبال الونشريس ثم جبال سعيدة ثم جبال الضاية وأخيرا جبال تلمسان وفوقها جبال تسالة[5].

تتفرع عن جبال الأطلس التلي سهول كثيرة هي أبدع جهات المنطقة، حيث ينفسح إلى جانب البحر سهول عديدة أهمها: سهول عنابة وسهول وهران وسهل حمزة بوطن القبائل وسهول متيجة[6] والتي كانت تعرف قديما بقزرونة وهو أخصب سهول الجزائر واقع بين ساحل الجزائر شمالا ووطن القبائل شرقا وجبال البليدة ومليانة جنوبا[7] ويبلغ طوله خمسة وأربعون ميلا وعرضه ستة وثلاثون ميلا

[1]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص09.

[2]- الحاج مُحَمَّد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص31.

[3]- أحمد توفيق مدني، المرجع السابق، ص163. عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص49.

[4]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص08-09.

[5]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص163.

[6]- المرجع نفسه، ص164. عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص52.

[7]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع نفسه، ص52.

وينبت القمح الجيد بكثرة[1]، وهو امتداد طبيعي لسهل وهران وتفصل بينهما فقط منطقة جبلية قرب مليانة تسمى زكار.

أما المنطقة الواقعة وراء الساحل فهي عبارة عن سهول واسعة متقطعة أهمها سهول المدية وسهل تلمسان[2] مثل سهول نهر الصفصيف والتي وصفها ابن الحاج النميري في رحلته بقوله: «وانحدر إلى جنات الصفصيف التي هي بهجة القلوب ونزهة العيون»[3]، كما تمتد سهول تلمسان ما بين وادي تافنة تافنة وفروعه وارتفاعها يتراوح ما بين 500إلى 600م[4]، وقال عنها العبدري: «تلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية جميلة المنظر»[5]. سهل تسلة الذي وصفه الوزان بقوله: «سهل كبير يمتد على مسافة نحو عشرين ميلا وينبت قمحا جيدا..»[6]، سهل كرط[7]، سهول بني راشد يمتد على طول نحو خمسين ميلا من الشرق إلى الغرب وعلى عرض يقرب من خمسة وعشرون ميلا، جهته الواقعة جنوبا كلها سهول[8]، سهل السرسو (قرب تاهرت)[9] ، سهول قسنطينة[10] وهي واقعة في الغور الأوسط وتحيط بها جبال التل الأطلسي الصغيرة مثل جبال ساحل وهران والظهرة شمالا وجنوبا وجبال تسالة وخاصة جبل الونشريس[11]، وقد أجمعت المصادر الجغرافية على خصوبة أراضي هذه السهول وتنوع محاصيلها وزكاء غلاتها.

---

[1]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص37.

[2]- لخضر العربي، المرجع السابق، ص53.

[3]- ابن الحاج النميري، فيض العباب وافاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، درا و إع: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1990م، ص487.

[4]- أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص25.

[5]- محمد العبدري البلنسي (ت 725هـ/1325م)، الرحلة المغربية، تق: سعيد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، 1428هـ/2007م، ص27.

[6]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص25، مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص325.

[7]- كاربخال، المصدر نفسه، ج01، ص103.

[8]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص26.

[9]- أبو راس الناصري المعسكري، المرجع السابق، ج01، ص67.

[10]- كاربخال، المصدر السابق، ج03، ص12.

[11]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص15.

الجدول 6: يمثل أهم السهول والأحواض الداخلية بالمغرب الأوسط:

السهل	مميزاته	المصدر/المرجع
سهل تفسرة	يقع على بعد خمسة عشر ميلا من تلمسان وأراضيه جيدة للزراعة	الوزان، المصدر السابق، ج02، ص24.
سهول البطحاء	سهول فسيحة وترتفع بـ 67 م عن البحر. تنبت فيها مختلف الحبوب وتحقق لملك تلمسان دخلا يقدر بعشرين ألف مثقالا.	الوزان، نفسه، ص27-28. أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص25.
سهول سطيف	سهول خصبة وكثيرة المياه والشجر المثمر، ترتفع بـ 1000م عن البحر.	أبو الفدا، المصدر السابق، ص131. توفيق المدني، نفسه، ص25.
سهول دلس	أراضيها خصبة زراعية كثيرة القمح.	الوزان، نفسه، ص42.
سهل زيدور	يقع بين تلمسان ومدينة آرشقول وطوله 25 ميلا، مشهور ببركة حرثه.	البكري، المصدر السابق، مج2، ص260. الاستبصار، المصدر السابق، ص134.
سهول ندرومة	سهول واسعة بعيدة بنحو اثنى عشر ميلا من البحر.	الوزان، نفسه، ص13.

تنقسم جبال الأطلس التلي من حيث هي إلى قسمين قسم يمتاز بروعته وجماله الطبيعي ويكتسي حلة سندسية من الغابات الكثيفة وتخترقه الأودية الخلابة وفيه المناظر البديعة ما يذهل الأبصار وقسم ثان مؤلف من جبال صخرية ليس بها جمال ولا يوجد بها أي منظر خلاب يلفت الأنظار، حيث أن القسم الشرقي أكثر عمرانا من القسم الغربي[1].

تختلف منطقة جنوب أطلس التل في جزئها الغربي عن الشرقي، ففي الغربي توجد هضبة الشطوط التي يتراوح ارتفاعها بين ألف وألف ومائتي متر وتتخللها جبال عالية مثل ونشريس قلما يحجبها أطلس التل عن الأمطار فأصبحت منطقة إستبس واسعة، تمتد من أطلس التل إلى عرق الأطلس الصحراوي في الجنوب ومن وادي ملوية في الغرب إلى نهر الشلف في الشرق وهكذا تأخرت الصحراء إلى الجنوب في هذا الجزء الغربي بينما حجبت قسم الأوراس ما خلفها فبدأت الصحراء مع

[1]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص162.

سفوح الأوراس، فتجاوز أطلس التل والصحراء التي تكثر فيها الواحات والشطوط[1] ومن بين جبال الأطلس الصحراوي: جبال بني راشد وهو جبل عمور يبلغ ارتفاعه 1700 متر، جبال الصحاري، جبل الأوراس به أعلى قمة تعرف بشيلية يبلغ علوها ميلين وستمائة وستة وخمسين ذراعا وجبال الأوراس لها شبه بجبال القبائل وتجمع بين الأطلسين مثل جبال الحضنة[2].

ثالثا: منطقة الهضاب(النجود):

تنحصر بين السلسلتين التلية والصحراوية توجد منطقة تعرف بالهضاب العليا أو منطقة السهوب أو تسمى بالنجود[3] ،وتتميز باستواء سطحها لأن الصخور التي تشكلها عبارة عن صخور في وضع أفقي أو لأن عوامل النحت والتعرية سوت تلك السطوح سواء بواسطة المياه الجارية كالأنهار أو الرياح في المناطق الجافة[4].

تمتد على شكل حزام يستولي على كامل الوسط ،حيث ترتفع غربا مقارنة بالجهة الشرقية، حيث يبلغ متوسط ارتفاعها 1600 ذراعا وقد تصل1800ذراعا[5] وتعتبر منطقة نطاق المراعي الطبيعية، وهو إقليم انتقالي بين الصحراء في الجنوب[6]، وتمتاز على عكس إقليم التل بفقرها وخلوها بصفة تقريبية من السكان[7]، حيث نجد سكانها من رعاة الغنم يعيشون حياة الترحال بحثا عن الكلأ خاصة في فترات الجفاف وينتشرون في كل المغرب الإسلامي من أدناه إلى أقصاه والمغرب الأوسط هو هو بلد الرعي[8] بصفة خاصة ولهذا السبب نفسر كلمة الشاوية التي أطلقت على القبائل الذين يهتمون بالرعي والتي لا تزال مستعملة إلى اليوم على أنها رعاة الشاة[9]، ورعاة الغنم ينتقلون عادة بقطعانهم بين

---

[1]- عز الدين عمر أحمد موسى، المرجع السابق، ص50.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص ص49-50 وشارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص08-09.

[3]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص161.

[4]- أحمد علي إسماعيل، المرجع السابق، ص 72.

[5]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص53.

[6]- مختار حساني، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيانية (633هـ-962هـ/1235م-1554م)، رسالة دكتوراه، المعهد الوطني للدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، 1985م/1986م، ص217.

[7]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص164.

[8]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص121. شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص394.

[9]- ابن خلدون، المقدمة، ص121.

المراعي المرتفعة في الجبال والتلول وبين المراعي المنخفضة لما تتميز به من الدفء الضروري للحيوان من أجل النتاج، ولكن العشب لا يلبث أن ينقرض لمجرد اشتداد الحرارة في الوقت الذي تكون فيه الأقاليم العالية غنية بالعشب لأنَّ الطقس لطيف صيفا وبسبب هذا التكامل بين السهل والجبل تنقل الرعاة بخيامهم إلى ظهور الهضاب والجبال صيفا أو يلجؤون إلى عيون المياه لما يبقونه لديهم من الشاة في الأقاليم السهلية الجافة[1]، أما رعاة الإبل أو الجمال فيتواجدون على حافة الصحراء، حيث توجد أنواع من النباتات الخشنة الصالحة لرعي الإبل والتي لا تصلح لبعض الحيوانات الصغيرة[2].

تتميز منطقة الأنجاد بكثرة السباخ المالحة، فإن كانت كبيرة سميت بالشط وإن كانت صغيرة دعيت زاغز[3].

تتشكل هذه السباخ أو الأحواض نتيجة مياه الأمطار التي لا تنحدر إلى البحر ولا إلى الصحراء فتبقى منغلقة مشكلة لنا تضاريس على نمط واحد تركد فيها الشطوط الكبيرة[4].

الجدول 7: يمثل أهم الشطوط المنتشرة في منطقة الأنجاد:

الشطوط/ السباخ	ارتفاعها عن سطح البحر	طولها	عرضها	مساحتها	المصدر
شط الحضنة	400م	70 كلم	10 إلى 25 كلم	27654 هكتار	كتاب الجزائر، أحمد توفيق المدني، ص165.
زاغر الشرقي	840م	/	/	50.000 هكتار ويضم 330 مليون طن من الملح	
زاغز الغربي	857م	/	/	32000 هكتار	
الشط الشرقي	1000م	150كلم	10 إلى 20 كلم	165000 هكتار	
الشط الغربي أو شط هميان		40 كلم	08 إلى 60 كلم	55000 هكتار	

رابعا: الصحراء:

[1]- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1993م، ج01، ص104.
[2]- مختار حساني، المرجع السابق، ص217.
[3]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص165.
[4]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص15.

أما بخصوص الصحراء: فهي المنطقة الجنوبية غالب أرضها تذروها الرياح ولكن بها واحات[1] جميلة ذات مياه مطردة يغرس عليها النخيل وأنواع من الأشجار ويسقى بها بعض الخضر وقليل من الزرع[2].

ترتفع صحراء المغرب الأوسط حتى تصل إلى 1900 متر عن سطح البحر وهي ليست كلها رمالا[3] بل تنقسم إلى هضاب لا تنبت شيئا تدعى الحمادة وكثبان من الرمال تمسك بالندى فينبت بها بعض الأعشاب ترعاها الجمال وبها أودية لا يجري بها الماء إلاّ بعد نزول المطر الغزير ومن واحاتها قرارة بوطن توات وأكبر قراها عين صالح وواحة فجيج شمال توات وواحة المنيعة وواحة وارجلان[4].

تبلغ درجة الحرارة في الصيف 70 درجة في الرمال، أمَّا في الشتاء فكل شيء يتجمد. واختلاف الطقس بين الليل والنهار حارا ملتهبا ويكون الليل باردا لاذعا، لا ينزل المطر في الصحراء إلاّ بصفة زوابع غير مستمرة وأحيانا تنقضي سنوات بين زوبعة وأخرى[5].

خامسا: المناخ:

يعتبر المناخ[6] من العوامل المهمة التي تؤثر على المحاصيل الزراعية كما ونوعا وهذا باختلاف الأقاليم المناخية المعتدلة والحارة، وعليه فإننا نجد المغرب الأوسط يقع في منطقة معتدلة دافئة تنحصر بين البحر المتوسط شمالا والصحراء الكبرى جنوبا وفي هذا المجال الواسع يتجاور مناخان متباينان من الشمال إلى الجنوب[7].

---

[1]- الواحات: هي كثيرة النخيل والمياه الجارية من عيون هناك وتحيط بها البراري كالجزيرة وسط رمال ومفاوز. ينظر: أبو الفدا، المصدر السابق، ص28.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص53.

[3]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 165.

[4]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص53.

[5]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص166.

[6]- المناخ: هو حصيلة أو مجموعة من الظاهرات الجوية من حرارة، وضغوط، ورياح وأمطار، لفترة زمنية طويلة تتراوح ما بين (05-25سنة)، بينما الطقس: هو نفس الظاهرات الجوية ولكن لفترة زمنية قصيرة. ينظر: أ. أسعد أحمد جمعة، دراسات في علم الجغرافية، دار العصماء، سوريا، ط1، 1432هـ-2012م، ص133.

[7]- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجريين (09م-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص26.

وبناء على ذلك نجد المنطقة الساحلية تتميز بفصل حار وجاف وقصير نسبيا يمتد من شهر جوان إلى شهر أكتوبر وفصل رطب دافئ طويل يمتد من أكتوبر إلى مايو وأمطاره السنوية تتراوح ما بين 1000ملم و 350ملم[1]، ويعرف بمناخ البحر المتوسط[2]، حيث لاحظ معظم الجغرافيين المسلمين الوحدة المناخية لإقليم البحر المتوسط، وهذا مدلول عباراتهم[3]: «والأندلس شامية في طيبها وهوائها»[4].

يسيطر على مناخ البحر المتوسط ضغط هوائي مرتفع في الشتاء، فتهب الرياح الغربية محملة برطوبة المحيط الأطلسي ويخف الضغط صيفا، وتنتقل مراكز الرياح شمالا مع حركة الشمس الظاهرية، فتسود المنطقة القبلية الجافة فتجعل الصيف حارا و جافا[5]، وبالبرودة والمطر شتاء[6].

تتفاوت كمية الأمطار ودرجة الحرارة بين الجهات الشرقية والغربية، حيث تبدأ الأمطار بالتكاثر كلما اتجهنا شرقا بفضل هبوب الرياح والارتفاع التدريجي لتل الأطلس حول قسنطينة والأوراس وكذا البعد عن جبال المغرب الأقصى والأندلس[7]، بينما الجهات الغربية وخاصة ما بين جزائر بني مزغناي إلى الحد المغربي إذ تغلب على هذا القسم الحرارة وقلة الأمطار لأنه يتأثر بطقس البلاد الداخلية أكثر مما يتأثر بنسيم البحر[8].

---

[1]- مختار حساني، المرجع السابق، ص216.

[2]- مناخ البحر المتوسط: أهم ما يميزه هو سقوط معظم الأمطار أو كلها في نصف السنة الشتوي وهو شمال القارة في شريط ضيق يمتد على طول الساحل البحر المتوسط ويزداد اتساع هذا الشريط عموما كلما تجهنا غربا كما أن تضاريس الشريط الساحلي وشكل الساحل نفسه لهما كذلك دخل في تحديد اتساع المنطقة التي تدخل في هذا المناخ وسبب أمطار البحر المتوسط هي الرياح الغربية والمنخفضات الجوية التي تكثر في نطاقها وتظهر هذه المنخفضات بكثرة في الشتاء كما تظهر كذلك في الربيع والخريف ويتراوح المعدل السنوي للأمطار في هذا النوع من المناخ بين 45 و86 سنتمتر. ينظر: عبد العزيز طريح شريف، كتاب الجغرافية المناخية والنباتية مع التطبيق على مناخ إفريقيا ومناخ العالم العربي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م، ص439.

[3]- عز الدين عمر أحمد موسى، المرجع السابق، ص52.

[4]- الحميري، المصدر السابق، ص03.

[5]- عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص52.

[6]- ابن أبي دينار القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط03، 1993م، ص19.

[7]- البكري، المصدر السابق، ص56. عز الدين عمر أحمد موسى، المرجع السابق، ص52

[8]- أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، ص25.

وما يميزه كذلك أكثر أنه يتصف بصيف حار وجاف وشتاء معتدل ورطب فمثلا درجة الحرارة في مدنه 25°صيفا و10°شتاء وتقل في الجبال[1]، وكلما اتجهنا من الشرق إلى الغرب باستثناء بعض المدن الداخلية مثل: مدينة تيهرت[2] المعروفة بشدة البرودة وكثرة الغيوم والثلج والأنداء والضباب حيث قال عنها الشاعر بكر بن حماد[3]:

مَـا أَخْشَـنَ الـبَرْدُ وريعانـه ... وأَطْـرَبَ الشّـمس بتـاهَرت

تَبـدُو مـن الغـيم إذَا مـا بـدَتْ ... كَأَنّهَـا تَنْشُـر مـن تَحـت

فـنحن في بَحـر بـلا لُجّـة ... تَجري بنَا الرّيَاحُ عَلَى سَمت

نَفْرَحُ بالشّمسِ إذَا مَا بَدَتْ ... كَفرحَـة الـذّمي بالسّبت[4]

أما البلاد الجبلية المرتفعة وخاصة القريبة من إقليم النجود فهي متأثرة بطقس هذا الإقليم، فالماء يتجمد مثلا في قسنطينة أياما كل سنة وفي مدينة سطيف ينحط المقياس تحت الصفر زمن الشتاء بينما ترتفع الثلوج المتراكمة أكثر من متر فوق سطح الأرض وتسقط أمطار غزيرة[5]، وفي بعض الأحيان تستمر حالة الاضطرابات الجوية في بعض المناطق كتلمسان لفترة طويلة تتجاوز فصل الشتاء إلى فصل الربيع[6].

---

[1]- كمال موريس شربل، الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط01، 1418هـ-1998م، ص593.

[2]- تاهرت: بفتح الهاء وسكون الراء وتاء فوقها نقطتان، اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لأحداهما: تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة، بينهما المسيلة ست مراحل وتلمسان وقلعة بني حماد، وهي في الإقليم الرابع وأن عرضها ثمان وثلاثون درجة وهي مدينة جليلة وكانت قديما تسمى عراق المغرب. ينظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (المتوفى سنة 626هـ)، معجم البلدان، مج01، تص و قرا: مُحَمَّد أمين الخانجي وأحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة السعادة، مصر، ط01، 1323هـ/1906م، ص ص354-355.

[3]- بكر بن حماد: هو بكر بن حماد أبو عبد الرحمان من حفاظ الحديث وثقات المحدثين المأمونين، سمع بالمشرق أبي مسدد وعمرو بن مرزوق وبشر بن حجر وبإفريقية ابن سحنون وسكن تاهرت وتوفي بها. ينظر: الحموي، المصدر نفسه، ص 356.

[4]- البكري، المصدر السابق،69.

[5] -L. Piesse: "Tlemcen", In Revue d'Afrique Française, Maison Quantin, N°51, 1988, p 345.

ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص27.

[6]- R.l. Lawlesse and G.H. Blake. Tlemcen Continiuty and change in Algerian Islamic Tawn, Bowker London and New-York, 1976, p-11.14.

لاسيما وأن العديد من المصادر الجغرافية أكدت على هذا الوضع في عدة مناطق من بلاد المغرب الأوسط فهذا "البلوي" يقص علينا أحوال الطقس الذي صادفته وهو في طريقه من تلمسان إلى الجزائر يوم العشرين من شهر جمادى الأولى لسنة ست وثلاثين وسبعمائة للهجرة(736هـ يناير 1336م) يقول: «وكان خروجي منها... ولم نزل نقطع مهامه قفار، ونجوز في أودية وبحار، ونشاهد من الأرض والسماء كل نهر سائل وغيم مدرار إلى أن وردنا مدينة الجزائر»[1]. ولم يزل يعاني "البلوي" من شدة البرد ووقع الثلج وكثرة الجليد مع شدته وغزارة الأمطار وذلك بعد خروجه من الجزائر إلى بجاية في يوم السادس من شهر جمادى الثانية من السنة المذكورة[2]، ولم يبرح ذلك بعد خروجه من بجاية إلى قسنطينة يوم الحادي عشر رجب من نفس السنة حيث شهد أمطارا غزيرة وأوحالا عظيمة[3]، ونستشف من هذا القول أن الأمطار وشدة البرودة كانت في تزايد مستمر كلما ابتعد عن تلمسان باتجاه الوسط والشرق، وهذا القول يؤكد لا محالة على أن المناطق الشرقية للمغرب الأوسط أكثر أمطارا من الجهة الغربية.

الجدول 8: يقدم لنا مقياس المناخ في نقط مختلفة من إقليم التل:[4]

البلدة	ارتفاعها	درجة جانفي	درجة يوليو– جويلية	المعدل	كمية المطر بها
قالمة	280م	09°	27°	17°	54 ملم
المدية	920م	07°	26°	15°	85 ملم
الجزائر	00م	12°	25°	18°	74 ملم
وهران	00م	10°	25°	17°	55 ملم
تلمسان	829م	08°	25°	16°	54 ملم

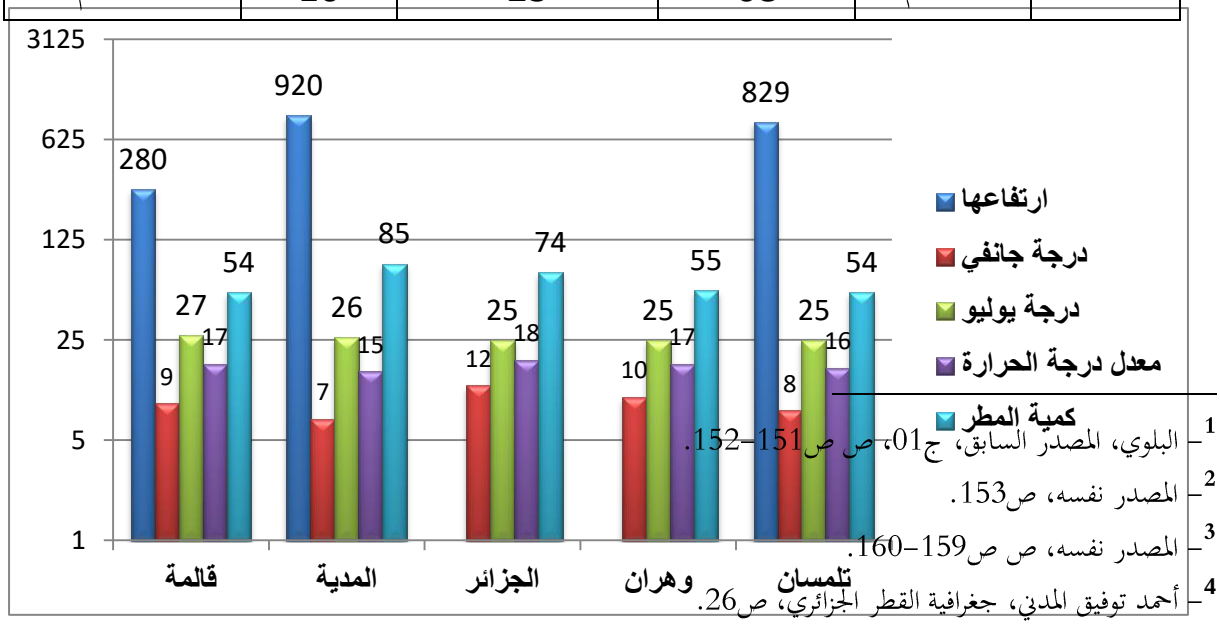

1 البلوي، المصدر السابق، ج01، ص ص151-152.
2 المصدر نفسه، ص153.
3 المصدر نفسه، ص ص159-160.
4 أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، ص26.

الرسم البياني 1: يمثل مقياس المناخ في نقط مختلفة من إقليم التل

الجدول 9: يمثل درجة الحرارة في مدينة وهران خلال فصول السنة:

شهور السنة	أذار– مارس	حزيران– جوان	أيلول– سبتمبر	كانون الأول– ديسمبر
درجة الحرارة	13°	22°	23°	11°

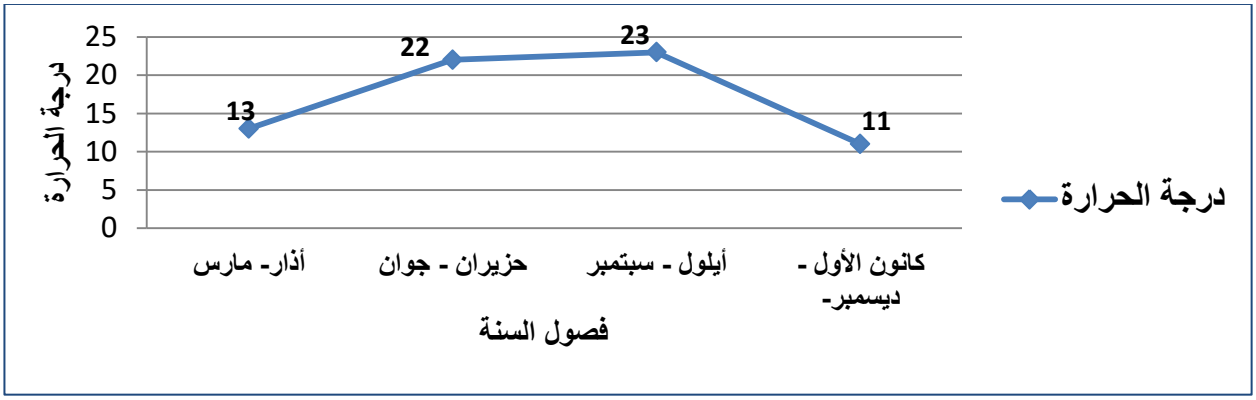

المنحنى البياني 1: يمثل درجات الحرارة بمدينة وهران خلال فصول السنة.

وإلى الجنوب منه (أي الإقليم التلي) نجد إقليم الإستبس أو السهوب وهو إقليم انتقالي بين الصحراء في الجنوب والتل في الشمال وبه تقل الأمطار نسبيا من (200ملم إلى 400ملم) ويزداد الجفاف[1]. وبهذا الإقليم نجد أن معظم السكان يمارسون حرفة الرعي وينتشرون في كل أرجاء المغرب الأوسط من أقصاه إلى أدناه، وينتقلون باستمرار بين المناطق المعتدلة والجافة الصحراوية[2].

[1]– سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص102–103. أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص168.

[2]– شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص394.

أما الإقليم الصحراوي فيتصف بحرارة شديدة في فصل الصيف تصل إلى 40 درجة ودافئ في فصل الشتاء وتضعف الرطوبة نسبيا،[1] أما كمية الأمطار فهي أقل من 200ملم وهي تكاد تكون منعدمة ولا ينزل الغيث إلا عرضا أو بصفة زوابع غير مستمرة وأحيانا تنقضي السنوات العديدة بين زوبعة وأخرى، فعلى سبيل المثال تصل كمية التساقط في: بسكرة 143ملم، غرداية 94ملم، وادي سوف 82ملم[2]، وعليه فإن القاعدة العامة في أمطار الشمال الإفريقي بصفة عامة تقل كلما اتجهنا جنوبا وكذلك متفاوتة خلال اليوم الواحد حيث يكون البرد في الصباح، ولا يلجأ إلى التسخين بعد الزوال ويبدأ البرد يخف في شهر فبراير ويتغير الطقس ثلاث مرات أو أربعا في اليوم، وفي مارس تنتشر الرياح الغربية والشمالية في أوائل أبريل[3]، والجدول التالي يصور لنا مميزات كل فصل من فصول السنة بالمغرب الأوسط:

الجدول 10: يصور لنا مميزات فصول السنة بالمغرب الأوسط.

الفصول	بدايتها ونهايتها	خصائصها	المصدر/ المرجع.
الربيع	من 05 فبراير إلى 18 ماي	شهر معتدل يكون الهواء لطيف، وأن لم يسقط المطر في الفترة من 25 أبريل إلى 05 ماي تكون مجاعة، إذ تعتبر مفتاح السنة.	مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج01، ص30-31.
الصيف	من 19 ماي إلى 16 أوت	تكون الحرارة قوية جدا أثناء هذه المدة، ولكن التي لا تحتمل أكثر هي حرارة جوان وجويلية حيث يكون الظل غير خطير ، وتسبب أمطار جويلية وأوت عدة أمراض خصوصا الحمى الوبائية.	
الخريف	من 17 أوت إلى 16 نوفمبر	تأخذ الحرارة في الانخفاض منذ شهري أوت وسبتمبر.	
الشتاء	من 17 نوفمبر إلى 14 فبراير	بمجرد دخوله يشرع الفلاحون في زرع الأراضي في السهول، إلاّ أنهم في الجبال يزرعون منذ شهر أكتوبر.	

سادسا: مصادر المياه ببلاد المغرب الأوسط:

يعرف ابن وحشية الماء فيقول: «فأما جوهر الماء وطبيعته فهو جسم منبسط عرضا، حار بلطافته، وهو في جملته كري الحملة، بمنزلة كرة محيطة بكرة الأرض إما على سطوحها وإما حواليها،

[1]- كمال موريس شربل، المرجع السابق، ص592.

[2]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص169.

[3]- مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج01، ص30.

لأنَّ الأرض لما كانت في جملة شكلها كهيئة الكرة، وكان الماء محيط بها، صار الماء أيضا كهيئة الكرة، وكان الماء محيطا بها، صار الماء أيضا كهيئة الكرة ضرورة، لتشكله بشكل ما يحيط به»[1].

أما تعريفات الكتاب المحدثين للماء فهي عديدة ومنها تعريف ابن عابدين الذي جاء شاملا وموضحا للمعنى المقصود، فقد عرَّف الماء: «بأنه جسم لطيف سيَّال به حياة كل نام، وهو يرفع به الحدث مطلقا وهو المتبادر عند الإطلاق»[2]. أما بخصوص مصادر المياه الرئيسية بالمغرب الاوسط فهي على النحو الآتي:

– مياه الأمطار: ماء المطر أو ماء السماء هو الأساس في تكوين أنواع المياه الأخرى، كماء الجداول والأنهار والعيون وغيرها، فلو انقطعت قلت المياه وأدى ذلك إلى خراب الأرض[3]، ويعتبر ماء المطر أفضل من غيره لسقي المزروعات، حسب ما يذهب إليه ابن بصال إذ يقول: «وهو أفضل المياه وأحمدها، يجود به النبات من الخضر والثمار وغيرها»[4].

ولما كانت بلاد المغرب الأوسط تتميز بتركيبة تضاريسية متنوعة وأقاليم مناخية متباينة انعكس ذلك على كميات التساقط واختلافها من منطقة إلى أخرى مما أثر على مردودية الإنتاج الزراعي.

[1]– ابن وحشية أبو بكر أحمد بن علي (ق04هـ)، الفلاحة النبطية، تح: توفيق فهد، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، الجفان والجابي للطباعة والنشر والتوزيع، ليماسول، قبرص، ط01، 1993، ص46، نقلا عن الشيخلي صباح إبراهيم: "المياه ووسائل استنباطها في مؤلفات الفلاحة العربية"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع43، السنة11، 2003م، ص141.

[2]– ابن عابدين مُحَمَّد أمين، حاشية رد المحتار على الدر المختار، ج01، دار الفكر، 1979م، ص179.

[3]– الشيخلي صباح إبراهيم، المرجع السابق، ص143.

[4]– ابن بصال مُحَمَّد بن إبراهيم، الفلاحة، تج: خوسيه ماريه مياس ومُحَمَّد عزيمان، مطبعة كريماس، تطوان، المغرب، 1955م، ص39.

الجدول 11: يمثل لنا واقع التساقطات المطرية والثلجية في بعض مناطق المغرب الأوسط في فترة دراستنا:

نوع التساقط	السنة أو التاريخ	المكان	الكمية	النتائج	المصدر
مطر	سنة 725هـ خلال شهر رجب.	قسنطينة	غزير	تسبب المطر في خروج الرحالة ومن معه في الأخبية الخيم الى دور المدينة. -الأوحال	أبو عبد الله مُحَمَّد بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج01، تح: مُحَمَّد عبد المنعم العريان، مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط01، 1407هـ/1987م، ص33.
ثلج	زمن الشتاء.	تلمسان	كثير	كثيرة البرد	الزهري، كتاب الجغرافية، ص114.
مطر	20 جمادى الأولى سنة 736هـ	من تلمسان إلى الجزائر	غزير ومدرار	أحدث سيولا	البلوي خالد بن عيسى، المصدر السابق، ص ص151-152.
برد وجليد	رمضان 746هـ	تلمسان	شديد	أشد بلاد عدوة المغرب الأوسط بردا وتجلدا.	مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، بيغيرا، تقديم محمود بوعياد درا وتح: ماريا خيسوس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1411هـ/1981م،ص222.
توقف الغيث	وقد أوشك فصل البدر أن ينتهي سنة 763هـ.	بلاد المغرب	/	وأظلم جو الشدة لهذا العهد فأمسك الله السحاب ورفع الغيث.	لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ج02، تع ونش:أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص318.

ثلج	صفر لسنة 867هـ.	أرض تلمسان	/	من أول شهر نوفمبر إلى العشرين منه.	الزركشي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن ابراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: مُحَمَّد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط02، 1966، ص158.
ثلج	في يوم من الأيام.	تلمسان	عظيم	نزلت ثلجة عظيمة وتعطلت منها الأسواق وانهدمت منها الديار.	أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: مُحَمَّد بن يوسف القاضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د.ط، 2010م، ص ص 100-102.
ثلج	رجب 772هـ.	خربة عنثر قبلة تلمسان	شديد.	أصاب الناس	يحي بن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق، ج02، ص450.
ثلج	رجب 773هـ	فيض الجزار بني ورنيد	/	دام ثلاثة أيام	يحي بن خلدون، المصدر نفسه، ص462.

تلك إذاً عينات سريعة ومتقطعة عن كميات التساقط في أماكن وفترات مختلفة ما بين القرنين 07هـ/09هـ، ويتضح لنا أنها كانت متنوعة ومتقلبة بين مطر وثلج وجليد وجفاف أحيانا مما تسبب في عرقلة النشاطات الاقتصادية وإلحاق خسائر فادحة بالمحاصيل والفلاحين.

- الأنهار والأودية:[1] هي لا تقل أهمية عن ماء المطر من حيث الدور الذي تلعبه في الإنبات فهي تصلح لسقي النباتات، علاوة على تلبيتها لحاجات الإنسان والحيوان. وهي لا تختلف في خصائصها من حيث اليبوسة والرطوبة والحروشة، لكنها في العموم تذهب برطوبة الأرض التي تسقى بها. «فتحتاج لذلك الخضر الضعاف التي تسقى بها إلى الزبل الكثير»[2].

ومن فوائد مياه الأنهار أيضا أنها باردة جدا في فصل الشتاء فتقتل الدود المتولد في الأرض، وفي أصول الأشجار فتصلح بذلك[3].

وعليه فإن المغرب الأوسط يزخر بشبكة من الأودية منها ما يصب في البحر المتوسط ومنها ما يصب باتجاه الداخل، وما يميزها على وجه العموم أنها تفيض شتاء ويتراجع منسوبها صيفا أو تجف، ولعل من أبرزها ما يلي:

[1]- الفرق بين النهر والوادي: النهر بفتح النون مشددة وسكون الهاء وفتحها، والجمع الأنهار والأنهر: هو الأخدود الواسع المستطيل، يجري فيه الماء إذا كان فوق الأرض، ويطلق النهر على ذات الماء الجاري في الأخدود وهو نوعان خاص وعام، فالخاص: ما يتفرق ماؤه بين الشركاء، ولا يبقى إذا انتهى إلى آخر الأراضي، ولا يكون له منفذ إلى المفاوز التي لجماعة المسلمين، والعام غيره، أي مالا يتفرق ماؤه، ويبقى ويكون له منفذ. والبعض يميز العام بأنه: ما تجري فيه السفن. وفي القرآن الكريم قال تعالى:﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ سورة البقرة، الآية 73. بينما الوادي: بفتح الواو ممدودة وكسر الدال ممدودة، والجمع: الأودية، والوديان هو كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل. وفي القرآن الكريم: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ سورة إبراهيم، الآية 39. ينظر: مُحَمَّد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية، المرجع السابق، ص604، ص614، ص615.

[2]- ابن العوام أبو زكرياء يحيى (من أهل القرن 07هـ)، كتاب الفلاحة، درا وتع: غارسيه سانشيز واستفان فرناندير ميخو، مدريد، 1988م، ج01، ص135.

[3]- الشيخلي صالح إبراهيم، المرجع السابق، ص145.

الجدول 12: يمثل لنا شبكة الأودية بالمغرب الأوسط

اسم الوادي	موقعه أو منبعه	خصائصه	المصدر/المرجع
واد زا	ينبع من الأطلس ويسيل بسهل أنكاد في الحد الفاصل بين مملكتي تلمسان وفاس.	تستقر بالقرب منه بعض القبائل العربية الطاعنة. -فيه سمك كثير.	الوزان، المصدر السابق، ج02، ص250.
التافنة	يخرج من جبل، يمر بسبدو، ويصب في البحر بالقرب من آرشقول.	نهر كبير تدخل فيه السفن. -فيه سمك صغير.	مجهول، كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص134.
مينة	قرب تاهرت.	يأتيها من جهة القبلة، يسقي أراضيها وبساتينها.	الاستبصار، نفسه، ص178. البكري، المصدر السابق، ص ص258-259.
سيرات	بالقرب من قلعة هوارة.	يسقي أكثر أراض هذا السهل.	الحميري، المصدر السابق، ص470.
شلف	ينبع من جبال الونشريس، ويصب في البحر الأبيض المتوسط.	يفيض كما يفيض نيل مصر وعليه قرى وعمارات وعليه أيضا يزرع الكتان والسمسم...	اليعقوبي، المصدر السابق، ص149. ابن سعيد، المصدر السابق، ص141. أبو الفدا، المصدر السابق، ص140.
الواد الكبير	ينبع من الجبال المتاخمة لإقليم الزاب، يصب في البحر، على بعد ثلاثة أميال من بجاية.	لا يفيض إلاّ في فصل الشتاء، وهو ملئ بالأسماك.	الوزان، المصدر السابق، ج2، ص252. كاربخال، المصدر السابق، ج1، ص40.
واد سهر	قرب المسيلة، ويصب في شط الحضنة.	نهر منبسط ومياهه كثيرة. فيه سمك صغير.	الحميري، المصدر السابق، ص558. الإدريسي، المصدر السابق، ص108.

والملاحظ أن الرحالة الجغرافيين لا يميزون بين الوادي والنهر، فما يسميه بعضهم واديا يطلق عليه آخرون اسم النهر، على أن تسمية الوادي تنطبق أكثر على مواصفات أودية المغرب الأوسط التي

يضعف صبيبها وينخفض خلال فصل الصيف ويزيد منسوبها إبان الفترة المطيرة رغم قصر مدتها[1]، ولاسيما في المنطقة الشرقية والجنوبية، ولكن رغم كون أودية المغرب الأوسط غير دائمة وغير منتظمة الجريان، إلاّ أنها تمتاز بالكثرة والتعدد من الشرق إلى الغرب.

- مياه العيون والآبار:[2] هذا نوع آخر من المياه قد يتكون نتيجة المياه الجارية بفعل ماء المطر أو التدفق من باطن الأرض، قال تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُوناً فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ١٢﴾[3].

وهذه المياه هي الأخرى تصلح لسقي الخضر وجميع ما يزرع في البساتين وهي ثقيلة بطبعها بخلاف ماء المطر ومن خصائص هذا النوع من الماء أنه يكون دافئا لينا عند برودة الطقس في فصل الشتاء فيحرك الماء النابع الخضر برقته ورطوبته ودفاه[4] وهو ملائم كذلك لسقي الخضر في فصل الربيع والخريف[5]. وعليه فإن الرحالة الجغرافيين لم يهملوا الإشارة إلى العيون خلال وصفهم للأماكن التي مروا بها بالمغرب الأوسط من مدن وقرى وغير ذلك ومن أشهرها:

---

[1]- عبد الهادي البياض، الموارد المائية بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط بين التضييق الفلاحي والتوزيع الجغرافي، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1430هـ/2009م، ص86.

[2]- العيون: المقصود بالعين هو ينبوع الماء الذي يجري فوق الأرض، ومعظم العيون بالمغرب الأوسط تنتشر في المناطق الجبلية المرتفعة مستفيدة من الثلوج ومثلها مثل الأنهار تعتمد العيون في مياهها على الأمطار، وبعضها يفيض ماؤها في فصل الصيف، وهي تزيد في أواخر شهر ديسمبر. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج09، ص506. عزالدين عمر موسى، المرجع السابق، ص60.أما البئر أو الحاسي فيعرفه "كوبي راي" بأنه ما تتجاوز عملية الحفر فيه بحثا عن الماء عمق متر واحد. ويذكر أيضا أن هناك عيونا لا تسيل في حالتها الطبيعية إلا قليلا فإذا ضعف منسوبها بعض الشيء تحجر الماء وتطلب الأمر رفعه لاستغلاله، فتتحول العين إلى بئر، وإذا ارتفع منسوبها وعادت للسيلان من جديد صارت عينا مرة أخرى. ينظر:

Capot- Rey: l'Afrique blanche Française, T.2 le Sahara Français, presse, Universitaires de France, paris,1953, p.13.319.

[3]- سورة القمر، الآية 12.

[4]- ابن العوام، المرجع السابق، ص136.

[5]- ابن بصال، المصدر السابق، ص40.

الجدول 13: يمثل أهم العيون المنتشرة بالمغرب الأوسط

العيون والآبار	مميزاتها	المصدر/المرجع
عيون قرية مسكيانة	وجود زروع ومكاسب وعيون بها	الإدريسي، المصدر السابق، ص158.
عيون باغاية	لها أنهار عامرة إلى جانب عيون ومزارع ومسارح.	صاحب الاستبصار، ص50.
عيون قسنطينة	تخرج منها عيون تعرف بعيون أشقار.	البكري، المصدر السابق، ص242.
عيون مدينة ميلة	وداخل المدينة عين تعرف بعين أبي السباع وعين الحمى.	الحميري، المصدر السابق، ص569. البكري، المصدر السابق، ص256.
عيون مدينة أدنة	بها عيون تعرف بعين الكتان وعين الغزال	صاحب الاستبصار، المصدر السابق، ص144.
مدينة طبنة	بها عين خرارة يقال لها عين مخلد تجتمع فيها	البكري، المصدر السابق، ص251.
مدينة واركلان	ومياه تنبع على وجه الأرض فيصعد الماء كالسهم ويسبح في المزارع.	ابن سعيد، المصدر السابق، ص126.
مدينة آشير	بها عينان ثرتان لا يبلغ لهما غور ولا يدرك قعر تعرف بعين سليمان وأخرى بعين تالا نتيرغ.	البكري، المصدر السابق، ص252.
مدينة تنس	بها عين تعرف بعين عبد السلام ثرة عذبة.	المصدر نفسه، ص252.
سوق حمزة	مدينة بها آبار عذبة.	المصدر نفسه، ص257.
مرسى الخرز	به بئر تعرف ببئر أزراق يقول أهلها: طعنة بمزراق خير من شربة من بئر أزراق.	المصدر نفسه، ص247.
مدينة بجاية	بها مياه سائحة وعيون كثيرة وبساتين.	صاحب الاستبصار، ص130.
قرية تاورت	تقع بين بجاية والقلعة. يشرب أهلها من عيون محتفرة ببطن واديها من جهة المشرق.	الإدريسي، المصدر السابق، ص118.
مدينة بسكرة	بها آبار كثيرة عذبة منها في الجامع لا تنزي داخل المدينة.	المصدر نفسه، ص51.
مدينة تيهرت	بها مياه كثيرة وعيون مطردة.	الإدريسي، المصدر السابق، ص107.
عيون سي	بها عيون وأنهار تطرد.	ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.
بين باغاية وطبنة	آبار طيبة وماؤها غدق وهو في وسط فحص أفيح.	البكري، المصدر السابق، ص242. الإدريسي، المصدر السابق، ص127.
مدينة مليانة	بها أحساء ماء وآبار عذبة	البكري، المصدر السابق، ص261.
آرشقول	بها آبار عذبة لا تغور تقوم بأهلها وبمواشيهم.	البكري، نفسه، ص269.
عيون لوريط	يجلب الماء من عيونها لمدينة تلمسان والمسافة بينهما ستة أميال.	البكري، المصدر نفسه، ص268.

ما يمكن أن أقوله في الختام هو أن مصادر المياه في المغرب الأوسط متعددة ومتنوعة على مختلف أرجاء البلاد، لكن هذا التعدد لا يعكس غزارة المياه بهذه الموارد بل إنَّ الكثير من المناطق كانت تعاني من نقص المياه والأكثر من ذلك من الجفاف في بعض المواسم، وهو ما ترتب عنه وضع قواعد صارمة توجب اتباعها عند استغلال مياه هذه الموارد المختلفة.

المبحث الثاني: المقدرات الثابتة للمغرب الأوسط:

01- أنواع الملكيات الزراعية في المغرب الأوسط:

تعتبر قضية الملكية في بلاد المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا من القضايا التي لم تنل حظها من البحث بصورة مستفيضة من قبل الباحثين والمؤرخين، وربما يرجع ذلك إلى وجود اختلاف بين الفقهاء والمؤرخين في كيفية فتح بلاد المغرب هل فتحت صلحا أو عنوة؟[1] أو أسلم عليها أهلها أو جلوا عنها؟[2]

تعرض الونشريسي خلال القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي في كتابه المعيار لهذه القضية قائلا: «أنها عنوية وقيل فتحت صلحا، وقيل بالتفصيل بين السهل والجبل وقيل بالوقف»[3].

كما تعرض أيضا العقباني لقضية نظام ملكية الأرض بقوله: «وأما الأرض التي تخلى عنها أهلها بغير قتال فهي للمسلمين يقطعها الإمام إقطاع تمليك إن ظهر له وجه المصلحة في ذلك، وأما الأرض التي أسلم عليها أهلها بغير قتال ولا أخذت عنوة وهم يبيعون ويتصرفون بما شاءوا وليس لأئمة المسلمين نظر فيها»[4].

---

[1]- أرض الصلح: هي الأرض التي صالح عنها أصحابها بجزية توضع عليهم. ينظر: القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم المتوفى سنة 182هـ، كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (1399هـ/1979م)، ص59. بينما أرض العنوة: فهي غنيمة للمسلمين وتعامل كأرض العشر ولا يسمح أن تعامل كأرض الخراج إلاّ أن تستطاب أنفس الفاتحين فعندها يمكن أن توقف على المسلمين. ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص187.

[2]- أرض الصوافي: هي الأرض التي جلا عنها أصحابها ولم يعرفوا فللإمام أن يقرر وقفها أو بيعها أخذا في الاعتبار صالح المسلمين. ينظر: يحيى أبو المعاطي، الملكيات الزراعية وأثرها في المغرب والأندلس- دراسة تاريخية مقارنة، رسالة دكتوراه بقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2000م، ج02، ص11.

[3]- الونشريسي، المعيار، ج06، ص ص133-134.

[4]- مُحَمَّد بن أحمد بن قاسم العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوفي، ص189.

إنَّ هذا الاختلاف بين الفقهاء مرده أمور عدة، منها تحديد عناصر الملكية فما يعدّ عنصرا من عناصر الملكية عند البعض لا يعدّ عند البعض الآخر، وقد اجتهد رجال الفقه والنوازل في إيجاد حلول شرعية لفض النزاعات حول الملكية الزراعية بالمغرب الأوسط وتصنيفها من حيث الحجم إلى:

- الملكيات الكبيرة مثل: الضياع والقرى والمنى وأنصاف القرى والاقتطاعات الكبيرة[1].

- الملكيات المتوسطة: شملت البساتين والجنان والكرم، بينما الملكيات الصغيرة شملت الحقول والفدادين والمجاشر، وإطلاق أرض زراعية بدون تحديد[2].

لقد ارتبط نظام تقسيم الأراضي وملكيتها في المغرب الأوسط بالطابع الإقطاعي الذي كان معمولا به عند الموحدين أولا، حتى أن دولة بني عبد الواد قامت على ذلك الأساس، بعد أن حصلوا على إقطاعات من الموحدين في أحواز تلمسان، وهو ما أكد عليه ابن خلدون بقوله: «فلما ملك الموحدون بلاد المغرب الأوسط وأبلوا من طاعتهم وانحياشهم ما كان سببا لاستخلاصهم فأقطعوهم عامة بلاد بني ومانوا وأقاموا بتلك المواطن»[3].

لقد كانت معظم الأراضي في دولة بني عبد الواد عبارة عن اقطاعات للقبائل والعشائر البربرية والعربية الموالية لحكم الزيانيين والتي لعبت أدوارا مختلفة في ثبات الدولة واستقراراها من جهة وفي سقوطها من جهة أخرى، وفي تحديد علاقاتها الخارجية مع جيرانها في أوقات الحرب والسلم.

أ- أراضي الإقطاع:[4]

هي أراض عامة ملك للدولة، لا يحق التصرف فيها إلاّ من قبل السلطان أو الحاكم يجيز اقتطاعها من خلال تفويض لشخص أو جماعة على رقعة محددة لينتفعوا بها في زرع أو غرس أو بناء، استغلال أو تمليك، ثم توسع المفهوم ليشمل جباية الأعشار، واستغلال الأراضي الفلاحية واستخلاص فوائد الرعي وقبض رسوم تؤدى على الأبواب أو الممرات أو الأسواق، مقابل هذه الامتيازات كان

---

[1]- يحي أبو المعاطي مُحَمَّد عباسي، المرجع السابق، ص23.

[2]- المرجع نفسه، ص23.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر، ج07، ص98.

[4]- الإقطاع: هناك أنواع للإقطاع كإقطاع تمليك وإقطاع المنفعة أو الانتفاع ويختلف إقطاع الاستغلال وإقطاع التمليك باختلاف نوع الأرض من الخراب والخصب وحالها من الحرب والصلح ورأي الخليفة في ذلك. ينظر: الونشريسي، المصدر السابق، ج07، ص334. جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط02، مج01، د.ت، ص ص228-229.

المستفيد من الإقطاع يتحمل مسؤوليتين: الأولى دفاعية ردعية يحارب بموجبها كل من عادى السلطان، والثانية جبائية يرغم بموجبها السكان على دفع ما بذمتهم للخزينة العامة[1].

ويوضح ابن خلدون استفادة عدد من القبائل بهذا النوع من الأراضي بقوله: «وانبسطت أيدي العرب على الضاحية وأقطعتهم الدولة حتى الأمصار وألقاب الجباية ومختص الملك... وقاسموهم في جبايات الأمصار بالإقطاع ريفا وتلولا وجريدا»[2].

لقد كان يغمراسن بن زيان (633هـ-681هـ/1235م-1283م) مؤسس الدولة أول من عمل بنظام الإقطاع، حيث أقطع مشايخ قبيلة السويد العامرية[3] بلاد البطحاء[4] وسيرات[5] وهوارة[6] وقبائل زغبة[7] والمعقل[8] وبنو عامر[9] الذين كانوا من أشد المخلصين لبني عبد الواد إلى أن اضمحلت دولتهم في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي[10].

---

[1]- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط02، مج02، 2000م، ص211. عبد اللطيف مشهور –الإقطاع- الموسوعة الإسلامية العامة، إ: محمود حمدي زقزوق، وزارة الأوقاف، القاهرة، مصر، 1424هـ/2003م ص193.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر، ج07، ص98.

[3]- قبيلة سويد: إحدى بطون عرب بني مالك بن زغبة، جمعت علاقة طيبة بينها وبين السلطة الزيانية، وكان زعماؤها مقربين من السلطان يغمراسن بن زيان الذي اقتطع لهم منطقة البطحاء، لكن سرعان ما ساءت العلاقة فطردوا من طرف السلطة الزيانية إلى التلول والأرياف بجوار قبيلة بني توجين، وصلة الجوار جعلتهم يتحالفون ضد الزيانيين ويعلنون ولاءهم للسلطة المرينية. ينظر: مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية في المغرب عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص ص، 166-167.

[4]- بلاد البطحاء: مدينة كبيرة متحضرة جدا وآهلة بالسكان، بناها الأفارقة في عصر قريب في سهل فسيح ينبت فيه القمح بكثرة وكانت تحقق دخلا يقدر بعشرين مثقالا لملك تلمسان، لكنها تعرضت للكثير من التدخلات والتخريب أثناء الحروب التي وقعت بين ملوك بني زيان وبعض أقاربهم من جبل الونشريس، ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص ص27-28.

[5]- سيرات: وهي معروفة بنهر سيرات الذي يجري بالقرب من قلعة هوارة، ويسقى هذا النهر فحص سيرات الذي يبلغ طوله أربعين ميلا. ينظر: مُحَمَّد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط03، 1987م، ص16.

[6]- هوارة: تقع بالجبل المنسوب إليها من البطحاء والونشريس ومن بطونها زكارة الواقع في دائرة ملیانة ويوجد بالقرب من مدينة أشير الصنهاجية سوق تعرف بسوق هوارة وكانت شيوخ هذه القبيلة يتحالفون مع بني عبد الواد وقد ازدادت الصلة بينهما في عهد السلطان أبي تاشفين الأول (718هـ-737هـ/1318م-1377م). ينظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج07، ص204. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص ص32-33.

[7]- قبيلة زغبة: ومن أهم بطونها قبيلة بني يزيد وبنو حسن وبنو مالك وحصين. ينظر: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج01، ص33.

[8]- قبيلة المعقل: ينقسمون إلى ثلاث بطون هي ذوي عبيد الله، وذوي منصور، وذوي حسان، كانت مواطنهم بصحراء المغرب الأقصى. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج07، ص810.

[9]-أسكنهم يغمراسن بن زيان بنواحي تلمسان ووهران وقربهم إليه فكان لهم أثر حسن على دولته ونال مساندتهم في تصديه لهجمات بني حفص وبني مرين، كما أنهم ساندوا السلاطين بعده، وكانوا من أشد المخلصين لبني عبد الواد. ينظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج02، ص28. أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص16. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، 34.

[10]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص105-114.عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج01، ص173.

وتشير المصادر الإخبارية إلى أنَّ معظم هذه الأراضي التي منحها سلاطين بنو عبد الواد لهذه القبائل، كانت للجماعات العسكرية في عهد الموحدين مقابل ولائها وخدماتها الدفاعية، فانتقلت بذلك الأراضي من إقطاع استغلال إلى إقطاع تملك[1].كما استفاد من هذا الإقطاع فقهاء تلمسان ذوي النفوذ الديني والروحي أمثال، التنسي[2] والعقبانيين، فالتنسي أقطعه يغمراسن أرضا للانتفاع بها بعد قدومه من تنس، ثم بعد وفاته انتقلت إلى أبنائه[3].

إذن ظاهرة الإقطاع ومنح الأراضي انتشرت بكثرة في العهد الزياني وخاصة في مراحل الضعف، وهذا كله لأجل كسب تأييد ومساندة هذه القبائل في محنها وفي صد ضربات الأعداء وخاصة الجارتين الحفصية والمرينية.

ب- أراضي الظهير:

جمع (ظهاير وظهراوات) والتي تطلق عامة على كل براءة سلطانية، تستعمل في معناها الضيق[4]. ويطلق عليها كذلك المزية الجبائية أو العقارية، حيث ترخص الدولة لتخصيص أو فصل جزء من الأملاك القابلة للاستغلال (مثل الأراضي الرعوية والضيعات الزراعية) أو من مداخيل الدولة لفائدة الغير أو بالأحرى مزية لفلان أو فلان أدى خدمة مادية أو معنوية للدولة[5]. ويعد منح أراضي الظهير «اقتطاع منفعة لا اقتطاع رقبة»[6]، يحق الانتفاع بها وبثمارها دون تملكها وإذا أقطعت لشخص ما

---

[1]- الونشريسي، المعيار، ج05، ص ص193-295. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج01، ص173

[2]-التنسي: هو أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي، نشأ بمدينة تنس ورحل إلى طلب العلم نحو المشرق، ليعود إلى بلاده، وأقام بتلمسان مدربا، حتى انتهت إليه رئاسة التدريس والفنون، توفي بتلمسان سنة 670هـ/1272م.ينظر: نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان (من القرن 07هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، تلمسان 2009م/2010م، هامش ص 28.

[3]- روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي (من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م)، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1988م، ج02، ص189.

[4]- فؤاد طوهارة، النشاط الاقتصادي في تلمسان خلال العصر الزياني(07هـ-09هـ/13م-15م)، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد الثاني، ص 02.

[5]- مختار حساني، المرجع السابق، ص189.

[6]- الونشريسي، المعيار، ج07، ص334.

وتوفي أقطعت لغيره ولا تورث عنه، فهي منفعة لصاحب الإقطاع فحسب دون ورثته[1]، إذ تعتبر مقابلا وقتيا لخدمة قدمت أو ستقدم أي أنها ترجع للدولة عند انتهاء الخدمة المقررة أو بعد وفاة السلطان الذي منحها أو المنتفع بها[2]، ودليل ذلك ما جاء عن الونشريسي في باب تحبيس أرباب الظهير الظهير في إفريقيا: «وسئل أيضا عن تحبيس أرباب الظهير هل هو جائز أم لا؟ فأجاب: تحبيس أرباب الظهير بإفريقيا غير تام، لأن الظهير في إفريقيا إنما هو إعطاء منفعة لا إعطاء رقبة...لأن من قطعت له إذا مات قطعت لغيره، ولم تورث عنه، قال لأنه لم تقطع لأهلها إلاّ المنافع خاصة»[3].

ورغم أن هذا النوع كان يكتسي صبغة وراثية في الغالب، إلاّ أن الفقهاء كانوا يرفضون تمكين أرباب الظهائر أو ورثتهم من حق التصرف في أرضهم كأنها أرض ملك.

ج- أراضي الموات:[4]

عرف الونشريسي أراضي الموات بأنها: «الأراضي البور التي يقطعها السلطان لمن يحييها ويزرعها ويزرعها لعامة المسلمين، فتصبح ملكا له ويجوز له بيعها»[5]، وقد وردت إشارة في إحدى النوازل الفقهية تؤكد ذلك، جاء فيها: «جوابكم في مسألة رجل وجد أرضا... من العباد مرت عليها سنون وهي دائرة لا يعلم لها مالك، وافتتحها وخدمها وغرسها منذ أزيد من خمسين عاما، ثم باع ذلك إلى رجل آخر»[6].

---

[1]- خالد بلعربي وآخرون، الملكيات الزراعية، ص73. ودائما في هذا الشأن من الدين استفادوا من هذا النوع من الأراضي في مرحلة من مراحل الأمير العبد الوادي يغمراسن بن زيان عندما انتصر عليه أبو زكرياء الحفصي وجعله تابعا له سنة 1242م، فقد أسند إليه بعض المقاطعات في إفريقية ليشخص منها الجباية وبعد ذلك بخمس وستين سنة تحصل أحد أفراد نفس تلك العائلة المطالب بعرش تلمسان من السلطان أبي بكر على الوعد بالتمتع بذلك الحق. ينظر: برنشفيك، المرجع السابق، ص194.

[2]-روبار برنشفيك، المرجع نفسه، ص193.

[3]- الونشريسي، المصدر السابق، ج07، ص334.

[4]- الموات لغة: من الموت وهو ضد الحياة وهي الأرض التي لا مالك لها من الآدميين ولا ينتفع بها أحد. ينظر: ابن منظور، المرجع السابق، ج02، ص ص90-91. بينما اصطلاحا: هي الأراضي التي تعذر زرعها لإقطاع الماء عنها أو لغلبته عليها، أو لكون طينها غير صالح للإنبات. ينظر: مُحَمَّد أبو زهرة، المرجع السابق، ص123.

[5]- الونشريسي، المعيار، ج07، ص301.

[6]- المصدر نفسه، ص34.

وفي هذا الشأن يقولمُحَمَّد فتحة: «الإحياء في أرض الدولة ويستند في القريب من العمران إلى إذن إذن الإمام، ولهذا يمنع بعض الفقهاء الإحياء في أراضي الموات القريبة من العمران والتي ينتفعون بها في رعيهم واحتطابهم»[1]، فالرأي المالكي يشترط الترخيص المسبق بالنسبة للأراضي المجاورة للمراكز المزروعة والآهلة بالسكان، لأنه معلوم بعد إحيائها تصير لأصحابها لقوله ﷺ:[من أحيا أرضا ميتة فهي له][2]. ويسري عليها نظام الملك، فهي تباع وتورث وتوهب[3].

نستنتج أن هذا النوع من الأراضي هي تلك التي ليس بها نبات ولا ماء ولا عمران، والعمل على جعلها صالحة للانتفاع بعد إزالة السبب ويحق لمالكها حق التصرف فيها.

د- أراضي الأوقاف (الأحباس):[4]

كانت تنتشر في أرجاء المغرب الأوسط، وكانت تخص قطاعا من الأرض انتقل من الملكية الخاصة إلى الملكية العامة، وذلك بزيادة التأثير الديني على المجتمع الزياني، علما أن هذا النظام صار يمثل نسبة كبيرة من مجموع الأراضي الزراعية[5]، ويبدو أن مساحاتها كانت واسعة، كما أنها كانت تتفاوت في حجمها[6].

---

[1]- مُحَمَّد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع-أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن06هـ إلى القرن09هـ/12م-15م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 1999م، ص346.

[2]- البخاري، صحيح البخاري، تح: د. مصطفى البغا، المصدر السابق، ج2، ص823.

[3]- روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج02، ص ص194-195.

[4]- الوقف: لغة وردت لفظتا وقف وحبس مترادفتين في أغلب التعاريف اللغوية وتفضيان إلى مفهوم واحد: الليث: الوقف مصدر قولك وقفت الدابة، ووقفت الكلمة وقفا، وهذا مجاوز، ووقفت الأرض على المساكين وقفا بينما اصطلاحا فقد نقل ابن منظور عن الزهري بقوله: والحبس جمع الحبيس يقع على كل شيء، وقفه صاحبه وقفا محرما لا يورث ولا يباع من أرض ونخل وكرم ومستغل، يحبس أصله وقفا مؤبدا وتسبل ثمرته تقربا إلى الله عز وجل.. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج07، ص301، ج02، ص752.

[5]- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج02، ص15.

[6]- عمر بلبشير، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى (من القرن 06-09هـ/12-15م) من خلال كتاب (المعيار) للونشريسي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2009م/2010م، ص171.

لقد زاد الاهتمام بهذا النوع من الأراضي منذ القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي وأدى إلى انتشار الزوايا والمدارس في ربوع البلاد حتى أصبحت المؤسسة الواحدة من المساجد والمدارس والزوايا تملك مقاطعة بكاملها[1] مثل زاوية سنا[2].

وعن الأسباب التي تدفع بالموقفين إلى هذه التوقيفات من خلال ما ورد في نوازل المعيار أنه بالإضافة إلى السبب الرئيسي في الوقف وهو الأجر والثواب الأخروي من خلال تخصيص منفعة اقتصادية للموقف عليه هناك أسباب أخرى من بينها الجزاء من قبل السلطة المركزية، أو عليها ضرائب متراكمة، أو أرض ليس فيها فائدة، «فقد حبس رجل على زاوية أرضا ليس فيها كبير فائدة، فقام بالجزاء عليها من المخزن»[3].

يقوم بإدارتها مجموعة من الموظفين يأتي في مقدمتهم (الناظر) الذي يسهر على ضمان كراء واستغلال هذه الأراضي ومراقبتها على الدوام وتحصيل ثمارها وجمع أموالها[4]، و يؤكد هذه الوظيفة صاحب المعيار بقوله: «وسئل عن ناظر الأحباس هل يجب عليه تفقدها أم لا؟ فأجاب يطوف الناظر الحبس وشهوده وكتابه وقباضه على ربع الأحباس أكيد ضروري لابد منه وهو واجب على الناظر فيها لا يحل له تركه، إذ لا يتبين مقدار غلاتها ولا غامرها ولا عامرها إلا بذلك وما ضاع كثير من الأحباس إلا بإهمال ذلك».[5]

إن معظم عائدات ومداخيل هذا النوع من الأراضي كانت توزع على الفقراء والمشاريع الخيرية كبناء مدرسة أو دار للإمام وغيرها من الأعمال الأخرى[6].

وتشير بعض النوازل إلى بعض النظم المتعلقة باستغلال الأرض المنتشرة في المغرب الأوسط منها: المزارعة والمغارسة والمساقاة.

---

[1]- مختار حساني، المرجع السابق، ص16.

[2]- زاوية سنا: يذكر الحسن الوزان أن أراضي سهل البطحاء كانت تعرف بأراضي سنا وحتى المجرى الأدنى لوادي مينا حمل نفس الاسم. ينظر الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، 396.

[3]- الونشريسي، المعيار، ج07، ص227.

[4]- روبار برونشفيك، المرجع السابق، ص195.

[5]- الونشريسي، المعيار، ج07، ص 301.

[6]-المصدر نفسه، ج07، ص08. عمر بلبشير، المرجع السابق، ص174

– المزارعة: مفاعلة من الزراعة وهي الحرث والفلاحة والزرع إذا كان بمعنى المزروع، فهو نبات كل شيء وإن كان بمعنى الفعل فهو الإنبات[1] ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[2].

بينما اصطلاحا عرفها المالكية بأنها الشركة في الزرع[3]. وهي المعاملة على الأرض بمعنى ما يخرج من زرعها والبذر من مالك الأرض[4]، أو هي إعطاء الأرض لمن يزرعها على أن يكون له نصيب مما يخرج منها كالنصف أو الثلث أو أكثر من ذلك أو الأدنى حسب ما يتفقان عليه[5].

ويتم توزيع المحصول حسب ما تم الاتفاق عليه في وثيقة العقد مسألة الشركة[6]، مسألة إيجار[7]، فإن كانت إجارة كان لصاحب الأرض ثلاثة أرباع، ولصاحب العمل الربع، وإن كانت شركة تمت مناصفة، وإن كان القائم عليها خماسا، حصل على خمس المحصول 5/1، والأربعة الباقية لصاحب الأرض[8].

– المغارسة: لغة مشتقة من غرس، غرس الشجر ونحوه– غرسا: أنبته في الأرض فهو مغروس وغريس وغرس[9].

---

[1]– ابن منظور، المرجع السابق، ج08، ص141.

[2]– سورة الواقعة، الآية 67.

[3]– مُحَمَّد بن مطلق الرميح، النوازل الفقهية المالية من خلال المعيار المعرب للإمام الونشريسي (ت 914هـ) دراسة نظرية وتطبيقية، رسالة ماجستير في الفقه، 1432هـ/2011م، ص473.

[4]– أبو زكرياء محي الدين يحي بن شرف النووي (ت 676هـ)، تحرير لغات التنبيه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2010م، ص166.

[5]– سيد سابق، فقه السنة، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط01، 1425هـ/2004م، ص940.

[6]– الشركة:جاء في لسان العرب: فهي شرك:الشركة والشركة مخالطة الشريكين، ويقال شاركت فلانا في الشيء إذا صرت شريكه. ينظر: ابن منظور، المرجع السابق، ج10، ص448.بينما اصطلاحا: فهي قسمان شركة ملك وشركة عقد كاجتماع اثنين فأكثر في استحقاق مال أو اجتماع في تصرف من بيع ونحوه، وقد شاع هذا النظام بكثرة بين أهل المغرب الأوسط.ينظر:مُحَمَّد بن مطلق الرميح،المرجع السابق، ص448.

[7]– الإجارة: ورد في لسان العرب الأجير والمستأجر وجمعه أجراء والإجارة والأجرة الكراء. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج04، ص10. بينما اصطلاحا: هي بيع منفعة ما أمكن نقله غير سفينة ولا حيوان لا يعقل بعوض غير ناشئ عنها بعضه بتبعيض تبعيضها. ينظر: أبي عبد الله مُحَمَّد الأنصاري الرصاع(المتوفى سنة 894هـ/1489م)، كتاب شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، تح: مُحَمَّد أبو الأجفان والطاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1993م، ص516.

[8]– أحمد بن مغيث الطليطلي(المتوفى سنة 459هـ)، المقنع في علم الشروط، وضع حواشيه، مُحَمَّد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1420هـ/2000م، ص172.

[9]– المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجميات وإحياء التراث، ص649.

بينما اصطلاحا: هي دفع فلان أرضه إلى فلان آخر جميع أرضه والتي بموضع محدد على أن يغرس هذه الأرض أشجار يسميانه ذات أجناس مختلفة، ويحفرها ويخدمها حتى تبلغ الإطعام فهنا يتم اقتسام الأرض والثمرة بنصفين، لرب الأرض نصفها وللمغارس النصف الثاني[1].

أما ابن عرفة فيعرفها على أنها جعل وإجارة وذات شركة في الأصل. وهي عقد على تعمير أرض شجر بقدر معلوم كالإجارة أو كالجعالة أو بجزء من أصل، وذلك بجمع أصنافها الصحيحة والفاسدة[2].

– المساقاة: لغة من سقى سقيا. وسقى الحيوان والنبات أرواه، ويقال سقاه غيثا أنزله عليه[3] وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾[4]، جعل له ماء، وسقى فلانا شجره وأرضه[5]، لأن العامل يسقي الشجر، لأنه أهم أمورهما، ودفعها إليه واستعمله ليعمرها ويسقيها ويقوم بإصلاحها، على أن يكون له له سهم معلوم من الربع والمحصول[6].

بينما اصطلاحا عرفها المالكية بأنها عقد على مؤونة نمو النبات بقدر لا من غير غلته لا يلفظ البيع أو إجارة أو جعل[7]، أو هو دفع الشجر إلى من يصلحه بجزء من ثمره، أو هو استعمال رجل في نخيل أو كروم أو غيرهما لإصلاحها على سهم معلوم من غلتها[8]، وهي مشروعة بالسنة والإجماع، فعن فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: «أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع»[1].

---

[1]– أحمد بن مغيث الطليطلي، المصدر السابق، ص177.

[2]– ابن عرفة، المصدر السابق، ص515.

[3]– المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص437.

[4]– سورة المرسلات، الآية27.

[5]– النووي، المصدر السابق، ص165.

[6]– المعجم الوسيط، المرجع السابق ، ص437.

[7]– ابن عرفة، المصدر السابق، ص508.

[8]– معزز إسكندر الحديثي، آراء الإمام أبي اسحاق الشيرازي الاقتصادية والمالية– دراسة مقارنة في الاقتصاد الإسلامي– الذاكرة للنشر والتوزيع، بغداد، العراق، ط01، 1439هـ/2018، ص541.

أو زرع»[1]. وباعتبارها شركة زراعية يتفق المتعاقدان على الثمرة الحاصلة المشتركة بينهما إما بالنصف أو الثلث ونحو ذلك ويسمى العامل بالمساقي والطرف الآخر يسمى برب الشجر[2].

لقد تعددت مصادر المياه في المغرب الأوسط، وهو ما ذهب إليه حسن الوزان عند وصفه مدينة تلمسان بقوله: «وفي المدينة عدة سقايات»[3]، وحددها الونشريسي بشكل دقيق في: «الأمطار، والعيون، والآبار، والأودية، والصهاريج»[4].

ونافلة القول أن تعدد طرق تملك الأراضي ونظم استغلالها وتنوع مصادر المياه وأساليب السقي واعتناء سكان المغرب الأوسط واهتمامهم بالنشاط الزراعي كلها عوامل مهمة ستؤدي حتما إلى تنوع المحاصيل الزراعية كما ونوعا.

02- الإنتاج الزراعي وتوزيعه الجغرافي:

يزخر المغرب الأوسط بإمكانيات هائلة جعلت منه إقليما فلاحيا بامتياز منها (جودة الأراضي وتنوع التضاريس، اعتدال المناخ، تنوع مصادر المياه) أدى إلى وجود اختلاف في الإنتاج الزراعي بين منطقة وأخرى، حيث اشتهرت كل ناحية بمنتوج معين أكثر من غيرها، فهذه بالثمر، وتلك بالفواكه وأخرى بالحبوب. ولقد عبر عن هذا التنوع صاحب الاستبصار بقوله: «وللمغرب الأوسط مدن كثيرة، وهي كثيرة الخصب والزرع كثيرة الغنم والماشية طيبة المراعي»[5]. وقد سمح هذا التباين بانتقال الإنتاج الفائض من الأماكن ذات الوفرة إلى الأماكن التي تعاني نقصا وحاجة إليها.

وفي هذا الشأن تشير المصادر الجغرافية إلى أن الإمكانيات الطبيعية الهائلة التي يتوفر عليها المغرب الأوسط جعلت منه بلدا غنيا فلاحيا يمون نفسه ذاتيا بما تنتجه أراضيه الخصبة[6] خاصة السهلية منها

---

[1]- البخاري، صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم، 2328.

[2]- سيد سابق، المرجع السابق، ص102.

[3]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص20.

[4]- الونشريسي، المعيار، ج05، ص12، ص13، ص111، ص112.

[5]- مجهول، صاحب الاستبصار، ص179.

[6]-لطيفة بن عميرة ، الأوضاع الاقتصادية في الإمارة الزناتية، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد08، السنة 1994/1993م، ص ص70-71.

وقد أشار الوزان الى مدى خصوبة أراضي المناطق الساحلية وغناها بقوله: «السهول القريبة من الساحل منتجة جدا نظرا لخصوبتها، والجهة المجاورة لتلمسان كلها سهل مع بعض المفازات، غير أن الأماكن بها زاهرة والبقعة خصبة»[1]، كما وصف يحي بن خلدون هذه المناطق بقوله: «أنها أعدل الأراضي مزاجا وأفضلها نتاجا ما بين إفريقية والسوس الأدنى إلى المغرب الأقصى»[2].

كانت الزراعة التي يمارسها فلاحو تلك الفترة زراعة مختلطة أو متعددة (Polyculture) جمعت بين الزراعة و الغراسة و البستنة فشملت بذلك مختلف أنواع الحبوب و القطاني و الأشجار المثمرة وأصناف الخضروات و البقول، فضلا عن منتوجات أخرى كالقطن كما أنها كانت زراعة مكثفة (Culture intensive) فرضت استغلال جميع المساحات الصالحة للزراعة بهدف الحصول على منتجات مختلفة وكافية لتلبية الحاجات.[3] ومن بين هذه المحاصيل :

- الحبوب: غلبت زراعة الحبوب ببلاد المغرب الأوسط لأنها الغداء الرئيسي للسكان، كانت تعتمد على الطريقة البورية أي التي لا تعتمد على السقي الدائم لملائمتها مع البيئة الجغرافية لهذه البلاد، وأهم هذه الحبوب هي:

أ- القمح والشعير:

يعتبران مادتين أساسيتين لما لهما من قيمة غذائية، حيت انتشرت زراعتهما على نطاق واسع في كامل أرجاء المغرب الأوسط، وكان يزرع بين شهري أكتوبر ونوفمبر، ويحصد غالبا في جوان أو جويلية وتزداد أهمية هذين المحصولين أيام القحط والجفاف[4]، وتشير المصادر الجغرافية إلى أن معظم

---

[1]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص10.

[2]- يحي بن خلدون، العبر، ج01، ص84.

[3]- محمد حسن، أصناف الانتاج الزراعي بإفريقية (من القرن 06هـ/12م إلى القرن09هـ/15م)، ضمن كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، منشورات عكاظ، 2001م، ص269.

[4]- بلعربي خالد وآخرون، الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب الأوسط (160هـ962هـ/777م-1554م)، منشورات ألفا للوثائق قسنطينة، الجزائر، ط01، 2020م، ص171.

كور ومدن المغرب الأوسط كانت تزرع الحبوب وتقوم بتخزينه في المطامير[1] والأهراء[2] لمدة تتجاوز في بعض الأحيان المائة سنة دون تعرضها للتلف أو التعفن[3]، وهذا على حسب إشارة الإدريسي (ت585هـ/1162م) عند تعرضه لمدينة قسنطينة[4] حيث ذكر أن الحنطة «تقيم بها في مطاميرها مائة سنة لا تفسد»[5]، وكانت قلعة بني حماد «تخزن بها الحنطة فتبقى العام والعامين لا يدخلها الفساد ولا يعتريها تغيير»[6]، وقد أشار ابن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م) إلى وفرة الحبوب بتنس بقوله: «تنس مشهورة بكثرة القمح ومنها يحمل في المراكب إلى سواحل الأندلس وغيرها»[7].

ونفس الوفرة تواجدت بمدينة تسالة[8] حيث وصفها الوزان بقوله: «أمَّا مدينة تسالة فتقع في سهل كبير يمتد على مسافة عشرين ميلا، ينبت قمحا جيدا جميل اللون غليظ الحب يمكنه وحده أن يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب»[9]، وكذا شرشال والتي كان لها من «زراعة الحنطة والشعير ما يزيد على الحاجة»[10]، كما ذكر لنا الحميري مدن أخرى مثل مقرة حيث وصفها بأنها: «مدينة صغيرة صغيرة وبها مزارع وحبوب» ومدينة مرسى الدجاج حيث قال: «أنَّ إصابتهم واسعة وحنطتهم

---

[1]- المطامير: هي حفر غالبا ما تكون في الصخر تخزن فيها الحبوب، وقد يسع بعضها إلى ألف دورجي من الحبوب. ينظر: الوزان المصدر السابق، ج01، ص277.

[2]- الأهراء: بفتح الهمزة وسكون الهاء والمفرد هرى. هي مخازن الغلال والحواصل الاحتياطية لتخزينها، تحسبا للضرورات والطوارئ وكان لها ديوان يرأسه ناظر الأهراء. والأهراء السلطانية وكذلك الأهراء المباركة هي مخازن وحواصل تخزين الغلال والأتبان الخاصة بالسلطان المستعملة منها والاحتياطية. ينظر: مُحَّد عمارة، المرجع السابق، ص ص72-73.

[3]- مُحَّد بن عربة، ثروات المغرب الأوسط النباتية والحيوانية خلال العصر الوسيط من خلال مصنفات الرحلة والجغرافيا، مج02، ع06، مدارات تاريخية- دورية دولية محكمة ربع سنوية-جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، جوان 2020م، ص335.

[4]- قسنطينة: بضم أوله وفتح ثانيه ثم نون وكسر الطاء وياء مثناة من تحت ونون أخرى بعدها ياء خفيفة وهاء. مدينة وقلعة يقال لها قسنطينة الهواء وهي قلعة كبيرة جدا حصينة عالية لا يصلها الطير إلا بجهد وهي بحدود إفريقية مما يلي المغرب. وهي مدينة أزلية كبيرة أهلة ذات حصانة ومنعة ليس يعرف أحصن منها. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص89.

[5]- الإدريسي، المصدر السابق، ص166.

[6]- الإدريسي، المصدر السابق، ص162.

[7]- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص140.

[8]- تسالة: يسميها كاربخال تسلة وعرفت قديما بأريان وهي مدينة قديمة بناها سكان البلد الأصليون في سهل فسيح عرضه سبعة فراسخ وهي على ستة فراسخ من وهران، أرضها خصبة يمكن أن تمد مدينة تلمسان بالقمح والشعير إذا زرعت بأكملها دون مشقة لأنها لا تتكون إلا من الخيام، وهي التي جعل بطليموس موقعها عند ثلاث عشرة درجة وعشرين دقيقة طولا وثلاثين درجة وخمسين دقيقة عرضا. ينظر: مارمول كاربخال، كتاب إفريقيا، ج02، ص325.

[9]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص24.

[10]- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص159.

مباركة»[1]، كما كانت قبائل بني مزغناي «زراعاتهم الحنطة والشعير"»[2]. ويذكر الحسن الوزان أن «سهل متيجة به ينبت القمح الجيد»[3] وكان أهل دلس «يملكون أراضي زراعية كثيرة تنتج القمح بوفرة»[4]. ونفس الشيء بالنسبة لأهل باغاية[5] وكذلك طبنة[6] والمسيلة[7] وكانت حنطة القلعة رخيصة، رخيصة،[8] أما تلمسان فقد ذكر لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1374م) أن تلمسان «خزانة زرع، ومسرح ضرع»[9].

ب- محاصيل أخرى:

تتمثل في البقول ورغم أهميتها الكبيرة إلاّ أن حضورها في المصادر الجغرافية لم تنل حقها الكافي مقارنة بمادتي القمح والشعير ما عدا تلك الإشارات الشحيحة التي جاءت متناثرة هنا وهناك، والبقول المنتشرة في بلاد المغرب الأوسط بصفة عامة بحسب ابن فضل العمري (ت749هـ/1349م) عديدة ومتنوعة منها: الخيار والقثاء، اللوبياء، اللفت، الباذنجان، القرنبيط، الكرنب، البقلة اليمانية واسمها بليدس، الرجلة، الخس، الهنديا على أنواع والملوخيا[10]..، وقد تواجد بمدينة وازلفن البصل[11]، وبمدينة نقاوس الجزر[12].

أما الفواكه فهي على أنواع وأذواق مختلفة مثل العنب والتين والسفرجل والتفاح والخوخ والمشمش والتوت والليمون والجوز والنخيل وغيرها[13]. وعن هذه المحاصيل تحدث عبدالله بن الصباح

---

[1]- الحميري، المصدر السابق، ص ص539-556.

[2]- الإدريسي، المصدر السابق، ص159

[3]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص37.

[4]- المصدر نفسه، ص42.

[5]- ابن حوقل النصيبي، المصدر السابق، ص177.

[6]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 164.

[7]- المصدر نفسه، ص ص155-156.

[8]- المصدر نفسه، ص156.

[9]- لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح: مُحَمَّد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، مصر، 1423هـ/ 2002م، ص184.

[10]- ابن فضل الله العمري (ت749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري وآخرون، دار الكتب بيروت، لبنان، ط01، 2010م، ج04، ص65.

[11]- الإدريسي، المصدر السابق، ص154.

[12]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص95.

[13]- الإدريسي، المصدر السابق، ص ص250-255.

في رحلته إلى تلمسان قائلا: «مدينة تلمسان خضراء من كثرة البساتين والأشجار... وكثرة الزرع وشجر الزيتون والتين والعنب والغالب عليها ثمار الزيتون وتمر الغدان»[1]، كما وصف لنا الحسن الوزان أهم الفواكه التي كانت تنتجها هنين والمناطق المجاورة لها بقوله: «وتنتج الممتلكات المجاورة لهنين حتى الآن كميات وافرة من الثمار كالكرز والمشمش والتفاح والإجاص والخوخ وما لا يحصى من التين والزيتون، لكن لا يوجد من يقطفها في البساتين الواقعة على ضفة النهر القريب من المدينة حيث أقيمت الطاحونات»[2].

أما تيهرت وتنس وشرشال ومازونة ومليانة والبطحاء ووهران وغيرها من المناطق الأخرى فكانت لا تختلف عن تلمسان بها فواكه حسنة مختلف ألوانها والأراضي جيدة تغطي غلة حسنة[3] ويصف القلقشندي (ت821هـ/1418م) فواكه تيهرت بقوله: «وبها البساتين الكثيرة الموبقة والفواكه الحسنة، والسفرجل الذي ليس له طعم أو شم»[4].

ويضيف ابن حوقل ما تنتجه مدينة برشك[5] بقوله: «وبها فواكه حسنة غزيرة وسفرجل معتق كالقرع الصغار وهو طريف وأعناب»[6]، أما الناحية الممتدة ما بين مدينة تنس والمسيلة فكانت هي الأخرى تنتج ما لذ وطاب من الفواكه حيث كان بتنس من «الفواكه كل طريفة ومن السفرجل ما يفوق الوصف»[7].

كانت التمور تنتج بالمناطق الصحراوية جنوب المغرب الأوسط أهمها إقليم توات، وقد قال عنه عبد الرحمن بن خلدون به جنات من النخيل والأعناب وسائر الفواكه: «وفيه قصور متعددة تناهز المائتين، آخذة من المشرق إلى المغرب وآخرها من جانب المشرق يسمى تمنطيت»[8]، كما تحدث ابن

---

[1]- الحاج عبد الله بن الصباح الأندلسي المدخن، نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار (رحلة حجازية)، تح: جمعة شيخة، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، الشرقية، تونس، 2012م، ص57.

[2]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص ص15-16.

[3]- المصدر نفسه، ص ص30-46.

[4]- أبو العباس القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م، مج05، ص111.

[5]- برشك: بين برشك وتنس في الساحل ستة وثلاثون ميلا وبرشك مدينة صغيرة على تل وعليها سور تراب وهي على ضفة البحر، وشرب أهلها من عيون وماؤها عذب، وبها من الفواكه و جملة مزارع كثيرة وشعير ومنها إلى شرشال عشرون ميلا وكان طاغية صقلية أخذها واستولى عليها. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص88.

[6]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

[7]- محمود مقديش، المرجع السابق، مج01، ص ص77-78.

[8]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص ص76-77.

بطوطة في رحلته عن قرى توات وعن مبادلاتها التجارية مع سجلماسة وبلاد المغرب قائلا: «ثم وصلنا إلى بودا وهي من أكبر قرى توات، وأرضها رمال وسباخ وتمرها كثير ليس بطيب، لكن أهلها يفضلونه على ثمر سجلماسة، ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت، وإنما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب»[1]، وقد كان الحسن الوزان شاهدا على تواجد ووفرة التمر الذي ينقل إلى قسنطينة حيث يباع فيها بثمن بخس[2].

كما وصف لنا البكري جنسا من الثمر بمدينة بسكرة[3] يعرف بـ: "الكسبا" وهو الصيحاني يضرب به المثل لفضله على غيره، وجنس يعرف بالليباري أبيض أملس، وكانت بسكرة تعرف بـ "بسكرة النخيل"[4]، قال عنها الشاعر أحمد بن مُحَمَّد المروذي :

ثُمّ أَتَى بِسَكْرَةَ النّخيلُ فَقَدْ اغْتَدَى فِي زِيّه الجَميلُ[5]

وقد أكد على جودة ونوعية هذا الثمر في المنطقة الرحالة ابن سعيد المغربي (ت672هـ/1274م) عندما قال: «فهي بلاد نخل ومنها تجلب أصناف الثمر إلى حاضرتي تونس وبجاية»[6].

الجدول 14: يمثل لنا محاصيل أخرى كانت منتشرة في بعض مدن وقرى المغرب الأوسط:

المكان	نوع المحصول ومميزاته	المصدر/المرجع
تفسرة	أراضيها جيدة لزراعة القمح	الوزان، المصدر السابق، ج2، ص24.
شرشال	بلد طيب تجود به أشجار التوت والكروم والزيتون	كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص356.
واركلان	بلد خصيب به كثير من الزرع والنخيل والبساتين.	الحميري، المصدر السابق، ص600.
وادي الشلف	زراعة العصفر والسمسم	ابن بصال، المصدر السابق، ص141.

[1]- أبو عبد الله مُحَمَّد بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: مُحَمَّد عبد المنعم العريان، مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط01، 1987م، ج01، ص713.

[2]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص56.

[3]- بسكرة: بكسر الكاف وراء بلدة بالمغرب من نواحي الزاب بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان، فيها نخل وشجر، وبينها وبين طبنة مرحلة. وهي مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة وتعرف ببسكرة النخيل وبها جبل ملح يقطع منه كالصخر الجليل. انظر شهاب الدين ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج03، ص182.

[4]- البكري، المصدر السابق، ص139. الحميري، المصدر السابق، ص 114

[5]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج03، ص182.

[6]- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص126.

مرسى الدجاج	كان تينه يحمل الى سائر الأقطار وأقاصي المدائن والأمصار.	الإدريسي، المصدر السابق، ص152.
مستغانم	كان يبذر القطن في أرضها فيجود	البكري، المصدر السابق، ص163.
ندرومة	كان القطن ينمو بكثرة في نواحيها.	الوزان، المصدر السابق، ج02، ص14.
مقرة	كان أهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير.	الحميري، المصدر السابق، ص556.
بجاية	اشتهرت بالحشائش الطبية مثل: شجر الحضض، والسقول والبرباريس والأفسنتين...	الإدريسي، نفسه، ص160-161. الحميري، نفسه، ص80-81.
القلعة	يكثر بها الفليون الحراني للتحصن من ضرر لسعات العقارب	الإدريسي، نفسه، ص156.

كما اشتهر المغرب الأوسط بكثافة الغطاء النباتي خاصة في المناطق الساحلية مثل عنابة والتي عبر عنها البكري لكثافة غاباتها أنها: «في شعراء عظيمة شجرها كلها زان»[1]، وكذلك نجد مدينة بجاية التي التي كانت بها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن لأن الخشب في جبالها وأوديتها كثير موجود[2].

– الثروة الحيوانية: لقد ذكرت لنا العديد من مصنفات الرحالة والجغرافيين إشارات تؤكد على وفرة الثروة الحيوانية وتوزيعها في إقليم المغرب الأوسط والتي كانت تربيتها تقوم جنبا إلى جنب الزراعة، فالمحصول الزراعي مقرون بالمنتوج الحيواني، وكانت أراضي المغرب الأوسط مرتعا لمختلف الحيوانات وخاصة الأغنام والأبقار والخيل والإبل وغيرها من الحيوانات الأخرى والتي يمكن توزيعها على النحو الآتي:

ج– الأغنام:

لقد اشتهرت بتربيتها العديد من المدن من بينها جزائر بني مزغناي فكان أهلها: «أكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم سائمة في الجبال»[3] ومدينة تدلس كانت بها الغنم تباع بأثمان يسيرة لكثرتها[4]، وكان بتاهرت «البراذين والخيل كل حسن وأما البقر والغنم كثيرة جدا»[5]، وأكد ابن حوقل أنها

[1]– البكري، المصدر السابق، ص142.
[2]– الإدريسي، المصدر السابق، ص157.
[3]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص81.
[4]– الإدريسي، المصدر السابق، ص160. الحميري، المصدر السابق، ص132.
[5]– المصدر نفسه، ص157.

«أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين[1] والفراهية»[2]، ويذكر ابن عذاري أن عبد المؤمن بن علي عند مروره بإحدى قرى تلمسان أهدى لإحدى العائلات ألف رأس من الغنم. كما كانت الأغنام عماد ثروة الكثير من المناطق الريفية الجنوبية وادي ريغ[3]، كما كانت تربيتها منتشرة في كل من شرشال[4]، مرسى الدجاج[5]، طبنة[6]، المسيلة[7]، بلزمة[8]، برشك[9]، ووهران[10].

د- الأبقار وحيوانات أخرى:

رغم قلتها مقارنة بالأغنام، إلا أنّ انتشارها كان بالجهة الشمالية حيث المراعي الخضراء والأراضي المنبسطة الخالية من السفوح الشديدة الانحدار[11].

لقد اهتم السكان بتربيتها لما لها من أهمية كبيرة من حيث الاستفادة من لحومها وجلودها التي كانت تدبغ وتصدر إلى أوربا[12] واستخدامها في أعمال الفلاحة، حيث جرت العادة بين أهل البلاد على استعارة أو استئجار الثيران للحرث والأبقار للدرس،[13] كما تم استغلالها في مجالات أخرى

---

[1]- البراذين: البرذون الدابة معروف وسيرته البرذنة والأنثى برذونة وجمعه براذين والبراذين من الخيل ما كان من غير نتاج العراب وبرذن الفرس: مشى البراذين وبرذن الرجل: ثقل. قال الشاعر: رأيتك إذا جالت بك الخيل جولة وأنت على برذونه غير طائل. بينما الفراهية يقال للبرذون والبغل والحمار فاره بين الفروهة والفراهية والفراهة ويقال دابة فارهة أي نشيطة حادة وقوية ولا يقال للفرس إلا جواد إنما يقال في البغل والحمار وغير ذلك. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص ص258-3406.

[2]- ابن حوقل، المصدر نفسه، ص87.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص247.

[4]- الحميري، المصدر السابق، ص340.

[5]- مرسى الدجاج: بالقرب من آشير وقد أحاط بها البحر من ثلاث نواح، بها عيون طيبة، وإصابة أهلها في زراعتهم واسعة وفيها من جميع الفواكه واللحوم ينظر: الإدريسي، المصدر نفسه، ص159.الحميري، المصدر السابق، ص539. محمود مقديش، المرجع السابق، ص91.

[6]- ابن حوقل، المصدر نفسه، ص89.

[7]- الإدريسي، نفسه، ص155.

[8]- ابن حوقل، نفسه، ص95.

[9]- المصدر نفسه، ص82.

[10]- الحميري، المصدر السابق، ص612.

[11]- مختار حساني، المرجع السابق، ص39.

[12]- مختار حساني، المرجع السابق، ص40.

[13]- كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1996م، ص64.

كالتجارة والحروب، فابن حوقل كان شاهدا على وفرتها في مدينة بونة وقال: «أن كثرة سوائمهم البقر»[1]، ونفس الملاحظة أكد عليها البكري الذي ذكر أن: «أكثر لحمانهم البقر»[2].

ومن بين المدن الأخرى التي اشتهرت بتربية الأبقار وبأعداد وافرة جزائر بني مزغناي[3]، أمَّا وهران فإن البقر والغنم «بها رخيصة وبالثمن اليسير»[4]، وكانت طبنة «وافرة الماشية من البقر والغنم وسائر الكراع[5] والنعم»[6]، وقد كثرت عند أهل المسيلة «المواشي من الدواب والأنعام والبقر»[7]، واشتهرت كل من تاهرت[8] وتدلس[9] بوجودها.

ومن زاوية أخرى فإن سكان المغرب الأوسط لم يهتموا بتربية المواشي فقط بل عرفوا واهتموا بأنواع عديدة من الدواب منها: الخيول والتي اشتهرت بتربيتها قبائل زناتة مثلما أكده الإدريسي عندما عندما قال أن «أكثر زناتة فرسان يركبون الخيل»[10]، كما اشتهرت بها تاهرت والزاب وتلمسان وبنو راشد في هضاب الونشريس وآشير والمسيلة[11]، وفي هذا الشأن يؤكد الإدريسي «أن المسيلة اشتهرت بسوائم الخيل»[12] ونفس الأمر مع تاهرت حيث قال: «بها ضياع جمة وبها من نتاج البراذين والخيل كل حسن»، ويذكر ياقوت الحموي (626هـ/1229م) أن تلمسان «اشتهرت بالخيل الراشدية والتي لها لها فضل على سائر الخيل»[13].

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص81.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص143.

[3]- الحميري، المصدر السابق، ص163.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص82.

[5]- الكراع: بضم الكاف وفتح الراء ممدودة والجمع: أكرع وأكارع اسم لجميع الخيل والسلاح والكراع من الإنسان: هو ما دون الركبة إلى الكعبة ومن البقر والغنم مستدق الساق العاري من اللحم ويذكر ويؤنث. ينظر: مُحَمَّد عمارة، المرجع السابق، ص479.

[6]- الإدريسي، المصدر السابق، ص153.

[7]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

[8]- المصدر نفسه، ص89.

[9]- الحميري، المصدر السابق، ص132.

[10]- الإدريسي، المصدر السابق، ص158.

[11]- عز الدين عمر أحمد موسى، المرجع السابق، ص254.

[12]- الإدريسي، المصدر السابق، ص155.

[13]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج02، ص44.

لقد كانت شهرة الزناتيين في ركوب الخيل وترويضه مصدر إعجاب من طرف الأندلسيين، فقد فقد ذكر صاحب مؤلف المقتبس ابن حيان القرطبي (469هـ/1076م) على لسان الخليفة الأموي الثاني بالأندلس الحكم المستنصر بالله (ت366هـ/977م)[1] إعجابه بفرسان بني برزال وهم يروضون الخيل ويستعرضونها بما يلي: «انظروا إلى انطباع هؤلاء القوم على خيولهم فكأنهم الذين عناهم الشاعر بقوله:

فَكَأَنّما وُلِدَتْ قِيامًا تَحْتَهُمْ وَكَأَنّهُمْ وُلِدُوا عَلَى صَهَواتِهَا[2]»

إضافة إلى اهتمامهم بتربية الإبل في حمل الأثقل وقطع المسافات الطوال في الصحاري والقفار، وقد اشتهرت زناتة بامتلاكها وتربيتها لها في صحاري المغرب الأوسط ولا أدل على ذلك ما ذكره ابن حوقل حيث قال أن: «الجمال كثيرة في براريهم وسكان صحاريهم التي لا تداينها في الكثرة إبل العرب»[3].

---

[1]- الحكم المستنصر بالله الأموي: هو أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن مُحَمَّد بن الإمام عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن الأوسط بن الحكم الربضي بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، يعتبر ثاني خلفاء بني أمية بالأندلس، في السنة الثامنة من عمره رشحه أبوه وجعله ولي عهده وأثره على جميع أولاده، ودفع إليه كثيرا من التصرف في دولته، عرف عنه حبه وشغفه للعلم والعلماء وكان هو نفسه شاعرا وعالما يقول عنه ابن الأبار: «وكان ممن عرف عنه فضله وعلمه وجليل عائدته على العلم وأهله، وكان يشاهد مجالس العلماء ويسمع منهم، ويروي عنهم حبا للعلم، ورغبته في الإشراف عليه، والاطلاع على شؤونه وسعيا لاقتناء أصوله وفروعه، وضم أبكاره إلى عونه»، تعتبر فترة حكمه سنة 350هـ/961م من السنوات التي زادت في مجد وتاريخ الإسلام، حيث سار على نهج أبيه في السياسة الداخلية والخارجية، إذ تمكن من كسر شوكة النورمان، ومن إذلال تام للممالك النصرانية شمال الأندلس، كما جابه التشيع والخلافة الفاطمية للمغرب ورسخ قواعد لدولته في المغرب، وفاقت قرطبة في عصره جميع حواضر علما وتقدما، توفي سنة 366هـ/977م حيث دخلت الأندلس بعدها مرحلة جديدة تمثلت في أفول نجم الأسرة الأموية لصالح أسرة العامريين وبعدها ملوك الطوائف. عن حكمه وأحوال الأندلس في عهده ينظر: ابن حيان الأندلسي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، شر: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط01، 2006م، ص158 وما بعدها. ابن الأبار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط02، 1985م، ج01، ص ص200-205. سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300-399هـ/912-1008م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط01، 2000م، ص99.

[2]- ابن حيان الأندلسي، المصدر السابق، ص ص150-151.

[3]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص98.

لقد اشتهرت مناطق المغرب الأوسط بوفرة النحل على شكل خلايا تسمى أجباح وله أحكام وأنظمة وهي تحتاج من يقوم برعايتها لأجل استخراج العسل[1]، ومن الدلالات التي تؤكد ذلك ما جاء به الرحالة والجغرافيون عن كثرة العسل. ومن هذه الإشارات رواية الحسن الوزان عن ندرومة بقوله: «وكان أهل ندرومة يتغذون بالعسل الموجود بها بوفرة»[2]، إضافة إلى توفره في شرشال: «فالنحل عندهم كثير والعسل بها ممكن»[3]، وببوادي برشك والمسيلة[4]، جيجل[5]، قسنطينة[6]، تاهرت[7]، مازونة[8]، وهران[9]، تنس[10]، كما مارس سكان المغرب الأوسط وخاصة في الأرياف تربية الطيور الداجنة والبرية. وقد وصف عبد الرحمن بن خلدون في المقدمة أفضل الطرق لتربية الدجاج فقال: «أن «أن الدجاج إذا غذيت بالحبوب المطبوخة في بعر الإبل واتخذ البيض ثم حضنت عليه، جاء الدجاج منها أعظم ما يكون، وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب بطرح ذلك البعر مع البيض المحضن فيجيء دجاجها في غاية العظم»[11].

ذكر الإدريسي أنه من جزيرة الحمام إلى مصب وادي الشلف 22 ميلا، ومنه إلى قلوع الفراتين في وسط الجون 22 ميلا، والقلوع جباة البيض[12]، وهذه إشارة واضحة إلى كثرة البيض بهذه المناطق

---

[1]- متعب بن حسين القتامي، أضواء على الرعي والفلاحة وأنظمتها في المغرب الأوسط من خلال كتاب النوازل للونشريسي، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، عدد 03، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1438هـ/2017م، ص29.

[2]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص14.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ص159.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

[5]- علي خنوف، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، منشورات الأنيس، الجزائر، 2011م، ص80.

[6]- الحميري، المصدر السابق، ص480.

[7]- ابن حوقل، السابق، ص86.

[8]- الحميري، نفسه، ص ص 521-522.

[9]- الإدريسي، السابق، ص153.

[10]- الوزان، المصدر السابق، ج02، 36.

[11]- ابن خلدون، المقدمة، ص91.

[12]- لخضر العربي، المرجع السابق، 266.

التي كانت تعتني بتربية الدجاج، ومن الطيور التي اعتنى بتربيتها سكان الريف طير الحجل وطير السماني الذي كان متواجدا في بونة والخضراء[1].

أما الأسماك فقد اشتهرت بها منطقة دلس كما وصفها الوزان: «أن أهلها قد تعودوا جميعا اصطياد السمك بالشباك فيحصلون على كمية وافرة منه لا تباع ولا تشترى وإنما يهدونه لمن يرغب فيه»[2] كما تتواجد بكثرة في نهر شلف. وفي هذا الشأن يذكر القزويني (ت 682هـ/1283م): «أنه في كل سنة في زمان الورد يظهر فيه صنف من السمك يسمى الشهبوق وهو سمك طوله ذراع، ولحمه طيب إلا أنه كثير الشوك ويبقى شهرين ويكثر صيدها في هذا الوقت ويرخص ثمنها ثم ينقطع إلى القابل، فلا يوجد في النهر شيء منها إلى السنة القابلة أوان الورد»[3]. وهذا دليل على أن وفرة الثروة السمكية لم تقتصر على المدن الساحلية فقط بل حتى المناطق الداخلية مثل الشلف والمسيلة.

إلى جانب الحيوانات التي أشرنا إليها هناك حيوانات أخرى كانت متواجدة بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة منها الأسود بصحراء أنكاد بالقرب من تلمسان[4]، بالإضافة إلى البغال والحمير والسباع والسلاحف والغزلان والذئاب[5] والكلاب التي كانت تربى لأغراض الحراسة وتباع بسعر مرتفع، فقد بيع واحد بخمسة دنانير[6].

خلاصة القول أن الثروة الحيوانية تميزت بالوفرة والتنوع، وقد كانت تستخدم في مجالات عديدة (النقل، التجارة، الحروب...)، كما أنها ساهمت في انتعاش العديد من الصناعات وعلى رأسها الصناعة النسيجية.

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.

[2]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص42.

[3]- القزويني، المصدر السابق، 148.

[4]- مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج01، ص76. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص266.

[5]- القزويني، المصدر السابق، ص173. الوزان، المصدر السابق، ج02، ص11. كاربخال، المصدر السابق، ص74.

[6]- عز الدين عمر أحمد موسى، المرجع السابق، ص256.

المبحث الثالث: الإمكانيات الصناعية:[1]

مثلت بعض الحرف والصنائع في المغرب الأوسط القاعدة الإنتاجية للبلاد، بما كان يقدمه الحرفيون من دور بارز في تنشيط الحياة الاقتصادية، وذلك باستغلال المواد الأولية فلاحية كانت أو معدنية أو حيوانية إلى بضائع استهلاكية قابلة للتسويق.

لقد كان الصناع[2] ينقسمون إلى ثلاثة أصناف:

- الصانع الخاص والصانع المشترك وهو الذي يستقبل الزبائن في دكانه أو متجره يصنع لهم حاجاتهم مثلا: نسج ملحفة أو برنوس والصانع المتجول مثل صانع الأواني الحديدية، يخرج إلى الأرياف يصنع الأواني وكانوا يتميزون عن غيرهم بلباس قصير ويعيشون حياة رفاهية حسب ما أورده أورده الحسن الوزان الذي زار أراضي المغرب الدولة الزيانية في مرحلتها الأخيرة عندما قال: «والصناع أناس أقوياء يعيشون في هناء ومتعة ويحبون التمتع بالحياة»[3]، ومن أهم الصنائع التي كانت موجودة هي:

أ- صناعة المنسوجات:

عرفت هذه الصناعة رواجا كبيرا في أرياف وبوادي المغرب الأوسط، والسبب يرجع إلى توفر المراعي التي تربى فيها الحيوانات التي هي مصدر الوبر والصوف، إضافة إلى الكتان الذي يعتبر من المواد المواد الأساسية في مثل هذه الصناعات والذي مورست زراعته في أرياف المغرب الأوسط، والملاحظ

---

[1]- الصناعة: بكسر الصاد مشددة وفتح النون ممدودة: هي حرفة الصانع وهي في عرف العامة العلم الحاصل بمزاولة العمل، مما يتوقف حصولها على المزاولة و الممارسة- أما في عرف الخاصة: فهي العلم المتعلق بكيفية العمل، ويكون المقصود منه ذلك العمل، سواء حصل بمزاولة العمل، كالخياطة ونحوها، أو ما لا حاجة في حصوله إلى مزاولة الأعمال كعلم الفقه والمنطق والنحو والحكمة العملية ونحوها. ينظر: مُحَمَّد عمارة، المرجع السابق، ص334. بينما ابن خلدون في المقدمة يعرفها أنها ملكة في أمر عملي فكري، ويكونه عمليا هو جسماني محسوس والأحوال الجسمانية المحسوس، فنقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل، لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة. ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص332.

[2]- الصناع: والمفرد صانع: هم الذين يصنعون بأيديهم. في القرآن الكريم: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ سورة الأنبياء، الآية 79. ينظر: مُحَمَّد عمارة، المرجع السابق، ص334.

[3]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص21.

على هذه الصناعات أنها تشمل بوجه خاص: حياكة الملابس والزرابي والحنابل وصناعة الخيم والعمائم والأحزمة وغيرها[1].

وقد أثنى يحي بن خلدون على هذه الصناعة بتلمسان بقوله: «غالب تكسبهم الفلاحة وحوك الصوف، يتغنون في عمل أثوابه الرقاق، فتلقى الكساء والبرنوس عندهم من ثماني أواق والأحزام من خمس وبذلك عرفوا في القديم والحديث ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقا وغربا فقد عرف القماش بالتلمساني وهو صوف خالص أو حرير خالص مختم وغير مختم»[2]، كما أن سكان هنين قبل نزوحهم عن المدينة إثر الاحتلال الإسباني لمدينة وهران سنة (915هـ/1509م)[3] فكانوا «يعملون كلهم تقريبا في القطن والمنسوجات»[4]، وكذلك الحال في مدن برشك ومليانة وعنابة، وفي مدينة ميلة «عدد كبير من الصناع وخصوصا من يعملون في نسج الصوف الذي تصنع منه أغطية الأسرة»[5]، وفي فكيك «تنسج النساء ثيابا من الصوف على شكل أغطية الأسرة لكنها دقيقة رفيعة حتى يظن أنها حرير» وتباع بثمن مرتفع في فاس وتلمسان[6].

كما اشتغل بها سكان شرشال بسبب وفرة المادة الأولية في صناعته، إذ وجدوا هناك كمية لا تحصى من أشجار التوت الأبيض والأسود[7]، وفي غالب الأحيان النساء هن من يقمن بهذه الصناعة، وهو ما يفهم من نازلة أوردها الونشريسي في المعيار مفادها: «أن رجلا حلف لزوجته أن لا يشتري لها كتانا ولا يطلع في عنقه ثوبا من غزلها وكانت هي تنسج وهو يبيع، وقامت هذه الزوجة بنسج ما يوضع على السرير»[8].

ب- الصباغة:

[1]- جورج مارسي، تلمسان، تر: سعيد دحماني، دار التل للنشر، الجزائر، 2004م، ص ص100-101.
[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج01، ص22.
[3]- أمين توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، 1997م، ج02، ص187.
[4]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص15.
[5]- الوزان، المصدر السابق ، ص60.
[6]- نفسه، ص132. مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج03، ص162.
[7]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص34.
[8]- الونشريسي، المعيار، ج04، ص128.

ارتبطت هذه الصناعة ارتباطا وثيقا بالمنسوجات، لأن الصباغة آخر مرحلة في صناعة النسيج وتكون دور الصباغة في الغالب بعيدة عن المساكن وقريبة من الأنهار[1].

لقد عرفت منطقة العباد[2] انتشارا واسعا لهذه الصناعة فكان معظم سكانها من الصباغين[3]، كما كان جل سكان دلس من الصباغين لكثرة العيون والجداول بها[4].

ج- صناعة الجلود:

تعتمد هذه الصناعة على جلود الحيوانات كمادة أولية، ومن مستخرجاتها الأحذية والمفروشات وعدة الخيول كالسروج، أما استعمالها في مجال اللباس فكان محدود جدا[5].

لقد كانت مهنة سكان مليانة: «صناعة الجوخ والسروج على عادة المغاربة»[6].

د- الصناعة المعدنية:

قامت الصناعة المعدنية في المناطق التي توفرت فيها المواد الأولية، فمثلا الحديد وجد بالعديد من المناطق مثل بجاية[7] وتفسرة التي يوجد فيها الحديد بكثرة وكان أهلها: «لا يشتغلون بغير خدمة الحديد ونقله إلى تلمسان»[8]وهنين التي وصفها كاربخال بقوله: «وبها معادن كثيرة كالحديد والفولاذ»[1]

---

[1]- يحي أبو المعاطي، الملكيات الزراعية وأثرها في المغرب والأندلس- دراسة تاريخية مقارنة، رسالة دكتوراه بقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2000م، ج02، ص491.

[2]-العباد: هده المدينة بمثابة ربض لتلمسان ولا تبعد عنها إلا بنصف فرسخ من جهة الجنوب وموقعها فوق جبل، يذكر المؤرخون أن الرومان هم بناتها واسمها عندهم إيمينياريا، فيها ضريح مشهور يقال أن مرابطا يحظى بتعظيم كبير مدفون فيه، قبره في المسجد الأعظم والنزول إليه بدرجات، وعلى مقربة من هذا المسجد توجد مدرسة ومستشفى يقصدهما المعوزون من الغرباء، وكلاهما من بناء رابع خلفاء فاس ذلك ما يشاهد مكتوبا بخط مزخرف على لوحة من مرمر فوق الباب الرئيس. ينظر: مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص323.

[3]- كاربخال، المصدر نفسه، ج02، ص323.

[4]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص42.

[5]- عبد المالك بكاي، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 07هـ-10هـ/13م-16م، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2013هـ/2014م، ص283.

[6]- مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص360.

[7]- الحميري، المصدر السابق، ص80.

[8]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص24.

ووهران التي توفرت على «معدن الحديد والزئبق قرب مدينة أرزوا على مسافة أربعين ميلا من وهران»[2] وجبال ترارة (جبل عال وعر قريب من مدينة هنين وفي بلدهم كذلك بعض مناجم الحديد)[3] وجبل الونشريس الذي وجدت به كميات وافرة من معدن التوتيا-الزنك-[4] حيث وردت نازلة تتعلق بمعدن الحديد المستخرج من جبال الونشريس والظهرة وموقف الدولة هل يمكن استغلاله من قبل الدولة أو اقطاعه مقابل تقديم ضريبة لها[5].

ومن الصناعات المعدنية، صناعة العملة حيث كانت: «تصنع بها سبائك صغيرة تزن الواحدة منها نصف رطل وتستعمل كعملة، وتضرب نقود صغيرة من الفضة وزنها أربعة حبات»[6].

هـ- الصناعة الخشبية وصناعات أخرى:

انتشرت هذه الصناعة في العديد من المناطق الوافرة للثروة الخشبية، مما أدى إلى وجود الكثير من الطاحونات الخشبية ومن ذلك الطواحين الموجودة في هنين «وعلى ضفة النهر القريب من المدينة حيث حيث أقيمت الطاحونات»[7]، كما ظهرت صناعة الخراطة على الخشب فصنع منها الأواني والتي كانت في غاية الحسن والجمال[8]، وصناعة الأجفان ببجاية[9]، ودار الصنعة بمرسى هنين، حيث يقول الناصري حول إنشاء الأسطول البحري ما يلي: «لما عهد لعبد المؤمن بن علي ملك المغربين وإفريقية والأندلس وطاعت له سائر الأقطار وخضعت له الرقاب في البوادي والأمصار، فأمر رحمه‌الله في هذه

---

[1]- كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص296.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص447. كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص67.

[3]- كاربخال، المصدر السابق، ص352.

[4]- الوزان، المصدر السابق، ص45.

[5]- أبو زكريا يحي بن موسى المغيلي المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح: مختار حساني، مرا: مالك كرشوش الزواوي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ج04، ص47.

[6]- الوزان، المصدر السابق، ص102.

[7]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص ص15-16.

[8]- كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص360.

[9]- ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص266.

السنة سبع وخمسين وخمسمائة بإنشاء الأساطيل في جميع سواحل مملكته فأنشأت له منها... ببلاد إفريقية ووهران ومرسى هنين مائة قطعة...»[1]

ومن الأسلحة الحربية التي صنعت من الأخشاب المجانيق[2] القاذفة للحجارة والنار، واستخدمت هذه الأنواع من الأسلحة في نطاق حصار المدن مثل (الحصار المريني على تلمسان سنة 697هـ/1297م).

الجدول 15: يمثل: الصناعات الأخرى التي مارسها سكان بلاد المغرب الأوسط:

صناعات أخرى	خصائصها ومناطق انتشارها	المصدر/ المرجع
صناعة الفخار مواد البناء	كانت لا تبعد كثيرا عن باب العقبة، حيث توجد أفران لصناعة الفخار ومدينة هنين «أرضها مبلطة بالزليج الملون وسفوح الحجرات مزينة بنفس الزليج...»	الوزان، المصدر السابق،ج2، ص15.
صناعة الفحم	مارسها سكان بني ورنيد وسكان مظغرة الذين كانوا يجلبونه إلى هنين وندرومة وتلمسان	الوزان، المصدر السابق، ص24. كاربخال، المصدر السابق، ج2، 352.
صناعة تجفيف الفواكه	كتجفيف التين والعنب، وقد أشاد الوزان بجودتها قائلا: «أن تين تلمسان يجفف ليؤكل في الشتاء».	الوزان، نفسه، ج2، ص15.
صناعة الألبان	استخراج اللبن والسمن والجبن. يقول الوزان: «الجزائر	المصدر نفسه، ج2، ص62.

[1]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولتان المرابطية والموحدية، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتب، دار البيضاء، المغرب، 1975م، ج02، ص ص143-151.

[2]- المنجنيق: اسم أعجمي الأصل والجمع مجانيق ومنجنيقات، هي آلة قديمة من آلات الحصار ترمى بها الحجارة الثقيلة فتحدث عمليات تهديم كبيرة، وقد شهدت هذه الآلة مراحل تطور في صنعها ووظائفها، ووصلت هذه الآلة إلى الحوض الشرقي من المتوسط في نهاية القرن 16م وكانت معروفة عند العرب، ثم إن الجانب الفيزيائي للمنجنيق هو حركة جد بسيطة في أساسياتها ذلك أن دوران الثقل الموازي يؤدي إلى دوران حاسم في نقل الطاقة إلى العارضة ومنها إلى القاذفة، ويعتبر كتاب "الأنيق في المنجنيق" لابن أرنغا الزردقاش الذي يعود تأليفه إلى فترة حكم المماليك سنة 836هـ/1432م أهم حصيلة علمية متراكمة من الفترات التي سبقت تاريخ تأليفه ويمكن اعتباره من أهم الوثائق العلمية التي تعبر عن رقي الصناعات الحربية، ويخضع إلى أمور علمية وتدريب في استخدامه. والمنجنيقات تختلف عن بعضها البعض فهناك العربي والفارسي والرومي. ينظر: مرضي بن علي بن مرضي الطرسوسي(المتوفى 589هـ)، تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة من الحروب الأسواء، تح: كلود كاهين، مكتبة بيروت، لبنان، د.ط، 1948م، ص ص17-18. ص ص151-154. محمد بن منكليي (784هـ/1382م)، الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، تق و تح: محمود شيت خطاب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د.ط، 1988م، ص10. محمود شيت خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، سلسلة كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، العدد الثالث، قطر،ط01، 1991م، ص119.

	ووهران كثيرة السمن والزبد»	
صناعة الزيوت	لطهي الطعام والإضاءة وصناعة الصابون وفي الزينة وكدواء يقول البكري: «يعتبر زيت المسيلة أطيب الزيوت»	البكري، المصدر السابق، ص144.

صناعة السكر والحلويات	كالكعك المشو بالسكر واللوز أو بالعسل وقد روى ابن مرزوق في ليلة الاحتفال بمولد الحبيب المصطفى ﷺ أنه كانت تقدم في هذه الليلة بعد صلاة العشاء الكعك والحلاوات ثم يؤتى بملاح السكر.	مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني، المسند ، ص153.
صناعة الخبز وعملية الطحن	كطحن الدقيق وصناعة الخبز، حيث يشير البكري إلى متيجة التي وجدت بها طواحين ماء.	البكري، المصدر السابق، ص264.

لقد أصبحت هذه الحرف متوارثة بين الأجيال، كما عرفت الأسواق تنظيما للأنشطة الحرفية فأصبح لكل حرفة جناح خاص بها مثل: الحدادين والدباغين والفخارين...إلخ، قال الحسن الوزان: «وجميع الصنائع والتجارات بتلمسان موزعة على مختلف الساحات والأزقة، لكن دور تلمسان أقل قيمة بكثير من دور فاس»[1].

لقد ازدهرت هذه الصناعات في أواخر القرن 09هـ/15م خاصة بعد هجرة الأندلسيين، بل وبرز عدد من الصناع في صناعات أخرى قال عنها ابن الحاج النميري: «ومصانع يعجز عن وصفها كل لسان، قد أحكمت فيها أنواع الصنائع»[2].

إنَّ هذا التنوع والازدهار الصناعي الذي شهدته تلمسان حاضرة بني زيان أشاد به يحي بن خلدون في بغية الرواد: «أن دار الصنعة السعيدة تموج بالفعلة على اختلاف أصنافهم وتباين لغاتهم وأدیانهم، فمن دراق ورماح، ودراع ولجام، ووشاء، وسراج، وبناء، ونجار وحداد وصائغ ودباغ وغير وغير ذلك، فتستك لأصواتهم وآلاتهم الأسماع، وتجار في أحكام صنائعهم الأذهان وتوقف دون بحرهم

[1]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص19.

[2]- ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص488.

الهائل الأبصار، ثم تعرض قومتهم أصلان هكذا كل يوم مصنوعاتهم فيه يدي الخليقة أيده وتخزن كل بحجار هكذا صنعة المعدلة ويتصف العاملون من أرزاقهم عدلا هكذا أبدا»[1].

يمكن القول أن الصناعة بالمغرب الأوسط عرفت تنوعا كبيرا وذلك راجع إلى وفرة المواد الأولية وتحويلها إلى منتجات استهلاكية والتي تميزت بالجودة والإتقان، فقد دعت الحاجة بالحرفيين إلى الابتكار من أجل الحفاظ على ديمومتها وتسويقها داخليا في الأسواق وخارجيا مع الدول المجاورة من خلال القوافل التجارية.

المبحث الرابع: الإمكانيات التجارية:[2]

إنَّ الحديث عن ا لحركة التجارية في الدولة الزيانية يرتبط أساسا بوضعية الأسواق وتنظيمها، حيث تمثل الأسواق مركزا للنشاط التجاري بصوره ومراحلة المختلفة، فالأسواق[3] هي مرآة عاكسة لحياة المدينة الاقتصادية وعنوان نشاطها التجاري والصناعي بل والاجتماعي أيضا، فمنذ إنشاء المدن رتبت أسواقها، ودعمت ببعض المنشآت وأصبح لها تنظيمات وقواعد معينة خاصة بعدما تولت الدولة الإ شراف عليها[4].

---

[1]- يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج02، ص161.

[2] -التجارة: من تجر يتجر تجرا وتجارة، با ع وشرى، وكذلك اتجر ورجل تاجر والجمع تجار بالكسر والتخفيف. انظر ابن منظور، المصدر السابق، مج04، ص89. وهي محاولة الكسب بتنمية المال، شراء السلع بالرخص، وبيعها بالغلاء، أياً ما كانت السلعة، من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش، وذلك القدر النامي يسمى ربحا، قال بعض الشيوخ من التجار لطالب الكشف عن حقيقة التجارة: «أنا أعلمها لك في كلمتين: اشتر الرخيص وبع الغالي، وقد حصلت التجارة». ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص328. ويعرفها مُحَمَّد عمارة بأنها: «تقليب المال والتصرف فيه مبادلة بالبيع والشراء طلبا للنماء والربح»، وتطلق التجارة على المال المتجر فيه، وتطلق مجازا على العمل الذي يترتب عليه خيرا أو شرا. ينظر: مُحَمَّد عمارة، المرجع السابق، ص115.

[3]-السوق: سميت بهذا الاسم لأن التجارة تجلب إليها والمبيعات تساق نحوها. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج10، ص168. وهي أيضا: عبارة عن مجموعة من الأنظمة أو الترتيبات التي من خلالها يتم التفاهم بين المشترين للسلعة أو الخدمة والبائعين لها، لتحقيق التبادل فيما بينهم حسب شروط محددة تم الاتفاق عليها بين الطرفين، وهي قريبة جدا من سوق المنافسة الكاملة مع الأخذ بعين الاعتبار بعض الإجراءات التصحيحية على سماتها، والحرية بشرط ألا تؤدي إلى إلحاق الضرر بالآخرين. ينظر: محمود حسن رضوان، المرجع السابق، ص ص169-176.

[4]- أحمد مختار العبادي، من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، مجلة الفكر، العدد01، المجلد11، وزارة الإعلام، الكويت، نوفمبر 1980، ص157.

ويتضح من خلال ذلك أن السوق كمركز اقتصادي للمدينة أو للمنطقة فقد كان يتردد عليها مختلف الناس ممن له غاية تجارية للكسب والشراء،[1] وهي نوعان أسواق ريفية وأسواق حضرية:

[1]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص136.

أ- أسواق ريفية:

تقصدها مختلف القبائل في أيام معينة من الأسبوع يتزودون منها ما يحتاجونه من مختلف السلع والبضائع مثل: سوق بني راشد يقام كل خميس، سوق ترنانة كل يوم جمعة، سوق ريغة[1]. كما كانت تقوم أحيانا في نطاق دائرة أمير يكون قادرا على توفير الأمن والحماية، وكان غالبا ما يحمل السوق اسم ذلك الأمير ومن هذا سوق حمزة وسوق إبراهيم وغيرها من الأسواق الأخرى[2]، وقد حدد الحسن الوزان السلع التي تباع فيها بقوله: «الحبوب والمواشي والكثير من الأقمشة ذات الإنتاج المحلي وأشياء أخرى أقل قيمة كالحبال والسروج وغيرها من أجهزة الخيل»[3].

ب- أسواق حضرية (المدن):

كانت أكثر تنظيما من أسواق البادية، حيث أنها مرتبطة بنوعية السلعة المعروضة أو العمل الذي يتم فيه مثل: سوق العطارين، سوق المواشي، الحطابين، السراجين، الخبازين، النخاسين خاص بتجارة العبيد من كل الأجناس الصقالبة و السودانيين[4]، وسوق آخر ذكره ابن مريم يعرف بمنشار الجلد والذي أثناء تعرضه لهجوم السلطان الحفصي أبي فارس قال: «بأن القذائف التي استعملها كانت تصل إلى سوق منشار الجلد»[5].

كما تميزت أسواق الدولة الزيانية بنوع من المنشآت تعرف باسم القياسر ومفردها قيسارية- قيصارية[6]- وهي عبارة عن شارع مخصص لتجارة الذهب والفضة والجواهر والعاج والأبنوس

---

[1]- مختار حساني، المرجع السابق، ص45.

[2]- مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2005م/2006م، ص271.

[3]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص ص26-27.

[4]- مختار حساني، المرجع السابق، ص48.

[5]- ابن مرزوق، المسند، ص121.

[6]- القيصرية: يعطينا الحسن الوزان معلومات عن هذا الاسم، فيذكر: أنه اسم قديم يشير إلى قيصر أكبر ملوك عصره بأوروبا، ومعلوم أن جميع ساحل المغرب القديم كان خاضعا للروم، وكل مدنه كانت تحتوي على سوق يحمل هذا الاسم الذي قد يتحرف إلى قيسارية، وقد كان للموظفين الرومانيين متاجر متناثرة هنا وهناك، فنكر أحد الأباطرة في إحداث شبه مدينة صغيرة داخل كل مدينة يجتمع فيها التجار المتميزون، ويحفظون فيها ما تقاضوه، والقيسارية في الفترة محل الدراسة عبارة عن مجمع تجاري حصين تباع فيه أنواع الثياب والحلي والنعال والعطور وتوابعها (الخيط والسفيفة والقيطان والأزرار...إلخ)، وهذا النوع من الأسواق كان معروفا في كل من تلمسان وفاس، ينظر: ابن عذاري، البيان، ج03، ص235- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص242- الحميري، المصدر السابق، ج02، ص284.

والأقمشة النفيسة وكل ما غلا من المتاجر[1]، وتباع فيها المنتجات الصناعية وسلع الترف الآتية من أوربا، حيث يزداد الإقبال عليها من سكان عاصمة الدولة وعلى الخصوص في العصر الذهبي، فيروى عن أبي حمو موسى الثاني أنه قال: «في شأن تهافت الناس على البضائع الأوربية أنه تغير من طبائع الناس وتدفع الأغنياء نحو الرشوة»[2].

تعتبر القيصرية من أهم الأسواق التي عرفت مراقبة الدولة ففي عهد السلطان أبي تاشفين الأول عمد إلى وضع دراع لكي يرجع إليه التجار عرف بالدراع المالكي، لكن بعد ضعف الدولة استبدل بدرع يعرف بالدرع الوهراني[3].

ج- السكة والنقود:[4]

لقد ضرب بنو عبد الواد عملات ذهبية وفضية وكانت هذه العملات متداولة في الأسواق الداخلية وفي إشارة من العمري ذكر فيها أن العملة الزيانية المستخدمة في عملية البيع والشراء هي نفس العملة المتداولة في تونس الحفصية إلى جانب بعض العملات المرينية[5] ومع ذلك فقد ضربوا نقودا خاصة بهم تعرف بالدينار الذهبي والدرهم الفضي وأجزاء الدينار وأجزاء الدرهم وهذه الأجزاء هي: نصف ½ الدينار وربع 4/1 الدينار و ثمن 8/1 الدينار[6]. وقد تم حصر الدينار العبد الوادي بـ 32 دينارا ذهبيا عليها في الغالب آيات قرآنية وأحاديث نبوية وعبارة "ما أقرب فرجالله"[7].

---

[1]- ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تق وتح وتع: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط01، 1421هـ/2001م،ص16.

2- Mas latris,Louis de (1815-1897) les relation et commerce de l'Afrique du monde au Maghreb au moyen Age, LIBRAIRIE DE FIRMIX- DIDOT ET Cir, PARIS, 1886, P.16.

3- Dhina, Le royaume Aledelandid quelque aspect de sa vie économique dans majallat et tarikh 1978, p19.

[4]- السكة: تعتبر "وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات". ينظر: ع. بن خلدون، المقدمة، ص462. ويرى صالح بن قربة أنها وثيقة رسمية لا يمكن الطعن فيها بسهولة، فهي تعد أهم مصادر التاريخ إذ تكشف لنا خفايا كثيرة وحقائق تاريخية. صالح بن قربة، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص13.

[5]- كريم عاتي الخزاعي، أسواق بلاد المغرب من القرن السادس هجري حتى نهاية القرن التاسع هجري، الدار العربية للموسوعات، د.ط، د.ت، ص162.

[6]- بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص278.

[7]-بودواية مبخوت، الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، مجلة القرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، العدد التجريبي، ديسمبر2008م، ص60.

لقد كان التجار يقومون في كثير من الأحيان باستبدال عملتهم مع عملة البلد الذي يتاجرون معه مثلما أورده الونشريسي في نوازله حول رحلة التجار إلى صقلية[1] وكيفية تبديل العملة المغاربية مع العملة السائدة بها،[2] أو عن طريق البيع بالدين أو بالمكوس[3] والتي كانت ما كانت تتم بين التجار المسلمين والمسيحيين.

د- أصناف التجار:

إنَّ تعدد الأنشطة التجارية واختلاف مقادير رؤوس الأموال والوضع الاجتماعي للتجار والطريقة التي يستثمرون بها أموالهم فضلا عن تباعد مراكز الإنتاج والاستهلاك وما يتطلبه ذلك من الانتقال، أوجد لنا ثلاث مجموعات مختلفة بين التجار من حيث القدرة على الاستثمار:[4]

المجموعة الأولى: تتشكل من التجار الصغار، رأس مالهم لا يتجاوز مائتي دينار[5] ، ويزاولون التجارة بمفردهم وأغلبهم يكونون إما مقيمين مستأجرين للدكاكين أو تجار متجولين[6]، وقد أورد لنا المازوني مجموعة من النوازل تتعلق بهؤلاء وبين لنا بأنهم كانوا يخرجون إلى القرى لبيع سلعهم لسكانها

---

[1]- صقلية: يفصل جزية صقلية عن إيطاليا مضيق منسية الضيق، ولذلك فإن الجزيرة امتداد جغرافي لشبه الجزيرة الإيطالية، كما تقع الجزيرة من الناحية الأخرى على مسافة يسهل عبورها بحرا من الشمال الإفريقي حيث توطد الإسلام دينا ودولة منذ القرن السابع ميلادي ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقاليم جغرافية هي إقليم مازر وإقليم نوطس وإقليم دمنش. وكان هذا التقسيم ذا أهمية بالغة أثناء احتلال المسلمين للجزيرة. ينظر: عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، نق و تق: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، 1389هـ/1980م، ص08.

[2]- مختار حساني، المرجع السابق، ص43.

[3]- المكوس: عبارة عن ضرائب غير شرعية، تجنى على المصوغات المحلية والواردات الأجنبية وعلى كل ما يباع أو يشترى، فوضعت على الحوانيت و الأسواق، وكانت قيمة المكس تختلف من حين لأخر فتتراوح بين 08% -20% وقد حددها الفقهاء بنسبة 10% على التجار والمشركين و05% على التجار أهل الذمة و2.5% على التجار المسلمين مسؤول المكوس بباب المدينة مقرا له مما يسمح له الإشراف على كل صغيرة وكبيرة داخله أو خارجه. ينظر: جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص406-407.

[4]- مختار حساني، المرجع السابق، ص41.

[5]- الونشريسي، المعيار، ج06، ص103.

[6]- المصدر نفسه، ج08، ص113.

ومن بين هؤلاء القبائل بنو عامر[1] الذين عملوا تجارا متجولين وقد عرفوا بالمغاطيس[2] لأنهم كانوا يقومون ببيع السلع من جهة والتجسس لصالح الإسبان من جهة أخرى وكان منهم المحنشون والرفافضة والجند وسائر ما فيه الضر للمسلمين والنفع للإسبانيين[3].

المجموعة الثانية: هي التي يمكنها توظيف ما بين مائتي دينار وخمسمائة دينار، وتختلف عن الأولى لكون حركتها أوسع كالانتقال بين مدن الدولة وأسواقها، والمشاركة في عملية المبادلات بين تجار الدول الأوربية الذين يتوافدون على أسواقها[4].

المجموعة الثالثة: تعتبر من أكثر الفئات من حيث الاستثمار، فأغلب أفرادها يتعاملون في المبادلات التجارية كالقيام بالرحلات نحو السودان الغربي مثل: العقباني[5] كما أشار إليه المازوني بأنه عاد من سجلماسة وهي إحدى المراكز التجارية التي لها علاقة بالسودان الغربي، لذا يبدو أن انتقاله

---

[1]- بنو عامر: هم بنو عامر بن زغبة فمواطنهم في آخر مواطن زغبة من المغرب الأوسط قبلة تلمسان مما يلي المعقل، وكانت مواطنهم من قبل ذلك في آخرها مما يلي المشرق. نقلهم يغمراسن بن زيان ليكونوا حجزا بين المعقل وبين وطنه وفيهم ثلاث بطون: بنو يعقوب الذين كانت لهم الرئاسة، وبنو حميد وبنو شاقع، ومن هذه البطون أفخاذ وعمائر وكان لهم دور كبير في إحياء دولة بني عبد الواد فقال السلطان أبو حمو موسى الثاني فيهم ما يلي:

تَسربلت كردوسين من ال عامر ... ومن ال ادريس الشّريف بن القاسم

رجالُ إذا جاش الوطيس تراهم ... أُسود الوغا من كل ليث ضيارم

ظل بنو عامر مخلصين لبني عبد في تلمسان حتى سقوط وهران في يد الإسبان فتعاونوا معهم ضد إخوانهم. انظر عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج06، ص68. عبد القادر بن عبد الله بن أبي جلال المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، ص16. أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص16. يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص28.

[2]- قدور بوجلال، جهود العالم عبد القادر المشرفي في الرد على القبائل المتعاملة مع الإسبان بوهران على ضوء مؤلفه "بهجة الناظر"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج13، العدد01، 2022م، ص355.

[3]- عبد القادر بن عبد الله بن أبي جلال المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تح و تق مُحَّد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص16.

[4]- مختار حساني، المرجع السابق، ص42.

[5]- العقباني: قاسم بن مُحَّد بن سعيد بن مُحَّد العقباني التلمساني، أخذ العلم عن والده الإمام أبي عثمان ورحل للحج سنة 830هـ فأخذ عن نقي الدين الحسني الفاسي المكي، وحضر بمصر إملاء الحافظ بن حجر وأجازه، وعنه أخذ المازوني والونشريسي وغيرهم، قال عنه القلصادي: «كانت أخلاقه حسنة مرضية قل أن يرى الراؤون مثلها، توفي في شهر ذي القعدة من عام أربعة وخمسين وثمانمائة-ديسمبر 1450م أو أوائل 1451م، صلى عليه بالجامع الأعظم ودفن بالغربية بالروضة قرب الشيخ سيدي أبي عبدالله مُحَّد بن مرزوق، وكانت له جنازة عظيمة حضرها السلطان فمن دونه». ينظر: أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي (المتوفى سنة 891هـ)، رحلة القلصادي، درا و تح: مُحَّد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1978م، ص ص105-106-107.

إليها كان بغرض التجارة، و شركة آل المقري[1] الذين كانوا يحتكرون تجارة الذهب ويملكون وكالات[2] في الواحات الصحراوية الإفريقية، ويتميز هؤلاء التجار الممارسين لهذا النوع من التجارة بأنهم يزاولونها بأنفسهم أو بواسطة مواليهم وعبيدهم[3].

هـ- الطرق والمسالك التجارية ببلاد المغرب الأوسط:

تعددت الطرق التجارية في المغرب الأوسط وتشعبت مسالكها، حيث سارت بين حواضره ومراسيه وربطته بمختلف الأقطار والأقاليم المجاورة سواء البلاد الإسلامية أو الدول المقابلة في الضفة الأخرى.

لم تكن هذه الطرق وليدة العدم، إنما تحكمت في ظهورها الكثير من العوامل: الموقع الاستراتيجي لبلاد المغرب الأوسط وغناه بالثروات والمراكز التجارية، وجود كيانات سياسية سهرت على حماية وأمن الطرق من خلال مؤسسة المحتسب، إضافة إلى وجود الأسواق وانتشار الفنادق مما جعل القوافل التجارية تقفل صوبه من كل الأمصار[4]، وعليه يمكن تمييز الطرق التالية:

---

[1]-آل المقري: ينسب آل المقري لجدهم الأكبر علي بن داوود المقري القرشي، ولقب بالمقري نسبة لبلدة مقرة، وهي قرية من قرى الزاب التي نزل بها هو وسلفه قادمين إليها من شبه الجزيرة العربية. انتقلت أسرة المقري إلى تلمسان أواخر القرن 06هـ/12م حين انتقل جدهم عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي إليها رفقة الشيخ أبي مدين شعيب (ت594هـ/1198م)، فأسسوا شركة تجارية تضم خمسة إخوة هم: عبد الرحمن، أبو بكر، مُحَمَّد، عبدالواحد، علي موزعين على تلمسان وسجلماسة وورلاتة. ينظر: المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1963م، ج05، ص203. لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974م ، ج 02، ص ص191-192.

[2]- الوكالة: بكسر الواو وفتحها وفتح الكاف ممدودة اسم من التوكيل بمعنى التفويض والاعتماد، وقد تطلق على الحفظ إطلاقا لاسم السبب على المسبب وشرعا هي تفويض التصريف إلى الغير، أي أن يقيم إنسان أحدا غيره مقام نفسه في تصريف شرعي معلوم موروث لكم شرعي. ينظر: مُحَمَّد عمارة، ص ص627-628. ومن الوكلاء من كان يختص بتاجر واحد، والبعض منهم بعدد من= =التجار حيث يستقبلون بالموانئ ثم ينقلونها بعد ذلك إلى المدن الداخلية، مما يؤكد ذلك أن عبد المؤمن بن علي قال: أنه رافق تاجرا إسكندريا من تلمسان إلى فاس وكان التاجر قد اكترى من الدواب في تلمسان لنقل سلعته إلى فاس فنقص له خمسة عشر دينارا أسلفه إياه عبد المؤمن. ينظر: مختار حساني، المرجع السابق، ص43.

[3]- المرجع نفسه، ص42.

[4]- الوردي طرطاق، الطرق والمسالك التجارية بالمغرب الأوسط، مجلة الأحياء، الجزائر، مج01، العدد28، جانفي2021، ص988.

– الطرق الداخلية: وأشهرها الطريق الذي سلكه ابن بطوطة والعبدري والذي ينطلق من تازا إلى بجاية مرورا بندرومة، تلمسان، مستغانم، مازونة، تنس، مليانة والجزائر[1]، وهناك طريق يخرج من الجزائر إلى سطيف، ثم ميلة، ومنها إلى قسنطينة، وصولا إلى قالمة، والأغلب أنه كان أهم الطرق خلال تلك الحقبة. الطريق الممتد عبر الهضاب، ويمر ببلاد الجريد والأوراس، ثم يتجه شمالا فيعبر الحضنة إلى قسنطينة، ثم منها نحو بجاية ليصل مدينة مليانة، ثم يمر بحوض شلف إلى تلمسان[2].

هذه الطرق كانت تتميز بصعوبة وخطورة مسالكها، وقد وصف لنا الحسن الوزان خطر اختراق مفازة الصحراء التي تسير عبرها القوافل من تلمسان فقال: «وعورة ووحشة، يمر بها التجار الذاهبون من تلمسان إلى تمبكتو، ويقطعونها من أبعد طرفي قطرها، فتؤدي صعوبة المرور إلى موت العديد من الناس والدواب لفقدان الماء»[3].

– الطرق الخارجية: وأهمها الطريق العابر للصحراء والذي ينطلق من تلمسان إلى مالي عبر سجلماسة وتغازى وزاغري كارسحو،[4] أو تلمسان ومدينة وجدة ثم منطقة تازا عبر تاوريت وآجرسيف إلى فاس، ثم إلى تادلا وأغمات ودرعة ثم سجلماسة، وتبلغ المسافة بينهما وبين عاصمة بني بني زيان حوالي عشر مراحل[5] وهو يعدّ أهم الطرق[6].

---

[1]– العبدري، المصدر السابق، ص22. ابن بطوطة، المصدر السابق، ج02، ص ص 755-757.

[2]– زهيرة لكحل، بلاد المغرب خلال القرنين السابع والثامن الهجريين 13-14م- مجال للتقاسم بين دول ما بعد الموحدين، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2019م، ص155.

[3]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص150.

[4]– بوزيان الدراجي، المرجع السابق، ص ص216-217.

[5]– المرحلة: هي المسافة التي يقطعها المسافر في نحو بالسير المعتاد على الدابة وهي 24 ميلا، وعند الحنفية والمالكية 44.52كلم، وعند الشافعية والحنابلة 89.94كلم، ومنه نستنتج أن المرحلة كما ذكر الإدريسي (24ميل أو 38.4 ميل) لأن هذه المسافات المذكورة بين المدن السابق الذكر معلومة مثلا بين القل وقسنطينة بالجزائر. ينظر: مُحَمَّد قوسيم، مفاهيم جغرافية عند المسلمين في العصر الوسيط، دورية كان التاريخية، دار النشر الإلكتروني، الكويت، سبتمبر 2011م، العدد13، ص56.

[6]– زهيرة لكحل، المرجع السابق، ص162.

والطريق الذي ينطلق من منسا عبر ميما وتمبكتو وكوكو وتكدا والهقار إلى توات إلى سجلماسة[1] ومنها إلى تلمسان[2].

والطريق الذي يبدأ من ورقلة إلى غاو ويتصل هذا الطريق ببعض الموانئ الجزائرية على ساحل البحر ومنها بجاية وسكيكدة وغيرها[3].

– الطريق البحري: كانت المبادلات التجارية مع أوربا تتم عبر البحر الأبيض المتوسط انطلاقا من الموانئ التالية: هنين، وهران، أرزيو، تنس، برشك، شرشال، الجزائر[4].

لقد استطاعت هذه الطرق والمسالك أن تقوم بربط مناطق الإنتاج بالاستهلاك، والمواد الخام بالمناطق الصناعية، ومثلت شرايين غذت الأسواق بمختلف المنتجات المحلية والأجنبية، كما كانت رابطة شطري المغربين الأدنى والأقصى وموحدة بذلك مجال بلاد المغارب.

و– المبادلات التجارية لبلاد المغرب الأوسط:

مثَّل المغرب الأوسط همزة وصل بين أسواق المغرب والمشرق وبين أسواق أوربا وإفريقيا السوداء[5]، بحيث اهتم تجاره بتوفير السلع الاستهلاكية للسكان على مدار السنة، فراحوا يحرصون أن تكون مدينتهم مزودة بالمؤن على أحسن وجه، وفي نفس الوقت كانوا يقومون بتصدير الفائض من الإنتاج الزراعي والصناعي إلى الأمصار الأخرى.

---

[1]– سجلماسة: سجلماسة بكسر أوله وثانيه وسكون اللام وبعد الألف سين مهملة: مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشر أيام تلقاء، وبينها وبين غانة في بلاد السودان شهرين، أهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالا. يقول المقدسي: «فسجلماسة من المدن التجارية التي اشتهرت بوجود الذهب والفضة في رستاقها»، اشتهرت بوجود بغزل الصوف ثمنه يبلغ أزيد من عشرين مثقالا، وكانت تنتج الثمر نحو ستة عشر صنفا منه وأكثر أقوات أهل سجلماسة الثمر. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج02، ص41. المقدسي، المصدر السابق، ص630.مجهول، الاستبصار، ص601. القزويني، المصدر السابق، ص46.

[2]– بكاي الهوارية، شركة آل المقري التجارية ودورها في تمتين العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، العدد04، د.ت، ص168.

3– قدوري عبد الرحمن، تجارة القوافل عبر الصحراء بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال نهاية العصر الوسيط، مجلة متون، مج11، العدد01، 2019م، ص03.

4– بوزيان الدراجي، المرجع السابق، ص217.

5– مُحَمَّد مكيوي، الأوضاع السياسية والثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2001/2000م، ص26.

هذه ا لحركية التجارية ساهمت بشكل كبير في تحقيق موارد مالية هامة لخزينة الدولة تراوحت ما بين 300 ألف مثقال و 400 ألف مثقال في كل سنة[1].

– الصادرات: لقد مثلت المواد الغذائية قائمة التبادل التجاري ولاسيما بالنسبة للتجارة الصحراوية مثل الحبوب والتمور والزبيب والصوف وقصب السكر...إلخ. فكان سكان الصحراء الذين يتعاطون تجارة الثمر يأتون بكميات ضخمة من القمح لاستبداله بالثمر فيما يعرف بالمقايضة[2] وكانت تلك العملية مثلا بين تقرت وقسنطينة[3].

فضلا عن صادراتها من الألبسة والسروج والأجلمة نحو فاس ومكناس ومراكش والخيول والجمال وقد اشترى ابن بطوطة في القرن الثامن هجري (14م) جملين للركوب في تكدا بسبعة وثلاثين مثقالا وثلثا،[4] و يركزون على الملح كتجارة مربحة وبضاعة مطلوبة في بلاد السودان[5]، فكان التاجر التلمساني يبيع الملح وزنا بوزن الذهب أو وزنا بوزنتين[6]، وتصدير الحديد والمرجان من مرسى الخزر إلى الأندلس[7] والصوف إلى المشرق وزد على ذلك الأقمشة والحرير والكتان والنيل والقرنفل

---

[1]– Dufourcq hespagne, catalane et le Maghreb au XII et XIV siècle p.j. fiance paris1966, p134
الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص23. عبد الكريم حساين، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط بين القرنين (07–09هـ/13–15م)، دورية كان التاريخية، دار ناشري للنشر الإلكتروني– الكويت، مج05، العدد17، 2012، ص95.

[2]– المقايضة: بضم الميم وفتح القاف، ممدودة وفتح الياء من القيض أي المثل والعوض، يقال هما قيضان: أي كل واحد منهما عوض الآخر ومعنى المقايضة المطلقة: بيع عين بعين، سلعة بسلعة دون نقد. ينظر: مُحَمَّد عمارة، المرجع السابق، ص553.

[3]– عبد العزيز رشيد، الحبوب في أسواق المغرب الأوسط، مجلة عصور الجديدة، العدد 11–12، فبراير 1434–1435هـ/2013–2014م، الجزائر، ص101.

[4]- لطيفة بشاري، صادرات إمارة تلمسان الفلاحية في عهد بني عبد الواد، مجلة عصور الجديدة، العدد07–08، 1433هـ–1434هـ/ 2012م–2013م، الجزائر، ص53.

[5]– الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 06–07هـ/12–13م، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2004م، ص95.

[6]– أبو حامد عبد الرحيم الغرناطي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تح: إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط01، 1413هـ–1993م، ص39.

[7]– ميلودي زهرة، دور المراسي في نشاط التجارة الساحلية وأثره على التجارة المتوسطية بالمغرب الأوسط من القرن 04هـ–10م/06هـ–12م، مجلة القرطاس، العدد 05، جوان2017م، ص121.

والمسك والحجارة النفيسة[1] ويصدرون للأوربيين قشر الدبغ[2] (écorces tannantes) والزجاج الذي اشتهرت به مدينة بجاية[3]، والجلود والشموع والشب والمنسوجات والحبوب والخيول والأسماك المصبرة والخشب والمرجان[4]، كما اتجه التين التلمساني نحو جنوب الصحراء وكان سعره مماثلا لسعر القمح وكان يلقى رواجا وإقبالا كبيرا من لدن سكانها إضافة إلى الزبيب وعين البقرة والملح الذي كان يستبدل بالتبر[5]، وكان الرطل منه في أواخر أيام الدولة يساوي نصف مثقال.

أما السلع المصنعة فقد صدّر أهل المغرب الأوسط بعض المواد مثل الخود والدروع والخناجر والسهام والسكاكين والأواني المنزلية والزجاجية.[6]

– الواردات: كان أهل المغرب يستوردون من الخارج على سبيل المبادلة التبر المسبوك والذهب والعاج[7] الذي كان يجلب من مناطق الغابات جنوبي السودان الغربي وخاصة من إثيوبيا، والأبنوس فضلا عن العبيد الذين كانت لهم أسواق تعرف بأسواق النخاسة والتي تواجدت خاصة في مدينة غاو، إلا أن السلعة الرئيسية كانت تبر الذهب[8] الذي كان متوفرا بمنطقة أودغشت وغانة[9] وغيرها،

---

[1]– علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2008م، ص144.

[2]– قشر الدبغ: هو لحاء شجر قد يكون السماق، ينمو شمال بلاد المغرب الأوسط ويستعمل في دبغ الجلود، وكان الإيطاليون يطلقون عليه اسم لحاء بجاية ويشترونه من موانئ الإمارة الزناتية وبجاية وعنابة والقل. ينظر: بشاري لطيفة، المرجع السابق، ص55.

[3]– سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية، ط01، 2000م، ص148.

[4]– علاوة عمارة، المرجع السابق، ص145.

[5]– التبر: هو ما كان من الذهب غير مضروب، فإذا ضرب دنانير فهو عين ولا يقال تبر إلا للذهب وبعضهم يقول للفضة. ينظر: مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، طبعة خاصة مدققة، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م، ص31.

[6]– إدريس بن مصطفى، العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جنوب غرب أوربا في الفترة ق07هـ-10هـ/13م-16م، رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-2013م/2014م، ص92.

[7]– عبد الرحمن بن مُحَمَّد الجيلالي، المرجع السابق، ص297.

[8]– الوزان، المصدر السابق، ج02، ص258. أمين توفيق الطيبي، المرجع السابق، ج02، ص189. إدريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص91.

[9]– أودغشت وغانة: لقد اختلف المؤرخون في تحديد موقع أودغشت من حيث العرض بين درجة 26، ودرجة 17، وهي تقع بين سجلماسة وغانة على مسافة 15 يوما من كل منهما، وكانت تربط أودغشت ببلاد المغرب الشمالية في العصر الوسيط عدد من القوافل أشهرها الطريق التي كانت تسمى طريق الثمر. ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج01، ص108- ابن سعيد المغربي، المصدر

وكذلك ريش النعام الذي كان يستعمل في حشو الأرائك والمخدات وتتخذ منه المراوح ومظهر من مظاهر الزينة وكذا بيضه (بيض النعام)[1] الذي كان غالبا يستخدم في تركيب بعض الأدوية[2]، وكذا الأقمشة والقطن والكتان والحرير والتوابل الشرقية التي كانت تجلب من المشرق من طرف تجار جنوة[3].

أما العلاقات التجارية مع المدن الإيطالية-لاسيما جنوة والبندقية- ومع التجار القطلونيين من برشلونة فكانت وثيقة، حيث كان تجار تلمسان وبجاية يقومون بدور الوسيط في تبادل السلع بين التجار الأوربيين و السودان الغربي[4]، وفي هذا الشأن يقول الحسن الوزان عن ميناء هنين أنه: «تأتي إليه إليه سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا طائلة مع تجار تلمسان»[5].

لقد أصبحت تلمسان حاضرة المغرب الأوسط خلال القرن الثالث عشر ميلادي مركزا تجاريا يحاكي ما كانت عليه مدينة سجلماسة وفاس من ازدهار اقتصادي، لكن سرعان ما فقدت بريقها كقطب تجاري ابتداء من القرن الرابع عشر ميلادي، ويعود ذلك إلى تخلي التجار والرحالة عن طريق السودان سجلماسة تلمسان.

نخلص في النهاية أن الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط الزياني قد عرفت تطورا ملموسا، وذلك راجع بالأساس إلى الإمكانيات الكبيرة التي وفرتها الدولة الزيانية في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، زد على ذلك إمكانياتها الطبيعية وعناية سكانها بمختلف الأنشطة الاقتصادية، فازدهرت الزراعة وكثر إنتاجها وتنوعت الصناعة ونشطت التجارة الداخلية والخارجية.

السابق، ص113. بينما غانة أو غانا من أقدم الأسماء الإفريقية التي ورد ذكرها في كتب الرحالة والمؤرخين، يقول أبو الفدا: «وأما مدينة غانة فهي من أعظم مدن السودان، وهي أقصى جنوب الغرب ويسافر التجار من سجلماسة إلى غانة» .ينظر: أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج01، ص120.

[1]- بيض النعام: طائر وحشي يعيش في الأماكن المقفرة اليابسة حيث لا يوجد ماء ما بين عشرة إلى اثني عشرة بيضة، وكل بيضة تكون بحجم قذيفة مدفع من زنة خمسة عشر إلى ستة عشر رطلا. ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج02، ص276.

[2]- إدريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص91.

[3]- علاوة عمارة، المرجع السابق، ص145.

[4]- أمين توفيق الطيبي، المرجع السابق، ص189.

[5]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص15.

الفصل الثاني: الحرب والقبيلة بين الرصد المصدري والتفسير الأنثربولوجي.

- المبحث الأول: مستويات حضور الحرب القبلية من خلال المصادر الوسيطة.
- المبحث الثاني:الحرب والقبيلة من منظور أنثربولوجي.
- المبحث الثالث: الحرب القبلية وظاهرة العصبية.
- المبحث الرابع: المحددات السوسيو اقتصادية للحرب القبلية.

إن المتأمل لتاريخ ظاهرة الحرب القبلية في المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا يلحظ قلة المادة التاريخية وضعف المتوفر منها وضحالتها خاصة خلال فترة دراستنا هذه من القرن 07هـ-09هـ/13م-15م، رغم أن معظم قبائل المنطقة تركت لنا بصمات بارزة فيما يتعلق بمجريات التاريخ السياسي للمغرب الإسلامي.

لقد قدمت لنا بعض مصادر المرحلة معلومات لا تتجاوز بعض الإشارات والإيماءات الخجولة والنتف المتفرقة الواردة بخصوص هذه الظاهرة سواء في مرحلة القبيلة أو في مرحلة الدولة تصب في سياق سردي لحركات السلاطين إلى المجالات التي تتواجد فيها هذه القبائل، وفي بعض الأحيان يغلب عليها التحيز والتحامل فقد اعتبرتها قبائل مولعة بالحرب والقتل وتعيش السلب والنهب فوسمتها بالفتنة والحرابة وسفك الدماء والتطاول[1].

لقد التفت ابن خلدون إلى هذه الظاهرة فعالجها معالجة العالم الخبير بآلياته التي سبقت عصره، فقد وضع يده على العصبية القبلية وتأثيرها في المجتمع، وقيام الدول ونصرتها فهي عنده النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة[2].

وعليه فإن العصبية كرابطة اجتماعية سيكولوجية هي التي تمنح القبائل القدرة على المواجهة والانتقال بها من طور التشتت إلى إطار أكثر اتساعا متمثل في نظام الحلف باعتبار أنَّ هذه القبائل (أرزاقها في ظلال رماحها) لا تفرق بين ثروة الأرض والغنيمة، وهي بذلك ترتكز على أساس مهم وهي المصلحة المشتركة أو كما يسميها ابن خلدون(المساهمة والمشاركة)[3]، أي المساهمة في السلطة السياسية، والمشاركة في الثروات الناجمة عن الغنائم[4].

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص187.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، ص107.

[3]- المساهمة والمشاركة: تتجسد في المطالبة بالسلطة السياسية من طرف قبيلة أو اتحاد قبلي وذلك عبر عصبية بدوية تطعمها دعوة دينية تنادي بإصلاح ديني، سياسي، اجتماعي وتطعن في الشرعية السياسية للدولة القائمة وتسعى من ورائه إلى تحقيق أرباح مادية تتقاسمها القبائل السائدة والمكونة للاتحاد السياسي. ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص 115. عبد اللطيف أكنوش، كتاب تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ص53.

[4]- مُحَمَّد بن حسن، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع للنشر، تونس، 1986م، ط01، ص 13.

وبتعبير آخر فإنهم يعتمدون على ما يوفره لهم اقتصاد المغازي[1] من موارد حربية وبواسطة هذه الموارد نفسها تصل القبيلة إلى السلطة، فتدعم أسس هذا الاقتصاد الذي أوصلها إلى الحكم وتجعله حجر الزاوية في توجهها، مكرسة بذلك البنية القبلية، والحاصل أنَّ النظام القبلي ليس سوى انعكاس أمين لاقتصاد الغنيمة[2].

وفي هذا الصدد يؤكد محمود إسماعيل على أنه ليس جزافا أن تكون سائر الدول التي تعاصرت أو توالت على الغرب الإسلامي دولا إقطاعية، كما أن اقتصادها كان نهبيا توسعيا اسماه البعض بحق "اقتصاد المغازي"[3].

وعلى خلاف ذلك يقول مصطفى نشاط أن الأخذ بمقولة اقتصاد المغازي قد يترك انطباعا عن دول المغرب الإسلامي قوامها أنها عاشت في وضعية حرب ولم تنعم بفترات سلم، وأن ما حققته من مشاريع عمرانية كان فقط بموارد الحرب، بل من خلال ممارسة العمليات الإنتاجية من زراعة وصناعة وتجارة[4].

---

[1]- اقتصاد المغازي: يعرف عند المؤرخين الأوربيين باقتصاد الحرب في أوربا الوسيطة ، وباقتصاد الغزو عند الجابري، و باقتصاد الغنيمة عند هشام جعيط. ومهما تغيرت المسميات فهو يشمل الأموال والغنائم التي سلبت من العدو، وتعد موردا أساسيا لبيت المال، ويبقى عبارة عن نمط يدور في حلقة مفرغة ويعتمد على العمل العسكري وما تجنيه السلطة، كان عبارة عن ثروات جاهزة تكسب بسهولة وتبدد بسهولة أكبر ولا توظف في مشاريع استثمارية وإنما توزع على الحاشية، لتجد نفسها في الأخير تعاني من عجز مالي بعد تراجع دور الجيش في تحقيق الانتصارات العسكرية فتلجأ لابتزاز الرعية لملء الخزينة. ينظر: إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 2006م، ص11. الحسين بولقطيب، أسلوب الإنتاج الحربي والتحول المعاق: حالة المغرب الوسيط، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دار المنظومة، العدد02، المغرب، ص80. عبد الكريم حساين، حضور الأنثروبولوجيا الدينية في كتابات إبراهيم القادري بوتشيش: حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي-نموذجا- مجلة الأنثروبولوجيا الأديان، المجلد16، العدد02، 2020م، ص566. رابح رمضان، اقتصاد الحرب والمغازي وأثاره بالأندلس خلال فترة الفتح والولاة، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الوادي، العدد 08، 1435هـ/2016م، ص216.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة ، ص218.

[3]- محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي-طور الاخيار- الخلفية السوسيولوجية- سنا للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ،ط01، ص1296.

[4]- مصطفى نشاط، دراسة نقدية كشكول من الجوانب الحضارية للغرب الإسلامي-كتاب حلقات مفقودة للقادري بوتشيش2009م، ص01 وما بعدها.

ونحن في كلامنا عن هذا النوع من الاقتصاد العسكري فإنه صراع عصب، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على تضارب المصالح، وهو ليس صراعا (Conflit)[1] من أجل مصلحة عليا للإسلام بقدر ما هو صراع شخصي أو قريب من ذلك.

ومثلما فرضت الأطروحة الخلدونية نفسها كمحاولة لتسليط الضوء على هذه الظاهرة، فإن كتب النوازل على سبيل المثال كنوازل الونشريسي والمازوني خصصت فصولا من بينها سؤال «عن قوم من قبائل شتى في الصحراء، يتغاصبون فيما بينهم وليس لهم مال غير ماشية»[2]، كما خصصت نوازل المازوني فصولا عديدة للغصب كمفهوم قانوني، كما سجلت لنا النوازل توبة الناهب أو القاتل أو قاطع الطريق، والصلاح ظاهرة تقابل العنف والخشونة، فالفقيه نجده في بعض الحالات يجمع شمل الجماعة ويوحد القرية وفي حالات أخرى يجسد الوالي عودة تنظيمات عتيقة تعاني من غلبة تنظيمات مستحدثة، وإذ يسيطر على القبيلة فإنه يكشف لنا البنية التي قامت بتعويضها[3].

كما استطاعت كتب المناقب أن تمدنا بمعلومات قيمة عن الحروب والنزاعات بين القبائل، حيث شكلت الكرامة نقطة ارتكاز أساسية في هذه المواجهة من خلال مشاركة هذه الفئة في العديد من القضايا ذات البعد الاجتماعي خاصة في حالة الحرب بإيواء الرعية في زواياهم والتهدئة من روعهم ورد ورد الجيوش الغازية[4].

---

[1]- الصراع يعتبر من صميم الحياة الاجتماعية، ويمكن أن يصل إلى مستوى من العنف الكبير أو الصغير بسبب عدم تكافؤ في توزيع الثروات أو الوصول إلى السلطة، وتأخذ هذه الصراعات شكل لعبة حصيلتها صفر(ما يربحه أحدهم يخسره الآخر) وإيجابيته من خلال (دمج التعاون والمواجهة) وتكون أحيانا سلبية (حيث لا يوجد إلا الخاسرون). ينظر: جبل فريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، تر: ابتسام مُحَمَّد الأسعد، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط01، 2011م، ص57.

[2]- الونشريسي، المعيار، مج09، ص542.

[3]- جاك بيرك وآخرون، الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، تر: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1988م، ص127.

[4]- كوثر بن قري، الولي في المغرب الأوسط في مواجهة السلطة والحروب والنزاعات- قراءة في كتابة مناقب صلحاء وادي الشلف- مج: المعيار، مج04، ع 52، 2020م، ص89.

وفي هذا الشأن أورد المازوني نصا يبرز فيه إفشال الولي[1] أبي البيان واضح لحملة أمير بني توجين على مغراوة وملخص الحادثة أنمُحَمَّد بن عبد القوي نزل بعدوة واد ارهيو تجاه زاوية الشيخ سيدي واضح طالبا الثأر من مغراوة قتلة ابنه زيان فهلع الناس منه وفروا إلى زاوية الشيخ مستجيرين به باكين خائفين على أنفسهم وحريمهم ونهب أموالهم، فخرج سيدي واضح وقت الفجر وتضرع إلىالله أن يدفع شره عنهم، فأصيبمُحَمَّدبن عبد القوي بوجع وانتفخ بطنه لدرجة أنه كان يصب من فمه ودبره، ودبره، فنصحه بعض خاصته بترك الإغارة والنهب لأنَّ ما أصيب به هو بسبب غضب الولي الصالح عليه لما فعله مع جيرانه، فأرسلمُحَمَّد بن عبد القوي فارسين إلى زاوية سيدي واضح وطلبا منه أن يرقي يرقي لهما ماء، فرقاه وأخذاه إلى أميرهم فلما شربه زال وجعه ، فصعد إليه من الغد متذللا واستبشر الناس وآمنوا به[2].

في هذا النص تبرز سلطة الولي بواسطة الكرامة وهي استجابة الدعاء، شفاء الأمير بعد رقي الماء، حيث ساهمت في رسم صورة الولي في إلغاء الإغارة وتوفير الأمن والحماية للرعية.

وفي نفس الصدد فإن كتب الجغرافيا والرحلات استطاعت بدورها أن تمدنا بمعلومات هامة عن ظاهرة الحرب القبلية في المغرب الأوسط مثلما ذكره لنا الحسن الوزان عن جبل ونشريس بقوله: «في هذا الجبل قبيلة نبيلة بها حوالي عشرون ألف مقاتل منهم ألفين وخمسمائة فارس»[3]، أما مارمول كاربخال فلقد وصف لنا «سكان الجبال من بربر زناته كلهم شجعان، سلاحهم ولباسهم»[4]. وهو ما يؤكد عليه كذلك العياشي في رحلته المعروفة (بالرحلة العياشية) عندما وصل نواحي البيض بالمغرب

[1]- بخصوص الأولياء والصلحاء لا ينازعهم أحد في دور الوساطة، وسلطتهم بمثابة اعتقاد تحول لبعض الكائنات أو الأشياء قوة خارقة من مصدر إلهي، مما يجعلها تحظى بقيمة رمزية وبفعالية على مستوى الممارسات الاجتماعية، وكثيرا من الأحيان لا يتردد في استعمال= انتماءات سلالات مبجلة من أجل الاستحواذ على الأرض وعلى الممتلكات ومن أجل الاتجار بالنقود. ينظر: جاك بيرك وآخرون، المرجع السابق، ص26.

[2]- أبو عمران موسى بن عيسى المازوني، صلحاء وادي الشلف، تح: عبد القادر بوباية، مكتبة الرشاد، الجزائر، ط01، 2017م، ص ص126-127.

[3]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص45.

[4]- مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص292.

الأوسط فقال: «أناسها يخرجون إلى المصلى بسلاحهم، لا يخرج أحد بغير سلاح صغيرا كان أو كبيرا»[1].

لقد كانت الحياة القبلية في الفترة الوسيطة تقوم على ثلاث عناصر أساسية التراب أو الأرض الواقعية Réel والتي لها حدود عكس المجال الذي يكون غير محدود ويعرف بالأرض الاسمية Nominatif.

إن البعد الجغرافي (التراب) يعتبر أحد أبرز محددات القبيلة لكون الأرض لا تحدد فقط طابع عيش الجماعة بل تؤثر بقوة على العلاقات الاجتماعية، فالمحدد الإيكولوجي له دور مهم في البنيات الاجتماعية والنسب لا يكفي وحده بل يجب أن تحتل أرضا –تراب– تمارس عليه سلطتها وتدافع عنه ويشكل جزء من هويتها[2]، دون إغفال العصبية[3]، كون هذه الأخيرة لها دور في جمع شمل فروع القبائل وتوحيد كلمتهم، ثم السعي إلى الملك[4].

أما الأرض فهي التي تحدد مجال وموطن القبيلة وقد تكون عبارة عن مجموعة من المراعي كما هو الحال بالنسبة للقبائل المتنقلة[5]مثل بنو مرين الذين استوطنوا في البداية تيهرت وتلمسان ثم انتقلوا

---

[1]– العياشي، الرحلة العياشية، ص1190.

[2]– رحال بوبريك، القبيلة (السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط01، 2012م، ص ص09–10.

[3]– إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي....، ص221. والعصبية في النظام القبلي السائد في البادية هو العائلة أو "الحمولة" كما يطلق عليها البدو، وهي التي توثق بين الجميع وتجعل منهم كتلة واحدة متراصة". ينظر: جبرائيل جبور، البدو والبادية، مرا: سمير أبو حمدان، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1988م، ص ص275–276.

[4]– يذكر ابن خلدون: «إذا غلبت العصبية استولت على النعمة بمقداره وشاركت أهل النعيم والخصب في نعمهم وخصبهم». ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص116. بينما الملك عنده «هو التغلب والحكم بالقهر، وهو أمر زائد على الرئاسة». المصدر نفسه، ص115.

[5]– يقول المسعودي: «ملكوا الأرض ولم تملكهم،...فمن ملك قطعة من الأرض فكأنما كله له، يردون منها خيارها، ويقصدون ألطافها». ينظر: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مرا:كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 1425هـ/2005م، ج02، ص45. إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص221.

فيما بعد إلى الجنوب الشرقي من المغرب الأقصى حيث ينتجعون ويمتارون على عادة البدو[1] الرحل والفريق الثاني بنو عبد الواد الذين استوطنوا المناطق الممتدة بين جبال سعيدة شرقا ووادي ملوية غربا وكانوا بدوا رحلا ينتجعون[2] المراعي الخصبة بمواشيهم و يترددون على المدن للامتيار.[3]

لقد تطلعت قبائل زناتية أخرى من بني توجين ومغراوة[4] على إحياء العرق الزناتي من جديد[5] وتسلم السيادة الزناتية على الساحة السياسية بعدما اضمحلت السيادة البرنسية المتمثلة في دولة بني عبد المؤمن وتحقق لهم ذلك على الأقل في بعض بلاد المغرب الأوسط[6] في المنطقة الممتدة من شمال الونشريس ووادي شلف إلى البحر لينتهي شرقا إلى وادي السبت قرب متيجة وغربا إلى البطحاء ناحية

[1]–البداوة: هي نمط من أنماط الحياة المجتمعية، توجد أو تسود بوجه خاص في المجتمعات البدوية القبلية أو العشائرية، محلية كانت أم قومية أو عالمية، وتعتبر ظاهرة البداوة بداية التكيف الاجتماعي لكل من الفرد والجماعة والمجتمع مع الظروف البيئية الصعبة والقاهرة التي أحاطت بمختلف وحدات المجتمع البدوي الذي يتميز بالبساطة وعدم التعقيد، فضلا عن تشابك العلاقات والنظم الاجتماعية وتعدد وظائفها. والبدو أقوى الناس همما وأشدهم أحلاما وأصحهم أجساما وأعزهم جارا وأحماهم ذمارا وأفضلهم جوارا وأجودهم فطنا. ينظر: المسعودي، المصدر السابق، ص 94. مُحَمَّد الخطيب، علم الاجتماع البدوي، دار علاء الدين للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط2020، ص12. صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع البدوي– التأصيل النظري– دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2002م، ص281–282.

[2]– الانتجاع: هو تلك الحياة الرعوية المنظمة التي كانت تنتقل بين مراعي الشتاء في السهول والمناطق المنخفضة ومراعي الصيف على المرتفعات والجبال. ينظر: فرنان برديل، فرنان برديل مؤرخ المتوسط والعالم المتوسطي– الصحراء، البدو، والإسلام قطب المتوسط التاريخي، مرا: مروان أبي سمراء، مج:الاجتهاد، ع17، السنة الرابعة، خريف1413هـ/1992م، ص190.

[3]– عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية الرباط، 1388هـ/1968م، ج01، ص ص129–146.

[4]– مغراوة: قبيلة عظيمة من زناتة مشهورة الذكر قديمة الفخر من قبل الإسلام نسبة لمغراو بن يصلين شقيق يفرن. ينظر: أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح وتق: نصر الدين سعيدوني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986م، ص48. وفيها قال أبو يعقوب يوسف الوارجلاني في قصيدته الحجازية: ومغراوة عليا زناتة كلها * وغيرهم من خير أهل الجزائر. ينظر: الوراجلاني أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي (ت570هـ/1174م)، رحلة الوارجلاني، تح وتع :يحي بن يهون حاج أُمُحَمَّد، غرداية، الجزائر، ط01، 2006م، ص38.

[5]– حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط01، 1412هـ/1992م، مج02، ص09.

[6]– بورملة عربية، إمارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين (07–08هـ/13–14م) من خلال كتاب العبر، عبد الرحمن بن خلدون، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1430–1431هـ/2009–2010م، ص30.

ناحية نهر مينا وتشمل جبال شاهقة وسهول خصبة ومدن عامرة منها مليانة ومازونة وتنس وبرشك وشرشال[1].

لقد ظلت مواطن مغراوة وتوجين منطقة صراع تداولت عليها القوتان الحفصية والزيانية إلى أن تمكنت هاتان القبيلتان من اقتطاع الملك ومقارعة الملوك والسلاطين وبسطوا نفوذهم[2]، وأسسوا فيما بعد إمارة مغراوة على يد أولاد منديل بشلف وبني توجين بالونشريس[3].

وبطبيعة الحال أن هذه التحركات البشرية المتقلبة الشديدة التنوع مردها أن كل طرف تأثر بمجموعة من التحركات المتباينة القائمة على التنافس واقتسام الثروات وإبعاد الخصم المنافس على الاستئثار به على الأقل والبحث عن تحالفات قبلية محدودة أو موسعة[4].

وبحسب "غودليي" (Godelier) فإن أفراد هاته القبائل كانوا يتضامنون رجالا ونساء ويعتبرون أنفسهم أقرباء على أساس حقيقي أو افتراضي عبر التناسل أو المصاهرة من أجل السيطرة على مجال ترابي محدد وتملك موارده التي يستغلونها بصفة مشتركة أو خاصة مع الاستعداد للدفاع عنها بالسلاح[5].

---

[1]- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج02، ص467.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص131.

[3]- بورملة عربية، المرجع السابق، ص33. يقول محمود مقديش: «بين مدينة تلمسان وتاهرت تسكن قبائل من بني مرين وزيري وورنيد وماني وأومانو وسنجاسة وغمرة ويلومان وورماكسين وتجين ووشفان ومغراوة وبني راشد وتمطلاس ومنات وزقارة وكل هذه القبائل بطون زناتة وهم أصحاب هذه الفحوص وهم قوم رحالة ظواعن ينتجعون من مكان إلى غيره». ينظر: محمود مقديش، نزهة الأنظار، ص88.

[4]- يقول محمد القبلي: أن قيام كل دولة يؤول في الواقع إلى انتصار تحرك بشري غالب يرمي إلى اتجاه معين غالب كذلك، ومعنى هذا أن لكل تحرك غالب تحركات مواكبة وأخرى مناوئة أو معارضة قد تختلف أهميتها باختلاف الظرفية والأحوال. ينظر: محمد القبلي= =الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط علائق وتفاعل، دار توبقال للنشر، الرباط، المغرب، ط01، 1997م، ص ص ص41-43-80.

[5] – Maurice Godelier, Les Tribus dans l'histoire et face aux états (Paris, CNRS éd, 2010, p17).

عبد الله حمودي، الداخلي والخارجي في التنظير للظاهرة القبلية خطوة في طريق تأسيس خطاب أنثروبولوجي مستقل، مج: العمران، المغرب، ع: 19، 2017م، ص18.

أما بخصوص معاشهم فهو قائم على النجعة والظعن عبر السهوب والفيافي، وكذا التنقل والترحال وعدم الاستقرار فيكادون ينتجون بأنفسهم كل ما يحتاجون إليه أي الضروري الأكيد ولذلك فهو اقتصاد استهلاكي ذاتي[1]، أي أن أغلبية الإنتاج يخصص لاستهلاك المجموعات العائلية ما يخزن من غلات وأقوات في مطامير عمومية ، وقليلا منه للتبادل في أسواق لبيع الفائض منه وشراء المستورد من البضاعة التي تتوقف عليها الحياة ومعظمها تتم عن طريق المقايضة لأن هذا النوع من الاقتصاد لم يكن يشجع استعمال النقود، لأن البدوي لم يكن دخله كبيرا، إذ كان ساكنا بمكان كاسد الأسواق في الأعمال التي هي سبب الكسب[2].

لقد سجلت لنا الإسطوغرافية الوسيطة جملة من الثوابت والمتغيرات التي قامت عليها قبائل بلاد المغرب الإسلامي، حيث كان لكل قبيلة محيطها الخاص الذي تعيش فيه وتتقلب منعزلة عن غيرها من القبائل أو شبيهة بالمنعزلة، فلها في حالة ما إذا كانت مستقرة ترابها[3]، وفي حالة ما إذا كانت راحلة مجالها الحيوي الذي تستميت في حماية حوزته وتمنع بحد السيف غيرها من القبائل أن تنتجع مراعيه أو تستقر فيه[4]، وفي هذا يصفهم ابن خلدون بأنهم : «وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب في سكنى سكنى الخيام، واتخاذ الإبل وركوب الخيل والتغلب في الأرض وإيلاف الرحلتين، وتخطف الناس من العمران، والإباية عن الانقياد للنصفة»[5]، وقد فسر تنقلهم الدائم بسبب الموقع الجغرافي الذي يسكنونه

---

[1]- علي أومليل، الخطاب التاريخي- دراسة لمنهجية ابن خلدون، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط03، 1985م، ص151. معاد بومنقار، زناتة المغرب الأوسط بين مشروع تأسيس دولة قوية والاصطدام بفشل السلطة السياسية ما بين القرنين (02-04هـ/08-10م)، مج: عصور الجديدة، مج10، ع04، ديسمبر1412هـ/2020م، ص62.

[2]- مُحَمَّد بن حسن، المرجع السابق، ص15. عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1388هـ/1968م، ص02. علي أومليل، المرجع السابق، ص151.

[3]- هناك حقيقة لا بد أن نقر بها ألا وهي صعوبة التحكم في الإقليم الزناتي لأن الإقليم أساس قيام الدولة وفي هذا الشأن يقول رياض عزيز: «إن كل أمة لا بد لها من وطن وهو منشأهم ومنه أولوية ملكهم». رياض عزيز، الدولة ونشوئها عند ابن خلدون مج: العلوم السياسية، ع37، بغداد، العراق، ص94.

[4]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص01.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر، ج07، ص03. و في هذا الشأن يقول أحد الباحثين: «فثمة تشابه في أسلوب العيش بين زناتة والأعراب وحتى النزعة المتطرفة التي تميل إلى تجاهل حق الآخرين، والانسياق وراء الغزو، والإغارة على العمران والاعتداء على ممتلكات الناس، هي من خصائصهم أيضا مثل ما هو حال الأعراب. ينظر: بوزيان الدراجي، القبائل الأمازيغية، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج01، ص243.

والذي لا يوفر لهم ما يحتاجونه طوال السنة،[1] حيث تحتم عليهم ضروريات الحياة التنقل والترحال، فهم لا يستوطنون بلدا، وإنما عيشهم على اللبن واللحم[2] متخذين الخيام مساكن لهم وحريصين على اكتساب الإبل والخيل[3].

كما تميز بنو عبد الواد الزناتيون بشجاعتهم وفروسيتهم[4]، ومن أكثر القبائل البربرية قابلية للتعريب لاحتكاكهم المستمر بالعرب[5].

إن حياة الترحال في بلاد المغرب عموما لم تظهر مع مجيء العرب، فمنذ العصور القديمة السحيقة[6] كانت تظعن بتلك الربوع قبائل بأكملها بحثا عن المرعى لماشيتها المتكونة من الغنم والبقر[7].

وبمقتضى الظروف الجديدة التي طرأت على المنطقة فإن علاقات القبائل فيما بينها كانت على نوعين: علاقات تحالف وتبادل عندما تكون لها نشاطات اقتصادية، وعلاقات صراع عندما تكون في تنافس للاستيلاء على المراعي ومراكز الماء، وكذلك المساهمة بالأرباح الزائدة العائدة من تجارة القوافل

---

[1]- يقول عبد الوهاب بن منصور: «إذا أجذبت السنة وأمحلت الأرض قوضت القبيلة خيامها وشدت رحالها تجوب البلاد طولا وعرضا باحثة عن المراعي الخصبة والبقاع الممرعة، تسير إليها ألاف الأميال لا تشكو تعبا ولا نصبا وتزاحم عليها روادها ولو أدى الأمر إلى القتال، إن كانت استكفت بنفسها ولم تستنجد بغيرها، وإن كانت ضعيفة تحالفت مع قبيلة أخرى تكون في الغالب من دمها واستعانت بها على قهر عدوها وبلوغ مأربها». ينظر: عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص02.

[2]- بوزيان الدراجي، المرجع السابق، ج01، ص89.

[3]- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأبصار، ص ص178-179.

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ص257.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي.....، ص25.

[6]- وفي هذا الشأن يقول الجزنائي: «إن أول نزول للبربر في أرض المغرب من أرض فلسطين كان في الجبال والرمال والوهاد، لكونهم أصحاب إبل وغنم وبقر، يسكنون بيوت أدم وشعر». ينظر: علي الجزنائي، جنى الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ط02، 1411هـ/1991م، ص08. ويقول المسعودي: «اختارت البربر سكن الجبال والأودية والرمال والدهاس وأطراف البراري والقفار، ووصفهم بأن مساكنهم تناسب أخلاقهم في انخفاضها وارتفاعها فقال أخلاق قطانها على ما هي عليه من الجفاء والغلظة». ينظر: المسعودي، المصدر السابق، ص ص49-95.

[7]- روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصين القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1988م، ج02، ص160.

وعلاقات صراع أيضا عندما تحاول قبيلة أن تخضع لها قبائل أخرى سواء على حسابها الخاص أو على حساب الحكم الحضري[1].

وفي حالة غلبة هاته القبيلة للقبائل الأخرى فإنها حسب ابن خلدون تشارك أهل الثروة في ثروتهم فتأخذ حصتها بمقدار غلتها أي أنها تدخل كشريك قوي في مشروع اقتصادي كبير له تأثير حاسم على الوضع الاقتصادي العام للبلاد[2].

خلاصة القول أن الصراعات القبلية لازمت القبائل في ظروف تكاد تكون بنيوية، تبرز تمظهراتها داخل القبيلة الواحدة عندما يشعر أفرادها أن الرئيس فوقهم وليس معهم في الحقوق والواجبات، يثورون ضده فيزول ذلك الالتحام المادي أو غير المادي فتتناقص تلك القوة وتهدر وتستهلك مع الأيام، أو في حالة إقصاء عائلة متفوقة من طرف عائلة منافسة، والنزاع المفضي بين أفراد المجموعة المسيطرة والمفضي أحيانا إلى انقسام القبيلة وفي علاقاتها مع القبائل الأخرى على أساس المصلحة الواحدة والمصير المشترك لأجل تأمين قوتهم من الغارات والعدوان للحصول على الغنائم وهو ما يعرف (باقتصاد الغنيمة)، وفي علاقاتها مع الدولة المركزية تتجسد في المطالبة بالسلطة السياسية من طرف قبيلة أو اتحاد قبلي وذلك عبر عصبية بدوية تطعمها دعوة دينية تنادي بإصلاح ديني وسياسي واجتماعي وتطعن في الشرعية السياسية للدولة القائمة، وتسعى من ورائها إلى تحقيق أرباح مادية تتقاسمها القبائل السائدة والمكونة للاتحاد السياسي.

المبحث الأول: مستويات حضور الحرب القبلية من خلال المصادر الوسيطة:

يرى أصحاب كتب الحوليات ظاهرة الحرب على أنها أمر طبيعي من حيث إثارة الأحداث الصاخبة والوقائع المدوية وارتباطها بمنظور التمدن الذي يحقر كل أعمال البدو من جهة ثانية.

[1] – عبد القادر جغلول، الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون، تر: فيصل عباس، مرا: خليل أحمد، دار الحداثة للنشر، بيروت، لبنان، ط04، 1987م، ص210.

[2] – مُحَمَّد زنيبر، المغرب في العصر الوسيط: الدولة–المدينة–الاقتصاد تن: مُحَمَّد المغراوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ط01، 1420هـ/1999م، ص275. وفي هذا الشأن يقول محمود إسماعيل عبد الرازق: «أن دول الغرب الإسلامي تأسست وفق قانون الغلبة بين العصبيات المختلفة». ينظر: المرجع السابق، ص1255.

فابن خلدون يعتبر الحرب خاصية في النوع البشري بقوله: «واقعة في الخليقة منذ برأها الله، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض»[1]، وينظر إليها على أنها تدافع وانتقام[2] بين مختلف الطوائف والقبائل لكونها: «أمر طبيعي في البشر لا تخلو منه أمة ولا جيل»[3].

إن ظهور الحرب القبلية بكثرة حسب التعبير الخلدوني بسبب اتساع المجال الجغرافي لزناتة وكثرة بطونها[4]، حيث وصف ابن حوقل هذا المجال بقوله: «إذ البلاد التي تجمعهم والنواحي التي تحيط بهم مسيرة شهور وشهور»[5]، هذا الاتساع في المجال خلق نوعا من نمط العيش غير المتوازن للبدويين[6] مما دفعهم إلى التنقل والترحال مثلما وصفهم الإدريسي بقوله: «أنهم قوم ظواعن يرتحلون من مكان إلى مكان»[7] وكل هذا لأجل تأمين العيش، من خلال القيام بالعدوان للحصول على المغانم[8] فيكون «معاشهم فيما بأيدي غيرهم»[9]، فالحرب بالنسبة لهم حاجة بيولوجية وليست مسلكا سياسيا يتحرى السلطة والزعامة السياسية[10].

كما كان لهذه الظاهرة حضور في كتب الجغرافيا من حيث الوصف، ووقعها في كتب الفقه والنوازل والتصوف وغيرها من المصادر الأخرى مثلما ذكره ابن سعيد بقوله: «وفي الإقليم الثالث وفي شماليه عيون تنحدر منه وتحتها مروج ينبت فيها حشيش كثير يرتاده البرابرة والعربان وتقع الحرب

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص221.

[2]- سبب هذا الانتقام في نظر ابن خلدون يكون: «إما غيرة ومنافسة، وإما عدوان، وإما غضب لله ودينه، وإما غضب للملك وسعي في تمهيده». ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص221. أبو عبد الله بن الأزرق (ت 896هـ)، بدائع السلك في طبائع الملك، تح وتع: علي سامي النشار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط01، 1429هـ/2008م، ص141.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، ص221.

[4]- أندري جوليان، إفريقيا الشمالية، ج02، ص200.

[5]- ابن حوقل، صورة الأرض، ص107.

[6]- «إن البداوة مكنت البدوي من أن يتجول في الأرض بحرية وغير عوائق ودون ما حاجة إلى أسوار تحميهم وترد عنهم كيد العدو»، «وهم يعشقون الحرب وسفك الدماء وهم أهل فطرة يبغضون الابتذال والتسفل». ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج02، ص276. مُحَمَّد الخطيب، علم الاجتماع البدوي، ص20.

[7]- الإدريسي، المصدر السابق، ص111.

[8]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص218.

[9]- ابن خلدون، المقدمة، ص221.

[10]- فؤاد إسحاق خوري، مفهوم السلطة لدى القبائل العربية، مج: الفكر العربي، السنة الثالثة، ع 22، 1981م، ص76.

الحرب عليه»[1]، مما جعل هذه الأخيرة من أكثر الظواهر الاجتماعية حضورا وإن كانت تكتفي بمجرد الوصف دون العمل على استكانة أسبابها ودواعيها العميقة.

وفي نفس الصدد أجمعت مختلف المتون أن هناك إجماعا على أن القبائل البربرية مولعة بممارسة الحرب فمعظمها محاربة والوجود الاجتماعي القبلي موجود من أجل الحرب.

هذا الانطباع سجله لنا شهود مباشرين من مؤرخين وجغرافيين عايشوا هذه الظاهرة وسجلوها مثل الحسن الوزان حين قال: «حروب لا تنقطع، لكنها حروب أهلية لا تصيب الأجانب»[2].

وبالمثل تتحدث بعض النصوص عن شخص استفتى الفقيه ابن رشد (ت 520هـ-1126م): «في قوم من قبائل شتى يتغاصبون فيما بينهم، وليس لهم مال غير الماشية، وهذا الغصب المذكور فيما بينهم من قديم بين آبائهم وأجدادهم»[3]، ما يبين قدم الظاهرة.

لقد ازدادت ظاهرة الحرب القبلية تجذرا واستفحالا خلال القرن السادس هجري/الثاني عشر ميلادي والقرون اللاحقة حيث أصبحت الحروب هي المهيمنة على نظام الحياة في بلاد المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا خلال معظم الفترات وما رافقها ذلك من ضروب الاستيلاء والغصب والتعدي على الممتلكات والارتزاق، وما يثبت ذلك ما ورد في قول صاحب الذخيرة: «فكثرت الفتن بين القبائل واشتد الخوف في الطرقات والمناهل ونبذ أكثر الناس الطاعة وفارقوا الجماعة وقالوا لولاتهم لا سمع ولا طاعة فاستوى الدنيء والشريف وأكل القوي الضعيف وكل من قدر على شيء صنعه ومن أراد شرا ابتدعه إذ ليس مليك يحوطهم ولا أمير يكفهم

[1]- ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص127.

[2]- الحسن الوزان، الصدر السابق، ج01، ص98.

[3]- أبو الوليد مُحَمَّد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي (520هـ-1126م)، تق وتح: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1407هـ/1987م، ص1017.

ويصدهم»[1]. ويقول أيضا في موضع آخر: «فانقطع الحرث واشتد الغلاء في البلاد بسبب ذلك الإهمال والفساد»[2].

لقد أصبحت الحروب والغارات بين قبائل زناتة الساكنين بالقفر وسيلة من وسائل الكسب حيث لا تخمد واحدة إلا لتشتعل أخرى، وكان ذلك طبعهم كما وصفهم ابن أبي زرع: «لا يعرفون الحرث ولا التجارات، ولا يشتغلون بغير الصيد والغارات، وجل أموالهم الإبل والخيل ودأبهم الحرب وخوضان الليل وشيمتهم إكرام الضيف، وضرب أعدائهم بالسيف»[3].

لقد كان قبيل بني عسكر الزناتي قبل القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي كما وصفه ابن أبي زرع: «يملك جميع بوادي زناتة حتى بلاد الزاب... وأذاق لمتونة وملوك تكلاثة الصنهاجيين[4] شرا كثيرا ولم يزل يغير في بلادهم تلمسان وبجاية والقلعة وغير ذلك من البلاد يهزمون وينهبون ويهزم الجيوش ويقتل الرجال، وكانوا يصانعونه ويهاودنه ليسالمهم فكانوا معه على ذلك إلى أن انقضت دولتهم وغلبهم الموحدون»[5].

وفي السياق ذاته يذكر ابن خلدون أن قبائل زناتة من بني عبد الواد وبني مرين وغيرها كانت تعيش في حروب وتحالفات، فقد كانت: «بين بني عبد الواد وبني مرين منذ أوليتهم وتقلبهم في القفار فتن وحروب، ولكل منهما أحلاف في المناصرة وأشياع»[6].

---

[1]- علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972م، ص288.

[2]- علي بن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، اعتنى بنشره الشيخ مُحَمَّد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، 1921، ص35.

[3]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص23.

[4]- تكلاثة: هي إحدى بطون صنهاجة البرنسية، كانت مواطنهم ما بين المغرب الأوسط وإفريقية وهم أهل مدر. ينظر مُحَمَّد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص243. وحسب جورج مارسي فإن أراضيهم تمتد بين تاهرت والزاب وتشمل مراكز مثل مليانة والمدية وحمزة. ينظر:

G. Marçais, La Berbérie musulmane et l'Orient au moyen âge, p157.

[5]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص18.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج06، ص397.

و يؤكد في موضع آخر أنه: «كانت لهم في محاربة الأحياء والقبائل، ومنافسة الأمم والدول ومغالبة الملوك أيام ووقائع»[1].

لقد كشفت لنا كتب النوازل ومصنفات المناقب أيضا عن مدى استفحال هذه الظاهرة التي أصبحت تدخل في إطار المألوف، وما جرت به العادة في الحياة القبلية إذ أصبحت جزءا مما «جرت به المقادير وشهدت به العوائد»[2]، وكثيرا ما كان يسأل فقهاء العصر عن هذه الحروب مثل: «عن أهل بلد بينهم وبين جيرانهم حرب، ووقع بينهم القتل»[3]، كما استفتي الفقهاء: «عن قبيلتين من البربر اقتتلتا فأرادت إحدى القبيلتين أن تستعين بقبيلة أخرى على التي اقتتلت معها»[4].

وهذه الأجوبة للفقهاء تكشف لنا على أن الحرب أصبحت عادة متأصلة في بعض القبائل التي تتخذ منها حرفة لها.

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص81. يقول: «ولما تحيزت زناتة أمام كتامة وصنهاجة اجتمع شعوب يني واسين هؤلاء كلهم ما بين ملوية، وتشعبت أحياؤهم وبطونهم، وانبسطوا في صحراء المغرب الأقصى والأوسط إلى بلاد الزاب وما إليها من صحاري إفريقية إذ لم يكن للعرب في تلك المجالات كلها مذهب ولا مسلك إلى المائة الخامسة، ولم يزالوا بتلك البلاد مشتملين لبوس العز مشمرين للأنفة، وكانت مكاسبهم الأنعام والماشية وابتغاؤهم الرزق من تحيف السابلة وفي ظل الرماح المشرعة». المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2]- أبو العباس العزفي (557هـ-633هـ)، دعامة اليقين في زعامة المتقين، تح: أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، الرباط،1989م،ص41.

[3]- الونشريسي، المعيار، ج06، ص518.

[4]- المصدر نفسه، ج06، ص81.

ولا يفوتنا كذلك أن ننوه ببعض كتب المناقب التي ارتبطت أشد الارتباط بالأزمات الاجتماعية والاقتصادية والمذهبية والانتكاسات العسكرية والسياسية مثل كتاب: التشوف إلى رجال التصوف الذي ألفه ابن الزيات التادلي سنة (617هـ/1220م-1221م)[1] والذي تناول فيه بعض كرامات المتصوفة كالتوسط في النزاعات القبلية، نتيجة ازدياد الرفاه المادي لقبيلة أو طبقة دون الأخرى وتفاقم وتفاقم التباين الاقتصادي، واحتكار السلطة وغياب العدالة الاجتماعية وغيرها من الأزمات[2]. يقول العزفي: «هذه الأدوار وغيرها كانت تمارس في فضاءات متعددة كالمساجد، الرباطات، الجبال، المنازل، المنازل، الطرقات...إلخ، حيث إليهم يهرع العوام لتفريغ كربتهم، وهم ملجأهم الأخير لحل مشاكلهم، وبهم يستسقون ويستغيثون»[3].

فقد كان من عادة أبي يعزي أن يتدخل في «مفاتنة القبائل وتحزبهم للحروب وقتالهم للغوائل وغضبهم للعصبية»[4].

[1]- جاء في كتاب المستفاد أن كتاب التشوف لابن الزيات أن تأليفه تزامن مع ظروف مضطربة كان يمر بها المغرب صادفت الجراد والقحط والغلاء الشديد وهزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب بالأندلس سنة 609هـ/1212م، ولقد أشار إليها محقق الكتاب عندما كتب: «وهناك عناصر لا بد من إدخالها في الاعتبار عند التعرض لظرفية تأليف كتاب التشوف عناصر يرتبط بعضها بوقائع ذات صدى عميق مثل هزيمة العقاب». ينظر: أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الكريم التميمي الفارسي (ت 603هـ أو 604هـ)، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تيطوان، المغرب، ط01، أوت 2002م، ص226.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ الغرب الإسلامي- قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،، ط01، سبتمبر1994م، ص107.

[3]- أبز عبد الله مُحَمَّد بن عبد الكريم التميمي الفارسي ، المصدر السابق ، ص ص215-217.

[4]- العزفي، المصدر السابق، ص41.

الجدول 16: جرد لأهم العبارات التي اعتمدتها المصادر للدلالة على قدم ظاهرة الحرب القبلية واستمرارها:

القبيلة والمجال	العبارة	المصدر والصفحة
أهل القفار من البدو	فهم دائما يحملون السلاح.	عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص104.
قبائل الصحراء	«أرزاقهم في ظلال رماحهم، ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم».	المصدر نفسه، ص211.
قبائل زناتة	وتنكبنا المحل الذي فيه أولئك المحاربون.	العياشي، الرحلة العياشية، ص 1186.
قبائل زناتة	فوقعت بينهم (بني مرين) وبين عبد الواد وبني وأسين حرب بسبب امرأة فافترقوا.	ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة، ص24.
قبائل السكاكين وأولاد السويد وزواوة	كانوا دائما ميالين للحرب ويسيرون دائما مسلحين، وكانوا في القديم أقوياء جدا.	مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج01، ص ص ص93-100-104.
قبائل زناتة	جبل ولهاصة تسكنها قبيلة عاتية كثيرا ما حاربت أهل هنين.	الحسن الوزان، ج02، ص44.
قبائل الصحراء	قوم من قبائل شتى في الصحراء يتغاصبون فيما بينهم وليس مال غير الماشية.	أبو الوليد مُحَمَّد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي (520هـ-1126م)، تقديم وتحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1987م، ص1017.
قبائل زناتة	قال عبد الرحمن بن رستم: «هذا بلد لا يفارقه سفك دم ولا حرب أبدا»	البكري، المسالك والممالك، ج03، ص250.
قبائل زناتة	هم أكثر القبائل قوة وهم في حرب دائمة.	مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج01، ص90.

وعلى نفس الشاكلة تتقارب أوصاف المؤرخين والجغرافيين عن قوة هذه القبيلة وشراسة تلك، ويتعدى ذلك إلى وصف بطولات وشجاعة أفرادها من حيث القوة الجسمانية، والقدرة على المخاطرة والتضحية[1]، والمعرفة بأساليب الحرب وكثرة عدتهم وعددهم وبعدهم عن هضمة الأحكام وذل المغارم[2]. وتجدهم فخورين بالأسلحة التي يحملونها والتي تشكل رمزا لحريتهم الفعلية أو الوهمية[3]،وفي هذا الشأن يصفهم ابن خلدون بقوله: « قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استفزهم صارخ»[4].

تعتبر هذه المقدرات والمؤهلات ضرورية لأي قبيلة، إذ بمقدور ما تتوفر عليه من محاربين أقوياء وشجعان يتسع نفوذها وتعظم هيبتها، وتستطيع الوقوف في وجه المغيرين من أبناء القبائل الأخرى، أو من أنصار الأسرة الحاكمة[5].

وهذا يدل على أن الدفاع عن النفس أصبحت عادة لا تفارقهم في كل زمان ومكان ومهما كان الخصم وهذا ما يؤكده العمري بقوله: «بعض أبطال العرب أنه إذا كان منا مائة ولاقاهم زناتي واحد هربوا أمامه، ولم يتحاسروا على إقدامه ولا ملاقاته». قال: «إذا جاء الزناتي مغيرا فلا يعتقد أن أحد يهجم عليه»[6].

---

[1]- يقول الجابري: «سكان البوادي يختلفون من حيث صفاتهم المعنوية كالأخلاق والطباع والعادات وأحوالهم الجسمية كالألوان واختلاف نحلتهم من المعاش». ينظر: مُحَمَّد عابد الجابري، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط06، 1994م، ص259.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص77. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج01، ص82، ص170، ص337، ص357.

[3]- إيف لاكوست، العلامة ابن خلدون، تر: د. ميشال سليمان، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط02، 2017م، ص59.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص104.

[5]- مُحَمَّد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط06، أبريل 1994م، ص24. وفي هذا الشأن يقول أن القبيلة كانت عبارة عن جيش يعيش دوما على أهبة القتال، وإلا سقطت بين عشية وضحاها فريسة في يد المغيرين، فيضمحل كيانها وتصبح تابعة وأحيانا مندمجة في الكيان القبلي المتغلب عليها. المرجع نفسه، ص24.

[6]- ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت 749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق، كامل سلمان الجبوري، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2010م، ص27.

لقد جعلت بعض الروايات المشرقية أن العدوان والغزو والغارات ونشر الفتن عادات متأصلة في البشر وربطوها بالبربر على وجه الخصوص ويكفينا ما قاله القزويني عنهم بقوله: «هم أحفى خلق‌الله وأكثرهم بطشا وأسرعهم إلى الفتنة وأطوعهم لداعية الضلالة ولهم أحوال عجيبة واصطلاحات غريبة، سول لهم الشيطان الغوايات، وزين لهم أنواع الضلالات»[1].

نفس الوصف ذكره المسعودي عن سكان بلاد المغرب الإسلامي بقوله: «وفي أهله غدر، ولهم خبث ومكر. ديارهم مختلفة وهممهم غير مؤتلفة، ولديارهم في آخر الزمان نبأ عظيم وخطب جسيم. من أمر يظهر، وأحوال تبهر»[2].

وفي نفس الصدد وصف القلقشندي البربر سكان الإقليم الثالث بقوله: «والإقليم الثالث هو صاحب سفك الدماء، والحسد، والحقد، والغل، وما يتبع ذلك»[3].

ولقد أرجع البعض الأسباب العميقة وراء هذه الحروب القبلية إلى التدهور الاقتصادي العام والشامل والذي انعكس على المستوى المعيشي المتميز بالرتابة التقنية والتطور البطيء، ويلخص أحد الدارسين[4] هذا التدهور بقوله: «ابتليت بلاد المغرب بمحن عديدة إبان القرون الثلاثة الأخيرة من العصر الوسيط، من تفكك الوحدة السياسية وانتشار الاضطرابات والمجاعات وظهور الوهن الديموغرافي وإهمال الفلاحة وسيطرة البداوة والترحال»[5].

لقد اتسمت هذه الثورات بالطابع القبلي إلا أنها انطوت على أسباب اقتصادية قحة، تقترن غالبا غالبا بنقص في موارد العيش بسبب عوامل طبيعية كالجفاف، أو بتدخل السلطة (جمع الضرائب والمغارم)، أو متعلق بمراقبة طرق الذهب وهكذا مثلا كان أحد مشاغل المرينيين وبني عبد الواد خاصة

---

[1]- زكرياء بن مُحَمَّد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، ص163.

[2]- المسعودي ، المصدر السابق، ص49.

[3]- أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، 1333هـ/1915م، ص178.

[4]- وقد عكست أزجال بن قزمان تردي أحوال الفلاحين حيث قال:

كيف نرى خبزي ينبيج (الذرة) أَسود أسود مثل بييج (الزفت).

في إدينا يقطيج (لازج) ودقيق حمْص وَفول.

ابن قزمان القرطبي (555هـ-1160م)، ديوان ابن قزمان القرطبي (إصابة الأغراض في ذكر الأعراض)، تح: فيدير يكو كورينثي، تق: مُحَمَّد على مكي، المجلس الأعلى للثقافة العربية، القاهرة، مصر، 1415هـ/1995م، ص341.

[5]- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص ص ص1197-1198-1201.

في المدن التي تحط فيها قوافل السودان، دون إهمال قيام دعوة دينية إصلاحية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مثلما جرى مع (المرابطين والموحدين في السابق)[1].

إن القليل الذي نعرفه على هذه القبائل الزناتية الإسلامية قبل القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي، يخول لنا أن نحسب أنهم لم يحفلوا بانتصار مذهب ديني بقدر ما اهتموا بالاستيلاء على الأراضي والغنائم[2].

في ظل ذلك الانفراط والتفسح الموحدي من جراء الهزائم المتكررة، قامت القبائل المستقرة على تخوم الصحراء من بني مرين وبني عبد الواد على ترك معسكراتهم في شمال الصحراء الكبرى بين الأوراس وتافيلات والزحف نحو الشمال لتجربة حظهم بالاستقرار في أراضي أصلح من أراضيهم السابقة، ويبدو أنه لم تكن لديهم مطامح سياسية في البداية بل كانوا يسعون إلى تحسين أحوالهم المعيشية»[3].

تلك الجماعات الثائرة انتهجت سياسة الغزو المنظم والثورة الدائمة إلى أن انتهى بهم الأمر إلى الإجهاز على الدولة القائمة وتأسيس دول جديدة سرعان ما دخلت في طور الحضارة، ومن ثمة في

---

[1]- لقد أقام البربر الصحراويين دولة المرابطين لفائدتهم الخاصة دون أن يشركوا الشعوب الخاضعة لإداراتهم في الحكم، فإن قبائل مصمودة أقامت إمبراطورية لمصلحتها الخاصة والشعوب الأخرى المغلوبة بقيت في حالة خضوع دائم، كانت هذه القبائل تعترف برئيسها على أنه يتمتع بسلطة دينية ولكن بعد تحول نظام الحكم إلى ملكي وراثي، فإنه لم يعد اختيار السلطان راجعا إلى ما يتحلى به من صفات دينية بل إلى القرابة، ولم يعد الاعتراف به منوطا بعهدة القبائل. ينظر: روجي لي تورنتو، حركة الموحدين في المغرب في= القرنين الثاني والثالث عشر، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1982م، ص ص119-120.إيف لاكوست، المرجع السابق، ص42.

[2]- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط03، 1987م، ص308. يقول الجابري: «إن الغنيمة هي التي تحكم في نهاية التحليل مفعول القبيلة، فالقبيلة معزولة عن الغنيمة مقولة مجردة وقالب فارغة ينظر: مُحَّد عابد الجابري، العقل السياسي العربي-محدداته وتجلياته- مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط04، 2000م، ص98.

[3]- روجي لي تورنتو، المرجع السابق ، ص120.

أزمة اقتصادية تهوى بهم إلى التلاشي والاضمحلال[1]. وهذا ما يؤكد عليه ابن خلدون بأن ظاهرة الثورة والمطالبة متواترة في أخريات سنين الدول الهرمة[2].

لقد احتقرت بعض النصوص التي أرخت لتلك الحقبة ظاهرة الحرب القبلية واعتبرتها من صنف البغي على الأمير[3] أو الدب في الأرض فساد ووصفتها بالهرج[4]، فضلا عمن أدخلها في صنف الصراع العصبي والتحزب للغوائل والعصبيات[5]. وهناك من نعتهم بالغلظة والجفاء والجهل والقهر والإرهاب[6]، وبأهل البغي والفساد[7]. وللتقليل من شأن سكان بلاد المغرب قال في موضع آخر: «أهل المشرق أشجع من أهل المغرب»[8].

لقد كتبت بعض المصادر عن زناتة من زاوية الكيانات السياسية القائمة وقتها، وتنظر بعين حكامها، فوصفتها بالخارجة على السلطة القائمة[9]، ونعتتها بأكثر القبائل تمردا على الدول القائمة في

---

[1]- الجابري، العصبية والدولة، ص260.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، ص116. والدولة إنما تهرم وتضمحل لسبب رئيسي هو «استحكام عوائد الترف في أهلها» و «عدم إيفاء دخلهم بخرجهم». ينظر: الجابري، فكر ابن خلدون، ص259. يقول مُحَمَّد حسن: «هرم الدولة أي وجود ظروف موضوعية مساعدة على التغيير، وهي شرط من شروط ضمان النقلة من طور التجمع القبلي إلى الملك». ينظر: مُحَمَّد حسن، كتاب القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، ص13.

[3]- ابن الخطيب، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ج02، ص07.

[4]- ابن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ج02، ص08، ج03، ص110.

[5]- العزفي، دعامة اليقين، ص41.

[6]- يقول الحسن بن عبد الله: «فيهم الصبر على الشقاء والإقدام على الموت والحروب وهم أهل غلظة وجفاء وجهل». ينظر: الحسن بن عبد الله العباسي (ت 710هـ/1310م)، آثار الأول في ترتيب الدول، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط01، 1409هـ/1989م، ص292.

[7]- أبو الحسن علي بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين المتوفى سنة 630هـ، الكامل في التاريخ، راجعه مُحَمَّد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1407هـ/1987م، مج08، ص329.

[8]- الحسن بن عبد الله العباسي، المصدر السابق، ص293.

[9]- يحاول بعض الباحثين تفسير المسار الثوري لزناتة طيلة عقود، بأن مستوى التدين عنها كان سطحيا. ينظر: إلياس حاج عيسى، زناتة المغرب الأوسط القبيلة والمجال، مج: العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج03، ع01، يناير2020، ص188.

بلاد المغرب الإسلامي[1]. وما يؤكد هذه النزعة الثورية عند زناتة، قول بلكين بن زيري بعد انتقامه لمقتل أبيه زيري: « لا أمان عندي لبربري ركب فرسا أو نتج خيلا أبدا حيث ما سلك من البلاد»[2] وهو يقصد زناتة.

لقد اعتبر أصحاب المدرسة التاريخية الاستعمارية أن الزناتيين عامل تفكك وانقسام في بلاد المغرب وأن بوادر التوحيد بين البتر والبرانس ظلت دائما مقوضة نتيجة الانفجارات العنيفة التي أحدثها فوضى زناتة[3].

وذهبت تلك الدراسات بعيدا في تأويلاتها عندما حكمت على مغرب ما بعد الموحدين بأنه سائر سائر إلى البداوة بسبب سيطرة زناتة على كياناته السياسية في المغربين الأوسط والأقصى، وذهبوا إلى أن زناتة أمة قائمة بذاتها وبالغوا في تميزها عن باقي القبائل البربرية، وربما كان هذا التأويل الاستشراقي الاستشراقي نابع من اعتبار قابلية القبائل الزيانية للتعريب أكثر من غيرها[4].

لقد أخذت هذه الأقلام الاستشراقية أبعادا أخرى عندما أسقطتها على ثنائية (البربر والعرب) وثنائية (الجبل والسهل) و(المستقر والمتنقل)، مع ما تقيض به تلك الدراسات من روح قائمة على الفصل وإبراز الاختلاف والخلاف[5].

من المستغرب أن نجد بعض رواد المدرسة الاستعمارية يقولون أن تاريخ المغرب كان مجرد صراع صراع مستميت بين القبائل وأن ذلك يدخل في خضم الفوضى التي تميزه[6]، غير أن ما ميز هذا الصراع هو عبارة عن غزو متبادل من خلال قيام القبائل المستقرة بتوفير الأغطية والحاجات الفلاحية

---

[1]- إن عدم الانقياد هو طبع عرف بها البربر طيلة تاريخهم، لم يكن مظهرا مطلقا، فإنهم خضعوا إلى قواعد تحدد علاقاتهم في مستويات ضيقة، مثل علاقات الأسر بعضها ببعض. ينظر: ألفرد بل، المرجع السابق، ص53.

[2]- مجهول، مفاخر البربر، درا وتح: عبد القادر بوباية، الرباط، المملكة المغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط01، 2005م، ص112. ابن عميرة مُحَمَّد، المرجع السابق، ص261.

[3]- مُحَمَّد بن حسن، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، ص24.

[4]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ. ص ص24-25.

[5]- مُحَمَّد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط01، 2002م، ص133.

6- Gautier (E.F), Le passé de l'Afrique du nord, Paris, 1964, pp 201,224.

كالزيت والتين، مقابل توفير القبائل البدوية للحيوانات كالصوف والوبر والحماية للمستقرين أمام الغزاة الذين يهددون ممتلكاتهم[1].

يقول عبدالله العروي: «أجرى المؤرخون الاستعماريون أحكاما سلبية على تاريخ بلاد المغرب فقالوا إنه تاريخ ناقص، متعثر، دوراني. وقالوا إنه تاريخ غامض، تاريخ قبائل متناحرة»[2].

وفي نفس الصدد يقول عبد الحميد حاجيات في مقال له حول موقف المدرسة الغربية من تاريخ الجزائر: «أن معظم الكتابات التزمت المنهجية العلمية، لكنها لم تسلم من تأثير نظريات مؤرخي الاستعمار[3]، أو بما يعرف التحيز التاريخي[4]، مغتنمين فرصة قلة المعلومات بالنسبية للفترات القديمة، فسمحوا لأنفسهم بتقديم افتراضات معتمدين على أدلة واهية تحمل طابع التعصب والتحيز».

إن المتمعن في هذا النوع من الدراسات المتجددة، نجدها مليئة بالأحكام السلبية، المبنية على مفاهيم مسبقة، فمعظمها لم تكن بعيدة عن سياق التنظير للنزعة الاستعمارية الفرنسية على شمال إفريقيا والتبرير لها.

والخلاصة أن الحرب القبلية في تاريخ المغرب الوسيط عموما والعصر الزياني على وجه التخصيص التخصيص نجدها ظاهرة حاضرة بالقدم والشيوع والاستمرار، ولا يمكن تفسيرها في حيز ضيق على أساس مذهبي أو عرقي أو عنصري أو ديني بل لابد من مقاربتها مقاربة علمية من خلال البحث عن عواملها الموضوعية سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو تاريخية، وإعمال العقل قصد تبين أنساقها وفهمها فهما صحيحا.

---

[1]- محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص134

[2]- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط05، 1996م، ج01، ص14.

[3]- عبد الحميد حاجيات، موقف المدرسة الغربية من تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، مج: الدراسات التاريخية، مج03، ع02، جوان 1988م، ص68.

[4]- التَّحييز: والتحيُّز بمعنى: التنحي، وحزت الشيء إذا أحرزته، وجعلت له حدودا. والحيز: جعل كل ناحية على حدة والحوز: الناحية والجانب والحوز: موضع يحوزه الرجل وحاز الشيء ضمه والانحياز: الانضمام إلى حيز وتحيز الرجل وهو متحيز لفلان: منضم إليه. وهو وضع التاريخ في حيز محدد، وفي ناحية معينة، وجعله محصورا في فهم خاص، أو في إطار مغلق. ينظر، ابن منظور، لسان العرب مج02، ص1040، ص1048، ص1069. المعجم الوسيط، ص ص206-211. عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، تحييز التاريخ قضية في منهجية كتابة التاريخ، مج: الدراسات الاجتماعية، مج15، ع29، ديسمبر2009م، ص283.

المبحث الثاني: الحرب والقبيلة من منظور أنثروبولوجي:[1]

رغم التباين والاختلاف الموجود بين علمي التاريخ والأنثروبولوجيا في مجال الاختصاص وأسلوب التفسير وتقنياته[2]، إلا أن موضوع القبيلة بقع على أرضية مشتركة بين العديد من التخصصات، تأتي على رأسها الأنثروبولوجيا ضمن إطار ما عرف بالتاريخ الجديد، حيث أفضت الدراسات الأنثروبولوجية إلى ملامسة بعض نقاط الظل التي تميز هذا الموضوع الحيوي من خلال إعادة النظر في كثير من المسلمات المرتبطة بالقبيلة[3].

وفي هذا الشأن يقول ريتشارد تابر: «إن المؤرخين والأنثروبولوجيين على قدم المساواة في حالات كهذه، فهؤلاء الأخيرون قد اقتحموا مجال التاريخ أيضا عندما سعوا إلى إزالة الغبار عن سجلات المحفوظات والحوليات وتدوين المرويات الشفهية بحثا عن المعلومات... وفي السياق نفسه فإن فإن المؤرخين وقد بدوا غير راضين عن الحقائق الهزيلة المستنبطة من المواد المذكورة، راحوا يغنون تأويلاتهم بمقاربات إثنية ونظرية مستمدة من حقل الأنثروبولوجيا»[4].

---

[1]-الأنثروبولوجيا: الأنثروبولوجيا أو الإناسة كما يحلو لبعض كتاب العرب ترجمة هذه الكلمة: علم يهتم بالإنسان. وهي مؤلفة من الكلمة اليونانية Anthropus (الإنسان) ومن Logos (علم)، وتعني علم الإنسان، أو دراسة الإنسان، والمعنى الواسع لها هو دراسة الإنسان وأعماله وكل منجزاته المادية والفكرية، أي الدراسة الشاملة للإنسان لذا فهو يتميز بالشمولية على الإطلاق. بينما عرفها "ليتريه" بأنها تاريخ الإنسان الطبيعي وكذلك عرفها "لاروس".وهي بحسب الفلاسفة الألمان اسم يطلق على جميع العلوم المتعلقة بجانب من جوانب الحياة البشرية: الروح والجسد، الفرد والنوع، الوقائع التاريخية، ظاهرة الإدراك، قواعد علم الأخلاق المطلقة، المصالح المادية. ينظر:مُحَمَّد الجوهري وآخرون، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، تحرير مُحَمَّد الجوهري وعلياء شكري، القاهرة، مصر، 2007م، ص18.جيرار لكلرك، الأنثروبولوجيا والاستعمار، تر: جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط02، 1411هـ/1990م، ص05. كلود ليفي-ستروس، الأنثروبولوجيا البنيوية، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1977م، ص08.

[2]- حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني (609-869هـ/1212-1465م)، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، ديسمبر، 2009م، ص89. وعليه: «فالتاريخ لا يختلف عن علم الأنثروبولوجيا إلا في تعامله مع الماضي كحقل معرفي». ينظر: حمودة، عمر رمضان، التاريخ والأنثروبولوجيا وجدلية التاريخ الجديد- مقاربة في المفاهيم، مج:الجامعي،مج37، العدد25، 2017م، ص03.

[3]- نور الدين كوسة، إشكاليات المحددات الأنثروبولوجية لموضوع القبيلة ببلاد المغرب في العصر الوسيط، مجلة عصور جديدة، مج01، ع02، جوان1442هـ/2021م، ص ص69-70.

[4]- ريتشارد تاير، الأنثروبولوجيا والمؤرخون والقبيلة حول القبيلة ونشوء الدولة في المشرق العربي، مج: الاجتهاد، ع17، السنة الرابعة، خريف 1413هـ/1992م، ص ص105-106.

لقد مثلت المقاربة الأنثروبولوجية التاريخية أحد المداخل النظرية التي ساهمت في تقديم رؤى ورصد وجهات نظر فيما يتعلق بموضوع القبيلة بوجه خاص، بما يندرج ضمن سياق النقلة النوعية لهذا التخصص المعرفي الواعد الذي انتقل من دراسة الشعوب إلى دراسة الموضوعات[1].

لقد ارتبطت الأنثروبولوجيا في البداية بدراسة الشعوب والمجتمعات البدائية[2]، على أن حياتهم المتوحشة دليل على الحياة الطبيعية[3] وعلى الأصالة الخلقية، ودليل على النجاح أيضا. وبالترابط مع هذه الأطروحات فسرت الثروات الضخمة التي تم الحصول عليها دون عناء، ودون لعنة عمل على أنها ثروات جاهزة[4].

وعليه فإن هذه الجماعات ترتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع الإنساني الذي توجد فيه، إذ هي تعكس في حقيقة الأمر قيمه السائدة وتخدم مصالحه،[5] فتجدهم سواء كأفراد أو جماعات[6] ينزعون إلى اختيار طريقة تجعلهم يتصورون أن جماعتهم هي الأحسن والأفضل[7].

---

[1]- أوجيه مارك وكولاين جون بول، الأنثروبولوجيا، تر: جورج كلوز، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، 2008م، ص25.

[2]- مُحَمَّد عبده محجوب، مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية منهج وتطبيق، وكالة المطبوعات، الكويت، ط02، د.ت، ص17. وفي هذا الشأن يقول: «هناك خلط بين المعنى الفني الذي تشير إليه كلمة بدائي من ناحية، ومعان التأخر أو التوحش أو الافتقار إلى الحضارة والأساليب المدنية من ناحية أخرى». ينظر: المرجع نفسه، ص18. ويسميها جيرار لكلرك بالمجتمعات البدائية والمتوحشة والتقليدية أو القديمة، وبعبارة أخرى العالم الثالث أو جزء منه. ينظر جيرار لكلرك، المرجع السابق، ص11.

[3]- الحالة الطبيعية: مصطلح يستعمله منظرو العقد الاجتماعي للدلالة على وضع لا توجد فيه أية سلطة سياسية قائمة ويمكن استخدامه لتبرير وجود الدولة أو لإنكار ضرورتها لمقابلة سعادة الإنسان المتمدن بالحالة البائسة للبدائي أو العكس، ويتفق العديد من المؤلفين على أن الشعوب التي لا تدين بالولاء لأية سلطة سياسية مكونة تكون بالنسبة لبعضها بعضا في الحالة الطبيعية. ينظر: مجموعة من المختصين، قاموس الفكر السياسي، ج01، ص235.

[4]- جيرار لكلرك، المرجع السابق، ص18.

[5]- حسن فهيم، قصة الأنثروبولوجيا (فصول في تاريخ علم الإنسان)، عالم المعرفة، الكويت، فبراير، 1986م، ص08. وعليه فالمجتمعات البدائية في نظر علماء الاجتماع الأنثروبولوجيين هي مجتمعات صغيرة سواء من ناحية عدد السكان أو المسافات أو بساطة الفنون الآلية والاقتصاد. ينظر: مُحَمَّد عبده محجوب، المرجع السابق، ص18.

[6]- الجماعة: تشير إلى جملة المواطنين الذين يملكون حقوقا متساوية في الأراضي، وهي قائمة على الدم والقربى والمسكن والإقليم المشترك وجملة مواقف مشتركة وخبرات ومشاعر واستعدادات. ينظر: مجموعة من المختصين، قاموس الفكر السياسي، تر: أنطوان حمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1994م، ج01، ص ص221-223.

[7]- أحمد زايد، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، عالم المعرفة، الكويت، أبريل، 2006م، ص14.

وفي هذا الشأن يقول "جيرار لكلرك" عن هذه الجماعات البدائية: «أنهم ليسوا متخلفين، ولكن لهم عالمهم الخاص، له مقدماته ونتائجه التي يكفي أن نسلم بها حتى يتبدى لنا أن ما يعيشونه ليس عالما آخر بل عالمهم الخاص بهم»[1].

لاسيما وأن هذا العالم الخاص جعل من الإنسان البدائي حسب "جيرار لكلرك" إنسانا كسولا فقال: «إذا كانت الأرض خصبة والمناخ مناسبا والمياه جارية، تسقط الثمار لوحدها، وهذا ما يحمل الأهالي على الكسل، فالكسل هو العائق الأول بالنسبة للعمل والتصنيع... أما في المناطق التي يقسو فيها المناخ وحيث لا تنتج الأرض ثمارها إلا بالجد والعمل، هنا فقط يمكن انتظار إنتاج غزير ومتنوع»[2].

لذا نجد معظم الأنثروبولوجيين يفضلون البحث في هذه الجماعات الصغيرة بإجراء الملاحظات والمقابلات مع الناس وجها لوجه وهو ما يعرف بعلم التشابهات والاختلافات[3]. فالتصور السائد لدى الأنثروبولوجيين يميل إلى اعتبار التنظيم القبلي يتميز بخاصية التشابه في البنيات المكونة له والأنساق التنظيمية التي تحكمه[4]، وهي الفكرة التي تبناها التطوريون لفترة طويلة[5].

إن الاهتمام بالأنثروبولوجيا ليس اعتباطيا ولكن لكون ذلك الارتباط الوثيق بينها وبين الاستعمار، فالمجتمعات البدائية كانت جميعها خاضعة للاستعمار، لأنها كانت ببساطة صالحة للخضوع لسيطرة الاستعمار، فالثروات الطائلة التي تملكها هذه المجتمعات تنتظر الغرب كي ينهبها، لتصبح نافعة أو لتقوم التقويم الحق[6].

---

[1]- جيرار لكلرك، المرجع السابق، ص05.

[2]- المرجع نفسه، ص ص19-20.

[3]- بيرتي ج بيلتو، دراسة الأنثروبولوجيا (المفهوم والتاريخ)، تر: كاظم سعد الدين، عالم الحكمة، بغداد، العراق، 2010م، ص23.

[4] -Auzias Jean- Marie- L'anthropologie Contemporaine-Premier Edition- Puff- paris- 1976- p-99.

[5]- تأسس المنظور التطوري على اعتبار كل الأشكال من الممارسات تمر بشكل موحد من التحولات وفق مسار خطي تصاعدي، ولا مجال للخصوصية المحلية. للتوسع أكثر ينظر: Auzias Jean- Marie-op.cit, pp99-106 ضمن كتاب: De la tribu a l'ethnie

[6]- جيرار لكلرك، المرجع السابق، ص ص12-17.

لقد أتاح الاستعمار للأنثروبولوجيا شروط عمل وتسهيلات لم تتح سابقا للباحثين، حيث اتهمت الأنثروبولوجيا بالتواطؤ مع الاستعمار وتبريره ولأنها أيضا تحاشت بإرادة منها أو رغما عنها بوعي أو بدون وعي المظاهر السياسية الحقيقية الاستعمارية ، وهذا إلى جانب السيطرة (امتلاك السلطة السياسية والثروات الاقتصادية) والمظهر الذي تمثلت به من أجل التجديد وهو النهب دون أدنى ريب[1].

إن هذا الارتباط الوثيق بينهما (الأنثروبولوجيا والاستعمار) والذي يجمعهما ما سماه أحد الباحثين بعنف التسمية والتصنيف والحكم الذي كان موضوعه المجتمعات المغايرة للمجتمع الأوربي، والذي يقتضي افتراض وجود مجتمعين: مجتمع عنيف حربي عنيف وهو المجتمع المسمى بدائيا ومجتمع متحضر هو المجتمع الأوربي[2].

لقد تبنى الكثير من الباحثين وحتى بعض المثقفين العرب[3] هذا التصنيف فيجعلون كل خارج عن الحضارة الغربية خارجا عن التاريخ والحضارة والتقدم والتطور وهذا مرده إلى تلك النزعة الأنوية، فربطوا عملية السلب والنهب بالشعوب البدائية وجعلوها حرفة أسهل وأشرف من العمل المنتج بالنسبة بالنسبة لهم[4]،كما وصفهم كرون (Crone): «بأن البدو مخلوقات جديرة بالشفقة، حكم عليهم محيطهم بالانقياد إلى الحياة القبلية، وأنَّ انصياعهم إلى الحكام يعد وجها من الغرابة»[5].

---

[1]- جيرار لكلرك، المرجع السابق، ص161، ص178، ص181.

[2]- حميد تيتاو، المرجع السابق، ص89. يقول جيرار لكلرك: «وحتى خرافة البدائي التي استعملتها الآلة الاستعمارية ما هي إلا أداة أرادت بها التخلص من عقدة الذنب وحتى استعمال الأنثروبولوجيا ما هي سوى إيديولوجية هذه الممارسة أرادت أن يرتاح بها ضميرها». ينظر جيرار لكلرك، المرجع السابق، ص165. ويقول: «أن الإدارة الاستعمارية تنظر إلى المجتمع البدوي بوصفه الرجل المريض وبوصفها الحكيمة التي تحمل إليه الشفاء». المرجع نفسه، ص08.

[3]- إن الدافع عند المثقفين العرب الذين يؤيدون تلك الرؤية لا يمكن إدراكها إلا على أساس أنها أفكار سوداوية ناتجة عن الحالة الراهنة التي تتخبط فيها الأمة العربية. هي حالة استسلام لأفكار الآخرين واستسلام للواقع الراهن في آن واحد. ينظر: الفضل شلق، القبيلة والدولة والمجتمع، مج: الاجتهاد، ع17، السنة الرابعة، خريف1992م/1413هـ، ص32.

[4]- حميد تيتاو، المرجع السابق، ص89. فردريك إنجلز، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، تر: أحمد عز العرب، د.ط، د.ت، ص182. يقول تركي علي الربيعو: «البداوة في نظر السلفية الماركسية هي تعبير عن نمط إنتاج مشاعي وأن البداوة حضارة مجمدة وهي الطور الأدنى من العمران وهي توازي البساطة وتساويها». المرجع السابق، ص ص149-150.

[5]- ريتشارد تاير، المرجع السابق، ص128.

وبطبيعة الحال الظروف المعيشية القاسية التي يختص بها هؤلاء جعلت الجابري يصف طباعهم وأخلاقهم وأنماط سلوكهم بأنها طباع جافية هي إلى الطباع الحيوانية أقرب، يسلبون أموال ومتاع غيرهم ولا يجدون في ذلك منكرا ولا ظلما.[1]

وبما لا يدع مجالا للشك حسب "غاستون بوتول" فإنَّ هذه القسوة مردها: «شعور البدائي بالحرمان الذي حتما يؤدي إلى الغضب، وبعبارة أخرى أن الحرمان الاقتصادي يزيد العدوان الذي يتبدى ضد العنصر الأضعف من خلال السلب والنهب والقتل وكلّها حالات ناجمة عن غضب يتملك يتملك تلك الجماعات، وعليه فالجماعات بطبيعتها منفعلة ومطيعة ومتوافقة»،[2] ويبقى النزاع الفردي (الثأر) والجماعي (الحرب بين القبائل) هو الوسيلة الأساسية إن لم تكن الوحيدة لذا هذه المجتمعات لتجاوز ما قد ينشب من تناقضات بين الأفراد والجماعات[3].

لقد ظل الاتجاه الأنثروبولوجي عالقا بأوحال الإدارة الاستعمارية، فالكثير من الأبحاث ترعاها الإدارات الاستعمارية في المجتمعات البدائية، مثلما ذكره "جيرار لكلرك" عندما قال: «ظل هذا العلم أداة في يد السلطة الحاكمة في البلدان الأوربية التي كانت تشهد مع توسع البحث في الأنثروبولوجيا توسعا جغرافيا مذهلا من حدودها الطبيعية إلى كل جهات الأرض»[4]، لذا نجد العديد من رجال الأنثروبولوجيا اقتفوا سلوك المستشرقين في العيش وسط البدو وتمثل عاداتهم[5]، وقد كتب الأناسي الشهير "برتشارد" (Pritchard) يقول: «عندما يعيش الأناسي بين الأهالي، ويتبع من حيث الصعيد المادي أسلوبا أقرب ما يكون إلى أسلوب معيشتهم، فإنه يضع نفسه بالتالي على مستوى واحد وإياهم وإياهم وهو خلافا للمبشرين والإداريين، لا يخول نفسه حق التمتع بأية سلطة، وليست له مرتبة مجتمعية تحرص عليها، فهو بالتالي قادر على التزام الحياد تجاه كل ما يجري، ثم إنه لم يتواجد بين القوم

---

[1]- مُحَّد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، المرجع السابق، ص148.

[2]- غاستون بوتول، هذه الحرب، ص ص89-90.

[3]- عبد الودود ولد الشيخ، القبيلة والدولة في إفريقيا، سلسلة أوراق الجزيرة رقم 32، تر: مُحَّد بابا ولد اشفع، مركز الجزيرة للدراسات، ط01، 1434هـ/2013م، ص21.

[4]- جيرار لكلرك، المرجع السابق، ص06.

[5]- تركي علي الربيعو، نحو تأسيس إناسة لدراسة المجتمع البدوي (قبيلة طيء نموذجا)، ص153. وفي هذا الشأن يقول: «يجب تجاوز الدراسات الاستطلاعية التي طالت ظاهرة البداوة من جهة وأن يتم تجاوز ما قدمته الكتابات الاستشراقية الأنثروبولوجية التي= =جاءت لخدمة أهداف استعمارية، وكذلك تجاوز الرؤية الخلدونية للظاهرة البدوية والتي لم تعد كافية لفهم هذه الظاهرة، خاصة بعد التراكمات العديدة في مجال الأبحاث الأنثروبولوجية». المرجع نفسه، ص146.

من أجل تغيير أسلوب معيشتهم، بل ليتعلم بكل تواضع أن يعيش مثلهم فليس ثمة أي حاجز ينبغي أن يقوم بينه وبين الأهالي لا شرطي ولا مترجم ولا معلم عقائدي»[1].

إنَّ هذه الدراسات التي طالت المجتمعات البدوية ما تزال قليلة مقارنة بالدراسات الاستشراقية في هذا المجال[2] ويقول "بريتشارد" (Pritchard) : «هناك الكثير من الأسئلة حول البنية المجتمعية[3] للقبائل بقيت عمليا بلا أجوبة، نظرا لفقدان الأدلة التاريخية، لذا يجب الاستعانة بالبنية المجتمعية الحالية نظرا لعدة أوجه، يعيشون الحياة التي عاشها أجدادها الأولون»[4].

وبخصوص دراسة تاريخ قبيلة بشكل اعتباطي في كثير من تلك الدراسات والأبحاث من حيث الزمان والمكان وإسقاطه على كل الفضاءات الجغرافية ببلاد المشرق أو المغرب أو أقاليم أخرى، دون الأخذ بعين الاعتبار مسألة الخصوصية المميزة للقبيلة في كل فضاء جغرافي آخر، يعدّ واحدة من المزالق المنهجية التي رافقت هذا الموضوع[5] مثلما أكد عليهمُحَّد بن حسن بقوله: «يصعب تعميم هذه الاستنتاجات وتطبيقها على كل المجتمعات القبلية نظرا لعدم تناسب تطور بعض القبائل»[6] وهو ما أكد عليه كذلك القادري بوتشيش عندما قال: «دراسة قبيلة ما في مكان وزمن معينين قد لا ينطبق على قبيلة أخرى في الزمان والمكان نفسيهما فكم بالأحرى إذا اختلفت العصور والأمكنة»[7].

---

[1]- إيفنر- بريتشارد، الإناسة المجتمعية وديانة البدائيين في نظريات الأناسين، ترجمة حسن قبيسي، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 1986، ص93. ويقول أن: «عمل الأنثروبولوجي يتم على ثلاث مراحل: أن يقيم وسط الشعب الذي يقوم بدراسته، وأن يتخطى الحدود الأدبية والانطباعية، والمرحلة الأخيرة أن يقارن الخطوط الكبرى لبنية المجتمع الذي درسه مع خطوط بنى مجتمعات أخرى». ينظر: المرجع نفسه، ص82.

[2]- تركي علي الربيعو، المرجع السابق، ص153.

[3]- حسب نيكولاس بولانتزاس: «المستوى الاقتصادي هو الذي يحدد البنية الاجتماعية في نهاية المطاف». ينظر: كتاب السلطة السياسية والطبقات الاجتماعية، تر: عادل غنيم، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، مصر، ط02، 1982م، ص62.

[4]- إيفنر- بريتشارد، المرجع السابق، ص147.

[5]- نور الدين كوسة، المرجع السابق، ص69.

[6]- مُحَّد بن حسن، المرجع السابق، ص143. ويقول: «هناك من جعل القبائل والاتحادات القبلية هما صورتان لنفس المجتمع المجزأ فالأول تصل فيه درجات اللامركزية للعلاقات الاجتماعية مرحلة قصوى، بينما ينتج عن الثاني دمج الأجزاء الاجتماعية في إطار= =أكثر تطورا من الإطار الأول مما يؤدي إلى انتساب أغلبية المجتمعات البدائية إلى النظام القبلي وهو أمر فيه كثير من التعميم وإغفال خصوصيات كل قبيلة والتطور التاريخي لها». ينظر: المرجع نفسه، ص146.

[7]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، المرجع السابق، ص219.

إن التصور السائد لدى الأنثروبولوجيين يميل إلى اعتبار التنظيم القبلي يتميز بخاصية التشابه، إلا أن انبثاق رؤى جديدة أقرت بالبعد الإقليمي للقبيلة[1] ودحضت فكرة الخصوصية المشتركة للتنظيمات القبلية ورفض المفهوم المطلق والمنفتح التبسيطي في دلالاته[2].

ومن الضروري أن الحل الأنسب في ظل انعدام دراسات مونوغرافية وافية للقبائل في العصر الوسيط، يكمن في لم شتات النصوص المتناثرة حول القبائل برمتها في فترة زمنية محددة[3]، ووصفها في كل مظاهرها وبجميع تقسيماتها المتنوعة في ظروف ظهورها ابتداء أو استئنافا[4]، مثلما أكد عليه "كارل بوبر" (Karl Popper) عندما قال: «أن التعميمات التاريخية في العلوم الاجتماعية لا تصدق إلا على الفترة التاريخية المعينة التي أجريت فيها المشاهدات المتصلة بهذه التعميمات»[5].

وفي هذا السياق يجب على الأنثروبولوجيين مضاعفة الجهود بغرض تقديم طروحات تفضي إلى ملامسة بعض نقاط الظل التي تميز هذا الموضوع الحيوي خاصة في مجال التماثل بين التجمعات القبلية من حيث الخصائص والظواهر الفاعلة فيها مثلما أكد عليه ريتشارد تابر قائلا: «مما يدعو للأسف أن أحدا يجب ألا يتوقع لأغراض الدراسة المقارنة أن يكون ثمة تماثل بين تجمعات تسمى قبائل على مستوى خصائصه، أو أن يعتقد بأن استخدام مصطلح كهذا من شأنه أن يؤدي إلى نتيجة موضوعية فيما يتعلق بأهداف التبويب والمقارنة»[6].

بين التخريجات والنتائج المتوصل إليها في دراسة الظاهرة الحربية من طرف الأنثروبولوجيين خلال الفترة الوسيطة (07-09هـ/13م-15م) أن التنظيمات القبلية في المغرب الإسلامي عموما والأوسط خصوصا قامت على فكرتين متلازمتين الحرب والتحالف، بغرض التوسع وتملك المجال المكاني، مستفيدة من حالة التشتت السياسي الذي ظهرت بوادره بعد تراجع نفوذ دولة الموحدين[7].

---

[1] - Bonté Pierre et Izard Michel- Dictionnaire de l'ethnologie- 2éme Edition-Puf-Paris-2002-p720.

[2] – نور الدين كوسة، المرجع السابق، ص70.

[3] – إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص219.

[4] – عبد الله العروي، المرجع السابق، ج01، ص101.

[5] – كارل بوبر، بؤس الأيديولوجيا (نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي)، تر: عبد الحميد صبره، الطبعة العربية، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط01، 1992م، ص110.

[6] – ريتشارد تابر، المرجع السابق، ص110.

[7] – نور الدين كوسة، المرجع السابق، ص79.

إن الأدوار التي مارستها القبيلة خلال هذه الفترة سواء في المغرب الأدنى والأوسط والأقصى هو السعي لضمان مناطق نفوذ جديدة عن طريق تحركات جماعية مكتسحة قائمة على التنافس وما يتبعه من صراع وتحالفات قبلية محدودة أو موسعة لأجل تحقيق مكاسب مادية[1].

وعلى هذا الأساس ظل المستوى الاقتصادي أساس لتصنيف مراتب القبائل، فحيازة الإبل والاعتماد عليها في العيش تميز المرتبة الأولى كون تربية هذه الأخيرة تتطلب مساحات شاسعة من الأرض مما ساعد على الانتشار وبالتالي القوة، والمرتبة الثانية تعتمد في عيشها على رعي الأغنام والمتواجدة على ضفاف الأنهار والأودية وهي قبائل محكومة، أما الطبقة الثالثة فهي التي تعيش على تربية المواشي والحرف اليدوية وهي أدنى القبائل[2].

إن هذا التفشي الواسع للنشاطات الرعوية جعلت من الراعي مهما كانت مرتبته يمتلك مركوبا وهذا ما كان ينيط به دور محارب فعال أو محتمل نظرا إلى التكتيك العسكري في ذلك العصر[3].

لقد صيغت حول ظاهرة الحرب القبلية "البدائية" العديد من الآراء، يمكن تقسيمها إلى أربعة اتجاهات رئيسة هي: الاتجاه الطبيعي، والاتجاه الاقتصادي، والاتجاه التبادلي، والاتجاه السياسي.

01- الاتجاه الطبيعي:

يعرف كذلك بالاتجاه البيولوجي، حيث ينظر أصحابه إلى الحرب على أنها من الأمور الطبيعية في البشر، لا تخلو عن أمة و لا جيل[4]، وهي سنة من سنن الكون الإنساني، و خاصية

---

[1]- محمد القبلي، الدولة والولاية والمجال، ص41. ويقول: «أن العصر الوسيط عصر كله تحركات بشرية متقلبة شديدة التنوع، أي أن كل طرف تأثر بمجموعة من التحركات المتباينة». ينظر: المرجع نفسه، ص41.

[2]- عاطف عطية، الدولة المؤجلة دراسة في أنثروبولوجيا القبيلة عند فؤاد خوري، مج: الاجتهاد، ع17، السنة الرابعة، خريف1413هـ/1992م، ص204، ص205، ص206. وفي هذا الشأن: «لا يمكن فصل الأولوية التي أعطيت للنشاط الرعوي كأهم نشاط اقتصادي لهذه القبائل، عن طبيعة البنية التي بلورتها مجابهة هذه القبائل مع القبائل المجاورة، فيكون القطيع الثروة المتحركة التي يسهل أخذها للفرار نحو الجبال». ينظر: رحمة بورقبة، المجتمع القبلي بين المخزن والدولة، تر: رحمة بورقبة، مرا: خالد زيادة، مج: الاجتهاد، ع17، السنة الرابعة، خريف1413هـ/1992م، ص265.

[3]- إيف لاكوست، العلامة ابن خلدون، ص49.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص221.

متأصلة في طبيعة الإنسان البيولوجية[1]، و هي حسب هيجل شر لا بد منه يبلغ نهايته بتحقيق الفكر المطلق[2]، حيث ترتقي إلى مصاف الصناعة الأساسية [3]، فالحرب عندهم طوي معا جولة خطيرة، ونزهة صيد[4] أكثر إغواء من صيد الحيوانات حتى أكثرها ضراوة[5]، فيصبح الدافع إليها دافعا بيولوجيا مقترنا بالحاجات الغريزية للإنسان، أولها «الحاجة إلى الطعام، والحاجة الثانية هي حاجة الجنس، والحاجة الثالثة هي الحاجة إلى الاطمئنان»[6].

لقد وصفت العديد من المعاجم، حالة انقياد الإنسان للحرب بالغريزة الحيوانية[7]، والنزعة البهيمية التي تقود القردة والذئاب لمقاتلة بعضها، وهي إثم من أكبر الآثام وشر من أعظم الشرور، لا يجوز التغني بآثارها، ولا التباهي برجالها[8]، خاصة وأن المقصد الأسمى في الإسلام هو السلم، بينما الحرب حالة استثنائية، والغنيمة ليست غاية بل نتيجة تترتب على الحرب.

إن مثل هذه الآراء تجد دلالاتها وتعبيرها في آراء "غروسيوس" و"هوبز" و"روسو" وغيرهم، والذين يربطون الحرب بالطبيعة، حيث يرون أن الحالة الطبيعية محكومة بقانون الطبيعة، وأن الحرب

---

[1]- حميد تيتاو، المرجع السابق، ص90.

[2]- غاستون بوتول، هذه الحرب، ص19. حيث وصفها في عدة مواضع بكونها: «مدرسة بارعة، ومحنة جيدة، وغريزة تدفع الإنسان إلى كل ما يجعل حياته حديدا». المرجع نفسه، ص21.

[3]- إيف لاكوست، العلامة ابن خلدون، ص33.

[4]- يقول ألفرد بل: «وأقدم الناس الذين سكنوا في شمال إفريقيا كانوا يعيشون على الصيد والقنص». ينظر: ألفرد بل، المرجع السابق، ص45.

[5]- غاستون بوتول، المرجع السابق، ص ص82-83. يقول فريدريك إنجلز: «كانت الحرب بالنسبة للصياد والمحارب في عصر الوحشية من الأعمال المنتظمة في الحياة». ينظر: فريدريك إنجلز، المرجع السابق، ص ص179-182.

[6]- حميد تيتاو، المرجع السابق، ص90.

[7]- يصفهم ابن خلدون بقوله: «هم أشد الناس توحشا، وينزلون من أهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه والمفترس من الحيوان العجم». ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص101. ويصف روسو الفرق بين الإنسان والحيوان بقوله: «ليس الإدراك الذي يجعل الفرق بين الإنسان والحيوان، بمقدار العامل الحر في الإنسان والطبيعة تقود كل حيوان والحيوان يطيعها، والإنسان يبتلى بذات العامل ولكن مع علمه بأنه حر في الإذعان أو المقاومة». ينظر: جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2013م، ص39.

[8]- مُحَمَّد فريد وجدي، دائرة المعارف، مج03، ص390. ويقول في موضع آخر: «أن الإنسان وهو في أحط درجاته الاجتماعية لا يفترق عن العجماوات في شهواته ونزواته إلا بفروق ضعيفة، كانت الحرب ديدنه سواء ضد الحيوانات أو ضد بني نوعه، فما كان= =منها ضد الحيوانات جعل لها مبررات كثيرة كقتل ما هو ضار به، أو ذبح ما يصل لغذائه منها أو صيد ما ينفع لإلهائه من أسرابها، وما كان من الحرب ضد بني نوعه ابتكر لها مبررات أعلى رتبة كغنم ما لابد له من تقويم حياته من مقومات الجسد أو إجلاء مجاوريه عن أرض لا حياة له إلا بها». ينظر: المرجع نفسه، مج03، ص390.

ليست سوى حالة سلم غير قائمة، أي قبل مرحلة الثقافة،[1] وهناك من جعل الحرب مقرونة بالحياة البدوية، بحكم الظروف الاقتصادية والاجتماعية، وعلى أنها وضع من أوضاعها وركن من أركانها[2].

وعلاوة على ذلك فإن أصحاب هذا الاتجاه ينظرون إلى الحرب على أنها ظاهرة متأصلة في غريزة الإنسان البيولوجية[3]، فالمجتمعات البدائية هي مجتمعات عنف، والكينونة الاجتماعية البدائية هي كينونة من أجل الحرب[4]، مثلما ذكره ريتشارد تابر بقوله: «لقد كانت القبائل تختزن في داخلها، نزعة نزعة نحو الثورة والحرابة والتخريب، بسبب قسوة الطبيعة وبعدهم عن أسباب التحضر»[5]، ويفسرون حياة التنقل والترحال من مكان لآخر شبيهة بحركة الحيوانات أو النباتات التي كانوا يستهلكونها لطعامهم[6]، وكأن هذا التفسير يقف عند حاجات الإنسان الغريزية ولا يتعداها، وهذه الصفات نجدها تقريبا مطابقة لقلية وطبيعة القبائل الزناتية المتقلبة في القفار، من حيث أنهم: «لا يعرفون الحرث ولا التجارات، ولا يشتغلون بغير الصيد والغارات، جل أموالهم الإبل والخيل، ودأبهم الحرب وخوضان الليل»[7]، ويضيف «أنَّ طبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس»[8]،وفي موضع آخر يقول: «بل كلما امتدت أعينهم إلى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه»[9].

---

[1]– مجموعة من المختصين، قاموس الفكر السياسي، ص ص235–236. ومرحلة ما قبل الثقافة: «أي أن القبيلة كمجتمع بدائي تتميز بإطار محدد من الخصائص اللغوية والثقافية». ينظر: ريتشارد تابر، المرجع السابق، ص112. يقصدون بها كذلك: «عدم معرفة الكائنات البشرية للكلام، ولم يكن لها عقل، أو حس بالزمن، أو أخلاقه وكانت وحيدة كليا». ينظر: نفس المرجع، ص236.

[2]– مُحَمَّد الخطيب، مجموعة من المختصين، المرجع السابق، ص24.

[3]– رالف لنتون، الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، تر: عبد الملك الناشف، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1967م، ص41.

[4]– تركي علي الربيعو، المرجع السابق، ص179.

[5]– ريتشارد تابر، المرجع السابق، ص114.

[6]– سينثياستوكس براون، تاريخ الأحداث الكبرى من الانفجار الكبير إلى الزمن الحاضر، ترجمة أيمن توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط01، 2010، ص102.

[7]– ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص23.

[8]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص.123

[9]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ولا بد من الإشارة أن أصحاب هذا الاتجاه لم يأخذوا بعين الاعتبار نظام القيم التي تميزت به هذه القبائل من مروءة وشهامة وكرم وغيرها،[1] فالغزو بالنسبة لهم سلوك تضطر القبيلة اللجوء إليه من من أجل البقاء، وهو أوالية (Mécanisme) دفاعية يفرضها نمط العيش[2](العوز والفقر والحاجة)[3] .

يقول "غاستون بوتول": «ذلكم هو العوز الذي يذكي بدوافع حربية المجتمعات البدائية التي تجهل التجارة والصناعة»[4]. هؤلاء البدائيون يذهبون إلى الحرب لأجل الحصول على الأقوات الضرورية بسهولة ويسر، فيصرفون الزائد من أعمالهم، وتزيد أحوال الرفه والدعة، ويبسطون أيديهم في البذل والعطاء لحاشيتهم وجندهم المرتزق[5]...، وينتقلون بذلك من حروب العوز والحاجة إلى حروب الترف والكماليات.

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن تأثير المعاش في الحرب ذو قوة ثنائية ففي حالة العوز يكون هدفها الحصول على الأقوات وفي حالة الترف والكماليات العمل على الانفراد بالمجد والهيمنة على ثمرات الملك أو كما يعرف بالاستبداد القبلي[6].

---

[1]- الفضل شلق، المرجع السابق، ص19. يصف إيف لاكوست البدويين بقوله: «يتمتعون بكل الفضائل ونشاط وشجاعة وجلد وحذق واحتشام ونزاهة...إلخ». ينظر: إيف لاكوست، المرجع السابق، ص236.

[2]- الفضل شلق، المرجع السابق، ص19.

[3]- الحاجة: الحاجة هي الرغبة في الحصول على شيء يؤدي نفعا ماديا أو معنويا فرديا أو جماعيا، يحتاج إليه الإنسان في تعزيز وجوده وتنمية قدراته وفي مساعدته على إدارة مهام العبودية والحاجة في الإسلام لا تتعارض مع مقاصد الشرع الإسلامي، وهي أنواع مادية كالغذاء وغير مادية كالتعليم، وبيولوجية وحضارية الترفيه، ضف إلى ذلك كله قد تكون فردية أو جماعية. ينظر: سعيد علي العبيدي، المرجع السابق، ص224.

[4]- غاستون بوتول، المرجع السابق، ص32.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص100. الجابري، فكر ابن خلدون- العصبية والدولة-، ص136.

[6]- إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة، ص20.

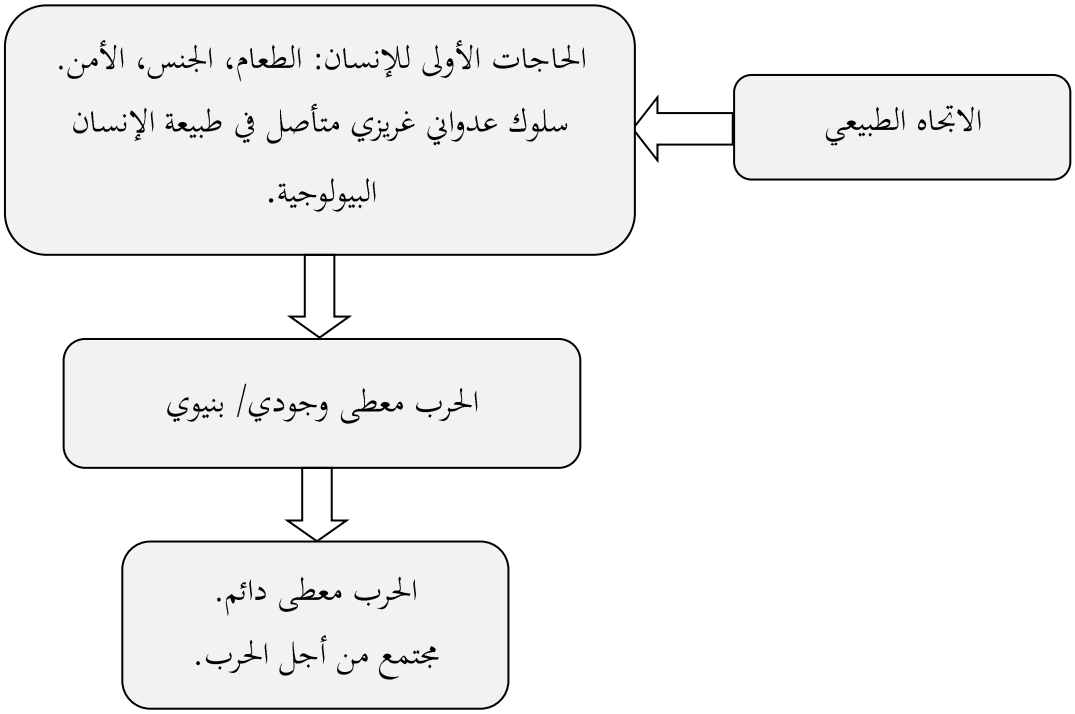
الاتجاه الطبيعي
الحاجات الأولى للإنسان: الطعام، الجنس، الأمن.
سلوك عدواني غريزي متأصل في طبيعة الإنسان البيولوجية.
الحرب معطى وجودي/ بنيوي
الحرب معطى دائم.
مجتمع من أجل الحرب.

02- الاتجاه الاقتصادي:

يربط هذا الاتجاه الحرب في المجتمعات البدائية أولا بعنصر الصحراء[1]، حيث كتب أحد الدارسين العرب لظاهرة الحرب عند المجتمعات البدوية يقول: «حروب البدو صحراوية دوما ولا تتجاوز الصحراء إلا للإغارة على أطرافها الريفية أو الحضرية في حالات الجوع وانعدام الكلأ[2]، وعليه فإنها تظهر على أنها ردود فعل إيكولوجية[3] محضة، وعلى أنها ناتج مباشر للفوضى التي تميز هذه المجتمعات[4] من جهة ومن جهة ثانية إلى عنصر الجوع وانعدام الكلأ، وبذلك يصبح الغزو وسيلة بدوية بدوية لرد غائلة الجوع[5].

إنَّ ندرة الماء والكلأ في الصحراء تجعل العيش صعبا ومحفوفا بالمخاطر، فالإنسان المتوطن في البادية معرض دائما للفناء إن لم ينتقل من مكان لآخر، كما أن هناك مصدرا آخر للخطر ناجم عن المنافسة العنيفة[6] بين هذه الجماعات من أجل امتلاك الخيرات المادية والتي لا تكفي لسد رمقهم في كثير من الأحيان[7]، فسكان البادية منهمكون غالبا في «تحصيل الضروري من العيش، واجتماعهم وتهاونهم في حاجتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفاءة إنما هو بالمقدار الذي يحفظ

---

[1]- يعتبر أحد الباحثين أن الصحراء وهي تشغل على العموم ثلث مساحة العالم، تصل إلى96.5% من مساحة مصر، وتغطي 40% من مساحة العراق، كما تشغل الصحراء وشبه الصحراء ثلث(3/1) المساحة الكلية لسوريا، بينما تغطي منطقة الحماد الشديدة الجذب والقحولة التي تستحيل زراعتها لندرة المطر وعدم وجود مياه جوفية بها حوالي 20% من الأرض التي تعيش فيها القبائل البدوية وشبه البدوية هناك، أما في ليبيا فتقدر الأرض التي يمكن استغلالها زراعيا بطريقة اقتصادية معقولة بما لا يزيد على 05% إلى 10% من المساحة الكلية، والجانب الأكبر من المملكة السعودية صحراء قاحلة تماما، وفي هذا وحده ما يبرز أهمية الدراسات السوسيو أنثروبولوجية في المجتمعات البدوية التي تعيش في تلك المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية. ينظر: مُحَمَّد عبد محجوب، المرجع السابق، ص30.

[2]- تركي علي الربيعو، المرجع السابق، ص175.

[3]- إيكولوجيا: هو العلم الذي يدرس الأفراد الذين يعيشون في بيئة واحدة والوقوف على مبلغ نشاطهم وتفاعلهم مع عناصر البيئة. ينظر: مُحَمَّد عبده محجوب: المرجع السابق، ص251.

[4]- لقد قست بعض الأحكام على المجتمعات الصحراوية، بحيث أتت المعرفة بهم إما مجتزأة وإما غير موضوعية (كما هو الحال في مؤلف هوبك عن البدوي المحارب- الدموي- الفاسد- الناهب- الخامل)، ولا تطال عمق حياته وظروفها. ينظر: رجاء مكي، القانون في المجتمع البدوي ليوسف شلحد، مج: الاجتهاد، ع17، السنة الرابعة، خريف 1413هـ/1992م، ص229.

[5]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[6]- الفضل شلق، المرجع السابق، ص10.

[7]- حميد تيتاو، المرجع السابق، ص91.

الحياة»[1]، وهو ما يعرف (باقتصاد الندرة أو اقتصاد الكفاف)[2]، والذي يسمح لهم بالبقاء على قيد الحياة، ولذلك فهم يتنازعون دوما على مواطن الرزق، ولا يجدون حرجا في الاعتداء على الأموال والممتلكات، «فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه امتدت يده إلى أخذه»[3].

لقد أكد "إنجلز" على أن الحرب القبلية في المجتمعات البدائية وسيلة للكسب ورد غائلة الجوع وأن: «الحرب القديمة بين القبائل تتحول إلى عملية نهب وسلب في البر والبحر لأجل الاستيلاء على الماشية والعبيد والكنوز وتتحول بالتالي إلى مصدر عادي للكسب إلى حرفة، وبكلمة تغدو الثروة موضع إطراء وتبجيل وتقدير بوصفها الخير الأعظم، وتمسي القواعد العشائرية القديمة موضع تحقير لأجل تبرير نهب الثروات بالعنف والقسر»[4].

وعلى هذا الأساس فالحرب ارتبطت أشد الارتباط بالفقر مثلما جاء في إحدى الدراسات الاستشراقية الحديثة قائلة: «ونتيجة الغزوات يستطيع البدوي الفقير بعد غارة موفقة واحدة أن يصلح أحواله المالية، بل ويمكن أن يغدو موسرا»[5]. ثم يضيف: «أن الغزو لم يزل، لعدم زوال الباعث الأساسي عليه ألا وهو الفقر»[6]. فالفقر هو الحليف الأول للبدو، والجوع حليفهم الثاني، فحياة الصحراء هي حياة الفاقة، وعبر هذا يصبح الغزو هو «ديدن البدو وشغلهم الشاغل وموضوع حديثهم وسمرهم ومجال فخرهم واعتزازهم». وعليه: «فإن الغزو لم يزل، لعدم زوال الباعث الأساسي عليه ألا وهو الفقر»[7]، وإذا كانت الحرب حسب بعض الدارسين ترتبط أشد الارتباط بالفقر وتصبح في هذه الحالة قوام معاش البدويين، ومصدرا عاديا للكسب والمعاش مثلما أكد عليه

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص ص100-119.

[2]-الكفاف: بفتحتين ما كان يقدر الحاجة ولا يفضل منه شيء، ويكف عن السؤال. ينظر: أحمد الشرباصي، المرجع السابق، ص ص213-214.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص114.

[4]- فريدريك إنجلز، المرجع السابق، ص141.

[5]- تركي علي الربيعو، المرجع السابق، ص174.

[6]- هناك بعض الدراسات العربية المعاصرة تربط بين الغزو والفقر والفوضى، حيث يغدو الغزو حليفا للفقر، إذ أن «حياة الصحراء هي حياة الفاقة والجوع والحرمان، وعبر هذا فإن حياة البدوي تغدو جحيما لا يطاق، السلب والنهب والغزو والفقر والغلاطة ولوثة البدوي». ينظر المرجع السابق، ص174.

[7]- المرجع نفسه، ص175.

البعض بقولهم أن: «الحرب سبيل للبقاء في بيئة محرومة من الغذاء»[1]، فإن البعض الآخر جعل الغزو لا يرتبط بالشقاء البدوي ولا بالفقر الصحراوي، بل إن المجتمعات البدائية هي مجتمعات العنف[2].

وتفسيرا لذلك فإن هذا الاختلاف مرده إلى نقطة الانطلاق التي تكون عندها قوى الإنتاج إما في أدنى حد ممكن من حيث الندرة والقلة[3] مثلما ذكره مُحَمَّد المستاوي عندما قال: «المجتمعات البدائية تعيش على الكفاف، تنتج لتعيش، فالبدائيون لا يعرفون التراكم، بل يعيشون فوق الطبيعة ويأكلون من الطبيعة ويعيشون تحت رحمة الطبيعة»[4]،وعلى نقيض من ذلك فإن هناك من يقول أنَّ الاقتصاد البدوي هو اقتصاد وفرة، حسب تركي علي الربيعو: «أنَّ الاقتصاد البدائي هو اقتصاد وفرة لا اقتصاد ندرة، فالعنف لا يتمفصل مع الشقاء، وهذا بعني انهيار مرتكز التفسير الاقتصادي للحرب البدائية، والتي لم يعد لها أي مبرر»[5].

إن الشقاء البدائي (أي المردود الضعيف جدا للنشاط الإنتاجي) ينجم عن الانكماش الاقتصادي القبلي فيبرز لنا ما يعرف باقتصاد الكفاف أو الندرة –كما ذكرناه سابقا– والذي عانت منه معظم القبائل البدوية في الفترة الوسيطة، وهو ما يؤكد عليه "غاستون بوتول" في أنه: «إذا ما أردنا أن نقول: نقول: أن العوامل المعاشية أصل حرب من الحروب لدى المعتدى على الأقل– معاشي لا يشوبه شيء آخر... ويبدو أن قليلا من الحروب تستجيب لهذا التعريف، وإذا ما أردنا أن نضرب أمثلة لا جدال فيها ألفينا القبائل البدائية المتألمة من معاش غير مرن تغزو جيرانها للاستيلاء على مدخراتهم الغذائية»[6].

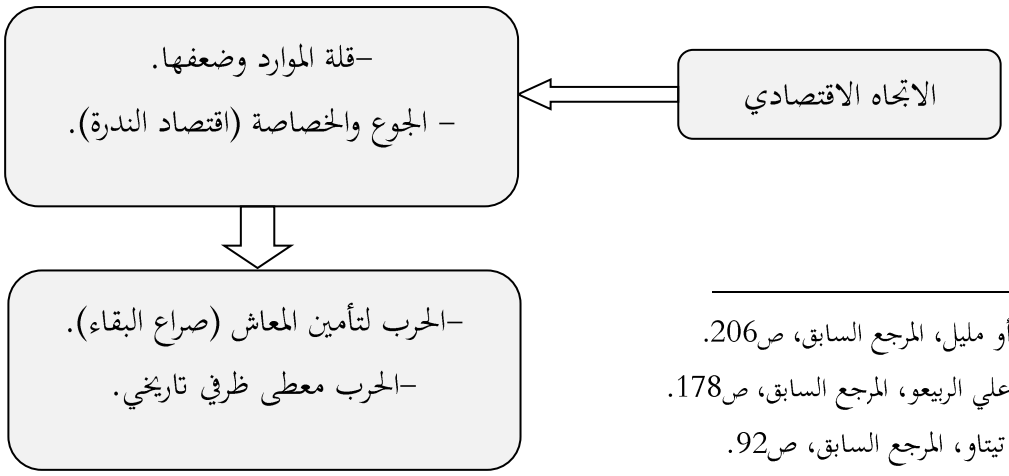

[1]– علي أو مليل، المرجع السابق، ص206.
[2]– تركي علي الربيعو، المرجع السابق، ص178.
[3]– حميد تيتاو، المرجع السابق، ص92.
[4]– مُحَمَّد المستاوي، بيار كلاستر مزحزحا مركزية الفكر العربي، مج: الكلمة، ع65، سبتمبر 2012، ص05.
[5]– تركي علي الربيعو، المرجع السابق، ص177.
[6]– غاستون بوتول، المرجع السابق، ص50.

03- الاتجاه التبادلي:

أصحاب هذا الاتجاه يرون أن القبيلة ليست بالضرورة جماعة معزولة منقطعة الصلة بالعالم من حولها[1]، فهي بحاجة إلى تبادل منتجاتها مع مناطق حضرية، متمدنة أو زراعية[2]، حيث يعتبر ابن خلدون أن القبيلة تزود المدينة ببعض حاجاتها الضرورية والمدينة تزود القبيلة البدوية بالكماليات[3]، فهذه العلاقات قوامها الأخذ والعطاء، ويتوقف مصير السلم أو الحرب بين القبائل على نجاح هذه المشاريع التجارية أو فشلها[4].

وفي هذا الشأن يعتبر أحد الباحثين أنه من الطبيعي أن تتخلل هذه العلاقات فترات من التنافس العنيف، إذ الأمر الذي يمكن أن يحدث بين المجتمعات الأخرى، إذ لا يصح أن يغيب عن بالنا أن علاقات التبادل في كل المجتمعات هي علاقات تكامل وتنافس في آن واحد، علما بأن التنافس يمكن أن يتطور إلى اقتتال عنيف في بعض الأحيان[5].

وعلى هذا الأساس يبقى المجتمع القبلي إذن (مجتمع من أجل التبادل)[6]، وتتميز هذه العلاقات بطابع الاستمرارية والاعتراف المتبادل بين الطرفين، بينما الحروب وجودها يبقى عرضيا ومرتبطا بحالة الفشل في التبادل[7]، لأن القبائل في الأصل عبارة عن تجمعات سياسية تعنى بتبادل المنافع أسوة بروابط الدم[8].

---

[1]- يقول ريتشارد تابر: «كانت المجتمعات القبلية تعتمد على بنية اقتصادية مغلقة تتمثل بالخصائص التالية: الإفادة من حق الرعي على نحو جمعي، تملك الحيوانات حق فردي، تخصيص الإنتاج للاستهلاك وليس للتبادل». ينظر ريتشارد تابر، المرجع السابق، ص121.

[2]- الفضل شلق، المرجع السابق، ص12.

[3]-يقول ابن خلدون عن حاجة البوادي للأمصار: «إلا أن حاجتهم إلى الأمصار في الضروري وحاجة أهل الأمصار إليهم في الحاجي والكمالي، فهم محتاجون إلى الأمصار بطبيعة وجودهم». ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص126.

[4]- حميد تيتاو، المرجع السابق، ص93.

[5]- الفضل شلق، المرجع السابق، ص17.

[6]- والقصد من ذلك أن العلاقة بين القبيلة والقبيلة أو بين القبيلة والحضر ليست علاقة حرب وعداء بل علاقة تكامل وتنافس مثل جميع علاقات التبادل الأخرى من معاملات تجارية ومصاهرة وغيرها. ينظر: حميد تيتاو، المرجع السابق، ص93

[7]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[8]- ريتشارد تابر، المرجع السابق، ص123. وفي هذا الشأن يقول: «على الرغم من أن الإيديولوجية القبلية تقوم في بعض جوانبها على علاقات القربى، غير أن ما يشكل الحقيقة القبلية، هو المصالح المتبادلة والمنفعة والخدمات». ينظر: المرجع نفسه، ص124.

لقد بنى "كلود ليفي" ستروس نظرية التبادل بين المجتمعات البدائية بشكل كبير على مبدأ منع الزواج من المقربات الزواج الداخلي، بل يجب الزواج من الأباعد الزواج الخارجي، لأنه في نظره يضمن مبدأ التبادل ويدفع في اتجاهه[1]، مثلما ذكره كل من "مورفي" و"كسدان" حيث يرون بأن الزواج ببنت العم يشجع على الانغلاق ويؤدي إلى نشوء وحدات صغيرة منعزلة، عكس "بارط" الذي الذي يؤكد على مبدأ الزواج ببنت العم لأنه يعزز أواصر التآلف ويقلص من عوامل الانقسام[2].

وهناك من رفض مقولة التبادل التي اقترحها "كلود ليفي ستراوس" (Strauss)، لتفسير الحرب البدائية، والذي يربط الحرب بنشوء التجارة، فالحرب هي بنية للمجتمع البدائي وليست إخفاقا عرضيا لتبادل فاشل، والشمولية التي تتسم بها في عالم الوحشيين إنما تعكس وضعية العنف البنيوية هذه[3].

وما يعاب على هذه المقولة حسب بعض الباحثين هو كونها تبني أسس المجتمع على القاعدة فقط، فإذا كانت المصاهرة والزواج من الأباعد من حيث المبدأ إلغاء للحرب، وتأكيد للتبادل بين المجموعات القبلية فإنه في الآن ذاته تصبح وسيلة للإعداد للحرب ضدا على آخر لم تشمله عملية التبادل وهو ما ينطبق أيضا على التحالف. فالتبادل يصبح قاعدة فقط من حيث أنه يفتح مجالات أخرى بما فيها الحرب وممارسة العنف[4]. وعليه لو تمعنا جيدا أن الحرب في بعض الأحيان وليدة التبادل ونقيضا له في الآن معا.

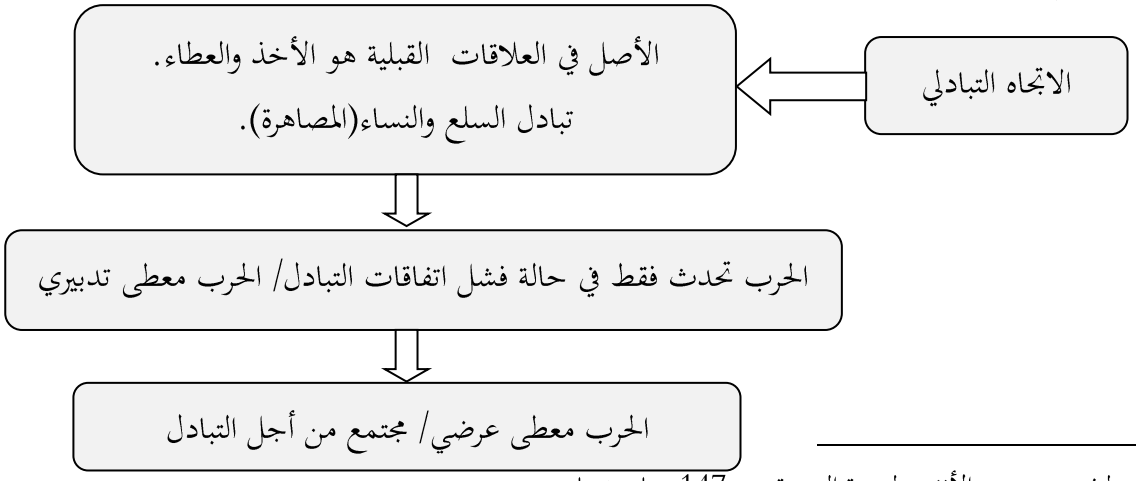

[1]- كلود ليفي ستروس، الأنثروبولوجية البنيوية، ص147 وما بعدها.

[2]- ليليا بنسالم، الأنثروبولوجيا والتاريخ(التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير: حصيلة وتقييم)، تر: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، د.ت، ص18.

[3]- تركي علي الربيعو، المرجع السابق، ص179.

[4]- حميد تيتاو، المرجع السابق، ص93.

04- الاتجاه السياسي:

من رواد هذا الاتجاه "بيار كلاستر" (Pierre Clastres)[1] و"جورج بالانديه" (Georges Balandier)[2]، حيث وفي إطار تجديداتهما لحقل الأنثروبولوجيا السياسية، أكدا على البعد السياسي للحرب في بنية المجتمعات القبلية، إذ يقول "بالانديه": «الحياة السياسية تتجلى أولا بالتحالفات والمجابهات، بالاتحادات والانقسامات التي تصيب الجماعات النسبية»[3]، فهم يشددون على البعد السياسي، ويرون أن هذا الحيز هو مكان انبثاق الديناميات الاجتماعية المتواجهة والمتجابهة.

وعلى هذا الأساس تحدد الحرب على صعيد هذه المجتمعات البدائية وظيفتين أساسيتين: تتعلق الأولى بالتوحيد الداخلي للقبيلة عن طريق الانصهار البشري (كالزواج الداخلي الذي يخضع بدقة لقواعد النسب السياسية) هو الرمز السياسي للإتلاف والاتحاد، وهذا كله يزيد من حمايتها وتماسكها[4]، والذي يتحقق في المجالس على صعيد الأنساق القبلية[5] لأجل ترسيخ وجود بقاء القبيلة ككيان اجتماعي، ولا يقتصر الأمر على التعاون من أجل الإنتاج وتقسيم العمل من أجل إنتاج متكامل، بل يتعدى ذلك إلى درء أي خطر يهدد البقاء في كل لحظة[6].

---

[1]- بيار كلاستر (1934م-1977م)، يعد من أهم الباحثين الفرنسيين الذين ساهموا في تقعيد الأنثروبولوجيا السياسية، وذلك بالنظر إلى منجزه الفكري من أهم مؤلفاته،: مجتمع اللادولة، أثريات العنف أو الحرب في المجتمعات البدائية. ينظر، مُحَّد المستاوي، المرجع السابق، ص01.

[2]- جورج بالانديه (1920م-2016م)، عالم فرنسي وعالم في الأعراق الإناسة، مشهورا بأبحاثه في إفريقيا جنوب الصحراء من أهم مؤلفاته الأنثروبولوجية السياسية، العالم الثالث وغيرها. ينظر: جان كوبان ، جورج بالانديه عالم المجتمع المتخصص في القضايا الإفريقية، تر:مُحَّد الإدريسي، المجلة العربية لعلم الاجتماع، مج17، ع36، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2017م، ص ص05-341.

[3]- جورج بالانديه، الأنثروبولوجيا السياسية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط02، 1428هـ/2007م، ص ص06-08.

[4]- عاطف عطية، الدولة المؤجلة، دراسة في أنثروبولوجيا القبيلة عند فؤاد خوري، مج: الاجتهاد، ع17، السنة الرابعة، خريف1413هـ/1992م، ص208. وهذا الشأن أشار العديد من المؤرخين الأنثروبولوجيين في دراساتهم عن التجمعات القبلية قد وجدوا أن علائق القربى خصوصا تلك التي نشأت بفعل الزواج تشكل العناصر المركزية في تحديد الاستراتيجيات السياسية قبل وبعد إخضاع القبائل لسلطة الدولة. ينظر: ريتشارد تابر، المرجع السابق، ص124.

[5]- عبد الفتاح الزين، التراتبات المجالية والصراع الاجتماعي بالمغرب، قراءة في سيرورة العلاقات البدوية الحضرية بمراكش في الجنوب المغربي، مج: الاجتهاد ، ع17، السنة الرابعة، خريف1413هـ/1992م، ص96.

[6]- الفضل شلق، المرجع السابق، ص14.

وفي هذا الشأن يقول أحد الباحثين عن التوحيد الداخلي للقبيلة الغرض منه: «إعطاء الإنسان القدرة على مواجهة ظروف طبيعية وسياسية بالغة الصعوبة، ويهيئ نفسه للهجوم في أي لحظة كي ينهب الغنائم ويخرب ويدمر عمرانه»،[1] وتتمثل الثانية في تحقيق تمايزها عن الخارج عن طريق المقارنة مع الجماعات الأخرى التي تعكس لهم التميز الإيجابي positive distinetiveness : أي أن هؤلاء الأفراد يحركهم دافع وهو رغبتهم في رؤية جماعتهم أفضل من الجماعات التي تشبهها أو التميز السلبي Négative Distinetiveness: أي الميل إلى تقليل الفروق بينها وبين الجماعات الأخرى[2]، فالحرب تقوم بوصفها سياسية خارجية تتعلق بسياستها الداخلية، والمقدرة الحربية لأية قبيلة وسيلة سياسية فعالة للحفاظ على وحدة العشيرة في الداخل واستقلالها وتمايزها إزاء الخارج القبلي[3]. وفي هذا الإطار تصبح الحرب في القبيلة تعبيرا عن سياستها الخارجية والداخلية، حيث تداخل الظاهرة الحربية بالتحدر النسبي المنبني على نظام القرابة ليشكلا معا النسق السياسي للجماعة القبلية[4].

فالحرب بالنسبة لأصحاب هذا الاتجاه، لا تفسر على أنها غريزة متأصلة في كينونة الإنسان الطبيعية، ولا إلى التنافس بين الجماعات أو إلى التبادل، بل هي أداة سياسية تحافظ من خلالها الجماعة على هويتها ووجودها السياسي[5]، وهم بذلك يرجعون الظاهرة الحربية إلى السياسي قبل الاقتصادي ويستبعدون الجانب الاقتصادي في تفسير نشأة الحرب فهم يشيرون دائما إلى كثرة الحلال من الأغنام والإبل وأن الخير كان عميما والأرض خصبة[6]. وأن المجتمعات البدائية هي مجتمعات سياسية بمعنى أن السياسي هو الذي يحدد الاقتصادي وليس العكس[7]، لأن اقتصادها في نظرهم اقتصاد مغلق لا يقوم

---

[1]- الفضل شلق، المرجع السابق، ص24.

[2]- أوجيه مارك وكولاين جون بول، المرجع السابق، ص25.

[3]- تركي علي الربيعو، المرجع السابق، ص ص171-179.

[4]- المرجع نفسه، ص ص 142-182. مثلما أكد عليه بعض الأنثروبولوجيين عندما قال :«بأن النطاق السياسي يبدأ حيث ينتهي نطاق القرابة، ويفتش عن الفعل السياسي في المجتمعات قلما يظهر فيها». ينظر: جورج بالانديه، المرجع السابق، ص42.

[5]- حميد تيتاو، المرجع السابق، ص93.

[6]- تركي علي الربيعو، المرجع السابق، ص176. تقول رحمة بورقية: «النشاط الرعوي لدى القبائل لا يعود لعوامل اقتصادية وإنما إلى عوامل سياسية لأن الإنتاج الرعوي يسهل نقل الثروة والابتعاد بها عن تخريب الحركة، فلا يمكن فصل النشاط الرعوي عن طبيعة بنية السلطة التي بلورتها مجابهة هذه القبائل مع القبائل المجاورة، فيكون القطيع الثروة المتحركة التي يسهل أخذها للفرار نحو الجبال». ينظر: رحمة بورقية، المجتمع القبلي بين المخزن والدولة، مرا: خالد زيادة، مج:الاجتهاد، ع 17، السنة الرابعة، خريف 1413هـ/1992م، ص265.

[7]- المرجع نفسه، ص179.

إلا على الإفادة من حق الرعي على نحو جمعي، وتملك الحيوانات حق فردي، وتخصيص الإنتاج للاستهلاك وليس للتبادل[1]. ورغم أن البعض الآخر جعل الاقتصاد هو الأساس، حيث أن الانتماء القبلي ليس له أي مضمون تنظيمي سياسي بل هو رمز من رموز الانتماء الاجتماعي، وأن السياسي هو انعكاس للاقتصادي وللمنزلة الاجتماعية[2]، إلا أنه يبقى غير مستقر ومعرض للأزمات المتلاحقة كالفتن والحروب والسنوات العجاف تأتي على ما يتراكم في السنوات السمان.

إن حالة الحرب في المجتمعات البدائية تَفسَّر على أنها صراع ضد السلطة القائمة، ومن هنا يصبح وصفها مجتمعات فوضوية مضادة للقوانين والأعراف، وهذا التفسير يخفي ورائه رئاية حضارية هدفها تفسير نشأة الدولة. ومن هنا على حد تعبير "تركي علي الربيعو" يعترف بأن المبالغة في اعتبار البعد السياسي تقف وراءه رغبة تهدف «لفهم لماذا كان تاريخ المجتمعات البدائية هو تاريخ صراع ضد الدولة، ومن هنا يصح وصفها بأنها مجتمعات مضادة للدولة»[3].

أصحاب هذا الاتجاه يرون في الدولة نجاة ووقف العدوان الناس على بعضهم البعض، وأيضا لحفظ الجنس البشري[4] مثلما قال ابن خلدون: «أن البشر يستحيل بقاؤهم في فوضى دون حاكم»[5].وفي هذا الشأن تقول إحدى الدراسات الاستشراقية المعاصرة: «ما كان بالإمكان تحقيق الاستقرار السياسي ووقف النهب البدوي وتأمين وسلامة الروابط التجارية إلا في ظل دولة مركزية» ويضيف: «ففي ظل انعدام السلطة ا لمركزية كان البدو يقومون بالغزوات»[6].

[1]- ريتشارد تابر، المرجع السابق، ص121.

[2]- عاطف عطية، المرجع السابق، ص 205.

[3]- تركي علي الربيعو، المرجع السابق، ص ص178-179.

[4]- رياض عزيز هادي، مفهوم الدولة ونشوءها عند ابن خلدون، مج: العلوم السياسية، العراق، ع 37، د.ت، ص85.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص187.

[6]- تركي علي الربيعو، المرجع السابق، ص178.

لقد أثبت "كلاستر" في بعض أبحاثه (شقاء المحارب البدائي)[1] الذي يقضي عمره ساعيا إلى الزعامة دون أن يتوقف وهو ما أكد عليه "ساوندرز" حين قال: «مغادرة شعوب الرعاة أوطانهم ليس من أجل الغزو والكسب، إنما من أجل إقامة هيمنة سياسية على جيرانها المتحضرين»[2].

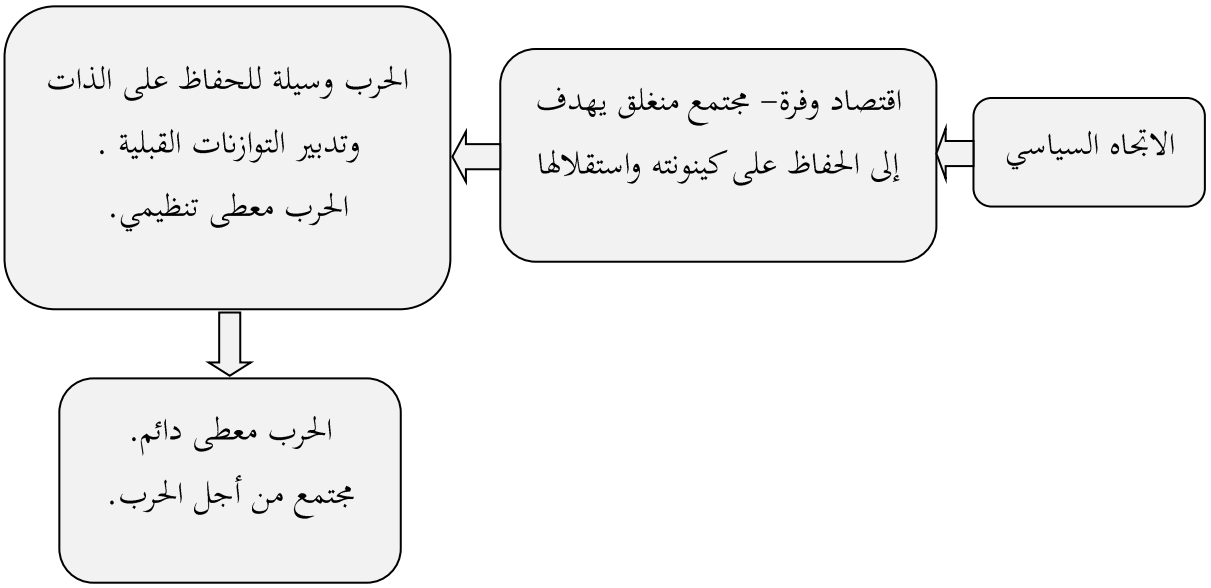

وفي حالة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط لا تبدو كذلك على الأقل في بداياتها خاصة عند الانتقال من مناطق الجدب إلى مناطق الخصب وسنحاول مساءلة المادة المصدرية حول قبيلة بني عبد الواد والظاهرة الحربية خلال العهد الزياني ومدى مطابقة ما قيل من آراء لما هو كائن في تاريخ هذه القبيلة في الفصول اللاحقة.

[1]- المجتمعات البدائية عند "بيار كلاستر" لا تعيش وإنما هي تستمر في العيش والبقاء وما وجودها سوى كناية عن معركة لا نهاية لها ضد الجوع. ينظر: بيار كلاستر، مجتمع اللادولة، تعر وتق: محمد حسين دكروب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط03، 1411هـ/1991م، ص14.

[2]- ساوندرز، البدو وبناء الإمبراطوريات دراسة مقارنة للفتوحات العربية والمغولية، مج:الاجتهاد، ع17، السنة الرابعة، خريف 1413هـ/1992م، ص73.

المبحث الثالث: الحرب القبلية وظاهرة العصبية:

تتحدد الجماعات القبلية البدائية على أساس صلة القرابة[1]، المعبر عنها بروابط العصبية[2]، وهي بذلك استعداد طبيعي فطري تدفع الفرد إلى نصرة قريبه في الدم والنعرة[3] عليه، ويرى ابن خلدون أن العصبية تعود إلى الطبيعة البشرية، وإلى أثر القرابة في الحياة الاجتماعية[4]، وإلى أنها: «نزعة الطبيعية في البشر مذ كانوا»[5]، ويضيف: «وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنصرة على ذوي أرحامهم وأقوياءهم موجودة في الطبائع البشرية، وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم»[6].

لقد كانت هذه الجماعات القبلية تعيش على شكل وحدات صغيرة، فكل خيمة تمثل أسرة، والمعسكر المكون من عدة خيام يسمى حيا، وأعضاء الحي الواحد يكونون قوما، ومجموعة من الأقوام القريبة النسب يكونون قبيلة، التي تحتوي في الغالب على عدد من البطون تؤلف بينها وحدة الدم والنسب، وتشمل في النادر بطنا أو عدة بطون من غيرها انحازت لها وانضافت إليها في أوقات بعيدة أو قريبة لسبب من الأسباب فأصبحت معدودة منها بحكم الحلف والولاء[7]، لذلك نجد ابن خلدون لا يقيد العصبية بالنسب بل بالالتحام الحاصل بسببه، أو الحاصل بما يدخل في معنى النسب، فالنسب إلى

---

[1]- يقول ساطع الحصري: اللغة العربية تسمي ذوي القربى باسم العصبة، وهذه الكلمة تمت بصلة الاشتقاق إلى كلمة العصب بمعنى الشد والربط وكلمة العصابة بمعنى الرابطة، كما أنها تسمى الخصال والأفعال الناجمة عن ذلك من تعاضد وتشيع باسم العصبية. ينظر: كتاب دراسات عن مقدمة ابن خلدون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1953م، ص334.

[2]- يقول الجابري: كثيرا ما تقترن كلمة العصبية بكلمات شارحة ذات دلالة خاصة: النعرة، التناصر، التعاضد، الالتحام، الدفاع...إلخ، وهل كلمات تتفق كلها في شيء أساسي هو المواجهة. ينظر: الجابري، العصبية والدولة، ص171.

[3]- النعرة: هي الصياح ومناداة القوم بشعارهم من أجل الاستغاثة بهم وحثهم على الحرب التي هي مظهر أساسي من مظاهر العصبية وحين ينادي أحد قومه فلابد من إجابته وهذا أحدهم يقول: «حتى إذا جاشت نارها، وسعرت لظاها وكشفت عن ساقها، جعلت مقادها رمحي، وبرقها سيفي ورعدها زئيري، ولم أقصر عن خوض خضاخضها حتى انغمس في غمرات لججها وأكون فلكا لفرساني إلى بحبوحة كبشها، فأستمطرها دما، واترك حماتها جزر السباع وكل نسر قشعم». ينظر: خالد عبد الرحمن الجريسي، العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، تق: عبد الله بن سليمان بن منيع، مؤسسة الجريسي، المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت، ص35.

[4]- مُحَمَّد الخطيب، علم الاجتماع البدوي، ص95.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص107.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص106.

[7]- مُحَمَّد الخطيب، المرجع السابق، ص92. ينظر: عبد الله بن منصور، قبائل المغرب، مقدمة الكتاب.

جد مشترك هو أمر وهمي لا حقيقة له[1]، فالنسب بالنسبة لابن خلدون ليست القرابة الدموية وحدها، بل كل ما يكون باعثا: «للألفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب»[2]. وهو ما يعرف بالحلف والولاء، وهذا لن يتم إلا بجمع شمل القبائل الأقرب فالأقرب إليه من حيث النسب حتى تصبح عصبيته من القوة تكافئ قوة الدولة القائمة[3].

إنَّ العصبية المتولدة من وحدة النسب الخاص تكون أقوى من الالتحام المتأتي من وحدة النسب العام[4]، لأن «النعرة تقع من أهل النسب الخاص والعام»[5] في وقت واحد، غير أنها «تكون أشد في النسب الخاص»[6]، فالفرد يذوب في العصبة عندما تتعرض لخطر ما والعصبة نفسها تتقمص الفرد عندما يصاب بأذى، أو يلحقه مكروه وهذا ما يعرف بالتضامن والتآزر المتبادل، والتعاون المشترك في كل الأمور التي تهم الحياة اليومية والمصير المشترك إلى درجة فناء أحدهما في الآخر، وفي مقدمتها الحرب التي نحن بصدد تحليل ميكانزماتها داخل هذه الجماعات[7]،كما أن انتساب أفراد القبيلة إلى جد مشترك سواء أكان هذا الجد حقيقيا أو وهميا[8] مثل انتساب زناتة إلى جدها جانا أو شانا بن يحي بن مولاة بن مازيغ الذي هو الجد الأول لها[9]، عامل مهم في تحديد واجب كل فرد من أفرادها ومكانه في دائرة الصراع، بالقدر نفسه تحدد الأشخاص الواجب الدفاع عنهم وعن ممتلكاتهم حسب وضعية الفرد وموقعه في القبيلة، وما إذا كان أصيلا فيها أو طارئا عليها[10].

---

[1]- الجابري، العصبية والدولة، ص172.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص107. ويقول: «إذا خرج النسب عن الوضوح وصار من قبيل العلوم ذهبت فائدته وأصبح علما لا ينفع وجهالة لا تضر». المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- بوزيان الدراجي، العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية و تاريخية، ص39. فأساس العصبية عند ابن خلدون: «تكون من الالتحام بالنسب مثل لحمة النسب أو قريبا منها». ابن خلدون، المقدمة، ص107.

[4]- ساطع الحصري: المرجع السابق، ص335.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص109.

[6]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[7]- الجابري، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ص168. حميد تيتاو، المرجع السابق، ص95.

[8]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص222.

[9]- مُحَمَّد بن عميرة، المرجع السابق، ص16.

[10]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص222.

وفي هذا الشأن يقول الجابري: «كانت العلاقات القبلية في تحالفات النعرة والنصرة، إضافة إلى علاقات الجوار[1] تقف حائلا دون المساس بأي فرد من هذه القبائل، لأن كل سوء أو أذى يتعرض له الفرد تعتبره القبيلة مساسا بها، فكان أي اعتداء على أي فرد له قبيلة ينتمي إليها بالنسب أو بالحلف أو أو بالجوار يهدد بإشعال نار حرب أهلية شاملة»[2].

لقد تفطن أحد الباحثين إلى أن الإحساس بالانتماء القبلي لم يكن شرطا كافيا لحدوث الشعور بالعصبية إلا إذا أدى هذا الشعور إلى ميدان العمل أو التطبيق إما بابتعاد الفئات الأخرى أو عبر الاصطدام معها وذلك بحثا ودفاعا عن المصالح المشتركة[3]. وأكد لاكوست بدوره أن العصبية لا تعني عاطفة ولا سلوكا نفسيا، بل تعني واقعا اجتماعيا وسياسيا معقدا جدا، لكن نتائجه النفسية هامة[4].

إنَّ النسق التنظيمي للقبيلة يأخذ طابعا سياسيا، فمن الناحية البنيوية تتفرع كل قبيلة إلى مجموعة من الوحدات، تنحدر من جد واحد حقيقي أو وهمي ويعبر عن تفرعها أجداد يمثل كل واحد منهم نقطة تفرع وحدات أصغر من الوحدة الأصل[5] وفي هذا الشأن تقول "ليليا بنسالم" أن "افنس ريتشارد" قسم:

- أن كل قبيلة تنتسب لجد مشترك يشتق منه اسم المجموعة على العموم.
- تنقسم كل قبيلة إلى قبيلتين أو ثلاث قبائل فرعية، لكل منها منطقة خاصة وتنحدر كل واحدة من جد يكون في الغالب ابنا للجد المؤسس.
- كل قسمة قبلية تشكل في آن واحد فرعا من فروع النسب وفصيلة سياسية.

---

[1]- يقول ابن أبي زرع عن بني وطاس الصنهاجيين لما استجاروا بالمرينيين: «وسبب دخولهم في قبائل بني مرين لما انقضت أيامهم وغلبهم الموحدون على ملكهم.....لجأ إلى أحياء بني مرين فاستجار بهم فأجاروه». ينظر: الذخيرة السنية، ص ص19-20.

[2]- محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي (محدداته وتجلياته)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط04، 2000م، ص82.

[3]- المحمد بن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، تق: محمد المنوني، مطبعة النور، تطوان، المغرب، 1408هـ/1987م، ص ص18-19.

[4]- إيف لاكوست، المرجع السابق، ص206.

[5]- حميد تيتاو، المرجع السابق، ص95.

- تنقسم القبيلة الفرعية بدورها إلى سلالات أو بيوت وهي حسب برتشارد وحدات قاعدية أي سلالات صغيرة أو عائلات موسعة[1].

ويتم تحديد هوية الفئات بالاستناد إلى مجموعات من الأجداد صعودا إلى أعلى مستوى حيث تلتقي جميع الأنساب عند جد موحد تعرف به القبيلة الواحدة أو الحلف القبلي مثلما ذكرناه سابق على زناتة. وهكذا تنحدر فروع مختلفة من أبناء الجد الموحد تتفرع عنها فروع جديدة[2] مثل: قبائل بني عبد الواد تشكل إلى جانب قبائل بني مرين، ومغراوة، وبني يفرن، وتجين، وزواغة، ووجديجة، وبني فاتن، مجموع الوحدات الكبرى التي تشكل قبائل زناتة[3]، وتجتمع في اعتقادها في جدها الأعلى زانا (أو جانا أو شانا) بن يحي بن ضري[4].

وتتفرع قبائل بني عبد الواد عن باقي القبائل الزناتية حسب ابن خلدون انطلاقا من جدها: «يادين بن مُحَمَّد إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد وإن نسبهم يرتفع إلى رزجيك بن واسين بن بن ورسيك بن جانا»[5]. ثم يضيف: «وبني مرين إخوانهم المجتمعين معهم بالنسب في رزجيك بن واسين، ولم يزل بنو عبد الواد هؤلاء بمواطنهم تلك وبنو راشد بنو زردال ومصاب منجدين إليهم بالنسب والحلف»[6].

وينقسم بنو عبد الواد إلى ستة بطون من بينها بنو القاسم الذين كانت لهم الرياسة[7] مثلما ذكره ابن خلدون: «ولم تزل الرياسة في بني القاسم لشدة شوكتهم واعتزاز عصبيتهم»[8]، وهذا الفرع بدوره بدوره ينقسم إلى عدة بطون من بينها بنو يكمثن، وبنو علي الذين انتهت إليهم الرياسة وهم أشد

---

[1]- ليليا بنسالم، المرجع السابق، ص17.

[2]- عبد الله الحمودي، الأنثروبولوجيا والتاريخ (الانقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة السياسية والقداسة –ملاحظات حول أطروحات كلينز)، تر: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، د.ت، ص62.

[3]- ابن الأحمر، روضة النسرين، ص10.

[4]- بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، ص240.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر، ج07، ص97.

[6]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[7]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط02، 1986م، ص.220

[8]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص ص97-98.

عصبية وأكثر جمعا، وهم أربعة أفخاذ من بينها بني طاعالله لبنيمُحَمَّد بن زكرار بن تيدوكسن بن طاعالله، طاعالله، ومن بعدهم جابر بن يوسف بنمُحَمَّد الذي استبد برياسة بني عبد الواد، وأقام هذا الحي من بني من بني عبد الواد بضواحي المغرب الأوسط بداية من القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي[1].

لقد كانت هذه الوحدات المجزأة إلى بطون وأفخاذ تشغل بقعة من الأرض على سبيل الشيوع ولها طوطم مشترك وتحكمها قوتان، قوة الكلمة في وقت السلم، وقوة السيف إبان الشدائد[2]، ورغم علاقات التصاهر وتبادل النساء التي كانت موجودة بين الوحدات المتحالفة[3]، إلا أن باقي الوحدات الأخرى كان يقل الاحتكاك بينها والعلاقات تنشأ بينهم في صراعهم مع الطبيعة[4]، وعلاقات الإنتاج محدودة تتسم بالطابع الفردي لا تتعدى نطاق الأسرة علاقات تعاون ومشاركة، لا علاقات استغلال[5]. فهل كانت الحرب تعبيرا عن هذه البنية المجتمعية والمكانية المجزأة؟

وتماشيا مع تم ذكره فإن قاعدة الانتماء إلى النسب الواحد تشكل نزعة طبيعية في البشر تؤدي إلى الاتحاد والالتحام بين أفراد النسب الواحد لأنها تحملهم على التعاضد والتناصر وتستلزم استماتة كل واحد منهم دون صاحبه، لهذا السبب نجد أفراد النسب الواحد يتعاونون على دفع العدوان ويتناصرون في تحقيق المطالبات مثلما أكد عليه ابن خلدون حين قال عن النسب أنه: «طبيعي في البشر إلا في الأقل، ومن صلته النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة، فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه، ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك»[6].

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، ص98-99.

[2]- بول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، تق: محيي الدين صابر، تر: زكي نجيب محفوظ، دار الجبل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، مج01، ص40.

[3]- حميد تيتاو، المرجع السابق، ص96.

[4]- يقول أحد الباحثين: «يعيش الإنسان على ما تنتجه الطبيعة دون مجهود إنساني وكل ما أنتجه الإنسان في هذه الفترة أساسا هو الأشياء المسهلة لعملية استخدام ما تجود به الطبيعة». ينظر: فردريك إنجلز، المرجع السابق، ص17.

[5]- الجابري، العصبية والدولة، ص174.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص107.

وعليه فإن وظيفة هذا الانتساب الخاص إلى جد مشترك حسب القادري بوتشيش تتمثل في: «تحديد هوية القبيلة، كما تساعد على تحديد واجب كل فرد من أفرادها، ومكانه في دائرة الصراع، بالقدر نفسه تحدد الأشخاص الواجب الدفاع عنهم وعن ممتلكاتهم حسب وضعية الفرد وموقعه في القبيلة وما إذا كان أصيلا فيها أو طارئا عليها»[1]، ومن هنا نستنتج أنه كلما كان النسب متواصلا حصل الاتحاد والالتحام وبالعكس إن كان بعيدا وغامضا حصل التنافر والتنازع.

وبخصوص استحضار الجد بصفته مرجعية رمزية لتكتل الأفراد والجماعات، فإن استحضاره يرتبط بطبيعة التكتل الذي قد يقتصر على الجد القريب[2]، وهو ما يبدو واضحا فيما يذكره ابن خلدون عن قبائل زناتة في معرض حديثه عن النزاعات بين هذه القبائل، فيقول أنه كانت بين «بني مرين وبني عبد الواد منذ أوليتهم وتقلبهم في القفار فتن وحروب، ولكل منهما أحلاف في المناصرة وأشياع»،[3] ففي مثل هذه الحالات لا يتم استحضار الجد الأعلى والمشترك لزناتة مادام الصراع والحاجة إلى التكتل هنا مرتبطا بتنازع الوحدات الداخلية للقبيلة الأم التي تحولت إلى قوة اجتماعية جديدة باحثة عن تحقيق ذاتها داخل الكل الاجتماعي[4]. لكن عندما استشار السعيد الموحدي شيوخ دولته في ضرب بني عبد الواد ببني مرين لم يتردد هؤلاء في تذكيره أن «الزناتي أخو الزناتي لا يخذله ولا ولا يسلمه، فنخاف أن يجتمعا على حربك»[5]، فالقبيلة في هذه المرحلة تعتقد أن انتمائها إلى جد مشترك هو ما يميزها عن مجموعات أخرى مماثلة ويفصلها عنها، بحيث تكون علاقات تعارض وتنافس وصراع يحكمها (مفعول القبيلة) في معناه الصدامي وهو ما يمكن أن نطلق عليه قانون (الصراع القبلي) وفحواه: «أنا وأخي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب»[6].

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص223.

[2]- وفي هذا الشأن يقول عبد الله حمودي: «كلما دعت الضرورة إلى الوحدة يتم استحضار الجد الأعلى كمرجع رمزي تنحدر منه مجموع تلك السلالات، يسمي كلينر هذه العملية بعملية الانصهار». ينظر: كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ- حالة المغرب العربي، الانقسامية والتراتب الاجتماعي، ص63.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر، ج06، ص397.

[4]- مُحَمَّد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ص30. حميد تيتاو، المرجع السابق، ص97.

[5]- أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج01، 204.

[6]- الجابري، العقل السياسي العربي، ص79.

في هذا الشأن يقول أحد الباحثين: «حيث يفقد مفهوم الجد الأعلى دعائمه على أرض الواقع ويتحول إلى رمز لمركزية الوحدة الاجتماعية فقط». ثم يضيف عن سبب غياب هذا المفهوم بقوله: «حيث أدى الاختلاط والولاء، والالتجاء والتزاوج والاحتماء إلى ضعف العصبية الدموية، ووحدة النسب والأصل، كما لعب مفهوم الاتحاد القبلي دورا أساسيا في تذويب النسب الدموي»[1].

وعليه فإن الانتساب إلى جد واحد يحمل الأفراد على التناصر والتعاضد في المدافعة والحماية والمقاتلة عندما يكون هناك داع للتعصب، مع تناسي كل الخلافات الداخلية، والتخندق في خندق واحد لمجابهة ذلك الخطر[2] فهي حسب ابن خلدون: «حامية الحي من أنجادهم وفتيانهم المعروفين بالشجاعة فيهم».[3] لكن المرجح تاريخيا أن هذا الانتساب ليس حقيقة تاريخية مثلما أكد عليه ابن خلدون بقوله: «إذ النسب وهمي لا حقيقة له، ونفعه إنما هو في هذه الوصلة والالتحام»[4]، فعلاقات النسب والانتماء إلى أب واحد، كأبناء القبيلة حقيقة تاريخية بمقدار ما هي تعبير عن الحاجة إلى إعادة صياغة علاقات التعاون الواقعية بصيغة يستخرجها الإنسان من علاقات أخرى هي الأكثر رسوخا ومتانة في الطبيعة علاقات القرابة والنسب[5].

لاسيما وأن كتب الأنساب والتواريخ أمدتنا بأسماء كثيرة لقبائل لا يجمعها نسب واحد، ومنها قبائل برغواطة التي اعتبرها ابن أبي زرع «قبائل كثيرة، وليس لهم أب واحد وأم واحدة، وإنما هم أخلاط من قبائل شتى من البربر»[6]،كما تناولت كتب التاريخ العديد من القبائل التي التحمت مع بعض وأصبحت منها، كما هو حال بني زردال الذين يقول عنهم ابن خلدون أنهم: «اندرجوا في بني عبد الواد لقلتهم واختلطوا بنسبهم»، ثم يضيف: «ولما تغلب أبو الحسن المريني على بني عبد الواد ابتزهم ملكهم واستخدمهم»[7]، ونفس الحال يتكرر مع بني كمي أحد بطون بني القاسم بن عبد الواد

---

[1]- محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص20.

[2]- الجابري، العصبية والدولة، ص171. حميد تيتاو، المرجع السابق، ص97.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص106.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص107. وذلك بعد أن يبدأ تلك الفقرة بقوله: «أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل». نفس الصفحة. يقول أحد الباحثين: «أن النسب أمر وهمي أي ذهني ومعنوي لا حقيقة وإن كان طبيعيا». ينظر ساطع الحصري، المرجع السابق، ص337.

[5]- الفضل شلق، المرجع السابق، ص11.

[6]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص130.

[7]- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر، ج07، ص165.

والذين التحموا مع بني مرين كما ذكره ابن خلدون: «والتحم بنو كمي ببني مرين وأصبحوا إحدى بطونهم»[1].

لقد أدرك ابن خلدون أن النسب ليس المقصود به القرابة الدموية وحدها، بل كل ما من شأنه أن يخلق أحاسيس ومشاعر مشتركة وجماعية لدى الأفراد، بأن أي اعتداء يقع على أحد أفراد القبيلة إنما يقع على كل فرد في القبيلة[2]، وهذه الحالة عبر عنها الجابري بكونها رابطة اجتماعية-سيكولوجية، شعورية ولاشعورية معا، تربط أفراد جماعة ما، قائمة على القرابة، ربطا مستمرا يبرز ويشتد، عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد أفرادا أو جماعة[3]، خاصة وأنَّ هذا التعريف يتوافق مع البادية كونها عبارة عن معين لا ينضب للقبلية ومولد لا يتوقف للعصبية[4]، والتي تأصلت في نفوسهم، ولا توجد في حالتها الطبيعية إلا في إطار البادية، تحت ضغط ظروف العيش في الصحاري، حيث تقتضي الحياة تماسكا مستمرا وحرصا شديدا على النسب والاعتزاز به[5]، وحتى الحافز الموقظ للعصبية في البادية بالدرجة الأولى شؤون المعاش أي صراع من أجل البقاء وليس صراع دماء أو أنساب[6]، فسكان البادية منهمكون في تحصيل الضروري من العيش «فاجتماعهم وتعاونهم في حاجتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفاءة إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة، ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك»[7]، لذلك فهم يتصارعون باستمرار على مواطن

---

[1]- المصدر نفسه، ص200. ويعرف ابن خلدون بني كمي بأنهم من شعوب القاسم، وأنهم بنو كمي بن يمل بن يزكن بن القاسم إخوة طاع الله وبني دلول وبني معطي دلول وبني معطي بن جوهر بن علي. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2]- مُحَمَّد الخطيب، المجتمع البدوي، ص88. يقول الجابري: «أن النسب لا يعني بالضرورة القرابة الدموية بل إنه فقط العلامة المميزة للجماعة، فهو بمثابة ورقة تعريف جماعية لا غير». ينظر الجابري، العصبية والدولة، ص172.

[3]- الجابري، المرجع نفسه، ص168.

[4]- بوزياني الدراجي، العصبية القبلية، ص155.

[5]- عبد اللطيف أكنوش، المرجع السابق، ص31. خالد عبد الرحمن الجريسي، المرجع السابق، ص34.

[6]- الجابري، المرجع السابق، ص174.

[7]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص100.

الرزق، ولا يجدون حرجا في الاعتداء على الأموال والممتلكات «فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه امتدت يده إلى أخذه»[1].

ولا نعدم من النصوص ما يدعم هذا القول، فرغم ما أحاط به المرينيون عبدالله بن مسلم قائد قبيلة بني زردال، إلا أنه استقر في الأخير على الالتحاق ببني عبد الواد مثلما ذكره ابن خلدون: «ولحق بالسلطان أبي حمو في ثروة من المال وعصبة من العشيرة وأولياء من العرب»[2]، ونفس الشيء يتكرر مع يعقوب بن عبد الحق المريني وعبدالله بن كندوز شيخ قبيلة بني كمي من «المكان الرفيع من دولته، وأقطعهم البلاد التي كفتهم مهماتهم»[3]، لم تتردد هذه القبيلة في نصرة إخوانهم من النسب والعصبية «بما نزل ببني عبد الواد من بني مرين، وأخذت بني كمي الحمية، وامتعضوا لقومهم، وأجمعوا الخلاف والخروج على السلطان»[4]، وعليه فإن هذا التناقض الدائم بين العصيان والطاعة لهاته القبائل بأنه إحساس وجداني كما وصفه الجابري، حيث قال: «القبيلة ليست منطقا وحسب بل هي وجداني أيضا، وهكذا سينقضي وجدان القبيلة»[5]. ما أبرمه عقلها.

في المقابل تصادفنا العديد من النصوص الأخرى في غير هذا الاتجاه، حيث تطفو المصلحة الذاتية لكل قبيلة وتطغى على رابطة الدم وصلة القرابة، فينشب الخلاف والانشقاق من حين لآخر وتتسع الهوة بينهم بسبب الغنيمة والسلطة وامتلاك الأراضي الخصبة مثل صراع بني عبد الواد مع قبائل بني يفرن[6] ومغيلة[1] على سبيل المثال لا الحصر والتي تآمرت على بني عبد الواد على الرغم من الروابط

[1]- الجابري، المرجع السابق، ص174. يقول صاحب كتاب قصة الحضارة أنه: «إذا قلت قطعانهم بسبب اضمحلال المراعي، عندئذ ينظرون بعين الحسد إلى حقول القرية بما تحويه من ثمار وسرعان ما ينتحلون تبريرا للهجوم، فيغزون ويسترقون». ينظر: بول وإيريل ديورانت، ص44.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر، ج07، ص166.

[3]- المصدر نفسه، ج07، ص200.

[4]- المصدر نفسه، ج07، ص201.

[5]- الجابري، العقل السياسي العربي، ص84.

[6]- بني يفرن: كان لبني يفرن من زناتة بطون كثيرة وكانوا متفرقين بالمواطن، وهم من شيدوا مدينة أكادير بتلمسان، وكانت مواطنهم في عهد بني عبد الواد بنواحي تلمسان وتيهرت، وتخضع علاقتها بالزيانيين للقوة والضعف. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج07، 24.

الدموية، وصلة القرابة التي تربطهم ببعضهم البعض، إلا أنها كانت ترى في نفسها أحق من بني عبد الواد في رئاسة المغرب الأوسط لأن ملكها فيه أعرق ورئاستها له كانت أقدم[2]، مما يثبت أن الانحدار من جد واحد والإحساس بالانتماء القبلي لم يكن شرطا كافيا للشعور بالعصبية، إلا إذا دخل حيز التطبيق والعمل، فيصبح آنذاك دفاعا عن المصالح المشتركة المرتبطة بأمور المعيشة[3].

وتماشيا مع ما تم ذكره فإن حالة البداوة تقتضي وجود عصبية قوية[4]، تستدعي تكتل أعضاء القبيلة وتوحدهم حول المكان أي (الأرض الجماعية)[5]، إلى جانب ملكيتهم العائلية، لذلك أضحت حماية الملكية الجماعية والدفاع عنها ضد أي خطر خارجي يهدد استمرار وجودها من مرتكزات الحياة القبلية[6]، خاصة وأنهم كأفراد يعيشون منفردين (القفر والبيداء) بعيدين عن المجتمع فيصبحون ملزمين كما قال ابن خلدون: «بالمدافعة عن أنفسهم، لا يكلونها إلى سواهم، ولا يثقون فيها بغيرهم، فهم دائما يحملون السلاح، ويتلفتون عن كل جانب في الطرق، ويتجافون عن الهجوع إلا غرارا في المجالس وعلى الرحال وفوق الأقتاب»[7] وبذلك تصبح القبيلة كتلة واحدة متراصة، وتختفي المصلحة الفردية لتحل محلها مصلحة الجماعة[8].

وإجمالا وعلى الرغم من أن النزعة القبلية تقوم في بعض جوانبها على علاقات القربى والتحالف بين أعضاء القبيلة الواحدة في صد أي عدوان خارجي، لكن في نفس الوقت كانت الحرب تخفي العديد من التناقضات داخل القبيلة، فكلما حلت فترات السلم طفت هذه التناقضات على

---

[1]- مغيلة: تنتمي إلى بني فاتن برز فيها القائد أبو قرة المغيلي في القرن 02هـ/08م، وكانت مغيلة تقطن مصب نهر الشلف بالقرب من مازونة في عهد بني عبد الواد وكان موقفها غير مستقر بين تأييد أصحاب تلمسان ومناوأتهم. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج06، ص225، ج07، ص24.

[2]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ص17-18.

[3]-إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص224.

[4]- ساطع الحصري، المرجع السابق، ص337.

[5]- يقول القادري بوتشيش: هي صورة من صور التضامن والتعاضد بين أبناء القبيلة، وتعرف بسيادة الملكية الجماعية بين السكان، واستغلالها إما في رعي الماشية أو الزراعة، ويتم تقسيمها أحيانا بالتساوي. ينظر، إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص226.

[6]- المرجع نفسه، ص224. مُحَمَّد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص56.

[7]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص104.

[8]- جبرائيل جبور، المرجع السابق، ص272.

السطح مثل الفوارق الاجتماعية، والتي كثيرا ما تسببت في عمليات التنافس الحاد والصراع على الموارد ومصادر العيش وهذا ما يدفع إلى إضفاء طابع الصراع الدائم والمستمر على المجتمع القبلي.

المبحث الرابع: المحددات الاجتماعية و الاقتصادية للحرب القبلية:

لقد عرف المغرب الأوسط هذه الظاهرة السوسيو اقتصادية[1] في مختلف مراحله التاريخية، وكانت تشتد أو تخف خطورتها تبعا للعديد من العوامل التي تتدرج في الأهمية وتبادل المواقع صعودا وهبوطا، وحسب الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والظروف الطبيعية -جغرافية بالخصوص-، ذلك لأن الجغرافية التاريخية تعدّ مسؤولة في قسم كبير على تحديد المستوى المادي والاجتماعي للأفراد والجماعات[2]، وقد صدق الدكتور غلاب عندما أكد أنه: «يجب الاعتراف بأن الأرض بما تقدمه من معلومات، هي من بين المستندات التاريخية الأغزر مادة، والأبعد عن الخطأ»[3]، وعليه فإن المجال الطبيعي يختلف من حيث الشروط المادية للحياة: (الخصب والجذب، الوفرة والندرة)، فإنه من الضروري أن يفرض نمطا من أنماط العيش على السكان، وبالتالي شكلا معينا من الحياة الاجتماعية[4]، فتكون غنية إذا ما جادت الظروف الطبيعية بالأمطار، فقيرة إذا ما شحت السماء. السماء. فتارة يعتمدون على الزراعة، وتارة أخرى على الرعي والترحال، أو القتال من أجل البقاء[5]، فضلا عن أساليب الاستغلال وأنظمته التقليدية كاستثمار الأرض دون راحة، وحرثها السنة تلو الأخرى دون استعمال المناوبة الزراعية بطريقة منتظمة، وافتقارها إلى المواد الكيماوية وضعف إنتاجيتها لاعتمادها على الغيث فقط[6].

---

[1]- يقول أحد الباحثين: «إن المهتم بالتاريخ الاجتماعي تتقاطع بعض أبحاثه قطعا مع التاريخ الاقتصادي للصلة الوطيدة بين المجتمع والاقتصاد فمؤرخ المجتمع يستحضر الوقائع الاقتصادية ويسعى إلى تحليلها ما أمكن لفهم الظاهرة الاجتماعية». ينظر: مُحَمَّد ياسر الهلالي، مباحث في تاريخ المغرب- مسارات ودراسات التاريخ الاجتماعي لمغرب أواخر العصر الوسيط: مسار تجربة في البحث التاريخي، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، ص234.

[2]- مُحَمَّد استينو، الفقر والفقراء (نماذج من القرنين 16 و17م)، مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة، المغرب، ط01،2004م، ص53.

[3]- غلاب السيد ويسري الجوهري، الجغرافية التاريخية، القاهرة، ط01، 1968م، ص12.

[4]- الجابري، العصبية والدولة، ص146.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ الغرب الإسلامي، ص22.

[6]- مُحَمَّد بن حسن، المرجع السابق، ص31.

وصفوة القول أن نمط العيش امتاز بالرتابة التقنية والتطور البطيء مما انعكس بالسلب على الحركية الاقتصادية والاجتماعية، وما يترتب عنه من ظواهر اجتماعية كالفقر والمجاعات والموت أو الحرب والصراع **على** الموارد وتنازع البقاء، لأجل إيجاد التوازن بينهم وبين الطبيعة وبينهم وبين الأفراد الآخرين.

01- البيئة البدوية واقتصاد الكفاف:

أ- المعطى البيئي: لقد شكلت الأرض نقطة أساسية في ضمان وحدة القبيلة وتعاضدها، فالأرض تبقى رمزا رئيسيا للقوة ومرجعا أساسيا يحدد الهوية النسبية للفرد وموطن القبيلة، حيث ترتبط بها ارتباطا وثيقا، تحميها وتدافع عنها ضد كل من سولت له نفسه الاعتداء عليها[1]، فعليها تقام علاقات (القرابة لبربر والحلف والولاء أو التصادم والتنازع)، وفضلا عن ذلك فهي وسيلة الإنتاج الرئيسية لبعض القبائل،[2]والمجال الحيوي هو الذي يفرض على ساكني البوادي نمط المعيشة كالرعي والترحال أو ممارسة الزراعة، أو الجمع بينهما تبعا لوفرة الشروط الضرورية كالماء والكلأ[3].

إذا كان الوسط البيئي والطبيعي يؤدي دورا هاما في تحديد مفهوم القبيلة وبنياتها، فإن العلاقات الاجتماعية تبقى رهينة هي الأخرى بالظروف الطبيعية، وأساليب العيش[4]، لأنه لا يمكن فهم فهم طبيعة العلاقات دونما ردها إلى ما يقابلها على مستوى مورفولوجية الأرض، من حيث القلة والكثرة والتنوع، فالبيئة الطبيعية من (تضاريس ومناخ ونبات ونظام مائي) مازالت وستبقى توجه

[1]- يقول أحد الباحثين: «لا يعتبر الرجل رجلا إلا إذا كان يملك الأرض ويدافع عنها، أي ينخرط في عملية التحدي والتحدي المضاد عبر المناورات الكلامية والكرم والقتل والعنف الجسدي». ينظر: مُحَمَّد عبده محجوب، المرجع السابق، ص62.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص ص221-222.

[3]- مُحَمَّد الخطيب، علم الاجتماع البدوي، ص45. يقول أحد الباحثين أن ابن خلدون أطنب في تحليل أنماط معيشة السكان واستخدم مفاهيم دقيقة لمتابعة عمليات الظعن، والتوطين، والتنقل، فالبدو أصناف عند ابن خلدون، على أساس انتحال أنماط مختلفة من المعاش. ينظر: مُحَمَّد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص110.

[4]- عبد اللطيف أكنوش، المرجع السابق، ص25. يقول أحد الباحثين: «على مستوى البيئة توجد بينها اختلافات كثيرة تفرض التكامل: تنوع في الوسط الطبيعي يطبعه التباين الكبير على مستوى المناخ بين المناطق المتاخمة للصحراء ومراعي المرتفعات الجبلية». ينظر: أرنست كلينير، الأنثروبولوجيا والتاريخ- حالة المغرب العربي، السلطة السياسية والوظيفة الدينية في البوادي المغربية، تح: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص49.

حياة البشر الذين ارتبط تاريخهم بها[1]، وهذا ما يفضى إلى أن العوامل الجغرافية تضطلع بدور كبير في التاريخ الإنساني، فلا يمكن للمؤرخ أن يهمل البيئة الطبيعية على دراسة التحولات التاريخية في إطار حوار بين التاريخ والجغرافيا[2]، فالزمن الجغرافي والمورفولوجي والتضاريس كلها عوامل تسهل علينا فهم أنماط عيش السكان، وتحديد درجات التبادل أو التنافس والصراع بينهم.

يتميز المنظر الطبيعي لبلاد المغرب الأوسط بتنوع مجالاته وتباينها ما بين مناطق ساحلية سهلت إقامة محطات بحرية ربطت المنطقة بالأندلس وأدت إلى تطوير الساحل بنشأة المدن البحرية في الخلجان مثل خليج وهران، ومستغانم وتنس وشرشال[3]، كما تمتد سهول ضيقة إلى جانب البحر، تليها سلسلة جبال الأطلس التلي تمتد من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب[4] استوطنتها مجموعات بشرية متنوعة تمزج في نظام حياتها بين نظام الرعي والاستقرار الفلاحي والحياة التجارية، وقامت به عدة مدن مثل تاهرت وتلمسان، ثم تأتي في الجنوب مناطق مفتوحة على التأثير الصحراوي، وهي مناطق لا تسمح بالاستقرار، حيث تشكو من مشكلة الماء مثلما وصفها ابن خلدون «والأرض الحرة التي لا تنبت زرعا ولا عشبا بالجملة» ماعدا بعض الواحات والمراعي الموسمية[5]، مثل صحراء أنكاد والتي وصفها الوزان بقول: «تمتد غربا في سهل قفر ويابس لا ماء فيه، ولا شجر، ويعيش فيه كثير من من الغزلان والنعام»[6].

ولا حاجة إلى التأكيد على تنوع الأحوال الطبيعية التي تتسم بها بلاد المغرب الأوسط، ففي هذا المجال الطبيعي تأقلم السكان وفقا لتنوع الموارد واختلافها، ففي ظروف الصحراء القاحلة ومنطقة الهضاب، تضطر القبيلة إلى الاعتماد أساسا على الرعي والترحال طلبا للماء والكلأ مثلما عبر عنه ابن خلدون بقوله: «ومن معهم من سائر زناتة البربر مثل ورتطغير ومصاب وبني عبد الواد»[7]، يتخذون

---

[1]- هاشم العلوي القاسيمي، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع هجري، منتصف القرن العاشر ميلادي، مطبعة فضالة المغرب، د.ط، 1415هـ/1995م، ج02، ص70.

[2]- مُحَمَّد ياسر الهلالي، مباحث في تاريخ المغرب مسارات ودراسات- التاريخ الاجتماعي لمغرب أواخر "العصر الوسيط" مسار تجربة في البحث التاريخي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، 2019م، ص234.

[3]- هاشم العلوي القاسيمي، المرجع السابق، ص71.

[4]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص162.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص72. الجابري، العصبية والدولة، ص146.

[6]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص11.

[7]- ابن خلدون، كتاب العبر، ج07، ص77.

أرضه مجالا «يرعون به أنعامهم، ويكتالون منه ميرتهم»[1]. هذه الظروف فرضت على الرعاة نظاما معقدا للانتجاع عبر مسافات شاسعة، كإقامة حدود زمانية وفصلية ومكانية فهم «ينتجعون جانبي القفر والتل»[2]، كما أنهم مضطرين إلى الاتجار لضمان اكتفائهم المعاشي نظرا لضعف محصولهم من الحبوب الأساسية[3].

وعليه فإن نمط المعيشة ليس حادثا جغرافيا محضا، بل هو حادث اجتماعي ذو صلة بالبيئة الجغرافية، وصلة نمط المعيشة بالبيئة الجغرافية، ليسن على درجة واحدة بل يختلف ما بين المرتفعات والمنبسطات، ففي الجبال توجد أعداد لا تحصى من القبائل شديدة البأس يجمعون بين الزراعة والانتجع مثلما وصفهم الوزان: «يملكون أراض جيدة للزراعة وكمية عظيمة من الماشية والخيل»[4]، وكذا منطقة بجاية ذات الجبال الشاهقة والوعرة والتي جمع سكانها بين الزراعة وتربية الحيوانات إذ وصفهم الوزان: «أنهم يملكون عددا كبيرا من الماعز والبقر والخيل، غذاؤهم الرئيسي الشعير»[5]، وسكان جبال الجزائر: «يملكون أراض جيدة للزراعة وكمية عظيمة من الماشية والخيل»[6] إضافة إلى قبائل جبلية أخرى مارست كلتا الحرفتين مثل:(مطغرة، وولهاصة، وبني راشد، ومغراوة)[7].

أما في الناطق المنبسطة السهلية، فتصبح الأرض بالنسبة للقبيلة مجالا للزراعة والاستقرار، كما هو هو الحال سهول تلمسان[8] وسهل تفسرة[9] وسهل السرسو (قرب تاهرت)[10] وسهل تسلة[11]، ومعظمها

---

[1]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص25.

[2]- ابن خلدون، كتاب العبر، ج07، ص78. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص342. لقد قال أحد الباحثين بأن ثمة ما يفرق بين بدوي وآخر، فهناك بدوي الإبل وبدوي الشياه، فالأول ينتجع إلى عمق البادية، بينما الثاني يظل قريبا من الأماكن المعمورة، وتحديدا على أطراف البادية. ينظر: جبرائيل جبور، المرجع السابق، ص270.

[3]- إرنست كلينر، المرجع السابق، ص49.

[4]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص46.

[5]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص101.

[6]- المصدر نفسه، 46.

[7]- نفسه، ص27، ص43، ص44، ص45.

[8]- لخضر العربي، المرجع السابق، ص53.

[9]- الوزان، المصدر السابق، ص24.

[10]- أبو راس الناصري، ج01، ص67.

[11]- مارمول كاربخال، ج02، ص325.

ومعظمها مجاورة للأودية والأنهار. يقول الوزان: «يحرثون أرضهم عندما يفيض النهر»[1]، فكانت سهول فسيحة تحقق مداخيل كبيرة لملك تلمسان، إلا أنها لم تسلم من غارات وتعسفات الأعراب القاطنين للأجزاء المجاورة للصحراء[2].

إن هذا التباين والاختلاف في الطابع التضاريسي للمغرب الأوسط سواء من حيث الجذب والخصب، أدى إلى اختلاف أساليب العيش بين هذه الجماعات وهو ما أكد عليه ابن خلدون حين قال: «إن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش»، ثم يضيف: «فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح[3] كان المقام به أولى من الظعن، وهؤلاء سكان المدن والقرى والجبال... ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فهم ظعن في الأغلب لارتياد المسارح والمياه لحيواناتهم ... ولا يبعدون في القفر المسارح الطيبة... وأما من كان معاشهم في الإبل فهم أكثر ظعنا، وأبعد في القفر مجالا»[4]. وعليه فإن "جاك بيرك" يربط الجماعة القبلية بالوسط الطبيعي، فالإيكولوجيا[5] هي التي تحدد طبيعة العلاقات بين أفراد القبيلة الواحدة، وبينها وبين القبائل الأخرى[6]، إما تداخلا وتكاملا أو تناحرا وتعارضا، وهو ما يفصل فيه صاحب المقدمة: «في أن سكنى البدو لا يكون إلا للقبائل أهل العصبية»[7]، ثم يضيف: «وأن الصريح من النسب إنما يوجد للمتوحشين في القفر، لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء المواطن»[8]، فلا يصدق تعاونهم وتضامنهم

---

[1]- الوزان، المصدر السابق، ج01، ص ص113-114.

[2]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص08.

[3]- الفلح: بفتح الهمزة وبفتح الفاء وسكون اللام في المراتب الاجتماعية الاقتصادية تطلق على أهل الريف المتعيشين من الاحتراف بزراعة الأرض وفلحها. ينظر: مُحَمَّد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، ص73.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص ص100-101.

[5]- الإيكولوجيا: مصطلح الإيكولوجيا (Ecology) يتداول في الكتابات السوسيولوجية على أساس المفهوم الواسع لكلمة okios اليونانية التي تعني البيت Home والمعنى الواسع للكلمة يشمل أيضا من يقيمون في البيت ونشاطهم اليومي ومبلغ تأديتهم لوظائفهم للإبقاء على الحياة وضمان الحصول على مواردها مما ينطوي عليه مفهوم اللفظ Homing وبذلك يفهم المعنى العام للكلمة علم الإيكولوجي على أنه ذلك العلم الذي يدرس الأفراد الذين يعيشون في بيئة واحدة والوقوف على مبلغ نشاطهم وتفاعلهم مع عناصر البيئة. ينظر: مُحَمَّد عبده محجوب، المرجع السابق، ص139.

[6]- عبد اللطيف أكنوش، المرجع السابق، ص24.

[7]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص106.

[8]- المصدر نفسه، ص107.

و«دفاعهم وذيادهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد، لأنهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم»[1]، ومن ثمة فلا يربط بينهم حقل أو مزرعة ولا جبل أو واد، والرابطة الوحيدة التي تشدهم أفرادا وتميزهم جماعات هي الرابطة الطبيعية القائمة على صفاء ونقاوة النسب نتيجة تفردهم في القفر وعدم اختلاطهم مع غيرهم[2].

وعليه فالعصبية لا توجد في حالتها الطبيعية إلا في إطار البادية[3]، حيت تكاد تجد الأرض ملكا للمجتمع بأسره، فكانوا يملكونها جماعة ويحرثونها جماعة ويقتسمون الثمار جماعة، فهي كما تقول إحدى الأمثلة الهندية: «إن الأرض كالماء والهواء لا يمكن أن تباع»[4]، أما إنتاجهم فإنهم يقتصرون على الضروري من الأقوات لأن مناطق سكناهم لا تجود إلا بذلك «فاجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفاءة، إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة، ويُحصل بلغة العيش العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك»[5]، فالسكان كانوا يعيشون على ما تنتجه الأرض بالقدر الذي يسد رمقهم، خصوصا في ظل الجوائح (كالجفاف، والجراد، والفيضانات...إلخ)، والتي عانى منها النشاط الفلاحي خلال العصر الزياني فضلا عن جملة عوامل بشرية أخرى[6] سنفصل فيها، وعلاقات إنتاج متخلفة ووسائل إنتاج بدائية[7]، ومما زاد من تأزم الوضع أن سكان البوادي في الجبال والأودية والنجود والصحاري القاحلة تمثل السواد الأعظم من طاقته البشرية[8]، بينما السهول الخصبة شهدت شبه فراغ بشري، وطبيعة الاقتصاد يستند على النشاط الرعوي في المحل الأول[9].

---

[1]- المصدر نفسه، ص106.

[2]- الجابري، العصبية والدولة، ص ص147-148.

[3]- عبد اللطيف أكنوش، المرجع السابق، ص31.

[4]- بول وايريل، قصة الحضارة، ج01، ص31. وفي هذا الشأن يقول ريتشارد تابر: «إن المجتمعات البدوية كانت مجتمعات تعتمد على بنية اقتصادية مغلقة تتمثل بالخصائص التالية: الإفادة من حق الرعي على نحو جمعي، تملك الحيوانات حق فردي، تخصيص الإنتاج للاستهلاك وليس للتبادل». ينظر: المرجع السابق، ص121.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص100.

[6]- العبدري، المصدر السابق، ص27. خالد بلعربي، المجاعات والأوبئة في العهد الزياني1299م-1442م، دورية كان التاريخية، مج02، ع 04، 2009م، ص21.

[7]- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص1182.

[8]- إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة، ص11.

[9]- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص1182.

وصفوة القول أن هذه الظروف الإيكولوجية وإكراهاتها من حيت الجذب والخصب ترتب عنها صراعات وغارات بين قبائل مغيرة تبحث عن موارد الرزق وقبائل مدافعة عن أرزاقها بالكيفية التي تحفظ الحد الأدنى من سبيل العيش (حد الكفاف).

02- المناخ وخصائصه:

لقد ارتبط النشاط الفلاحي في المغرب الأوسط بكميات التساقط خاصة في زراعة الحبوب، حيث يسمى هذا النوع بالزراعة المطرية أو البورية[1]، غير أن تقلبات المناخ نتج عنه العديد من الكوارث الطبيعية كالجفاف والمجاعات والأوبئة[2]، مثلما عبر عنها ابن الخطيب بقوله: «عظم الجفاف وعصفت الريح الرجف... فصيرت وجه الأرض كمطارح خبث الحديد أمام مضارب البيد يبسا وقحلا وعقرا للأرجل»[3]، وعلى العموم فإن القبائل البدوية عاشت في صراع مع الطبيعة من أجل تحصيل المعاش، تكون غنية إذا ما جادت الظروف الطبيعية بالأمطار، فقيرة إذا ما شحت السماء[4] ويتسبب ذلك في ظهور المجاعات[5].

وتكشف مصادر العصر الزياني في نصوص عديدة عن جملة من الكوارث الطبيعية والتي كانت تظهر بشكل دوري ومنظم[6]، من بينها الرياح القادمة من الصحراء والتي تتسم بالحرارة الشديدة والجفاف في غير فصل الصيف مما يؤدي إلى فساد الغلة، وإذا استمر هبوبها مدة طويلة فإنها تؤدي إلى

---

[1]- خالد بلعربي، الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب الأوسط، ص153.

[2]- يقول عبد العالي أحميتي: «أن سنوات المجاعة والأوبئة والغلاء هي نفسها تقريبا سنوات التمردات والفتن، وأن المؤرخين يجمعون بينهما في الرواية الواحدة». ينظر: كتاب الأمن الغذائي مدخل استراتيجي للأمن السياسي: الدول الوسيطة نموذجا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، الرباط، المغرب، 2019م، ص253.

[3]- لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب، ج03، ص61.

[4]- إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ الغرب الإسلامي، ص22. وهو ما يؤكد عليه العلوي قائلا: «لو تأملنا وقارنا بين المصادر الجغرافية العربية القديمة وبين الخرائط المناخية الحديثة التي رسمتها الدراسات الجغرافية المعاصرة، توصلنا إلى أن خط التماطر لم يتغير منذ العصور الجغرافية العربية القديمة عما هو عليه في عصر الدراسات الجغرافية المعاصرة». ينظر: هاشم القاسيمي العلوي، المرجع السابق، ص75.

[5]- ابن قنفد القسنطيني (ت810هـ/1407-1408م)، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، المغرب، 1975م، ص105. حميد تيتاو، المرجع السابق، ص104.

[6]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص83. ويقول عن الأوبئة: «أنها تظهر في بلاد البربر على رأس كل عشر سنوات، أو خمسة عشرة سنة، أو خمسة وعشرين سنة». المصدر نفسه، ص85.

إتلاف المحاصيل الزراعية وحرقها[1]. هذه الظروف وغيرها حتمت على السكان التجمع من أجل قهر هذه الظروف المناخية غير المأمونة من خلال ما عبر عنه ابن خلدون بـ: «الحماية والمدافعة والمطالبة، وكل أمر يجتمع عليه»[2].

والظاهر أن هذه التقلبات المناخية خلال هذه المرحلة انعكست على المجاري المائية، فكانت عبارة عن أودية قصيرة وقليلة الماء وغير دائمة الجريان لكونها تعتمد على الأمطار، لهذا نجد أن أكثرها تحمل في موسم الأمطار[3] محدثة فيضانات عارمة وسيولا جارفة تهدم الديار وتلحق أضرارا بالمحاصيل الزراعية، بينما الأنهار التي تستمد استمرارية من العيون التي قربها تصبح أكثر فائدة في مواسم الجفاف وشح الأمطار[4]، وهو أن المنازعات المرتبطة بحقوق المياه خاصة في فترات الجفاف تكون حول مشكلة الأعالي والأسافل فهي من أشهر القضايا المائية التي أثيرت في نوازل الفترة وهي لا تكاد تختلف عن نوازل الأرض لما يثيره من قضايا تتعلق بالملكية الفردية والجماعية، وكلها أفضت إلى العديد من الاضطرابات السياسية والاجتماعية على المنطقة[5].

لقد صورت لنا بعض المصادر التاريخية مشاهد قاسية ومرعبة عن سنوات الجفاف وانتشار المجاعات وتفشي الأوبئة واكتساح الجراد[6] والتي ساهمت بدرجة كبيرة في صياغة مجموعة من الظواهر الاجتماعية في بعض جوانبها على الأقل، ومنها الحرب على سبيل التخصيص[7].

لاسيما وأن تلك الجوائح نجم عنها هلاك أعداد كبيرة من البشر، ومن بينها شريحة الفلاحين

---

[1]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص81.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص115.

[3]- عز الدين عمر أحمد موسى، المرجع السابق، ص56، ص61، ص62.

[4]- ابن مريم، البستان، ص102. ابن بطوطة، المصدر السابق، ص33.

[5]- الونشريسي، المعيار، ج08، ص ص05-20. مُحَمَّد فتحة، المرجع السابق، ص360 وما بعدها.

[6]- الونشريسي، كتاب المعيار، ج04، ص97، ص185، ص200. ج07، ص84، ج8، ص20. حيث يصف البزاز: «الجراد أنه سبب من أسباب القحط، فإذا حلت الأسراب الكثيفة من هذه الحشرات بإقليم من الأقاليم، فإنها تقضي على الحياة النباتية قضاء تاما، وتترك الحقول الزاهرة صحراء قاحلة، وتحرم الناس من أسباب العيش». ينظر: مُحَمَّد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 1992م، ص34.

[7]- مُحَمَّد عبده محجوب، المرجع السابق، ص141.

التي كانت تشكل السواد الأعظم من الطاقة البشرية، مما أدى إلى زعزعة الأسس المادية الفلاحية، إذ تذكر النصوص أنه خلال بعض المجاعات «كان يدفن في القبر الواحد عدد من الناس وقلة من يقوم بهم وكانوا يدفنون من غير غسل ولا صلاة والأمر لله وحده»[1]، «ويحملون من الموتى أربعة أو ثلاثة أو اثنين على نعش»[2]، كما نال سكان تلمسان الجوع مالم ينل أمة من الأمم «فاضطروا إلى أكل الجيف والقطط والفئران، حتى زعموا أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الأناسي»[3]، أو «أهلكت أمم لا لا تحصى»[4]، وغيرها من النصوص التي تكشف عن التأثير الديموغرافي الذي تمارسه هذه الكوارث على ساكنة المغرب الأوسط عامة والبادية على وجه التخصيص، حيث تشير المصادر التاريخية أن المجاعات وخاصة مجاعة (698هـ-706هـ/1299م-1306م) لوحدها خلفت الكثير من الضحايا، إذ هناك من المؤرخين من يشير إلى أن مدينة تلمسان أصبحت خالية من سكانها الذين كان عددهم يفوق مائة وخمسة وعشرون ألف نسمة على أقل تقدير[5]، بدليل أن عدد السكان الذين قتلوا حوالي مائة وعشرين ألف شخص[6]، ومعظمهم من المناطق الداخلية الساكنة في السهول، عكس المناطق الجبلية والصحراوية وشبه الصحراوية التي لم تتأثر بالوتيرة نفسها بسبب عزلتها النسبية وبعدها عن مناطق العدوى[7].

إن هذا الانهيار الديموغرافي الناجم عن هذه الجوائح أدى إلى توقف النشاطات الاقتصادية وانقباض الناس عن العمل بسبب الخوف من المرض[8]، وبالمقابل فإن هذا التدهور لم يمس اليد العاملة

---

[1]- الناصري، الاستقصا، ج01، ص237.

[2]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص384.

[3]-ابن خلدون، كتاب العبر، ج07، ص ص197-198.

[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ص ص325-326. " أن الحرب والجوع والطاعون يسيرون معا". ينظر: عبد العالي أحميتي، المرجع السابق، ص253.

[5]- بلعربي خالد، المجاعات والأوبئة في العهد الزياني.....، ص22.

[6]- يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص211. الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج02، ص105. المدني، تاريخ الجزائر، ص29.

[7]- حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص105.

[8]- يقول ابن خلدون: «فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران». ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص234. لخضر العربي، الأوبئة في الفترة المتأخرة من العصر الوسيط في المغرب الأوسط، مج: آفاق فكرية، مج09، ع02، 2021، ص53.

فقط بل مس أيضا حيوانات النقل والماشية مما أدى إلى شبه شلل في النشاط الرعوي، وبالتالي ضعف الاقتصاد ووصوله إلى حالة التدهور الاجتماعي[1].

ولما كانت الحبوب أهم منتوج زراعي للقبيلة التي تفلح أرضها، لتأمين معاشها[2]، فقد كان ندرتها بسبب الحروب أو الكوارث الطبيعية يعني توقف الحياة بالنسبة للغالبية العظمى من أفراد القبيلة[3] القبيلة[3] وسلاطين الدولة. يقول الوزان في هذا الشأن أن غذاء ملك تلمسان أثناء الحصار كان: «مزيج من لحم الحصان وحبوب شعير كاملة»[4]، وبطبيعة الحال أن فقدانه حتما سيؤدي إلى غلائه في الأسواق، وهذه الوضعية عبر عنها يحي بن خلدون فقال: «أن سعر صاع القمح بلغ دينارين ونصف في الحصار (698هـ-706هـ/1299م-1307م)، وسعر الشعير نصف دينار»[5]، ويقول التنسي: «أن سعر الرطل منها وصل إلى دينارين»[6]، أضحى هذا الوضع يفرض على الدولة والقبيلة معا إيجاد طرق للادخار والتقشف عن طريق تخزين الطعام في الأهراء والمطامير يشرف عليها موظف يعرف بخازن الزرع[7]، يعمل مباشرة مع السلطان، يذكر لنا ابن خلدون أثناء حصار تلمسان «أن السلطان أبو زيان الأول سنة (706هـ/1299م)استدعى ابن حجاف خازن الزرع فسأله عن الكمية المتبقية في الأهراء والمطامير المختومة ؟ فقال له: عولة اليوم والغد»[8].

---

[1]- عامر حميد حمود، الأمراض والأوبئة وأثرها على الحياة الاجتماعية لبلاد المغرب العربي في العصور الإسلامية- دراسة تاريخية، العدد41/1، العراق، ص347.

[2]- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج02، ص24، ص25، ص27.

[3]- جاء في المعيار: «سئل سيدي علي بن محسود عن الزرع الأخضر والفول الأخضر يحتاج الناس إلى سلفه فأجاب: ذلك جائز في وقت الحاجة وشدة المجاعة لما فيه من إحياء النفوس». الونشريسي، المعيار، ج06، ص44.

[4]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص18.

[5]- يحي بن خلدون، بغية الرواد، 01، ص210.

[6]- التنسي، المصدر السابق، ص133.

[7]- خازن الزرع: يهتم بطرق خزن الطعام وتحصيل العشر 10/1 من الأراضي وأخذ الكمية المتفق عليها من الإقطاعات وأخذ مغارم المدن والقبائل، وخزنها في أماكنها المخصصة لأوقات الحاجة. ينظر: بورقيبة رشيد وزملائه، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، د.ت، ج03، ص487. يقول القلقشندي عن مطامير تلمسان: «يطول مكث المخزونات فيها حتى إنه ربما مكث القمح والشعير في مخازنها سنين ثم يخرج بعد ذلك فيزرع فينبت». ينظر: أبي العباس القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، 1915م، ج05، ص150.

[8]- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر، ج07، ص129.

وفي نفس الصدد يقول المؤرخ الفرنسي "مارسيل إمري": «أن الجغرافيين عندما يتكلمون على ضرر البدو ينسون أن الفلاح يدفن الحبوب في المطامير، ولكنه لا يستطيع أن يخفي الأشجار والماشية، فالكساب هو الذي يتضرر من غارات البدو لا المزارع»، وعليه فإن ضرر الحروب يلحق الشجر المثمر والحيوان أكثر مما يلحق المحاصيل الزراعية[1].

أمام هذه المشاهد القاسية والمرعبة كإفرازات ونتائج غير مباشرة عن الحروب والغارات، ارتد الاقتصاد القبلي إلى شكله البدائي القائم على صيد والتقاط الإنسان الثمار والغلال وكل ما يصادفه من فوق الأرض من مأكولات[2]. يذكر لنا ابن عذاري أنهم كانوا يأكلون خبزا :«يباع في الأسواق يعمل من تابودا[3]، يخيل لمن يراه أنه خبز، فإذا التمس شيئا منه باستعماله ومذاقه لم يجد شيئا»، ومن جملة ما اقتات الناس كذلك «عصائد تصنع من نوار الخروب وماعدا هذا ليس له وجود البتة، حتى قد هلكت أمم لا تحصى»[4].

خلاصة القول أن ارتباط سكان البوادي ببيئة تتميز بعدم تبات مناخها ومواردها معرضة للنضوب في أي لحظة، نجم عنها تفشي كل أشكال الفقر والأمراض والمجاعات بين صفوف البدويين فكان بديهيا أن تطفو على السطح ظواهر اجتماعية كرد فعل لقهر تلك الظروف الطبيعية القاسية، ومنها ظاهرة الحرب والغارات كضرورة حتمية لتأمين الرزق وضمان البقاء.

03- تقنيات الإنتاج ووسائله:

كانت الزراعة في المغرب الأوسط زراعة بعلية لانعدام منظومة واسعة للري، فيما عدا ضفاف الأنهار وقدم الجبال وأحواز المدن[5]، وتعتمد فقط على كميات التساقط خلال السنة، وقائمة على قاعدة مادية ضعيفة وتقنيات بسيطة، حيث يشكل عنصرها الأساسي المحراث الخشبي[6] والمسحاة[1]

---

[1]- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج02، ص224.

[2]- ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ج01، ص16.

[3]- تابودا: نبتة تنبت في الصهاريج والأنهار والسواقي وهو شبه من القصب سم من السموم، يتخير منه ما جف ويطحن كما تطحن الحنطة ويعمل منه الخبز. ينظر، ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص256.

[4]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]- مُحَمَّد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات، ص29.

[6]- مُحَمَّد فتحة، النوازل والمجتمع، ص30.

والمضامد والفؤوس والمناجل للحصاد والسكاكين للبقل واستخدام الدواب في الحرث خاصة الثيران والحمير، وغياب تام للأسمدة الكيماوية[2]، واستعمال السماد المكون من رفث وزبل الدواب والتبن والرماد المعروف بالسرقين[3]، وكلها توصف بكونها وسائل بدائية باستثناء ما يتعلق بالمجهود المبذول في مجال الري وجلب المياه[4] عن طريق استعمال القنوات والأسراب والقواديس[5] والمواجل[6] والنواعير[7]، وكلها مظاهر لبدائية وسائل الإنتاج، إذ يغلب عليها الجهد البدني المبذول من طرف الفلاح مما أدى إلى ضعف المنتوج الزراعي والذي لا يتعدى حد الكفاف.

أمام ضغط الوسط الطبيعي وعدم ثبات المناخ وبدائية وسائل وتقنيات الفلاحة وإرهاق الأهالي بالضرائب المفروضة من قبل السلطة، عرفت الخريطة القبلية مع مطلع القرن 07هـ-13م تغيرا جذريا ومستمرا بفعل التحركات البشرية المتواصلة والصراعات على المجالات الغنية بين الأعراب البداة والبربر الرحل[8]، حيث مست كلا من الأرياف والمدن والحواضر، فاتخذوا من الحرب سبيلا للبقاء في بيئة محرومة من الموارد[9].

لاسيما وأن هذه القبائل تعيش في صراع دائم لأجل مواكبة تقلبات الطبيعة وضمان الاكتفاء الذاتي والتغلب على تقلبات الطقس، لكن هذه الأنشطة على اختلاف أنواعها لا تساعد على تحقيق أي نوع من التراكم[10]، بل هي ظرفية مهددة بالزوال في أي لحظة، ومما يؤكد هذه الحقيقة ضعف

---

[1]- التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص476.

[2]- لخضر العربي، المرجع السابق، ص135.

[3]- ابن بصال، كتاب الفلاحة، ص49.

[4]- مُحَمَّد فتحة، المرجع السابق، ص30.

[5]- يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج01، ص86. الونشريسي، المعيار، ج08، ص403.

[6]- الغبريني، عنوان الدراية، ص151. ابن حوقل، صورة الأرض، ص ص63-69.

[7]- مؤلف مجهول، الاستبصار، ص130. كان أهل البادية يحفرون حفرا لجمع ماء المطر فإذا انحبس عنهم المطر رحلوا إلى مواضع الماء. ينظر التادلي، المصدر السابق، ص218.

[8]- مُحَمَّد القبلي، المرجع السابق، ص41. مُحَمَّد فتحة، المرجع السابق، ص334. محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص1225.

[9]- علي أومليل، الخطاب التاريخي، ص206.

[10]- ليليا بنسالم، المرجع السابق، ص13.

المستوى المعيشي للفلاحين والرعاة[1] على حد سواء (لباسا، وغداء ومسكنا) من خلال أوصاف العديد من الجغرافيين والمؤرخين.

لقد جاء وصف ابن خلدون لأحوالهم في غاية الدقة: «أنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد، ومقصرون عما فوق ذلك من حاجي وكمالي، يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة غير منجدة، إنما هو قصد الاستظلال والكن لا ما وراءه. وقد يأوون إلى الغيران والكهوف، وأما أقواتهم فيتناولون بها يسيرا بعلاج أو بغير علاج البتة إلا ما مسته النار»[2]، أما الرعاة فقد وصف الرعاة «سواء منهم سكان الجبال أو سكان السهول الذين يعيشون معيشة ضنكى، ويبقون في بؤس وخصاصة على الدوام»[3].

واستخلاصا لما سبق فإن العيش في بيئة اقتصادية توازي البساطة، وتمثل الطور الأدنى من العمران، تحتم على أفرادها التكافل كشرط لا غنى عنه لتجاوز صعوبات العيش، ومواجهة عنف الآخرين، أو المساهمة في هجوم للحصول على الأسلاب والمغانم وهو ما يعبر عنه بحروب المعاش (العوز).

04- حد الكفاية (الندرة) ودورها في إنتاج اقتصاد الحرب (الغنيمة):

كانت الجماعات القبلية تعيش في صراع ورهان دائمين مع الطبيعة للحصول على معاش قائم على الاكتفاء الذاتي في ظل الظروف الإيكولوجية الصعبة (كالجفاف، الجراد، الأوبئة)، فضلا عن اعتمادهم على تقنيات بسيطة وأدوات عتيقة[4] وإرهاقهم بالجبايات[5]، مع ضغط الأعراب الذين مالوا

[1]- حميد تيتاو، المرجع السابق، ص108.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص ص100-101.

[3]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص88.

[4]- مُحَمَّد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات، ص34.

[5]-يقول ابن خلدون عن التمادي في الجبايات: « فتذهب غبطة الرعايا في الاعتمار لذهاب الأمل من نفوسهم بقلة النفع»، ثم يضيف «فتنقبض كثير من الأيدي عن الاعتمار جملة». ينظر: المقدمة، ص229.

إلى العسكرة واكتسحوا المراعي[1]، كلها عوامل دفعتهم للترحال المستمر أو الموسمي[2] بحثا عن طرق أخرى للكسب وهروبا من الفقر، ومن ثمة فالفقر هو الحليف الأول للبدو والجوع حليفهم الثاني، فحياة الصحراء هي حياة الفاقة، وعبر هذا يصبح الغزو رد فعل إيكولوجي محض[3]، كما وصفهم ابن خلدون قائلا: «فطبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس»، ثم يضيف «ينتبهون ما قدروا عليه»[4]، طالما أن أسلوب الإنتاج الأساسي الذي تعتمد عليه القبيلة هو أسلوب إنتاج للكفاف والكفاية، لا ينتج عنه فوائض يتيح امتلاكها تراكم الثروة[5].

إن الكوارث الطبيعية وما ترتب عنها من مشاكل اجتماعية واقتصادية أسهمت في بروز ردود فعل متباينة عبر عنها إنسان المغرب الأوسط في شكل مكتسبات ذهنية وسلوكية[6]، سعيا منه للحد من من حجم الأضرار، فتطالعنا المصادر الوسيطة عن لجوئه إلى الجبال والأحواز ومفترقات[7] الطرق بغية رد غائلة الجوع عن طريق اللصوصية والحرابة[8]، فيصبح معاشهم كما وصفه القادري بوتشيش نظاما مألوفا غير خارج عن العرف والقانون[9]، ونظرا للأضرار التي لحقت أفراد المجتمع في أموالهم وأنفسهم

---

[1]- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج01، ص187.

[2]- الفضل شلق، المرجع السابق، ص10. يرتبط هذا الارتحال أساسا بفصول السنة أو بفصليها الممتازين على وجه الخصوص وهما الشتاء والصيف، إلى المسارح الأقل برودة، والأوفر عشبا و ماء. ينظر: مُحَمَّد الخطيب، المجتمع البدوي، ص23.

[3]- تركي علي الربيعو، المرجع السابق، ص175.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص ص122-123.

[5]- الفضل شلق، المرجع السابق، ص14.

[6]- بصديق عبد الكريم، ظاهرة الغصب واللصوصية ببلاد المغرب الأوسط وأثرها على الحراك الاجتماعي في العهد الزياني ق07-09هـ/13-15م، مج: عصور، مج20، ع01، ماي2021م، ص89.

[7]- حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص109.

[8]- لقد وصف لنا العبدري بعض الأخطار والمصاعب التي واجهته في رحلته إلى تلمسان سنة (688هـ/1289م) قائلا: «ولما انتهينا إلى المفازة التي في طريق تلمسان وجدنا طريقها منقطعا مخوفا لا تسلكه الجموع الوافرة، إلا على حذر واستعداد، وتلك المفازة مع قربها من أضر بقاع الأرض على المسافر، لأن المجاورين لها من أوضع خلق الله وأشدهم إذابة». ينظر: العبدري، الرحلة المغربية، ص45. مُحَمَّد بلحسان، عبيد بوداود، اللصوصية وأثرها في حركة القوافل بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، مج: الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج10، ع02، ديسمبر2019م، ص290.

[9]- إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة، ص12.

من هذه السلوكات قرر الفقهاء تحمل مسؤولياتهم لتخليص الناس من شرهم[1] من خلال عدة فتاوي من بينها: سئل الفقيه أحمد المريض[2] عن قتال المغيرين وقطاع الطرق من عرب المغرب الأوسط سنة 796هـ، ليس لهم حرمة إلا شن الغارات وقطع الطرق على المساكين، فأمر الفقيه بقتالهم، لكن بعض أهل العلم أنكروا ذلك[3].

إن هذه الممارسات التي يقوم بها الأفراد بشكل أحادي من غصب وسلب ونهب ماهي إلا نتاج لتلك العصبية القبلية التي تضمن تحقيق مصلحة الفرد وتحقيق رغباته وطموحاته سواء كان ظالما أو مظلوما[4]، والتي سرعان ما تصبح شيئا فشيئا جماعية وتتحول من نظام الغارات العشوائية إلى غزو منظم تمارسها القبيلة أو السلطة القائمة على أسس مشروعة[5] حددها "غاستون بوتول" في «عنصر شخصي وهو القصد، وعنصر سياسي وهو التنظيم»[6].

وإذا كانت الظروف العامة للحياة الاجتماعية من مثيل: الادخار والتقشف، الفرار إلى الأحواز والمرتفعات، والعودة إلى القطف والالتقاط تحت وطأة الظروف الطبيعية والأنساق الإيكولوجية[7]، كلها تمثل مرادفات لإنتاج معاشي هش، غير قادر على تأمين الأرزاق وحماية الذات، فتصبح الحرب مرادفا تلقائيا له لتوفير لقمة العيش وأسلوبا لتنمية الموارد[8] وبالتالي تحول دون انقراض الجماعة[9].

---

[1]- بلحسان محمد، ظاهرة اللصوصية في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين ق13-15م، أطروحة دكتوراه في التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى إسطمبولي، معسكر، 2022/2012، ص100.

[2]- أحمد أبو العباس الشهير بالمريض أحد تلاميذ ابن عرفة، له شرح على عقيدة الضرير في العقائد. ينظر: ابن مريم، البستان، ص117.

[3]- المازوني، الدرر المكنونة، ج04، ص368.

[4]- محمد الخطيب، المجتمع البدوي، ص88.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة، ص13.

[6]- غاستون بوتول، هذه الحرب، ص39.

[7]- محمد عبده محجوب، المرجع السابق، ص29.

[8]- محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص117.

[9]- رحال بوبريك، زمن القبيلة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي، ص22.

وصفوة القول أن نمط معيشة أفراد القبيلة بالبيئة الجغرافية لم يكن على درجة واحدة من حيث الوفرة والندرة ومن حيث الخصب والجذب، مما جعل سكان الأراضي الأحسن حالا عرضة في كل وقت للهجوم والنهب من جانب أولئك الذين قدر لهم السكنى في بلاد قاحلة.

05- الحرب وتنازع البقاء في المجال الجغرافي الواحد:

لقد عرفت الخريطة القبلية في المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط على وجه التخصيص عدة تغيرات بسبب النزوح من المناطق القليلة الخصب والجدب مثل (الجبال، أو المناطق الصحراوية، وشبه الصحراوية التي تحول دون قيام زراعة قوية) باتجاه السهول لخصوبتها، ووفرتها على الماء والمراعي والمراعي الخضراء وتوسطها بين الجبل والبحر[1]. فقد كانت قبائل بني مرين مثلا تنتقل في «مجالات القفر من فكيك إلى سجلماسة إلى ملوية وربما في ظعنهم إلى بلاد الزاب»[2]، ينتقلون في تلك البراري والقفار من مرعى إلى آخر، «كانت طائفة منهم يدخلون بلاد المغرب في زمن الصيف يكتالون ميرتهم ويرعون أنعامهم، فإذا توسط الخريف اجتمعوا ببلاد كرسيف، ثم شدوا رحالهم وانصرفوا إلى بلادهم»[3].

وكما ذكرنا سابقا عن هذا المجال أنه كانت ترتاده قبائل بني عبد الواد وقبائل زناتية أخرى توضح لنا سبب ما «كان بين بني عبد الواد وبني مرين منذ أوليتهم وتقلبهم في القفار، فتن وحروب، لكل منهما أحلاف في المناصرة وأشياع»[4]. ويؤكد في موضع آخر أنه «كانت لهم في محاربة الأحياء والقبائل، منافسة الأمم والدول ومغالبة الملوك أيام ووقائع»[5]، وهذا ما يبين لنا أن قرار خوض الحرب ارتبط مباشرة بالقحولة والجدب، أو لحظة بداية تتبع خط النجعة، مما يؤدي إلى تصادم هذه القبائل المتنافسة على هذه المجالات.

---

[1]- محمد القبلي، الدولة والولاية والمجال، ص44.«كلما أقبل الصيف اشتد الجفاف في الجهات الهضابية أو شبه الصحراوية ويجف العشب، ويقل الماء، فلا تجد القبيلة بدا من التوجه نحو الشمال، حيث يطيب المرعى لمواشيهم ويتوفر المطر وتسهل الحياة». ينظر: سهام بوعنيني، المرجع السابق، ص186.

[2]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص282.

[3]- الناصري، الاستقصا، ج03، ص05.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج06، ص397.

[5]- المصدر نفسه، ج07، ص81.

وتتأكد الظاهرة نفسها في المجلات القفرة التي كانت موطنا لقبائل رياح وزغبة والمعقل ببطونهم مثل:(بنو مالك بن زغبة[1] وذوي عبيدالله[2] والثعالبة[3]...)، وكلها دخلت المغرب الأوسط، وانتشرت في جميع أرجائه، وكانت تنتجع في التلول والصحراء، ويقول ابن خلدون عنهم: «لما ملكت زناتة بلاد المغرب دخلوا إلى الأمصار والمدن، حيث تفردوا في القفار وملكوا القصور» ويضيف: «وكانت بينهم فتن وحروب على رياسة القصور»[4]، كما فرضوا الضرائب على ساكنيها وزرعوا الرعب والخوف في الطرقات مما أدى تقلص التجارة على طول الطرق البرية[5].

وفي ظل هذه الظروف الطبيعية العامة أصبح التنقل والترحال هو الطابع المميز لكل القبائل البدوية بسبب الحياة الزراعية المتقلبة، والتي لا تستطيع تحمل أعباء الحياة الرعوية[6]، وأمام هذه التناقضات الطبيعية التي خلخلت التوازن الاجتماعي أصبحت الحرب نمط إنتاج قائم بذاته، يجلب الثروة عن طريق الغنائم ويضم مجالات رعوية ويدافع عن المجال الاقتصادي الحيوي للقبيلة وترابها[7]، يقول "أوبنهيمر" (Oppenheimer): «إنَّك لترى أينما وجهت البصر قبيلة مقاتلة تعتدي على حدود قبيلة أخرى أقل منها استعدادا للقتال، ثم تستقر في أرضها مكونة جماعة الأشراف فيها ومؤسسة لها الدولة»[8].

إن هؤلاء البدو كما وصفهم ابن خلدون: «ليس لهم وطن يرتاقون منه، ولا بلد يجنحون إليه، ونسبة الأقطار والمواطن إليهم على السواء»[9]، ويعيشون من منتوج أنعامهم «يقتاتون منها يسيرا

---

[1]– بنو مالك بن زغبة: ينقسمون إلى ثلاثة بطون سويد، والعطاف، والديالم، امتدت مجالاتهم في نواحي سيرات والبطحاء وهوارة. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج06، ص61.

[2]– ذوي عبيد الله: مجاورين لبني عامر، مواطنهم بين تلمسان وتاوريرت في التل، وما يواجهها من القبلة. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج06، ص77.

[3]–الثعالبة: هم أولاد ثعلب بن علي بن بكر بن صغير، مجالاتهم بمتيجة وكانوا فيها مستقرين بجبل تيطري.ينظر: ابن خلدون،العبر،ج6،ص84.

[4]– ابن خلدون، العبر، ج06، ص78.

[5]– محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص1182.

[6]– مروان أبي سمرا، فردناند بردويل مؤرخ المتوسط والعالم المتوسطي، الصحراء، البدو، والإسلام قطب المتوسط التاريخي، مج:الاجتهاد، ع17، السنة الرابعة، 1413هـ /1992م، ص190.

[7]– رحال بوبريك، المرجع السابق، ص22.

[8]– أوبنهيمر نقلا، ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ج01، ص43.

[9]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص119.

بعلاج أو بغير علاج البتة إلا ما مسته النار»[1]، ولا يستقرون في مكان واحد كما وصفهم صاحب وصف إفريقيا بقوله: «ويقضي هؤلاء الرحالة حياتهم كلها حتى الموت في الصيد واختطاف جمال أعدائهم، ولا يقيمون في أي موطن أكثر من ثلاثة أيام أو أربعة ريثما ترعى إبلهم كلأه»[2].

لقد وصفت مصادر الفترة الوسيطة القبائل الزناتية القاطنة بالقفر بأنها: «آخذة من شعائر العرب العرب في سكنى الخيام واتخاذ الإبل وركوب الخيل والتغلب في الأرض وإيلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران»[3]، «وابتغاؤهم الرزق من تحيف السابلة، وفي ظل الرماح المشرعة»[4]. وعموما فإن جدب الأرض وخلوها من الأرزاق جعلهم يمدون أيديهم إلى ما بأيدي الناس، يسلبونهم أموالهم ومتاعهم، ولا يجدون في ذلك منكرا ولا ظلما، فقد تطبعوا بذلك[5] وأصبحت «أرزاقهم في ظلال رماحهم»[6]، وسيوفهم يكسبون منها عيشهم من أسهل الطرق «دون مغالبة ولا ركوب خطر ويفرون إلى منتجعهم بالقفر»[7].

ومن الشواهد الدالة على هذا التنازع حادثة عبد المؤمن بن علي عندما كلّف بني عبد الواد أنداد بني مرين لاسترجاع أمواله المغتصبة[8]، حيث تمكن بنو عبد الواد من «اكتساح حللهم وذلك سنة أربعين وخمسمائة، فلحق بنو مرين بصحرائهم ومجالات قفرهم»[9]، وقد ظل هذا القبيل يمارس نشاطه في هذا المجال حتى بداية القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي «يغير في بلاد تلمسان وبجاية والقلعة وغير ذلك، يهزمون وينهبون»[10].

---

[1]- المصدر نفسه، ص101.

[2]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص59. كما وصفهم صاحب الحلل الموشية أنهم: «ظواعن في الصحراء رحالة لا يطمئن بهم منزل، وليس لهم مدينة يأوون إليها»، مؤلف مجهول، ص17.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص03. الناصري، الاستقصا، ج03، ص03.

[4]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص25. الأنيس المطرب، ص282. الناصري، المصدر السابق، ص05

[5]- الجابري، العصبية والدولة، ص148.

[6]- ابن خلدون، المقدمة، ص123.

[7]- المصدر نفسه، ص122.

[8]- ابن خلدون، كتاب العبر، ج07، ص222.

[9]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[10]- ابن الأحمر، روضة النسرين، ص ص21-22. ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص20.

والظاهر أن الفقر والعوز كانا يعجلان بإثارة الحرب بين القبائل، إذ يتحدث الوزان عن قبائل: «ليس لها من الأرض الصالحة للزراعة إلا القليل، ويعيش هؤلاء الجبليون في فقر مدقع، وتوجد بينهم عداوات قديمة، وهم مسلحون باستمرار»[1].وهذه الرواية تكشف أن التنازع مثلما كان في القفار شمل أيضا المناطق الجبلية وغيرها من البوادي الأخرى القليلة الخصب.

مجمل القول أن حياة البدويين سواء في القفار أو الجبال، أو البوادي القليلة الخصب ظلت في تغيير مستمر تبعا للظروف السائدة، والتي تميزت في الكثير من المراحل بالصراعات على مجالات النفوذ من أجل السيطرة على الموارد الاقتصادية، فالرعاة يقاتلون في سبيل الحصول على مراعي الجديدة من أجل قطعانهم، والزارعون يقاتلون ليستولوا على الأراضي الخصبة. والنتيجة المحافظة على ما تم اكتسابه والتطلع للقيام بأدوار أكبر و أوسع.

06- الهجرات الكبرى ونزوع القبائل نحو مناطق الخصب:

لقد شهد المغرب الإسلامي خلال الفترة الوسيطة و تحديدا في القرن السابع هجري السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي عدة تحركات بشرية متقلبة بسبب التجاذبات العسكرية والصراعات السياسية والاقتصادية من أجل السيطرة على مناطق النفوذ (السهول الخصب، والمراعي الشاسعة والطرق التجارية).

وإذا عدنا إلى التحركات السابقة نجد أن زحف المرابطين إلى بلاد السوس في منتصف القرن الخامس هجري/ العاشر ميلادي كان من وراء القحط، إلا أنها غلفت بغطاء ديني يقول النويري: «وفي سنة خمسين وأربعمائة، قحطت بلاد الملثمين وماتت مواشيهم، ولقوا شدة عظيمة»[2]. وبعدما «ضاقت الصحراء بهم لشظفها وكثرتهم، طلبوا إظهار كلمة الحق»[3]. مما يثبت أن العامل الاقتصادي هو الحاسم في هذا التحرك نحو مناطق الخصب. وعن التجربة الموحدية يقول مُحَمَّد القبلي أنها مغايرة تماما

[1]- الوزان، المصدر السابق، ج01، ص338.

[2]- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترجيني، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج24، ص143.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

تماما رغم الالتقاء في النزعة الطبيعية نحو الخصب والرخاء، فكان همهم رفع الحصار العسكري المضروب على ا لحركة التومرتية من قبل المرابطين وبالتالي إعطاء الأولوية الى التحكم في الجبل بهدف تطويق السهل[1].

ولو تتبعنا التحرك الزناتي الزياني/المريني بدا لنا العامل الاقتصادي أكثر وضوحا حيث أن حركة الرحل حصل فيها تحول دون يمر عبر مثل أعلى ديني[2] كون المذهب المالكي كان راسخا منذ العهد المرابطي وفشلت جهود الموحدين في القضاء عليه، وكأن هذا المثال حسب أحد الباحثين انفلت من شباك نظرية ابن خلدون، رغم استحضاره مجريات الانتقال من حالة البداوة إلى حالة الاستقرار بالعامل بالعامل الديني[3].

لقد ملك بنو عبد الواد القفر كما وصفه ابن خلدون «ما بين ملوية وأرض الزاب»[4]، وبعد إزاحتهم من قبل الهلاليين انتقلوا إلى غرب المغرب الأوسط (جنوب وهران الحالية) [5]، «وأصبحوا متغلبين عليه عامة الأزمان»[6]، يقول صاحب البغية: «لم يزل هذا القبيل المبارك بصحرائه وينتجعون أحيانا تل تلمسان للمرتع على عادة البوادي، ففيه صاروا أجنحة إلى التل منهم إلى الصحراء بما أنسوه من خصبه وخضاره»[7]، ولما وصل الموحدون بقيادة عبد المؤمن بن علي (524-558هـ/1130-1163م) إلى هذه الديار كانوا في البداية خصوما ثم صاروا حلفاء لهم[8]، فأقطع الموحدون بني عبد

---

[1]- مُحَمَّد القبلي، الدولة و الولاية و المجال، ص45.

[2]- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ(من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين)، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، د.ت، مج02، ص12.

[3]-علي أومليل، الخطاب التاريخي- دراسة لمنهجية ابن خلدون، ص ص154-156.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص83.

[5]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج05، ص107.

[6]- ابن خلدون، كتاب العبر، ج07، ص72.

[7]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص106.

[8]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص107.

الواد بلاد وامانو ويلومي بنواحي وادي ميناس وأحواز غليزان[1]، خاصة بعد تمكنهم من استرجاع غنائم الموحدين المسلوبة من قبل المرينيين وقتلوا زعيمهم المخصب[2]. وبذلك ضمن بنو عبد الواد لأنفسهم منطقة رعوية واسعة دون الحاجة للاصطدام مع القوى في المنطقة سواء قوة الموحدين أو القبائل الأخرى مؤقتا[3]،كما أصبحوا يمارسون الزراعة الفصلية، وبذلك جمعوا قوة اقتصادية زراعية ورعوية بالإضافة إلى احتكارهم المناصب القيادية كالسلطنة والوزارة قيادة الجيوش[4].

ولما ضعف أمر بني عبد المؤمن اقتصاديا[5] قبل أن يكون سياسيا أو عسكريا، تطاول بنو عبد الواد الواد إلى الاستيلاء على تلمسان، إذ كانوا بمقربة منها. فهذا التطاول انطوى على أسباب اقتصادية قحة بسبب سوء أحوال الفلاحين والرحل لكثرة الجبايات والتي هي ظاهرة متواترة في أخريات سنين الدول الهرمة[6]. يقول التنسي: «فجاسوا خلاله و أوجفوا عليه بالخيل والركاب، واجتاز كل فريق منهم جانبا من القطر، وأمن أهله على خراج يؤديه إليه كل سنة»[7]، كما سلكوا نهج المرينيين في تقسيم الغنائم والأسلاب على كل الوحدات القبلية، حيث كما ذكر ابن أبي زرع: «تقسم بالسوية والاعتدال، ويعطى كل شيخ على قدر منزلته وقومه وما يستحق حتى يرضى الجميع»[8]، وكل من

---

[1]- يقول عبد الرحمن بن خلدون: «لما أدرك بنو عبد الواد أنه ليس بمقدورهم مقاومة الموحدين: خرج زعمائهم يوسف بن تكفا وحمامة بن مظهر وعبد الحق بن منغفار إلى الأمير عبد المؤمن بن علي أثناء حصاره لوهران سنة 540هـ/1145م وقدموا له الطاعة ودخلوا في خدمته». ينظر: كتاب العبر، ج07، ص72. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج02، ص114.

[2]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج05، ص195. ألفرد بل، الفرق الإسلامية، ص308.

[3]- رشيد بورقيبة، الجزائر في التاريخ، ج03، ص395.

[4]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص198؛ الدراجي، نظم الحكم، ص31؛ عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ص14؛ محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص1256.

[5]- يقول أحد الباحثين أن الجفاف والقحط التي لحقت بالزراعة كان له انعكاس على ندرة وغلاء المواد الغذائية وتراجع النشاط التجاري عبر ربوع المغرب، كما أن التفاقم الجبائي خاصة في أخر عهود الدولة عاملا في اضطرابها وبالتالي سقوطها. ينظر: صديقي عبد الجبار، سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات، مذكرة ماجيستر في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، ص103 وما بعدها. صابر عبد المنعم البلتاجي، النظم المالية في المغرب، عصر دولة الموحدين 524-668هـ/1130-1269م، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص391.

[6]- محمود إسماعيل عبد الرازق، سوسيولوجيا الفكر الاسلامي، ص1302.

[7]- التنسي، المصدر السابق، ص112.

[8]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص35. الأنيس المطرب، ص286.

تملص عن هذا التوزيع العادل للغنائم حسب ابن خلدون يعني بالضرورة تفككا وتشرذما لوحدة القبيلة[1].

خلاصة القول أن العامل الاقتصادي هو الأساس الذي دفع الكثير من القبائل إلى امتهان الغزو وعمل على استشراء ظاهرة الحرب خلال مرحلة دراستنا من القرن (07-09هـ إلى ق 13-15م)، فهو عامل فاعل في تخليق البنى الاجتماعية وبالتالي توجيه الصيرورة التاريخية، حيث أن تحركات القبائل القبائل ما هي إلا تعبير عن الجانب المادي الذي يشكل الحافز الأول للصراع على موارد الرزق وهو ما يعرف بـ"اقتصاد الغنيمة"، كما سماه هشام جعيط، أو "اقتصاد الغزو"، كما سماه الجابري، أو "اقتصاد المغازي"، كما سماه القادري بوتشيش، أو "اقتصاد الحرب"، كما سماه المؤرخ الأوربي "جورج دوبي" (George Doubi) وغيره من المؤرخين الأوربيين.

[1]- ابن خلدون، العبر، ج06، ص345. يقول مبارك الميلي: «كان الملوك الزيانيون في حاجة إلى الأعراب، فإذا كانت الحرب واحتاجوا إليهم أقطعوهم الأراضي الواسعة، وجباية القبائل المستضعفة، ونقحوهم بالهدايا والأموال وقربوهم بالصهر والاستشارة». كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج02، ص354.

الفصل الثالث: الدولة الزيانية والحرب: بين التعبئة العسكرية والتحديات الأمنية.

- المبحث الأول: تنظيم الجيش الزياني.
- المبحث الثاني: التنظيمات التعبوية والادارية للجيش الزياني.
- المبحث الثالث: المقوم المالي للحرب (مصادر التمويل).
- المبحث الثاني: التحديات الأمنية للدولة الزيانية.

بعدما انفرط عقد المغرب الإسلامي في النصف الأول من القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي وغابت شمس دولة الموحدين، إذ اضمحلت وحلت بالتدريج محلها كل من الدولة الحفصية (627هـ/1230م)، دولة بني عبد الواد (633هـ/1235م)، دولة بني الأحمر (635هـ/1238م)، الدولة المرينية (668هـ/1269م) [1].

وفي غضون هذا الاندفاع الزناتي العام (الزياني-المريني) دخل بنو عبد الواد المغرب الأوسط نتيجة نتيجة الفقر[2] والتهميش[3] وضعف صنهاجة ومصمودة وفراغ البلاد ممن يحميها من الغزاة[4]، فانقضت قبائل بني عبد الواد البدوية، على مجالات الموحدين، لتحل محلها وتؤسس حكومات العسكر[5] بفضل زعماء أقوياء أمثال أبو يحي يغمراسن بن زيان[6]، الذي عرف كيف يثبت أقدام بيئته وقبيلته في تلمسان تلمسان وما حولها، إذ حول الرئاسة القبلية التي كانت عبارة عن حكم متنقل إلى ملك[7].

المبحث الأول: تنظيم الجيش الزياني:

ولا شك أن جذور تأسيسه لم يكن وليد الصدفة وإنما ارتبط ارتباطا وثيقا بالجيش الموحدي من حيث التشكيل والتنظيم، بحكم أن الدولة الزيانية قامت على أنقاض الدولة الموحدية وشغلت حيزا جغرافيا من أراضيها.

---

[1]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج05، ص110.

[2]- يقول أحد الباحثين أن بني عبد الواد الزناتيين لاقوا كسائر زناتة الرحل مشاكل المجاعة والجدب في الأراضي الصحراوية منذ أواسط القرن 06هـ/12م، وقد انتشروا في سباسب وصحاري الشمال الإفريقي، ولكون مواردهم محدودة لم تساعدهم على أداء الإتاوات والضرائب الباهظة التي أثقل بها الموحدون كاهلهم. ينظر: عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج02، ص12.

[3]- يقول روجي لي تورنو: «أن السبب الرئيسي لإخفاق الموحدين، هو أن قبائل مصمودة التي استطاعت أن تنشئ إمبراطورية لم توفق في الاحتفاظ بها لأنها أبقت الشعوب المغلوبة في حالة خضوع دائم، ولم تشركها في إدارة الإمبراطورية». ينظر: روجي لي تورنو، المرجع السابق، ص125.

[4]- ابن الأحمر، روضة النسرين، ص10.

[5]- محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص1914.

[6]- هذه الدولة تدين بكل شيء لشيخها ومؤسسها يغمراسن الذي وصفه ابن خلدون بأنه «من أشد هذا الحي بأسا، وأعظمهم في النفوس مهابة وإجلالا واعرفهم بمصالح، وأقواهم كاهلا على حمل الملك واضطلاعا بالتدابير والرياسة، شهدت له بذلك إثارة قبل الملك وبعده». ينظر: كتاب العبر، ج07، ص ص105-106.

[7]- علي أومليل، الخطاب التاريخي، ص165.

01- المقوم البشري (التركيبة البشرية):

- بنو عبد الواد:

لقد شكل بنو عبد الواد لبنة أساسية في تلك الفسيفساء التي قام عليها الجيش الزياني، حيث كانت هذه القبيلة من أشد القبائل بأسا، وأكثفهم جمعا، وأكثرهم عددا وعدة[1]، فهم كما وصفهم أحد المؤرخين: «أجلاس خيل وأبطال هيجاء يرون المعالي منوطة بالعوالي، لا يخنعون إلى مناهض ولا تكسر من شبانهم الشدائد، يغالبون النوائب ويصابرون الخطوب، وبمثل هذه الأخلاق أسسوا دولتهم»[2]. فكان منهم قادة جيش ووزراء ومستشارون، يقول ابن خلدون: «كان يغمراسن بن زيان كثيرا ما يستعمل قرابته في الممالك ويوليهم العمالات»[3]، حيث أغدق عليهم بالأرزاق «ويخصهم بمزيد التكريمة والإيثار»[4] وجعل لهم مجلس للمشيخة يضم زعماء فروع قبيلته بني عبد الواد[5]، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في حديثه عن أهمية وحدة العصبية في القتال بقوله: «أن صاحب الدولة إنما يتم أمره بقومه فهم عصابته وظهراؤه على شأنه وبهم يقارع الخوارج على دولته»[6].

لقد كان كل بطن من بطون بني عبد الواد يشكل مجموعة من الجنود يقودهم أحد أعيانها أو أشجع فرسانها لخوض المعارك مثل معركة إيسلي سنة (670هـ/1271م) ضد المرينيين[7]، كما كانت حامية سجلماسة تضم جنودا من بني عبد الواد الذين تواجهوا مع المرينيين سنة (672هـ/1273م)[8]، كما عين أبو سعيد عثمان أخاه أبا يحي على وجدة سنة (698هـ/1298م) «بحصة وافرة من

---

[1]- قويدر عباس، الجيش في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي ليابس، 2016/2015م، ص28.

[2]- مُحَمَّد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج02، ص439.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر، ج07، ص118.

[4]- أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص218. ابن خلدون، المقدمة، ص150.

[5]- بسام كامل عبد الرزاق شدياق، المرجع السابق، ص80.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص150.

[7]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص310. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص244. مختار حساني وآخرون، التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن 16م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، ثورة أول نوفمبر، دار القصبة، الجزائر، 2007م، ص241.

[8]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص312.

قومه»[1]، ورغم الحصار المريني الطويل على تلمسان(1298م-1306م) وموت عدد كبير من الجند، إلاّ أن أبا زيان تمكن من استعادة قوة الجيش، أين قاد حملة عسكرية صوب النواحي الشرقية للمغرب الأوسط رفقة أخيه أبي حمو سنة (706هـ-1306م)في «قبيلهما الأعز»[2].

إضافة لما سبق فلقد ظل جل السلاطين الزيانيون يعتمدون على هذا القبيل مثلما حصل مع أبي حمو موسى الثاني فقد خرج لمواجهة أبي زيان سنة (768هـ/1366م) «ببني عبد الواد كافة»[3]، رغم تجنيده للعديد من القبائل العربية في جيشه، إلا أن الثقة لا تكون إلا في قبيلته.

لقد ظل بنو عبد الواد دوما السند العسكري الوفي للسلاطين الزيانيين لأقدميتهم في الخدمة العسكرية، كما كانوا على درجة عالية من القوة والنباهة والخفة والتمرس على القتال وهذا ما ندركه من خلال وصف الحسن الوزان لهم «أما جنود الملك فكلهم ممتازون»[4]، حيث ظل هذا القبيل من أشد القبائل بأسا وأكثفهم جمعا وأكثرهم عددا وعدة، دون إغفال دور بطون القبائل البربرية المجاورة لدعم أعداد بني عبد الواد.

- القبائل البربرية:

رغم بسط يغمراسن بن زيان سيطرته على المغرب الأوسط (تلمسان وما حولها)، إلا أن المنطقة لم تعرف انفرادا في الطموح السياسي للدول، بل برزت قبائل زاحمتها، محاولة هي الأخرى تحقيق أطماعها في تكوين إمارات مستقلة[5]، الأمر الذي حذا بيغمراسن إلى إرسال بعثة دبلوماسية إلى الخليفة الموحدي عبد الواحد الرشيد المأمون (630-640هـ/1232-1242م)، تحمل له الطاعة والولاء ويذكره يغمراسن بأنه «سيسالم من يسالمه، ويعادي من يعاديه»[6]، فرد عليه الخليفة بالقبول والرضا

[1]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص231.

[2]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص234.

[3]- المصدر نفسه، ج02، ص179.

[4]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص21.

[5]- زهيرة لكحل، المرجع السابق، ص101.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص164. ويذكر التنسي مؤرخ بني زيان بأن الرشيد هو الذي بعث ليغمراسن بهدية ثمينة يأمل من خلالها في الإبقاء على ذكر اسمه على المنابر والدعاء له يوم الجمعة، غير أن يغمراسن رفض، لكن هذا الأمر يبدو مستبعدا لكون الدولة مازالت فتية وفي طور البناء. ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص116.

فوضع بذلك حدا لأطماع القبائل المنافسة له من زناتة وأبناء عمومته في المنطقة، وبذلك عالج يغمراسن هذه القضية بدبلوماسية هادئة على الأقل في بداية بناء دولته الفتية[1] «فكان له ذلك سلما إلى الملك، الذي أورثه إلى بنيه سائر الأيام» حسب تعبير صاحب العبر[2].

ومن بين القبائل التي ناصرت بني عبد الواد، سواء عن ولاء خالص، أو نتيجة ضعفها واستعان بها يغمراسن بسبب قلة جموع[3] بني عبد الواد مقارنه بأعدائه فهي كثيرة نذكر منها: بني واسين[4]، أولاد منديل[5]، كومية[6]، بني يلومي، بني مانو، وبني تغرين[7]، وهوارة[8]، وازداجة[9]، وبني ورنيد[10]، ووجديجن[11]، وغيرها من القبائل التي كان يتشكل منها مجتمع المغرب الأوسط في عهد الدولة العبد الوادية، لاسيما وأن سلاطين الدولة الزيانية كانوا أسخياء وكرماء مع أشياخ هذه القبائل لمكانتهم من القرابة، وهذا لأجل تحقيق غاية ذكرها صاحب واسطة السلوك بقوله: «من كان كريما، يكون محبوبا مطاعا، يجد من يعضه في المهمات والحروب، ويفرج عنه نوازل الكروب، ويفديه بنفسه، ويود

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ص16.

[2]– عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص154.

[3]– يقول ابن خلدون: «أن عدد بني مرين لأول ملكهم كان ثلاثة آلاف، وأن بني عبد الواد كانوا ألفا». ينظر: المقدمة، ص134.

[4]– بني واسين: تقطن مابين نهر ملوية وجبل بني راشد، وعندما تولى بنو عبد الواد حكم المغرب الأوسط دب الخلاف في هذه القبيلة فتفرقت عصبيتهم وتشتت إلى عصبيات صغيرة، وصارت تخضع إلى بني عبد الواد. ينظر: العبر، ج07، ص114. بوزياني الدراجي، العصبية والقبيلة، ج01، ص262.

[5]– أولاد منديل: يسكن هذا القبيل غرب الشلف، ويغير على متيجة بالتعاون مع مغراوة، وظلوا تحت نفوذ بني عبد الواد. ينظر: العبر، ج07، 131.

[6]–كومية: هي قبيلة الزعيم الموحدي عبد المؤمن بن علي ومن أهم بطونها صفارة ندرومة، وبني يلومي، و كومية. ينظر: العبر، ج06، ص257. عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص339.

[7]– تغرين: تقطن جبل الونشريس، وكانوا يخضعون لبني عبد الواد في غالب الأحيان ويدورون في فلكهم. ينظر: العبر، ج07، ص204.

[8]– هوارة: تقيم بالجبل المنسوب إليها القريب من البطحاء و الونشريس ومن بطونها زكارة، وكان شيوخ هذه القبيلة يتحالفون مع بني عبد الواد. ينظر: العبر، ج07، ص204.

[9]– ازداجة: تنزل بأماكن عديدة بوهران وتانسالت التي غرب مدينة وهران، وكانت هذه القبيلة تخضع لنفوذ بني عبد الواد وتؤدي الولاء لهم. ينظر: البكري، المصدر السابق، ص70. ابن عذاري، البيان، ج01، ص184.

[10]– بني ورنيد: كانوا يقطنون جنوب الونشريس في البداية، ويوجد جبل جنوب تلمسان يسمى باسمهم يخضعون لدولة بني عبد الواد. ينظر: العبر، ج07، ص320.

[11]– وجديجن: كان موطنهم بمنداس بجبل الونشريس، وكانت لهم عدة حروب مع بني يلومي وبني ومانو بني عبد الواد. ينظر: العبر، ج07، ص103، ج06، ص255. عبد الرحمن الجيلالي تاريخ الجزائر العام، ج02، ص13.

دونه حلول رمسه»[1]، وبالفعل كانت غالبية عناصر هذه القبائل ضمن الفرق المتطوعة أو الاحتياطية ومعظمهم كانوا يشكلون فرق خيالة على الخصوص كما وصفهم أحد الباحثين[2].

– القبائل العربية:

لقد استفادت الدولة الزيانية من خدمات معظم القبائل العربية التي استقرت بالمغرب الأوسط خلال القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي مثل بني هلال وبني عامر، حيث ساهمت هذه القبائل في توطيد أركان الدولة وحمايتها من التحرشات الخارجية[3]، إذ من أجل تحقيق هذا المسعى قام يغمراسن بمحالفة هذه القبائل وبطونها مثل: بني عامر، وبني يزيد[4]، وبني مالك[5]، والمعقل، وذوي منصور[6]، حيث استند عليها عسكريا في ضرب الخصوم ووصل عددها في الجيش الزياني حسب الحسن الوزان حوالي ستة آلاف فارس[7]، يمتلكون مهارات فنية ومزايا وأساليب قتال عالية[8]، وأحرزوا من خلال هذا الانخراط على عدة امتيازات نظير ذلك من بينها أراضي الإقطاع[9] ، ومهمة جباية المغارم[10]، مقابل البقاء على الولاء والطاعة، فكانوا بذلك حماة وأنصارا للسلاطين الزيانيين (أبو حمو

---

[1]– أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص218.

[2]– علي الخلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة، الجزائر، ط01، 2007م، ص73.

[3]– عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ص20.

[4]– بنو يزيد: كانت تقطن بلاد حمزة (البويرة)، ناصرت الزيانيين وتحالفت معهم، وصارت تقوم بجمع جباية هذه المناطق. ينظر: العبر، ج06، ص ص87-91. بغية الرواد، ج02، ص ص133-135.

[5]– بنو مالك: موطنهم بين سعيدة والمدية، وكانت لهم حظوة عند بني عبد الواد، رغم مواقفهم المتأرجحة بين ولاء بني مرين وبني عبد الواد. ينظر: العبر، ج06، ص ص95-105. مبارك الميلي، تاريخ الجزائر، ج02، ص572.

[6]–ذوي منصور: مواطنهم تقع ما بين ملوية شرقا ودرعة غربا، كانوا يحالفون بني عبد الواد، ومنهم المنبات الذين كانوا يناصرون بني عبد الواد. ينظر: العبر، ج06، 131. ابن منصور، المرجع السابق، ج01، ص425.

[7]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص51.

[8]–تصفهم الباحثة روزلين بقولها:«استراتيجية الفارس الهلالي استراتيجية مدهشة تثير الإعجاب، لأنها ذات خبرة حربية طويلة في التمرن على المبارزة الشديدة في فن القتال». ينظر: روزلين ليلى قريش، استراتيجية القتال في سيرة بني هلال، ديوان المطبوعات الجامعية، ط01، ص35.

[9]–وقد عبر ابن خلدون عن هذه الظاهرة بقوله: «ما شرحناه مرارا من تغلب العرب على الضواحي والكثير من الأمصار، وتقلص ظل الدولة عن القاصية وارتدادها على عقبها إلى مراكزها بسيف البحر وتفاؤل قدرتها عن قدرتهم، وإعطاء اليد في مغالبتهم، ببذل رغائب الأموال وأطاع البلاد، والنزول عن الكثير من الأمصار والقنوع، بالتضريب بينهم والإغراء بعضهم ببعض». كتاب العبر، ج07، ص186.

[10]– طاهر خدة، الهجرة في المغرب الأوسط واقعها وآثارها من منتصف القرن السادس إلى أواخر القرن الثامن الهجري (12م/14م)- أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة أحمد بن بلة وهران01، 2016-2017م، ص ص113-114.

موسى الثاني)[1] ضد خصومهم وأعدائهم، وكان لهم دور محوري وفعال أثناء جل الأحداث التي مرت بها الدولة الزيانية.

- عنصر الأغزاز:[2]

هي التسمية العربية لفرع من الأتراك الذين اعتنقوا الإسلام في القرن الرابع هجري العاشر ميلادي، عرفوا لدى المؤرخين العرب باسم التركمان، وسيطروا على معظم بلدان الشرق الأدنى في القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي[3]، وكانت تعيش في معظمها على الرعي وتربية الماشية[4]، وهم أهل مملكة ورفاهية وجبروت ونخوة في ملكهم[5]، وكذا قوم من مشاهير الميدان وذوي الثقافة[6]، وفي المصنفات المغربية ترد الأسماء كالغز الأغزاز والغزيون والغزية للدلالة على الجنود المرتزقة من التركمان الذين جاؤوا إلى الشمال الإفريقي عن طريق مصر بدءا من منتصف القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي (568هـ/1173م)، أو بعد ذلك بقليل[7].

وما يهمنا في هذا العنصر هو هجرة عشيرتين منهم إلى بلاد المغرب خلال أواخر العهد الموحدي، وهما بنو لوين وبنو بابير[8]، حيث نزلوا على الخليفة الموحدي المرتضى[9]، بينما يدعي ابن أبي أبي زرع أن يوسف بن تاشفين أدخل الأغزاز والرماة إلى جيشه سنة 454هـ/1062م، فيقول: «جند يوسف الأجناد... وجعل في جيشه الأغزاز والرماة» ثم يضيف: «مائة ألف فارس من قبائل صنهاجة

---

[1]- مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تق: مُحَمَّد بن أحمد باعلي، الأصالة للنشر، الجزائر، 2011م، ص81.

[2]- الغز: لفظ للمولدين بين العجم في المدن من نسائهم، وقيل، الجنس التركماني أو التركي وقيل تشتمل التركي والتركماني و القفشق والجنس المولد، كانوا يسكنون قبيل الإسلام مساحة واسعة من أواسط آسيا، تمتد من تخوم الصين شرقا إلى البحر الأسود غربا. ينظر: أنور محمود زناتي، المرجع السابق، ص289. عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص122.

[3]- عز الدين عمر موسى، المرجع نفسه، ص123.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص231.

[5]- الزهري، كتاب الجغرافية، ص60-61.

[6]- ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ج02، ص311.

[7]- عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص123.

[8]- بني لوين وبني بابير أو بني تابير في نسخ أخرى: هم من العجم فروا من العراق أمام التتر لما كانوا يدينون بدين المجوسية، وصاروا في إيالة الترك وجازوا إلى المغرب ونزلوا على المرتضى الموحدي، فأكرم مثواهم وأسنى لهم الجراية والإقطاع. ومن أشهر قادة بني بابير مُحَمَّد بن عبد العزيز المعروف بالمزوار، ومن بني لوين الخضر بن مُحَمَّد. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص ص149-150.

[9]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، 07، ص149.

و... الأغزاز والرماة»، ويتضح أن أبي زرع يتصور بأن الغز تعني فقط "راميا" لأن الكلمة ترد مقرونة بكلمة "رماة"[1].

بعد سقوط دولة الموحدين، تفرقت جموع الأغزاز في بلاد المغرب، وقد التحق بعضهم بجيش يغمراسن، ابتداء من سنة 633هـ/1235م، أو بعدها بقليل[2]، رغم اختلاط الأمر على المؤرخين في انتماءاتهم العرقية، فذكرهم يحي بن خلدون الأغزاز[3]، بينما جعلهم أخوه عبد الرحمن أكرادا[4].

كانت لهم فرق ترابط في مدينة تلمسان ومن أشهر قادتهم في عهدي أبي حمو موسى الأول وابنه أبي تاشفين، "علي بن حسن"[5]، وابنه "موسى بن علي"، اللذين تقلدا وظائف سامية في الدولة الزيانية، ووليا قيادة جيوشها[6].

والظاهر أن فرقة الغز قد اندمجوا مع الأكراد على قلتهم مثلما أكد عليه "روبار برشفيك" حين قال: «ولعلهم هم أنفسهم-أي الغز- أو أولادهم قد اندمجوا بمرور الزمن مع الجنود الشرقيين الجدد الذين انتدبهم السلاطين»[7]، ولعل هذا هو السبب الذي جعل بعض المؤرخين يخلطون بين انتماءات المماليك في الجيش الزياني ولا يفرقون بين الأغزاز والأكراد[8].

- الأعلاج أو الصقالبة:

جيء بهم من مختلف البلدان الأوربية (كألمانيا، وإيطاليا، وفرنسا وقطلونية، وجيليقية في شمال إسبانيا)، بواسطة الشراء، أو الغارات والغزوات للشواطئ الأوربية وجزر البحر المتوسط، أو عن طريق الهدايا[9]،حيث اهتم ملوك بني عبد الواد بهذه العناصر وشكلوا منها خدما للحريم في القصر،

---

[1]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص139.

[2]- هوبكنز، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تج: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1980م، ص152.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، 07، ص232.

[4]- المصدر نفسه، ج06، ص770.

[5]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص215. ابن خلدون، العبر، ج07، ص ص231-232.

[6]- التنسي، المصدر السابق، ص142-144.

[7]- روبار برشفيك، المرجع السابق، ج02، ص80.

[8]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص ص 231-232. هوبكنز، المرجع السابق، ص154. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج01، ص182.

[9]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص236.

وفرقا خاصة في الجيش وحرس السلطان[1] فصاروا حماة لهم ولعائلاتهم[2]، حيث أفرد توصيات تخصهم لما قال لابنه: «وليكن سكناهم ببلد حضرتك لتجدهم لعضدك ونصرتك، لا يفارقونك طرفة عين» ثم يضيف: « وركاب خيلك بإزائهم يتقدمون عليك»[3].

ومن أشهر قادتهم في الجيش الزياني هلال القطلاني الذي سباه المسلمون من نصارى قطلونية، وصار في خدمة السلطان عثمان بن يغمراسن (681-703هـ/1283-1303م)، ومن جاء بعده من السلاطين،[4] حيث قام بزحزحة منافسيه وتصدى لمعارضيه[5]، وشكل فريقا مهما من القادة والضباط الأعلاج مثل: القائد مسامح، وفرج بن عبدالله، وظافر مهدي، وعلي بن تاكرارات[6]، وفرج الملقب بشقورة، وغيرهم من الأعلاج الذين صاروا عنصرا من عناصر المجتمع التلمساني في العهد الزياني[7].

- العبيد والمرتزقة المسيحيون:

العبيد هم الزنوج[8] القادمون من بلاد السودان[9] وغانة[10] وتمبكتو[11]، حيث كان يتم الحصول عليهم إما بالشراء أو الأسر،[12] حيث استخدمت الإماء للفراش ولإرضاع البنين، أما العبيد فتم

---

[1]- ابن حوقل، صورة الأرض، ص110.

[2]- عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر ميلادي، منشورات سعيدان، تونس، ط01، 2002م، ص50.

[3]- أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص145.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص236.

[5]- المصدر نفسه، ص ص236 و219.

[6]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص214.

[7]- التنسي، نظم الدر، ص138. يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص214.

[8]- الزنوج: هم قوم يسكنون وراء جبال الأردكان على النيل الداخل، ومن عجائبهم أنهم ما رآهم أحد قط إلا عمي بصره من ساعته ولا يرون أحدا من غير جنسهم إلا عميت أبصارهم. ينظر: الزهري، كتاب الجغرافية، ص122.

[9]- السودان: اكتشفت بعد سنة 380هـ، ويسكنها قوم يعيشون كالبهائم، لا ملوك لهم ولا جمهوريات ولا حكومات ولا عادات. ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج02، ص159.

[10]- غانة: من بلاد السودان، بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين، وهي أكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا، وإليها يقصد المياسير من جميع البلاد المحيطة، وأهلها مسلمون. ينظر، الحميري، الروض المعطار، ص425.

[11]- تمبكتو: اسم هذه المملكة حديث، وتمبكتو اسم مدينة بناها ملك يدعى منسا سليمان عام 610 للهجرة، على بعد نحو اثني عشر ميلا من أحد فروع النيجر. ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج02، ص165.

[12]- ابن عذاري، البيان المغرب، ج04، ص23.

تجنيدهم بكثرة في الجيش الزياني لما تميزوا به من الشجاعة والصبر أثناء القتال[1]، وكان السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م)، قد استخدم عنصر السود في جيشه وصنفهم ضمن طائفة "الوصفان" جنبا إلى جنب مع المماليك، الذين كانت تشكل منهم فرق عسكرية في الجيش الزياني[2] وأوصى ابنه بالوصفان قائلا: «والوصفان يركبون خلفك مع أهل دخلتك الفرسان»[3].

الفرسان»[3].

أما ضم المرتزقة المسيحيين فلم يكن بالأمر المستحدث في بلاد المغرب الإسلامي، فبعد هزيمة يغمراسن للسعيد الموحدي جند فرقة من النصارى المرتزقة «مستكثرا بهم، مباهيا بهم في المواقف والمشاهد»[4] حددتها بعض المصادر بألفي جندي[5]، وهو ما شكك فيه "ديفورك" (Dufourcq) معتبرا إياه رقما مرتفعا نسبيا[6]. وبعد محاولتهم الانقلاب وقتل السلطان يغمراسن في استعراض الجيش بالمنية، قام بقتلهم[7]، وبعضهم فر والتحق بخدمة المرينيين[8]، وذكر يحي بن خلدون أن هذه الحادثة كانت «السبب في عدم استخدام النصارى عند بنيه حتى الآن»[9]، ولكن هذا لا يعني إقصاء كليا للكتائب المسيحية في الجيش الزياني بل حسب "ديفورك" هو تعويض الكتائب الأراغونية مكانة الكتائب القشتالية التي قامت بالانقلاب[10] من خلال معاهدات أبرمت بين السلاطين الزيانيين وأمراء هذه

---

[1]- أبو بكر علي الصنهاجي المعروف بالبيدق، أخبار المهدي بن تومرت، تق وتح وتع: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م، 70.

[2]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج01، ص186.

[3]- أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص145.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص113.

[5]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص228.

[6]- Charles Emmanuel Dufourcq, L'Espagne Catalane et le Maghreb aux 12 et 13 siècles, presses universitaires de France, Paris, 1966, p150.

[7]- ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص403.

[8]- مصطفى نشاط، الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية، ضمن أعمال ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المملكة المغربية، 1995م، ص212.

[9]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص228.

[10]- Charles Emmanuel Dufourcq, Op.Cit, p151.

المماليك. مثل معاهدة (24 أفريل 1319م-719هـ) بين أبي تاشفين الأول مع جاك الثاني ملك أراغون والتي بموجبها يتم تجنيد كتائب في الجيش الزياني[1] بقيادة الفارس قيوم أستيرس[2].

ختاما يمكن القول أن استقطاب السلاطين الزيانيين لكل هذه العناصر واستغلال توازنات التحالفات والعداء لتجنيد مختلف القبائل حتى تكون ذرعا واقيا للدولة الفتية، خاصة وأنها كانت بين فكي كماشة وجيشها يقل بثلاثة أضعاف مقارنة بجيش المرينيين، فتعددت عمليات التجنيد، ومنحت امتيازات خاصة لهذه العناصر، فاندمجت شيئا فشيئا مع مرور السنين، وأصبحت لهم مكانة سياسية واجتماعية في المجتمع التلمساني.

02- فرق الجيش الزياني:

يمكن تقسيمها وتوزيعها في ساحة المعركة إلى قسمين: الفرق المقاتلة والفرق غير المقاتلة.

أولا: الفرق المقاتلة:

تضم الفرسان والمشاة وهم الذين يضعون على رؤوسهم الخوذ ويلبسون الدروع ويحملون الرماح والسيوف والأقواس والسهام، تقليدا لما كان عليه الجيش في صدر الإسلام[3].

- الفرسان: ويعرفون أيضا بالخيالة، تتميز هذه الفرقة بركوبها الخيل[4]، وهي أهم فرقة في الجيش، الجيش، لأنها أول من تباشر الهجوم[5]، نظرا لقدرتها القتالية الفائقة والتي تمكنها من خرق الصفوف، وفتح الثغرات والسماح لفرقة المشاة بالتقدم[6]، وفضلا عن التحكم في ركوب الخيل وإجادة التحرك

---

[1]- Mas Laterrie traités, et documents divers concernant les relation des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge, Henripalon, imprimeur de l'empereur, Paris, 1866, p312.

[2]- خالد بلعربي، ورقات زيانية، ص20. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج01، ص188-189.

[3]- علي الخلاصي، المرجع السابق، ص38.

[4]- حيث ينبغي لمن أراد الفروسية إذا كان مبتدئا أن يتدرب عليها، فأول ما يبتدئ بالخفة في الوثوب والنزول ثم يتدرب على ركوب الفرس بلا عدة سوى الرس، وقيل أن التقدم على ظهر الفرس خير من التأخر. ينظر: الحسن بن عبد الله العباسي (ت710هـ/1310م)، آثار الأول في ترتيب الدول، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، 1409هـ/1989م، ص ص 304-305.

[5]- أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص110.

[6]- قويدر عباس، الجيش في العهد الزياني، ص79.

بها في زحمة المعركة، يشترط فيهم التحكم في الرمي بالقوس، والمهارة في الطعن بالرمح والمبارزة بالسيف[1].

لاسيما وأن قبائل تلمسان وما جاورها من القبائل البربرية اشتهرت بتربية الخيول وركوبها لوفرتها وجودتها[2]، فإن الجيش الزياني ضم فرق من الخيالة من قبائل عربية وبربرية، ولا سيما من قبيلة بني عبد الواد[3]، ثم توسعت هذه الفرقة في عهد أبو حمو موسى الثاني لتضم النصارى والوصفان، والمهاجرين الأندلسيين الذين اشتهروا بالتحكم في القوس الفرنجية كما وصفهم ابن الحاج النميري بقوله:« وأما جموع قواد الأندلس فما منهم إلا رام بالقوس الفرنجية»[4].

لقد أدت هذه العناصر دورا كبيرا في استتباب الأمن في جميع أرجاء المملكة خاصة في المعارك التي اعتمدت على المسير لمسافات بعيدة أو في المناطق الجبلية، وتجلى ذلك في عهد السلطان أبي تاشفين718 -737هـ/1318-1337م[5] الذي سار بجيشه نحو أراضي الدولة الحفصية حيث تمكنوا من إخضاع بجاية بين عامي 1321م و1327م[6]، واجتياح تونس سنة730هـ/1331م[7].

- المشاة: يعرفون أيضا بالرجالة وهم جنود يعتمدون السير على الأقدام، حيث احتلوا مكانة محترمة في تركيبة الجيش بعد فرقة الفرسان، تكمن وظيفتها القتالية على أساس رص الصفوف[8]، يتقدمهم في الصف الأول حاملو الرماح[9]، والقنا المتراصف[1]، مهمتهم منع تغلغل خيل العدو وجنده

[1]- ابن قيم الجوزية، الفروسية المحمدية، تح: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، 2007م، ص394.

[2]- مختار حساني وآخرون، التاريخ العسكري للجزائر،ص20.

[3]- رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ج03، ص470.

[4]- ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، درا و إع: مُحَمَّد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص224.

[5]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج01، ص44.

[6]- جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تج: محمود عبد الصمد هيكل، مطبعة الانتصار، مصر، 1999م، ص321.

[7]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص145.

[8]- قويدر عباس، المرجع السابق، ص82.

[9]- الطرطوشي، المصدر السابق، ص179.

إلى وسط جيشهم، ثم يليهم حاملي السيوف والرماة[2] المزاريق[3]، حيث ذكرهم التنسي أثناء حصار تلمسان بقوله: «وكان في كل يوم يطلبون القتال من محاصريهم ويخرجون إليهم الرجالة» ثم يضيف: «ولقد رأيتهم يحملون وهم رجالة على الفرسان فيفرون أمامهم، ولا يقدرون أن يكروا عليهم، فما أكاد أقضي العجب من شجاعتهم»[4]، ومن خلال وصية أبو حمو موسى الثاني لابنه: «فليكن أغزازك وأعلاجك بين يديك، وركابو خيلك بإزائهم يتقدمون عليك، وكذلك النصارى والوصفان يركبون خلفك مع أهل دخلتك الفرسان»[5] يتبين لنا أن فرقة المشاة كانت مشكلة من الأغزاز و الأعلاج.

ثانيا:الفرق غير المقاتلة:

لم تقتصر تكوينات الجيش الزياني على الفرق المقاتلة فحسب، وإنما كانت هناك فرق غير قتالية، ولكنها في ذات الوقت مهمة ودورها على قدر كبير من التأثير والخصوصية وهي:

-الفعلة: تسمى هذه الفرقة في قاموس جيوش العصر الحديث بعناصر الهندسة والتخطيط الميداني[6]. يقول عنهم الهرثمي: «إذا أردت الرحيل من منزل إلى منزل اجعل رجلا من أهل الصرامة في قوة من أصحابك أمام عسكرك، دون طلائعك مع الفعلة، لإصلاح الطرق وقطع الشجر، وإقامة الجسور والمعابر، وحفر الآبار وتنقيتها وما أشبه ذلك»[7].

ومن دون شك أن الدولة الزيانية سخرت هذه العناصر في الجيش، حيث استعان بهم يغمراسن بن زيان أثناء حصار سجلماسة سنة (663هـ/1265م)[8] في تثبيت سلالم الحصار، وتحطيم أبواب

---

[1]- القنا المتراصف: الرماح المضموم بعضها إلى بعض. يقول الهرثمي: «أقم مصاف عسكرك بالرجالة والقنا المتراصف، واتخذ له بروجا في كل برج سبعة رجال، أو كما رأيت». ينظر: الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، تح: عبد الرؤوف عون، مُحَمَّد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ط، د.ت، ص31.

[2]- جورج كاستلان، تاريخ الجيوش، تج: كمال دسوقي، د.ط، د.ت، ص67.

[3]- المزاريق: المزرق وهو الرمح القصير، وقد يكون سنانه مربعا حادا يخرق الدروع. ينظر: الطرطوشي، المصدر السابق، ص79.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص132.

[5]- أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص145.

[6]- قويدر عباس، المرجع السابق، ص48.

[7]- الهرثمي، المرجع السابق، ص31.

[8]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص114.

الأسوار، كما استعان بهم السلطان أبو تاشفين الأول أثناء بنائه حصن تامزيردكت عند حصاره لمدينة بجاية سنة (724هـ/1324م)[1]، ومعظمهم كانوا من الأسرى الروم، حيث استخدموهم كذلك في أغراض صناعية وحرفية، كفن البناء وصناعة الأسلحة[2]، واعتنق عدد كبير منهم الإسلام ، وتقلدوا وظائف سامية في الدولة الزيانية[3].

– الكفلاء: صنف أبو حمو موسى الثاني هذه الفرقة ضمن المماليك الخاصة بحراسته وفي هذا الصدد يقول صاحب البغية: «فاستركب الحرم وحمل الأموال وأكفل بذلك الخصيان والنصارى المسيحيين»[4]،كما وصفهم في كتابه واسطة الملوك بقوله: «هم رجالا أنجادا كفاة أطرادا مشائين بين يديك إذا ركبت ومنصرفين حيث ما صرت، يكون لهم ترتيب في اللباس، يمتازون بذلك، يتزينون بالأقبية الحسان المختلفات الألوان، وبأيديهم الحراب عليها صغار الرايات من أنواع الحرير مختلفات»[5]، مختلفات»[5]، ومن خلال هذه الأوصاف يتجلى لنا أنهم كانوا زينة القصر، وبهم يتزين كبار رجال الدولة.

يقول صاحب البغية أنه بعد هزيمة أبي زيان أمام معارضيه سنة(769هـ/1367م)، انسحب أبو حمو من المعركة وجهز حريمه وحمل أمواله وأوكل مهمة حمايتهم إلى الكفلاء من الخصيان والنصارى، غير أنهم ضلوا طريقهم إلى تلمسان[6].

–الجواسيس والعيون[1]: مهمتهم جمع المعلومات الخاصة بالعدو في سرية تامة للاطلاع على أسراره، وهو نوع من عمل المخابرات، هذا العمل يجعله الهرثمي «أول العمل في الحرب ورأس التدبير

[1]– ابن خلدون، العبر، ج07، ص134. التنسي، المصدر السابق، ص137.

[2]– التنسي، نفسه، ص140. يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص216.برنشفيك، المرجع السابق، ج01، ص480.

[3]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج01، ص191.

[4]– يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص142.

[5]– أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص ص145–146.

[6]– يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص196.

فيها»، ونظرا لأهمية الاستطلاع[2] في إدارة المعارك، كما أن أبا حمو موسى الثاني خصص هامشا لموضوع الجوسسة بقوله: «يجب أن يكون لك جواسيس في بلاد العدو ويرقبون أفعاله على البعد، وعيون تلاحظ أعماله وتشاهد أحواله..» [3].

لقد حرصت الدولة الزيانية على توظيفه بشكل دقيق لتنفيذ مشاريعها العسكرية، سواء كانت حروب وقائية أو هجومية، حتى بلغ بالسلطان أبي سعيد عثمان أن أهدى لأبي يعقوب سلطان بني مرين «رومية وسيمة وأجرى لها رزقا يبعثه لها في كل حين على أن تعرفه بالأخبار»[4]، ونفس الشيء يتكرر عند حصار أبي الحسن المريني لمدينة تلمسان سنة (735هـ-1335م) حيث كان السلطان أبو تاشفين الزياني المحاصر يرسل العيون في ارتصاد الفرص للتمكن من قائد الحصار، لكن محاولاته باءت بالفشل، وتمكنوا من اقتحام تلمسان غلابا[5].

لقد استطاعت هذه الفرق التي جندتها الدولة الزيانية أن تساهم بقسط كبير في الحفاظ على كينونة المملكة في العديد من المحطات الصعبة التي مرت بها، سواء بالقتال المباشر، أو بإمداد القادة العسكريين بالمعلومات التي تخص العدو.

03- اختصاصات الفرق المقاتلة:

لقد قام قادة الجيش الزياني بتنظيم العناصر المقاتلة حسب وظيفتها أثناء الحرب إلى ما يلي:

---

[1]- تطلق معظم كتب الفقه اسم العين على الجاسوس وقد ورد التعريف بالجاسوس في دائرة المعارف الإسلامية بما يلي: «كلمة تدل على المعنى المعروف وهي ترد ملازمة مع كلمة عين بمعنى الرقيب ومن ثم فإنه لا يمكن في جميع الأحوال أن نميز بين الكلمتين ولا يكاد المرء أن يناقش إحداهما دون الرجوع إلى الأخرى». ينظر: مُحَمَّد فريد وجدي، دائرة المعارف-التجسس، ص28.

[2]- يقول الطرطوشي: « واعلم أن من أحزم مكائد الحرب إذكاء العيون واستطلاع الأخبار وإفشاء الغلبة وإظهار السرور..». ينظر: سراج الملوك، ص701.

[3]- أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص172.

[4]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص293.

[5]- عبد المالك بكاي، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 07-10هـ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة باتنة، الجزائر، 2014م، ص42.

– فرقة السيافة: تسمى فرقة السيافة بـ "المجذوبة"، أو "المجبودة"، تنتظم في موقع خلفي للجيش لتحمي ظهره من أي طارئ[1]. وأصحابها هم المتخصصون والماهرون في استعمال السيف راكبا أو راجلا، وهم الذين يحددون مصير المعركة، وعلى حسن بلائهم تتوقف نهايتها[2]، ولقد ترجم هذا السلاح في العديد من المعارك التي خاضتها الدولة الزيانية واستطاع أن يثبت فعاليته في المعركة التي خاضها يغمراسن بن زيان ضد السعيد الموحدي سنة (646هـ/1248م)، حيث استعملت فيه مختلف الأسلحة، وألحق بهم يغمراسن هزيمة ثقيلة، وهذا ما يدل على قوة السيافة في ترجيح الكفة خاصة وأنه آخر سلاح استعمالا في أي معركة بعد القوس والرمح[3].

– فرقة الرماحة: هم المتقنون في حمل الرمح واستعماله، وهو سلاح عريق في القدم وأطواله مختلفة تتراوح ما بين الأربعة أذرع والخمسة عشر وما فوقها،[4] وفي العربية الحربة والنيزك والمزراق والعنزة[5] كلها أسماء لشيء واحد، ويقول الجاحظ: «للرماح طبقات فمنها النيزك، ومنها المربوع، ومنها المخموس، ومنها الخطل»[6]، والرماحة يغرسون رماحهم أرضا بشكل مائل نحو الأمام لإعاقة تقدم فرسان العدو[7]. ولقد اتخذته قبائل زناتة للكر والإغارة والرمي[8]، فكان السلطان الزياني يغمراسن بن زيان أول من استقدم الروم والغز والروم رامحة وناشبة[9].

---

[1]– قويدر عباس، المرجع السابق، ص ص83-84.

[2]– محمود شيت خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ط01، 1403هـ، ص157.

[3]– شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط01، 1345هـ/1926م، مج06، ص200.

[4]– محمود شيت خطاب، المرجع السابق، ص155.

[5]– العنزة: قدر نصف الرمح أو أكبر شيئا، وفيها زج كزج الرمح، والعكاز: نحو منها، والزراق: ما زرق به زرقا، وهو أخف من العنزة، والنيزك: نحو منه. ينظر: أبو عبيد القاسم بن سلام ت 224هـ، كتاب السلاح، تح: حاتم صالح الضامن، كلية الآداب، بغداد، العراق، د.ط، د.ت، ص19.

[6]– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (150هـ-255هـ)، البيان والتبيين، تح وشر: عبد السلام مُحَمَّد هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط01، 1368هـ/1949م، ص54.

[7]– علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، تح وتع: مُحَمَّد عبد الغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، ص76.

[8]– مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص300-301.

[9]– ابن خلدون، العبر، ج07، ص106.

– فرقة الرماة (النشابة): هم المدربون على رمي السهام، فالرماية هو جعل الرجل هدفا سواء راجلا أو راكبا، وبرا وبحرا، ومن فوق الأسوار[1]. وصنعها يحتاج إلى جودة الذكاء، ومداومة التجربة والخبرة[2]، وأساس الرمي هو الرمي بالقوس ويسمونها الدراع، ومنها قسي الزيار وهي أشدها رميا وأعظمها جرما وأنكاها سهما[3]، ومن مستلزمات القوس نجد السهام والنشاب وهي أنواع منها (المرماة، والمعبلة، والمشقص، والمريح)[4]، وهي أسماء لشيء واحد والأصل في السهام أن يرمي بها عن بعد سواء في مكان مكشوف أم وراء الأسوار والحصون وهو سلاح فتاك، وفي بعض الأحيان يستعمل كأداة للتخاطب حفظا للسرية[5]. ولعل تخصيص الزيانيين لفرقة خاصة تسمى النبالة والنشابة والرماة معظمهم من الروم والغز، وكان لهم دور كبير عند انطلاق المعركة في تشتيت العدو.

– فرقة حملة الدروع[6]: ويقترن بالترس وهو آلة دفاعية للوقاية من رمي الأعداء سيفا أو رمحا أو نشابا كان وتعمل مع السيف لحماية المقاتل أثناء دخوله المعركة و تجنب الضربات[7]، وهي أصناف كثيرة ولها أشكال متباينة فمنها المدور والواسع ومنها المستطيل[8]، وقد صنعت من زرد متداخل الحلقات أو من الصفائح المعدنية أو من الجلد السميك الذي يلبس تحته لباس آخر محشو بالقطن أو الصوف لمزيد من الوقاية، والدروع أنواع: منها السابغة التي تغطي الجسم كاملا، والبتراء التي تصل

[1]– مُحَمَّد منكلي (784هـ-1382م)، الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، تح: محمود شيت خطاب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1409هـ/1988م، ص21.

[2]– مرضي بن علي بن مرضي الطرطوسي (ت 589هـ)، تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء، تح، كلود كاهين، الجامعة الأمريكية، مكتبة بيروت، 1948م، ص06.

[3]– المصدر نفسه، ص14. محمود شيت خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص150.

[4]– ابن سلام، المصدر السابق، ص234.

[5]– محمود شيت خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص153.

[6]– الدرع: رداء يلبس في الحرب لتغطية الصدر والظهر وبعض الذراعين تقريبا لوقاية مرتديه من ضربات السيوف وطعنات الرماح وتأثير السهام. ينظر: صلاح حسين العبيدي، الأسلحة العربية في العصر العباسي في ضوء المصادر الأثرية والتاريخية. مركز تحقيقات كاميوترس علوم إسلامي، بغداد، العراق، د.ط، د.ت، ص110.

[7]– ابن هذيل، حلية الفرسان، ص147. الطرطوسي، المصدر السابق، ص12.

[8]– الطرطوسي، نفسه، ص12.

إلى ا لركبة دون أكمام والذائلة طويلة الذيل، والزعفة أي اللينة الواسعة[1]، وعناصر هذه الفرقة هي أول من تبادر لاختراق صفوف العدو في المعركة[2].

– فرقة الطبالة: فرقة الطبالة هي نوع من السلاح النفسي الحماسي، وقرعها جاء من خلال التأثر بتقاليد الأفارقة، ومازالت تستعمل هذه الطبول في اللهجة المغربية بعبارة طبل أجومي-الجومي- أو جناوة المنسوب إلى غينيا[3] التي تكلم عنها العمري بقوله: «وكانت تحد إفريقية جنوب الصحراء، بينها وبين جناوة المسكونة بأمم السودان»[4]، وهي تستعمل لإعلان الانسحاب إذا فشل الحصار، حيث إذا ضربت ثلاث ضربات علم بأنه الرحيل، أو تضرب لاستئناف السير أو مناداة للتجمع للقتال، للقتال، أو إعلانا بخروج الكمين[5]، أو للاحتفال في أوقات النصر. وكانت جيوش بني عبد الواد تستخدم هذه الفرق عند خروجها لملاقاة العدو مثلما يصفها لنا صاحب زهر البستان عند خروج أبي حمو موسى الثاني لمواجهة بني مرين قائلا: «إلى أن تقرب منهم، بحيث سمعوا طبوله، وشارفت خيولهم خيوله، وعندما عاينه بنو مرين تأخروا إلى وادي الزيتون مقهقرين، وعلى الأعقاب نكصين»[6]، وكانت تغنم بعد الحرب حسب صاحب البغية «وانجلت المعركة عن هزيمة بني مرين وأخذ ما كان بعسكرهم من طبل وأعلام»[7]، وكانوا معظمهم من العبيد فشكل منهم هذا الأخير حراسا على باب القصر[8] منعا لأي اعتداء على السلطان أو حرمه.

– الأبالة (الهجانة): هم فرسان يمتطون الإبل، حيث كان لها مكانة كبيرة في الحروب سواء في نقل الأحمال والنساء والغنائم، لذا اختيارها لم يكن عشوائيا، بل كانت سلاحا نفسيا واستراتيجيا، إذ تحدث اضطرابا وفزعا في صفوف العدو، وقد استعان بها الزيانيون في معاركهم ضد الخصوم مثلما

---

[1]– مُحَمَّد عبد الله سالم، المعجم العسكري المملوكي، دار كنوز للمعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ط01، 2011م، ص123.

[2]– قويدر عباس، المرجع السابق، ص86.

[3]– ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، ط02، 1956م، ص243. هوبكنز، المرجع السابق، 170-171.

[4]– العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، جزء إفريقية والأندلس، المصدر السابق، ص02.

[5]–قال الصيرفي للأمير تاشفين بن علي:«واحذر كمين الروم عند لقائها، وأحفظ كمينك خلفها إذ تدفع».ينظر:كتاب الحلل الموشية،ص127.

[6]– مؤلف مجهول، زهر البستان، ص ص82-83.

[7]– يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص24.

[8]– جاء في واسطة السلوك: «ويأخذ الحرس بالطواف على القصر من خارجه، ويخص بالتحفظ على جميع مناهجه». ينظر أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص149. يقول هوبكنز: «ولكن يبدو وكأن الرماة و الطبالة اختيروا من العبيد». ينظر: المرجع السابق، ص170.

ذكره صاحب البستان عند مواجهة أبو حمو للمرينيين قائلا: «فأمر بخروج الأثاث والأثقال، وحمل البغال والجمال»، فهي وسيلة لحمل النساء خلف الجيش، كما برزت في موقعة تلاغ سنة (666هـ/1267م)[1]، وهذا لأجل إرهاب الخصم، وتحطيم معنوياته قبل الهجوم عليه.

المبحث الثاني: التنظيمات التعبوية والإدارية للجيش الزياني:

إن إحراز النصر على العدو ، لا يمكن تحقيقه إلا بالعمليات الهجومية الحاسمة، ويجب أن تمتلك الجيوش قدرات تنظيمية، وامكانات قتالية عالية، حتى يمكن تدمير العدو، ولهذا تحتاج الجيوش القوية تنظيمات تعبوية وادارية قادرة على تلبية كل المتطلبات من أجل تحقيق غايات المعركةن ومن هنا فإن المسألة تحتاج إلى التخطيط المسبق لجعل الاستعدادت التعبوية تجري في أقل فترة ممكنة، حتى لا يستفيد العدو من الوقت وتدارك الأمور عبر إعادة تجميع قواته، والاستعداد لإدارة عملية دفاعية منظمة، وبناء عليه كانت قيادة الجيش الزياني تهتم بالمسائل التعبوية والادارية من أجل تحقيق الغايات القتالية والتي سوف نتناولها بالشكل الآتي:

01- تعبئة الجيش:

التعبئة العامة (La mobilisation)، هي تصميم خطة لمعركة واحدة، تتضمن إدارة القوات في المعركة وتنسيق التعاون بين مختلف الأسلحة المستخدمة فيها، وهي نوعان: تعبئة مادية ومعنوية[2].

02- التعبئة المادية:

التعبئة هنا هي صف الجند في مواقفهم بين القلب (الجمهور)، الميمنة، والميسرة، وغيرها من أجزاء الجيش[3]، ليكون مستعدا للاشتراك فورا في أي قتال إذا ألجأته الضرورة إليه، يقول الهرثمي: «

---

[1]- ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، ص18. السلاوي، الاستقصا، ج03، ص26.

[2]- فاطمة الزهراء مالكي، المخابرات العسكرية النبوية، رسالة ماجيستر، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2009م، ص70.

[3]- يقول الهروي: «على القائد أن يجعل في الميمنة من يعتمد ليهم ويستند عليهم ويستند اليهم، وكذلك الميسرة، وليرتب الجانبين ويقوم الجناحين وليبق من عسكره بقية من الرجال وعصبة من الأبطال». ينظر: علي بن أبي بكر الهروي، التذكرة الهروية في الحيل الحربية، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ص21.

إذا كان العدو على خمس مراحل أو نحوها، فلا يكونن مسيرك ونزولك إلا على تعبئة»[1]، ومن شروطهم أن يكونوا فرسانا على الحقيقة، عاملين بمواقع الفرص، ويكرون معا، ويفرون معا، ثم يلتئمون بسرعة إذا هم افترقوا[2].

لقد اعتمد الجيش الزياني في نظمه العسكرية على هذا النوع من التعبئة من خلال وصايا أبي حمو حمو موسى الثاني لابنه قائلا: « أمَّا الميمنة فلتختبرهم من ذوي الشدة والكفاية والنجدة والحماية... وأما الميسرة فلتتخذهم من حماة الأبطال المقتحمين للأهوال من مشاهير الفرسان... وأمَّا المقدمة فلتختبرهم من أصحاب الخيول السوابق، العارفين بالشدائد والمضايق... وأما الساقة أن تتخذ دخلة من الحماة الأمجاد والأعيان الأنجاد من سراة القبائل وصناديد المواقف والمحافل...» [3]، فقد استخدم سلاطين بني عبد الواد هذا النوع من التعبئة في معاركهم ضد خصومهم، مثلما قام به أبو حمو الثاني في إحدى المعارك بين الجيش الزياني والعرب سنة (768هـ/1366م)، إذ يقول صاحب البغية: «وجاء الخليفة أيده‌الله على الأثر بساقته وريح النصر تخفق بأعلامه، ومحيلة الفتح تغري عزائم أوليائه»[4]، كما رتب أبو حمو موسى الثاني جيشه في مواجهة المرينيين سنة(760هـ/1358م) إلى نفس التقسيم المعهود حسب صاحب البغية: «عبأ أمير المسلمين أيده‌الله عساكره الشاكية السلاح قلبا وميمنة وميسرة ومطاردة»[5].

لقد قام سلاطين بني زيان بتقسيم الجيش إلى كراديس[6]، حيث أنها «لا تظهر القلة وفي الصفوف الصفوف تظهر»[7]، وكل كردوس يضم مجموعة من الكتائب يصل عددها حسب النويري: «من مائة إلى ألف، بينما الجيش من ألف إلى أربعة آلاف»[8]، وقد تم إرسال الكتائب في بعض حروب الدولة

---

[1]- الهرثمي، المصدر السابق، ص25-26. هذه الأجزاء تعرف بالجنين، دون ذكر المقدمة و المؤخرة. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2]- ابن منكلي، الأدلة الرسمية ....، ص179-181.

[3]- أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص ص143-144.

[4]- يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص188.

[5]- المصدر نفسه، ج02، ص24.

[6]-"أي جعلها كتيبة كتيبة"، فيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1406، وهي اسم فارسي الأصل و الكردوس الجماعة من الجيل فوق المائة. ينظر الهرثمي، المصدر السابق، ص34. يقول ابن خلدون في مقدمته الصفحة 222 أن الدول المتسعة الجنود: «كانوا يقسمون الجيوش والعساكر أقساما، ويسمونها كراديس، ويسوون في كل كردوس صفوفه»، ثم يضيف «ويسمون هذا الترتيب التعبئة».

[7]- عبد الله بن الحسن العباسي، المصدر السابق، ص342.

[8]- النويري، نهاية الأرب، مج06، ص189.

الزيانية، دون إخراج كل الجيش مثلما حصل سنة (761هـ/1359م)، عندما أرسل أبو زيان كتائب الحضرة الكريمة بقيادة الوزير عمران بن موسى لمساندة موسى بن علي بن برغوث[1].

لقد أشار يحي بن خلدون في عدة مواضع من كتابه إلى عدد العساكر الذين حشدهم أبو حمو موسى الثاني في بعض عملياته العسكرية، فقدّر عددهم في إحدى المناسبات باثني عشرة ألف فارس من المرتزقة، ثم أضاف إليهم ثلاثة آلاف فارس آخر من القبائل العربية[2]. يقول العمري: «أما بنو عبد الواد فلهم في عسكرهم من الغز مقدار ألف وخمس مئة فارس، ومن الفرنج مقدار أربعة آلاف فارس...» [3]، وهذه الأعداد كانت ترتب وفق نظام الصفوف لخوض المعارك مثل موقعة تلاغ سنة (666هـ/1267م) والتي انهزم فيها يغمراسن أمام قوة كتائب المرينيين، يقول ابن خلدون: «وعبأ كل منهم كتائبه ورتب مصافه...وأخذ يغمراسن بأعقاب قومه»[4] إذ يقول الشاعر مهنئا يعقوب بن عبد الحق المريني:

وَتَجْمَعُهَا بالسَّيْف جَمْعا مُكَسَّرَا وَجَمْعُكَ مَا بَيْنَ الكَتَائب سَالِم

هنيئا لَكُمْ نَصْرٌ مُبِينٌ عَلَى العِدَا وَطُولَ سُعُودٍ شَانَهَا مُتَدَاوِم[5]

وفي نفس الموضع قال من شاهد الحال وعاين ذلك الموقف من الحروب وشدة الأهوال:

سَلْ عَنْ مَوَاقِفَ حَرْبِهِمْ لَمَّا الْتَقَتْ يَوْمَ الصِّيَاحِ كَتَائِبٌ بِكَتَائِبِ[6]

كما قسم أبو حمو موسى الثاني سنة (769هـ/1367م) جيشه إلى مقانب وصفوف حسب صاحب البغية: «ورتب المقانب[1]، وعين المصاف، وذلك أصيلان النهار»[2]، هذا التقسيم في بعض الأحيان لم يكن يلبي حاجات الجيش البشرية نظرا لقلة أعداده وتعدد جبهاته الحربية.

---

[1]- يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص179.

[2]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج02، ص182.

[3]- شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله العمري (ت 749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 1423هـ/2002م، ص173.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص239. الناصري، الاستقصا، ج03، ص25.

[5]- أبو فارس عبد العزيز الملزوزي، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1382هـ/1963م، ص09.

[6]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص116.

03- التعبئة المعنوية للجيش:

لا يختلف اثنان أن للجانب المعنوي أهمية كبيرة في تنمية العقل، وتفعيل القدرة الحربية للمقاتل والرفع من طاقته وقدرته على التحمل والصبر ومكابرة العدو في ميادين القتال، فيقاتل كما يقال: «وهو يتلمظ تلمظ الحيات»[3]، فالروح المعنوية هي المحرك في جعل الأفراد راغبين في القتال[4]، لأن إرادة القتال هي أصلا إرادة ذهنية تنشأ في عقل المقاتل فتولد لديه الدافع ليصمد، ويقاتل بصلابة وعزم إلى حد التضحية بروحه[5]، وهذا ما تفطن إليه ابن خلدون في مقدمته عندما قال: «أن الظفر في الحروب إنما يقع بأمور نفسانية وهمية، وإن كان العدد والسلاح وصدق القتال كفيلا به لكنه قاصر مع تلك الأمور الوهمية كما مر»[6]، وعليه تكاد الأدبيات الإسلامية تجمع في مجال السياسة على القول إن الركنين الأساسين والضروريين لبناء الدولة والحفاظ عليهما هما الجند والمال[7] وعبارات «الملك بناء والجند أساسه، فإذا قوي الأساس دام البناء».[8]

والمؤسسة العسكرية للدولة الزيانية منذ نشأتها لم تغفل هذا الجانب المهم، خاصة وأنها عاشت التنقل الدائم والمستمر للسلطان بمعية جيشه خارج عاصمته وهو التنقل الذي جعل منها خلال هذه

---

[1]- المقنب: جمعها مقانب وهي من ثلاثين إلى أربعين فارس. ينظر: النويري، نهاية الأرب، مج06، ص189.

[2]- يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص195.

[3]- جان بيريه، الذكاء والقيم المعنوية في الحرب، تعر:أكرم دبري وأكرم القرنوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط03، 1986م، ص109-111.

[4]- مُحَمَّد بن علي الحميدي، الحرب والذكاء والقيم الفكرية والمعنوية، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، السعودية، ط02، 1435هـ، ص158.

[5]- خالد مُحَمَّد عطوة زعرب، الخداع في الحرب، مذكرة ماجستير في الفقه المقارن، كلية الشريعة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1426هـ/2005م، ص86. يقول أحد الباحثين: «التعبئة المعنوية تجعل شخصية الفرد يذوب في الجماعة التي تجرفه معها وتسنده وتحجب نقط الضعف التي فيه تحت تأثير أن الجماعة تنظر إليه وتراقب سلوكه وإحساسه المعنوي بالطمأنينة، وتزيده قوة البأس وشدة التحمل لوجود زملائه على جنبه». ينظر: مُحَمَّد جمال الدين محفوظ، العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية، د.ط، د.ت، ص35. عبد الله بن قريح العقلا، إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسسه، إ وتق: مُحَمَّد بن عبد الله بن عرفة، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع، السعودية، ط01، 1423هـ/2003م، ص345.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص246.

[7]- عز الدين علام، المرجع السابق، ص ص27-160.

[8]- أبو عبد الله ابن الأزرق ت 896هـ، بدائع السلك في طبائع الملك، تح وتع: علي سامي النشار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط01، 1429هـ/2008م، ج01، ص175.

المرحلة جهازا عسكريا متحركا على الدوام[1]« إدارته وجنده، وأسواقه، المتميزة، أساس بالتنقل الدائم أولا، وطول مدة هذا التنقل ثانيا»[2]، وقد كان من الطبيعي أن يولد هذا التحرك المستمر أشكالا من الرفض من قبل الجنود خاصة في الحالات التي تطول فيها مدة الغياب عن الأهل والبلد[3]، لذا خصصت كتب السياسة والنوازل[4] والرحلات صفحات مهمة لتذكير الأمير بضرورة العناية والاهتمام بأحوال الجند ضمانا لاستمرار حكمه ونجاح مشاريعه العسكرية[5]، من خلال الإغداق عليهم عليهم بالنعم خاصة وأن معظمهم كانوا يقبلون التجنيد كمتطوعين لأنهم في الأصل من الفلاحين والرعاة والحرفيين وغيرهم والذين أغرتهم أموال الحرب وغنائمها ففضلوا نشاطها عن عملهم الأصلي[6]، وهذا ما يؤكده أبو حمو الثاني من خلال وصيته لابنه: «استمل قلوبهم بودادك، يدينون بجميل اعتقادك، وأفض عليهم أياديك ليعمر بهم ناديك، وأوف لهم بحقوقهم تأمن من عقوقهم، يا بني إكرام الجيش استعباد، وإهانتهم استبعاد»[7].

إن هذا الشكل من التحليل لتذمر الجنود من طول الغياب، يمكن قراءته بشكل أعم من خلال حضور النساء في الغزوات الزيانية، فقد كان أبرز ما ميزها هو حفاظها على التقليد البدوي الزناتي القاضي بمرافقة النساء إلى ساحة الحرب[8] لشحن الهمم، حيث جرت العادة أن يأمر الأمير فتخرج «النساء سافرات الوجوه على سبيل التحريض لحسن وسعد بن ورغبن يحيين ويعدين ويرغبن»[9]، يقول صاحب الذخيرة عن موقعة تلاغ: «واصطفت عيالات الفريقين خلف الهوادج والمراكب

---

[1]- مُحَمَّد القبلي، الولاية والدولة والمجال، ص ص78-79.

[2]- حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص199-200.

[3]- حميد تيتاو، نحو مقاربة اجتماعية- نفسية لبعض إخفاقات الجيش المغربي خلال العصر المريني، مقال تاريخي، د.ط، د.ت، ص112.

[4]- تناولت كتب النوازل مشكلة الإنفاق بسبب الغزو وبعبارات كثيرة النزول من مثيل: في ضيق الحال، في ضيق من المال، ليس في البلاد من يقوم بها وغيرها من الأمثلة. ينظر: الونشريسي، المعيار، ج3، ص18، ص97، ص114، ص155. ج04، ص ص19-114.

[5]- عز الدين علام، المرجع السابق، ص160.

[6]- حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص109.

[7]- أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص172.

[8]- مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص232.

[9]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص239. يقول الناصري: «وبرز النساء في القباب سافرات على سبيل التحريش والتحريض، و التحم القتال، وطال القراع والنزال»، الاستقصا، ج03، ص26.

والقباب المزينات بلديات الوجوه عليهن الحلل وثياب الوشى يحرضن الأبطال على الأبطال، واختلط الأمثال بالأمثال وتمازجت ا لركاب، وبرزت الغانيات من القباب»[1].

لقد كان لحضور المرأة في هذا الميدان وهن يركبن الهوادج ويصاحبن الكتائب صبغة خاصة ومهمة نظرا للتأثير النفسي العميق الذي تحدثه بصوتها وبإشاراتها وتلميحاتها وبسلوكها في حركة الجيش وإقدامه في ساحة الوغى[2]، يقول أحد الباحثين: «كان الشاعر يتقدم أمام صفوف الجيش منشدا تحريكا لمشاعرهم، كما كانت الجواري تتغنى بغناء زناتي يدعى "تاصوكايت" لتجيش به همم الأبطال»[3]، فتثير الهمم نحو التضحية بالنفس والنفيس لنيل الشرف والمجد والأخذ بالثأر.

صفوة القول أن التعبئة المعنوية هي العامل المكمل لجميع الوسائل والإمكانيات المادية، فالمعنويات في الحرب لا يمكن اعتبارها أهدافا ولكنها نتيجة لآثار مادية، لأن الخصوم يتصارعون بسلاح يستعمله الرجال.

[1]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص115. وجاء في الأنيس المطرب قوله: «واصطفت من الجانبين العيال والقباب، وزحفت الجيوش على الجيوش». ينظر: ابن أبي زرع، ص305.

[2]- ابن الحاج النميري، فيض العباب، ص113.

[3]- يقول صاحب البغية: «التغني بأشعار زناتية يهيج أريحيات الهمم، ويبعث حميات النفوس».ج02، ص170.عبد الحق المريني، الجيش المغربي عبر التاريخ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، ط05، 1977م، ص44.

04- التنظيمات الإدارية للجيش الزياني:

من الأمور التي يستوجب وجودها في الجيوش هي العمل الاداري الذي ينظم شؤون الجيش بمختلف الاتجاهات، وذلك من أجل تسهيل عملية أداء المهام المكلف بها. وضم الجيش الزياني عدة تنظيمات ادارية، ويمكن ذكرها كالآتي:

أ- ديوان الجند: يعتبر الديوان من الوظائف الضرورية للملك حيث ارتبطت نشأته حسب ابن خلدون: «بالقيام على الجبايات، وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج، وإحصاء العساكر بأسمائهم، بأسمائهم، وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في إباناتها»[1].

يقول الإمام الماوردي: «إن هذا الديوان يختص بالجيش من إثبات وعطا، أما إثباتهم في الديوان[2] فتعتبر فيه ثلاثة شروط أولها: الوصف، ثانيها: السبب الذي من أجله يستحق به ترتيبهم، ثالثا: الحال التي يقدر بها عطاؤهم»[3]. وكان يشترط فيمن يتولى" رئاسة الديوان أو المزوار بمعنى القائد، كما كان يلقب في تلك الفترة حسب "الحسن الوزان"، كما يجب أن يكون سريع الفهم، عالما بالضوابط السلطانية والأحوال الديوانية والأمور الحربية، يجمع ويفرق، ويبعد ويقرب، ويشتت ويؤلف وغيرها من الأمور الأخرى[4].

لقد أولت الدولة الزيانية عناية كبيرة بهذا الديوان من خلال تنصيب يغمراسن بن زيان للفقيه أبي عبدالله مُحَمَّد بن المعلم كاتبا للعسكر[5]، حيث يقوم بتسجيل رتب الجند حسب أقدميتهم محبتهم وقربهم وقربهم من السلطان وشجاعتهم وانقيادهم، كما رتبهم أبو حمو موسى الثاني إلى القبيل، والحماة،

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص199.

[2]- تقول فتيحة النبراوي: «النظام في الديوان يعني التفرغ التام للجندية، حتى لا ينشغل بأعمال أخرى كالزراعة مثلا مما يستدعي استقرارهم وارتباطهم بالأرض وإهمال الحرب». ينظر: تاريخ النظم الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط22، 2020م، ص127.

[3]- أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن حسين الماوردي (ت450هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ط01، 1409هـ/1989م، ص266.

[4]- عبد الله بن الحسن العباسي، المصدر السابق، ص145. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص22.

[5]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص226. وهو موظف يتولى توزيع المؤن والسلاح على الجنود، كل واحد منهم على حسب رتبته وطاقته، وقد يتولى كذلك قيادة الجند وتوجيهه في غالب الأحيان. ينظر: مُحَمَّد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، ص76.

والأنصار، والأجناد[1]، كما وصف لنا صاحب البغية إحدى الاستعراضات العسكرية التي أشرف عليها أبو حمو الثاني بنفسه قائلا: «ثم زحفوا للسلام عليه دراكا من ضحى اليوم إلى غروب شمسه وحذاق الكتيبة بين يديه الكريمتين، يحصون جمل القبائل والشعوب، وينوعون الرامح منها والنابل، فكانت حساب ذلك اثنا عشر ألف فارس مرتزقة»[2]. وهذا ما يجرنا إلى أن حتى الجنود الاحتياطيين كانوا يقيدون في سجلات الديوان.

ب- تعداد الجند ومرتباتهم: لقد أدرك سلاطين الدولة الزيانية أن مقارعة الأعداء لا تكون إلا بضرورة حشد الأنصار، خاصة وأنهم اصطدموا منذ البداية بقلة جموعهم مقارنة بجيرانهم، مثلما ذكره ابن خلدون في هذا الشأن: «عدد بني مرين لأول ملكهم كان ثلاثة آلاف، وأن بني عبد الواد كانوا ألفا، إلا أن الدولة بالرفه وكثرة التابع، كثرت من أعدادهم»[3]، ونظرا للهزيمتين المتتاليتين ليغمراسن أمام المرينيين في كل من تلاغ وإيسلي أوصى ابنه بأن لا يتوسع غربا، قائلا: «لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا لوفود مددهم»[4] وأوصاه بأن لا يتوانى في توسيع نفوذه شرقا قائلا: «وحاول ما استطعت توسيع نفوذك على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم»[5]، حتى يحقق توازن في القوة العسكرية خاصة مع المرينيين، كما أنَّ أبا حمو لما تقلد الحكم أوصى ابنه بأن يتخذ جيشا بقدر ما يحكم به بلاده، مثلما عبر عنه بقوله: «ولا يحملك الحرص على أن تكثر أعداد، فليكن جيشك بقدر ما يكفيك من المال، وأن يكون هذا المال موازيا للجيش، وحدد تعداد الجيش بأربعة آلاف»[6]، وعليه فإن إحصاء الجيش الزياني يصعب التعامل معه خاصة وأن تعداده وفئاته كانت متباينة من سلطان لآخر، وما أمدتنا به مصادر المرحلة نجد أنه يغلب عليه الصيغة الأدبية كقولهم: «بجيوش ما لها حصر كأنها الجراد المنتشر»[7]، أو «لا يحويها العدُّ ولا تحيط بأقطارها الأبصار»[1]، باستثناء بعض الأرقام التي قدمها لنا العمري[2].

---

[1]- أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص203.

[2]- يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص171.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص125.

[4]- المصدر نفسه، ج07، ص189.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر، ج07، ص190.

[6]- أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص142، ص200، ص201.

[7]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص310.

الجدول 17: يمثل لنا تعداد الجيش الزياني حسب العمري:

الغز	الفرنج	العلوج	الأندلسيون
1500 فارس	4000فارس	500 فارس	2000 فارس

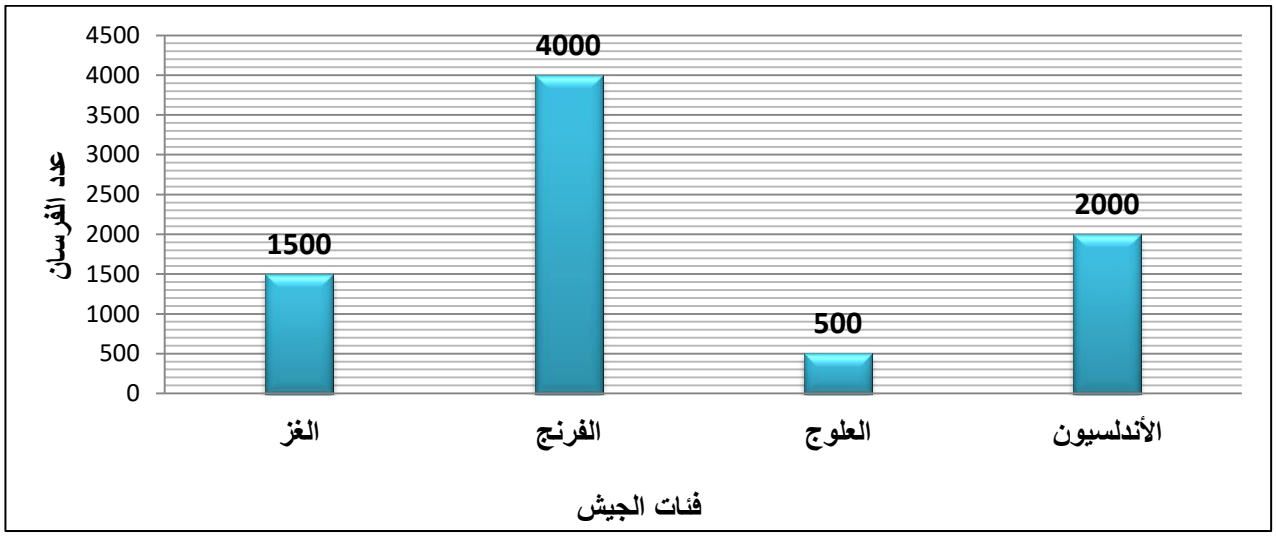

الرسم البياني 2: يمثل تعداد الجيش الزياني من الفرسان.

وما يمكن استنتاجه من خلال هذا الشكل البياني نلحظ أن الفرنج يمثلون العدد الأكبر من المنخرطين في الجيش الزياني، ومعظمهم من الأسرى، ثم يليهم الأندلسيون الذين فروا بسب اضطراب الأوضاع واستقروا بالمغرب الأوسط، ثم الغز الذين جاءوا منذ فترات قديمة من آسيا الوسطى، ثم العلوج، وما يمكن أن نستشفه من هذه الأعداد التي قدمها لنا العمري أنه لم يضبط لنا فترة تاريخية محددة مع ذكر طوائف أخرى مثل الوصفان أو العبيد ولكن دون ذكر العدد.

الجدول 18: يمثل أعداد الجند حسب فترات متفرقة من الحكم الزياني:

السلطان	التعداد	الفئات أو العناصر	المصدر
يغمراسن	2000 جندي	المرتزقة النصارى	يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص228
أبو زيان	1000 جندي	//	التنسي، نظم الدر، ص132.
أبو تاشفين الأول	3200 جندي	//	يحي بن خلدون، البغية، ج01، 241
ابو السعيد وأبو ثابت	1000 جندي	//	المصدر نفسه، ج01، ص253.

[1]- يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص171.

[2]- العمري، المصدر السابق، ج04، ص173.

ابو حمو الثاني	11800 جندي	الأعراب	المصدر نفسه، ج02، ص38-170-194.

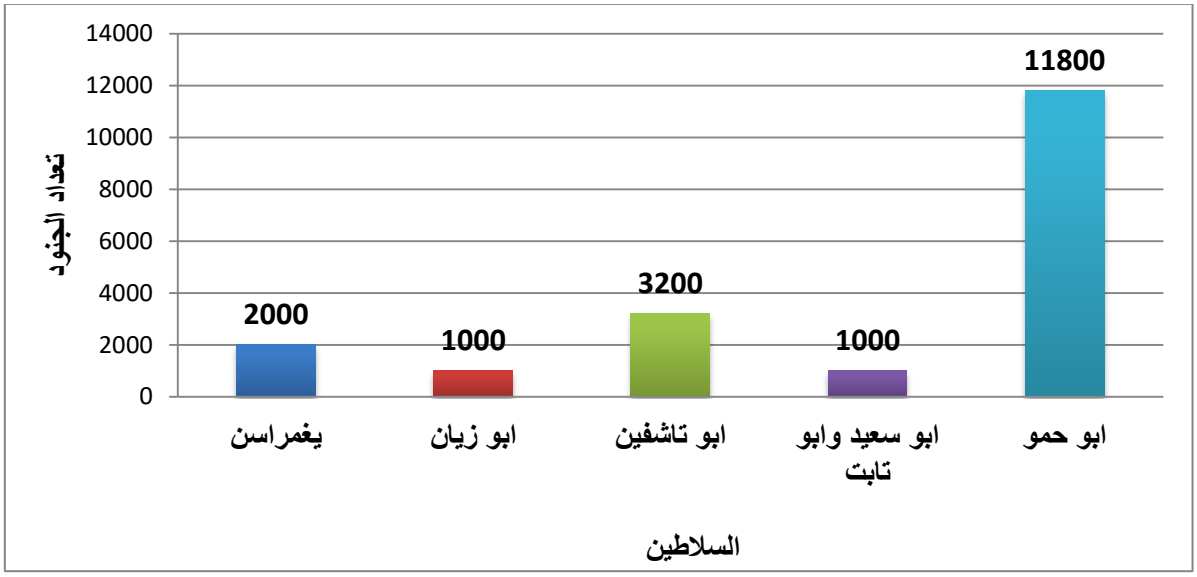

الرسم البياني 3: يمثل تعداد الجنود الزيانيين خلال فترات متفرقة.

ما نلحظه من خلال هذا الرسم البيانس أن تعداد الجيش كان مزيجا من عناصر مختلفة مرتزقة وأعراب بني عامر والمقل ورياح الذين استنجدت بهم الدولة الزيانية خاصة وأن أعدادهم كانت تتناقص وتتزايد حسب الامتيازات الممنوحة من قبل السلطة الحاكمة، فعلى سبيل المثال عدد قبائل بني عامر والمعقل كان سنة 760هـ/1358م 8000 فارس تناقص سنة 767هـ/1365م إلى 800 فارس مما جعل الدولة تستنجد بحوالي 800 فارس من قبائل رياح سنة 769هـ/1367م.

ت- عطاء الجند: يعتبر المال أساس قيام الدول وعماد الجيش لخوض غمار المواجهات العسكرية، فلا يمكن القيام بالحرب دون رأس مال، يقول المارشال "دوساكس" (Marechal de saxe)«لإقامة الحرب، يجب توفر ثلاثة أشياء: أولا: المال، ثانيا: المال، ثالثا: المال، والمال»[1]، هنا لا يقصد به فقط المؤن والذخيرة، ولكن كذلك أعطيات الجند كتحفيز لهم لخوض غمار الحرب، قال بعض الحكماء: «صديق المال جنده، وعدوه بيت المال، فإن ضعف بيت المال ببذله للجند الناصر، قوي الناصر، وإن ضعف الجندي الناصر بحفظ بيت المال عنه قوي العدو، وإذا كانت الحاجة إليهم

[1]- غاستون بوتول، هذه الحرب، ص45.

كذلك فلابد من إدرار أرزاقهم، وسد حاجاتهم، وتفقد أحوالهم، وصلاح عيالهم، وإكرامهم على قدر غنائهم»[1].

إن التحفيز المالي للجنود سواء كانوا دائمين أو متطوعين يشجعهم على النفير العام الذي يسبق أي حملة عسكرية[2]، هو ما تفطنت له الدولة الزيانية حين خصصت في البداية "كاتبا للعسكر" يدفع رواتب كل الجند المسجلين، ويكون ترتيبهم في العطاء حسب أبو حمو الثاني: «على قدر ثباتهم وشجاعتهم وسباقتهم للخدمة واصطناعاتهم وصحبتهم وانقيادهم واجتهادهم»[3]، كما اشترط «أن يكون المال موازيا للجيش ومقاوما للجند»[4]، ودولة بني عبد الواد كانت توزع عائداتها السنوية التي حصرها الوزان بما يفوق أربعمائة ألف دينار[5] على جنودها وحلفائها على شكل رواتب وغنائم وأعطيات[6].

الجدول 19: يمثل رواتب وأعطيات الجند والقبائل:

الفئة أو القبيل	نوع الأعطية	المصدر
الجيش النظامي أو الدائم	يتقاضون ثلاثة مثاقيل ، وراتب الفارس ثلاثة قطع من الذهب+ معونة غذائية مقدارها 20برشالة من القمح رشالة من الشعير+ عتاد عسكري (من فرس، سرج، سيف..).	الوزان، المصدر السابق، ج02، ص21. يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص38.
القبائل العربية	الخيل المسومة والمال المتعدد+ الأقمشة الحريرية + ألاف القطع من الذهب + الاقطاعات.	يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص38-194. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج06، ص81.

[1]- أبو يعقوب إسحاق بن أبي إسحاق القراب الحافظ، مستند الأنجاد في آلات الجهاد، تح وشر: أسامة ناصر النقشندي، دار الوثائق للدراسات والطبع والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، د.ط، د.ت، ص39.

[2]- حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص98.

[3]- أبو حمو الثاني، المصدر السابق، ص203.

[4]- المصدر نفسه، ص201. يقول أحد الباحثين: «كلما تضخم الجيش تضخمت متطلباته وارتفعت معهما بشكل مواز وتيرة الجبايات». ينظر، الحسين بولقطيب، أسلوب الإنتاج الحربي، ص80.

[5]- الحسن الوزان، المصدر السابق، 02، ص23.

[6]- مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص301.

المرتزقة النصارى	ما بين 05 و50 دينار ذهبي، أما قادتهم فيتقاضون 2400 قطعة ذهبية بمعدل يومي يقدر بـ 80 قطعة.	ابن مرزوق، المسند، ص282. مؤلف مجهول، زهر البستان، ص260 Dufourcq, op-cit p151.
الوصفان	مرتبات شهرية مع نصيب معين من الغنائم	مؤلف مجهول، زهر البستان، ص250.

ومما يلاحظ على ما ذكر اعلاه وجود هذا التفاوت في الأعطيات راجع إلى طبيعة الخدمة التي كانت تقدمها هذه الفئات أو القبائل، فعلى سبيل المثال نجد أن القبائل العربية كانت أعطياتهم معتبرة مقارنة بالوصفان، لكونهم كانوا حماة وأنصارا لسلاطين بني عبد الواد ضد خصومهم وأعدائهم من بني مرين وغيرهم. كما تكفل السلاطين بالإنفاق على دواب الجند في الحرب، وإذا استهلك الجندي سلاحه عوضته عنه، وإذا كلف بسفر أعطي لنفقة سفره، وإذا مات أو قتل ورث أبناؤه عطاءه وهو دين لورثته من بيت المال[1].

صفوة القول أن الطفرة المالية والرخاء الاقتصادي الذي تمتعت به الدولة الزيانية في فترات متقطعة من حياتها، ساعدها على كسب عدد كبير من الحلفاء من خلال الإغداق عليهم بالأموال لأجل تحقيق مشاريعها العسكرية.

05- استراتيجية الجيش الزياني وأساليبه القتالية:

بعدما أدرك الامير يغمراسن بن زيان عجزه على مقارعة الدولة المرينية التي كانت تفوقه في الإمكانيات والقدرات العسكرية أضعاف مضاعفة، أوصى ابنه عثمان بعدم الاجتراء على المرينيين. وبالفعل بعد وفاة والده وتوليه السلطة أوفد أخاهمُحَّد بن يغمراسن إلى يعقوب بن عبد الحق المريني لعقد لعقد سلم معهم، والتفرغ لتنفيذ خارطة الطريق الجديدة التي أوصاه بها أبوه حتى يضمن بها تقوية نظامه الحربي، وتدعيمه بحشود جديدة تعادل أو تفوق حشد خصومهم التقليديين المرينيين[2].

[1]- يقول ابن رضوان: «لا يمكن لأحد في جيشه أن يتشاغل بتجارة أو زراعة يصرف الاهتمام بها عن مصابرة العدو». ينظر، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ص405. فتيحة النبراوي، المرجع السابق، ص127.

[2]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج02، ص26.

هذه الاستراتيجية الجديدة التي أوصى بها يغمراسن ابنه عثمان تناولها ابن خلدون في مقدمته قائلا: «يا بني إن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية وعلى الحضرة الخلافة بمراكش، لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا الوفور مددهم، ولا يمكنني أنا القعود عن لقائهم لمعرة النكوص عن القرن التي أنت بعيد عنها، فإياك واعتماد لقائهم، وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا إليك»[1]، ولكي يعزز قواته بأنصار جدد طلب منه تغيير الوجهة نحو الشرق بدل الغرب قائلا: «حاول «حاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم يستفحل به ملكك، وكافئ حشد العدو بحشدك، ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك»[2].

من خلال هذه الوصية يتبين لنا تسجيل عدة نقاط هامة ستكون بمثابة مرجع لسلاطين الدولة من بينها:

– عدم تكافؤ موازين القوى بين الزيانيين وجيرانهم، جعلها تنتهج سياسية الهدنة والمسالمة مع بني بني مرين مع الإبقاء على طرق الاستخبارات[3] لأجل اختراق جدار أسرار البلاط المريني، وإرسال البيعة والولاء لأبي إسحاق الحفصي (678-683هـ/1278-1284م)[4]، لأجل تقوية قدراتها الاقتصادية وطاقتها البشرية وبالتالي تحقيق مشاريعها التوسعية، والتي تحققت بالفعل خاصة في عهد السلطان أبي حمو الأول (707-718هـ/1307-1318م) الذي دوخ البلاد وذلل الصعاب كما وصفه ابن خلدون[5]، وتميز عن غيره بقدرة فائقة على جمع الحشود الوافرة والأعداد المتكاثرة[6]، حيث أعاد نفوذ الدولة على المناطق الشرقية التي تتاخم حدود الدولة الحفصية، مثل قبائل توجين، ومغراوة ومليكش، ومازونة، وبجاية، وغيرها من المناطق الأخرى، حتى دانت له سائر أعمال المغرب الأوسط[7].

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه، ج07، ص123. السلاوي، المرجع السابق، ج03، ص56.

[2]– عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص123.

[3]– عارف عبد الغني، نظم الاستخبارات عند العرب المسلمين، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص ص108-132.

[4]– عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج01، ص26.

[5]– عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج07، ص132.

[6]– مؤلف مجهول، زهر البستان، ص49.

[7]– التنسي، المصدر السابق، ص ص129-130.

– الاحتماء والتحصن وراء الأسوار، وعدم المواجهة لتجنب أي مفاجأة، وهو ما فعله السلطان عثمان بن يغمراسن خلال الحصار الطويل الذي فرضه عليه المرينيون من (698هـ-1299م إلى غاية 706هـ/1306م) دون التمكن من اختراق المدينة، رغم الخسائر الفادحة[1].

– الانسحاب إلى الصحراء في العديد من المرات عندما تغزى أراضيهم وتجنب ملاقاة جيوش العدو التي لا قبل لهم بها[2].

– إقامة تحالفات مع القبائل العربية المستقرة هناك لزيادة الحشود مثل ما قام به أبو حمو الثاني مع قبائل بني عامر الذين كانوا ينتظرون فرصة الدخول للتل والاستيلاء على مراعيه الخصبة فتحالفوا معه وأصبحوا يحتلون مكانة سامية في الدولة[3].

لقد عمل جل سلاطين الدولة الزيانية على تنفيذ وصية جدهم يغمراسن القائمة على مسالمة من يسالمهم ومعاداة من يعاديهم، ووضعوها كهدف استراتيجي لا يحيدون عنها، باعتبارها تمثل السياسة العامة للنظام العسكري للدولة الزيانية.

أما بخصوص الأساليب القتالية والفنون الحربية للجيوش الزيانية، فلقد تنوعت بتنوع الخصوم وطبيعة المعركة ومن بينها:

01-أسلوب الكر والفر:

من اساليب القتال التي اعتاد العرب على القيام بها في حروبهم، وفي هذا يشير عبد الرحمن ابن خلدون قائلا: «قتال العرب والبربر من أهل المغرب. وأكثرهم الأمم البدوية الرحالة»[4]، ويصفه في موضع آخر بأنه: «أوثق في الجولة، وآمن من الغرة والهزيمة»[5]، ولقد حدد أبو حمو الثاني في وصيته لابنه خاصية الجنود الواجب الاعتماد عليهم في هذا النوع من القتال قائلا: «من يكثر اختلافهم، فمنهم

[1]– ابن خلدون، العبر، ج07، ص ص194-201.

[2]– مؤلف مجهول، زهر البستان، ص ص79-80.

[3]– عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني حياته وآثاره، ص ص90-91.

[4]– ابن خلدون، المقدمة، ص222.

[5]– المصدر نفسه، ص223.

من يحب اللقاء ومنهم يكرهه»، ويضيف: «إسناد ظهورهم إليه واعتمادهم في الكر والفر»[1]، ومعظمهم كما قال ابن خلدون كانوا من أبناء زناتة والعرب «واختصوا بذلك لأن قتال أهل وطنهم -أي ملوك المغرب- كله بالكر والفر»[2].

هذا الأسلوب اعتمدت عليه كثيرا الدولة الزيانية في حروبها الأولى مع المرينيين نظرا لقلة أعداد جندها[3]، فخلال حصار 1299م/698هـ، كانت تخرج كل يوم فرقة عسكرية خاطفة تقاتل بني مرين المحيطين بالمدينة والمقيمين حولها، ثم يعودون إلى مواقعهم[4]، وهذا النوع يصفه ابن خلدون بأنه: «ضرب في المصاف وراء عسكرهم من الجمادات والحيوانات، فيتخذونها ملجأ للخيالة في كرهم وفرهم، يطلبون به ثبات المقاتلة ليكون أدوم للحرب وأقرب للغلب»[5].

02-أسلوب الزحف والمواجهة:

وهو الاسلوب التقليدي الذي كانت تتبعه الجيوش في تلك المرحلة، واالذي يصفه عبد الرحمن ابن خلدون بأنه: «أوثق وأشد من قتال الكر والفر، ترتب فيه الصفوف وتسوى كما تسوى القداح أو صفوف الصلاة، ويمشون بصفوفهم إلى العدو قدما»[6]، وعلى الملك أن يقلد الأمر في هذا النوع من القتال من يتميز بالرجلة ويعرف بالشدة ويتصف بالشجاعة، لا يخذل أصحابه بل يشجعهم ويقوي ضعيفهم ويكسبهم النخوة، ولا يغزو الملك بنفسه لأنه رأس المال، ومن حفظ رأس المال ما خسر[7].

وعليه فإن الدولة الزيانية لما كثرت أعدادها وعدتها، اتخذت جيشا من الإفرنج متمرسا على هذا النوع من القتال، حيث وظفت فرقا عسكرية مسيحية يزيد عددها في بعض الأحيان عن (2000 جندي)[8] «يتقدمهم فرسان الاقتداء، ورسل الاهتداء ليخبروه بوجهة العدو»[1]، مثلما أخبرنا به ابن

---

[1]- أبو حمو الثاني، المصدر السابق، ص238.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، ص224.

[3]- قويدر عباس، المرجع السابق، ص158.

[4]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج01، ص27.

[5]- ابن خلدون، المقدمة، ص223.

[6]- المصدر نفسه، ص222.

[7]- علي بن أبي بكر الهروي، التذكرة الهروية، ص20، ص21، ص22. عبد الله بن الحسن العباسي، المصدر السابق، ص341.

[8]- عبد العزيز فيلالي، دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2012م، ص64.

خلدون قائلا: «الاستعانة بأهل الكفر، والإفرنج لا يعرفون غير الثبات في ذلك لأن عاداتهم في القتال الزحف»[2]، وبالفعل شنت الدولة الزيانية هجمات منظمة نحو أماكن محددة مع دراسة جميع نقاط قوة وضعف الخصم[3]، ومن بينها زحف يغمراسن على بلاد مغراوة وتوجين سنة 647هـ/1249م، الزحف على الثعالبة ومليانة ومليكش سنة (698-706هـ/ 1299-1307م)،[4]، زحف أبا حمو إلى المرية فملكها وأخذ الرهن من أهل تلك النواحي وقفل إلى تلمسان»[5]، وكانت هذه الانتصارات تتحقق بفضل الخطة المحكمة القائمة على وضع أهل الدربة ومن لهم مخبرة بالحروب في الأجنحة، وأصحاب الخيول السبق والرمي والخفة في الطليعة، ومن يتسمون بالصبر والثبات والتجلد في القلب[6].

03- أسلوب حرب العصابات:

هو تكتيك قتالي، تقوم به مجموعات متخفية ترصد هدفا معاديا متحركا أو تابتا لفترة قصيرة من من القيام بهجوم مفاجئ ومسبق[7]، يكون حسب الهرثمي انتشارهم واغترارهم في أحر ساعة تكون في أيام الصيف، وأبرد ساعة تكون في أيام الشتاء[8]، ولقد أوصى أبو حمو ابنه انتهاج هذا الأسلوب في حالة أن يكون العدو أقوى منه بقوله: «تغير على أطراف محلته ولا تترك من أتباعه من يتحرك في حيلته، فيكره مقامه ويجنح إلى رحلته»[9].

---

[1]- أبو حمو الثاني، المصدر السابق، ص213.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، ص224.

[3]- حدد صاحب كتاب أثار الأول في ترتيب الدول أنه يجب: «على الملك قبل الحرب الفحص عن الأرض ومكامنها وحفائرها وطرقها ومناهلها، ليكون على بصيرة بمن معه، إن كانت الكرة له، أو عليه». ص331. بينما الهروي حدد مكان التموقع بقوله: «أن تكون الشمس في عين العدو والريح عليه». ينظر: المرجع السابق، ص21.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص ص117-118.

[5]-المصدر نفسه، ج07، ص139.

[6]- عبد الله بن الحسن العباسي، المصدر السابق، ص339. قال بعض فرسان العرب: «ما من المنايا بد، فهالك معذور خير من ناج فرور». ينظر: ابن منكلي، المصدر السابق، ص239.

[7]- قويدر عباس، المرجع السابق، ص161.

[8]- الهرثمي، المصدر السابق، ص50.

[9]- أبو حمو الثاني، المصدر السابق، ص184.

لقد اعتمد هذا الأسلوب العاهل التلمساني يغمراسن حين تحصن بجبل ورنيد جنوب تلمسان[1] تاركا عاصمته لأبي زكرياء الحفصي، وبدأ يغير على أطراف المدينة مما جعل أفراد بني زيان وبني حفص حفص يرفضون عرض حكم المدينة خوفا من أمير المسلمين يغمراسن، مما حتم على السلطان الحفصي إعادتها ليغمراسن[2] قائلا: «ليس لها إلاّ صاحبها»[3]، ويقصد بذلك يغمراسن.

04- أسلوب القلاع والحصون:

هذا النوع يتخذ في حالة الدفاع والهجوم، ويتطلب التوجه إلى أقوى الأماكن وأصعب المواضع المنيعة والحصينة[4]، وتستعمل فيها مختلف الآلات التي ترمي الحجارة، والسهام المسمومة[5]، وهذا الأسلوب اعتمد عليه يغمراسن في حربه مع السعيد أبو الحسن الموحدي (640-646هـ/1242-1248م)، عندما اتجه هذا الأخير نحو مدينة تلمسان في الفاتح من ذي الحجة سنة 645هـ الموافق لـ 28 مارس 1248م، فلجأ يغمراسن إلى قلعة "تامزيزدكت" وتحصن بها، وأغلق جميع المنافذ المؤدية إليها، وبقي ينتظر وصول الجيش الموحدي، وبعد معركة حامية الوطيس استعملت فيها مختلفة أسلحة الدفاع والهجوم، انتصر يغمراسن، ولقنه هزيمة نكراء سنة(646هـ/1248م)[6] ،كما كان هذا الأسلوب أداة ناجحة في الحصار الطويل الذي طال أمده على تلمسان من (1299م إلى 1306م)، إلا إلا أن السلطان لم يتوان في المقاومة والصمود من بعيد من خلال القيام بعمليات عسكرية خاطفة، ثم العودة إلى مواقعهم[7].

05- أسلوب المسالمة والمهادنة:

---

[1]- يقول عبد الرحمن بن خلدون أنه لحق بالصحراء، ولم يقل أنه التجأ إلى جبل بني ورنيد. ينظر: العبر، ج07، ص166. بينما أخوه يحي فقال أنه انحاز إلى جبل بني يزناس، وقيل إلى ترني من جبل بني ورنيد. ينظر: البغية، ج01، ص112.

[2]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج01، ص22.

[3]- التنسي، نظم الدر، ص118.

[4]- عبد الله بن الحسن العباسي، المصدر السابق، ص361.

[5]- ابن رضوان، المصدر السابق، ص394.

[6]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص293. الذخيرة السنية، ص72. التنسي، المصدر السابق، ص118-119. يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص223. أمبروسيو هويثي ميراندا وقد قال أن ما زاد الطين بلة هو رفض شيوخ الخلط ومعهم حوالي ألف فارس مرافقة السعيد في صعوده المتهور إلى تلك المنطقة الوعرة. المرجع السابق، ص219 وما بعدها.

[7]-التنسي، المصدر السابق، ص130. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص278. يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص118. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج01، ص441. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج01، ص27.

يعتبر أحد أهم أساليب المناورة العسكرية، فالصلح أحد الحروب التي تدفع بها الأعداء عن المضرة[1]، خاصة إذا كان العدو مساويا لك في العدد والعدة والحزم والدهاء، يقول أبو حمو وهو يوصي ابنه: «عليك بالمصالحة والمهادنة والموالاة والمحاسنة، فتكون مصالحتك له من جملة المكائد، ومن ألدها التي تبلغ المقاصد»[2]، ولكون دولة بني عبد الواد كانت بين فكي كماشة والأخطار تحدق بها من كل الجهات، فقد جنحت إلى هذا الأسلوب، لكونه حسب ابن رضوان: «يؤدي إلى مصالحة البعض، وإطماع البعض في الصلح واستقبال البعض الآخر بالحرب»[3]، ولنا في تاريخ بني زيان العديد من عقود ومعاهدات السلم والمصالحة التي أبرمتها مع خصومها من بينها: عقد صلح بين يغمراسن وأبي زكرياء الحفصي سنة (640هـ/1242م)بعد اكتساح هذا الأخير لتلمسان، مقابل الجلاء والولاء وإتاوة مالية قدرها مائة ألف دينار[4]، عقد أبو سعيد عثمان معاهدة سلم مع أبي إسحاق الحفصي (678-683هـ/1278-1284م)، وبعث بالقبول والرضا ليعقوب بن عبد الحق المريني (656-686هـ/1258-1286م) حتى يتفرغ لإخضاع قبائل الأقاليم الشرقية[5].

ويذكر لنا ابن قنفد (810هـ-1414م) محاولة جده التقارب بين أبي يحي أبو بكر وأبي حمو صاحب تلمسان،[6] وتوسط السلطان أحمد العاقل بالشيخ الحسن آ بركان أن يتدخل لسلطان تونس وحقن دماء المسلمين[7].

ورغم محاولات الصلح التي قامت بها الدولة الزيانية مع خصومها، إلا أن كل واحد كان يتربص بالآخر وينتظر الفرصة المواتية للانقضاض عليه مثلما جاء في وصية أبي حمو موسى الثاني قائلا:

---

[1]- ابن رضوان، المصدر السابق، ص405.

[2]- أبو حمو الثاني، المصدر السابق، ص189.

[3]- ابن رضوان، المصدر السابق، ص405.

[4]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، 205. التنسي، المصدر السابق، ص118. يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص223.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص123. عبد الحميد حاجيات، أبو حمو الزياني حياته وأثاره، ص14.

[6]- ويقول حدث جدي للأم غي مرة قال: «كلفني السلطان أمير المؤمنين أبو يحي أبو بكر أن آخذ في الصلح بينه وبين أبي حمو صاحب تلمسان.» ينظر: أبي العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفد القسنطيني (ت 810هـ-1407-1408م)، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره، مُحَمَّد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، المغرب، د.ط، د.ت، ص53.

[7]- مُحَمَّد بن صعد الأنصاري التلمساني (ت 901هـ)، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مرا وتق وتع: يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2009م ، ص17.

«يا بني لا تأمن عدوك، لا في المصالحة ولا في القتال، واعلم يا بني أن المصالحة بين الملوك مكيدة، هي عين المحاولة لوكيدة وا لحركة الشديدة، ولتكن لعهودك يقظانا، وفي محاولته دهقانا»[1].

صفوة القول أن هذا التحضير المادي والمعنوي لجيوشها، وتنويع أساليبها القتالية لدليل قاطع على أن الأخطار كانت تحدق بها من كل جهات، مما دفعها إلى مسالمة البعض ومواجهة البعض الآخر حسب مدى استعدادها، ودرجة تأهبها للقتال.

المبحث الثالث: المقوم المالي للحرب (مصادر التمويل):

لعل سيطرة الهاجس العسكري على مجتمعات الغرب الإسلامي، جعلت الجند يحتلون مكانة مرموقة في سلم التراتبية الاجتماعية خلال العصر الوسيط[2]، فالملك عند ابن خلدون ينبني على أساسين أساسين لا بد منهما: «الشوكة والعصبية وهو المعبر عنه بالجند، والثاني المال الذي هو قوام أولئك الجند»[3]، فهذا الترابط بين العصبية القبلية والقوة المالية يظهر جليا في عملية تكوين الدول بحيث لا يمكن للدولة العسكرية أن تحارب و تُثبت وجودها إلا بضمان مصادر تمويلها، فبدون تمويل تكون عملية الإعداد مبتورة الرأس، مثلما أكدَ عليه أبو حمو موسى الثاني قائلا: «أن المال قوة السلطان وعمارة المملكة»، فهو "حرز الملك"، به "يستدني القاصي"، و"بالمال تستعبد الرجال وتبلغ الآمال"[4]، بل ويجمع بين أهمية الجند والمال بأسلوب جدلي «لأن كل واحد منهما متوقف على صاحبه، مطلوب بمطالبه، فلا مال إلا بجيش، ولا جيش إلا بمال»[5]، كما أكد ابن الخطيب على أهميته بالنسبة للسلطان قائلا: «إذا قل ماله قصرت آماله»[6]، وعليه فالإعداد للحرب يعني تحويل الاقتصاد من مدني إلى حربي، ويتم بوسائل عدة منها توجبه جميع الموارد الثابتة للمجهود الحربي، لما يعنيه ذلك تعطيل جزئي لبعض الخطط الاقتصادية المدنية، وتوجيه السياسات المالية والادخارية لتخدم الإنتاج الحربي المباشر[7]،

---

[1]- أبو حمو الثاني، المصدر السابق، ص191.

[2]- الحسين بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، د.ت، ص89. يصفهم ابن خلدون بأنهم أصبحوا «أوسع جاها وأكثر نعمة وأنسى إقطاعا». ينظر: المقدمة، ص210.

[3]- المصدر نفسه، ص241.

[4]- أبو حمو الثاني، المصدر السابق، ص62.

[5]- المصدر نفسه، ص200.

[6]- ابن الخطيب، الإشارة إلى أدب الوزارة، درا وتح: مُحَمَّد كمال شبانه، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط01، 1424هـ/2004م، ص95.

[7]- خميسي بولعراس، فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014/2013م، ص57.

وهو ما عبر عنه صاحب البغية واصفا لنا إحدى غزوات أبي حمو الثاني قائلا: «وخلصوا بالغنيمة تحت ظل السيوف، ومن بين لهوات الحتوف»[1]، وهذا ما يفسر على أنهم غنموا كل ما وجدوا أمامهم من ثروات اقتصادية جاهزة.

إن اللافت للانتباه أن اقتصاد الحرب الذي نحن بصدد تتبعه لا يقوم على موارد طبيعية ثابتة ومنتجة (كالزراعة والصناعة والتجارة)، بل إنه يوظف هذه الأنشطة الاقتصادية لأهداف كمالية استهلاكية وتكييفها لخدمة الأهداف الحربية، ويصبح الاهتمام مركز على قوى حربية يمكن إجمالها على النحو الآتي:

01- الموارد الجاهزة: غنائم الحروب:

يمكن تقسيمها إلى نوعين: الأول(الأموال المنقولة والثروات الجاهزة): تشمل جميع الثروات الاقتصادية التي وجدوها أمامهم من أصول ثابتة كالمراعي والدواب والمواشي والإبل وغيرها، وهي كلها ثروات جاهزة، يضاف إلى هذه الثروات الجاهزة تلك الكميات الهائلة من الذهب التي تم الاستحواذ عليه من الممالك السودانية، نتيجة سيطرتهم على طريقين تجاريين كبيرين، الطريق الصحراوي-طريق إفريقيا- والطريق البحري للتجارة في المتوسط (هنين، ووهران)[2]. أما النوع الثاني فهو (الأصول الثابتة): تشمل تلك المسارح التلية والسهول الخصبة التي اكتسحتها قبيلة بني عبد الواد، مستغلة تلك الثغرة التي ظهرت في صرح الدولة الموحدية الحاكمة غداة انكسار جيشها في موقعة حصن العقاب بالأندلس سنة 609هـ/1212م[3]، حيث كشف لنا هذا الاكتساح عن الاختلاف في طبيعة الغنائم التي تحصل عليها عن طريق الحرب، فالغنيمة هنا أصبحت تعني غلات وحقولا وبساتين وأموالا عينية، فضلا عن الماشية، عكس ما كانت تمثله بالنسبة لها في القفار من إبل وماشية القبائل المجاورة، بل أنها في هذه المرحلة أضحت تعني أموال الدولة وعددها وخيلها وسلاحها[4].

---

[1]- يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص170.

[2]- عبد القادر جغلول، المرجع السابق، 68-80. وفي هذا الشأن يقول لو عدنا إلى الوراء نجد كل الدول الكبرى سواء المرابطية، أو الموحدية ظهورهما لم يكن وليد الصدفة، فالمرابطين استولوا على أودغشت، وتوسعوا نحو غانا مراقبين بذلك قسما كبيرا من تجارة الذهب، وهذه العملية نفسها تدخل في تكوين دولة موحدية مترامية قامت أولا بمراقبة طريق سجلماسة- فاس، قبل أن ينطلقوا في الهجوم على الإمبراطورية المرابطية». المرجع نفسه، ص74. نجيب زبيب، المرجع السابق، ص406.

[3]- محمد القبلي، الدولة والولاية والمجال، ص44.

[4]- حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص180.

ومن ثمة فإن مجرد دخولهم تلك السهول الخصبة، يعني تجاوزهم لصفة العوز وصراع البقاء، وكل ذلك قد يكون دافعا أساسيا لبني عبد الواد إلى أن يمدوا عينهم إلى تملك الأمصار، وليغمراسن إلى أن يحس بنفسه الاستبداد، ومن قبيله الاستيلاء، «فاتخذ الآلة»[1] وأزمع على تقويض الحكم الموحدي والاستيلاء عليه، فبعد هزيمة الخليفة السعيد الموحدي أمام يغمراسن صادر هذا الأخير كل ما وجده في معسكره من أمتعة ومواشي وأموال ولأثرها الظاهر على خزينة الدولة، ربطها يحي بن خلدون بتوسع ملك يغمراسن بقوله: «فضخم بعدها الملك وعلت يده وبعد الصيت وتوطدت الدولة»[2]، « فمن موقعة السعيد تأثلت بنو زيان بما احتووا عليه من الذخائر والعدد والآلات»[3].

02- موارد أخرى: ضرائب الحرب

تتفق جل كتب الفكر السياسي على أهمية المال بالنسبة للدولة وبقائها[4]، وبما أن الدولة الزيانية كانت بحاجة كبيرة لتمويل حروبها وتغطية مستلزمات الملك من أبهة وترف وإنفاق على الجند، فقد وجدت في الرعية أنجع وسيلة لجمع الجباية[5]، إذ «لا مال إلا من جباية»[6]، وكانت تعرف هذه القبائل الملزمة بإعطاء جزء من أموالها للدولة بالقبائل الغارمة، مقابل تبعيتها وحمايتها من قبل الدولة، ويمكن تصنيف هذه الضرائب إلى صنفين:

أولا- الضرائب الشرعية: هي الأموال الواجبة بالشرع ثلاثة أنواع رئيسية هي: الفيء، الخمس، الصدقة، وهي أسماء مجملة يتفرع عنها أنواع من المال[7] بحيث يطالب المسلمون بالزكاة، والركاز[8]، وخمس الغنائم والجزية، وما يؤخذ من تجار الحربيين والمعاهدين، وما يؤخذ من أرض العنوة وأرض

---

[1]-عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص106. ويقول أيضا أنه لما نزلها آل زيان « اختطوا بها القصور المؤنقة، والمنازل الحافلة، واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب». ينظر: المصدر نفسه، ص105.

[2]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص227.

[3]- محمود مقديش، نزهة الأنظار، مج01، ص533.

[4]- عز الدين العلام، السلطة والسياسة، ص ص145-151.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة، ص23.

[6]- المرجع نفسه، ص ص147-148.

[7]- أبي عبيد القاسم بن سلام (154هـ-224هـ)، كتاب الأموال، تص: مُحَمَّد حامد الفقي، دار الكتب المصرية، مصر، د.ط، د.ت، ص18 وما بعدها.

[8]- الركاز: بكسر الراء مشددة وفتح الكاف ممدودة. لغة: الإثبات بمعنى المركوز. وشرعا: مال مركوز تحت أرض أعم من كون راكزه خالقا أو مخلوقا، أي معدن خلقي أو كنز مدفون و الركزة القطعة العظيمة من الذهب. ينظر: مُحَمَّد عمارة، المرجع السابق، ص258.

الصلح، وما صولح عليه الحربيون من الفدية[1]، وتشمل المغارم الشرعية حسب ابن خلدون الصدقات والخراج والجزية[2]، وعليه فالضرائب الشرعية تشمل الزكاة، الخراج، الجزية، العشور، خمس الركاز أو المعدن، وخمس الغنائم.

وتماشيا مع ما تم ذكره فإن سلاطين بني زيان كانوا يجبون الزكاة عينا ونقدا[3]، حيث بعث السلطان أبو حمو الثاني (760-791هـ/1359-1389م) ابنه أبا تاشفين لقبيل بني عامر الذين خرجوا خرجوا عليه ثم عادوا لبيعته «لقبض الصدقات من قومهم، حتى اجتمع له ما أراد من الجموع»[4]، والتزم أبو بكر بن عريف شيخ قبيلة سويد للسلطان أبي حمو الثاني عقب ثورته عليه سنة (777هـ-1376م) «الرضا بغرامة الحب والزكاة»[5].

أما بخصوص الجزية فلقد كان أهل الذمة خاصة اليهود يؤدون الجزية وقدرها أربعة دنانير[6]، والدينار بعشرة دراهم، وعلى أهل الورق أربعون درهما عن كل شخص حر، ذكر مكلف، في كل عام، سواء كان بدويا أو حضريا[7].

لقد اهتم سلاطين بني زيان بجباية الخراج، حيث أوصى أبو حمو ابنه قائلا« يا بني أما عمالك فلتتخير منهم العارفين بجباية الخراج...لا يضيعون أعمالك المخزنية»[8]، حيث ساعدت أموال الخراج أبا حمو الثاني لمدة عامين على إعادة بناء دولته بعد استرجاعها، يقول صاحب زهر البستان: «ومن العجائب أيضا أن خراج عامين عند الولاة وجده عونا على المعضلات، لا يخدم قائدا إلا وجاء بخراجه بخراجه معه، فاتسعت يده في الأموال، وظهرت إمارة اليمن والإقبال، فاستعمل بأسباب الهدية المجال

---

[1]- الونشريسي، المعيار، ج11، ص127. محمد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار المعارف، مصر، ط03، 1969م، ص103 وما بعدها.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، ص228.

[3]- المازوني، الدرر، ج01، ص ص 317-318.

[4]-عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج06، ص65.

[5]- يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص330.

[6]- أبو زيد عبد الرحمن القيرواني (ت386هـ)، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تح، محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1999م، ص213. يقول الوزان أنه كانت توجد بتلمسان حارة خاصة باليهود تضم خمسمائة دار، كلهم تقريبا أغنياء، فانه إذا أخذنا معدل رجل بالغ لكل دار فان مقدار الجزية سيكون 500 رجل يقدم كل واحد 04 دنانير، فيصير لدينا 2000 دينار سنويا. ينظر: المصدر السابق، ج02، ص20.

[7]- الونشريسي، المعيار، ج02، ص253.

[8]- أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص123.

الوافرة، وركب بجيوشه المتظافرة»[1]. إضافة إلى العشر[2]، وخمس الغنائم.[3] وغالبا ما تقترن هذه الضرائب الشرعية في المراحل الأولى من حكم الدولة عندما يكون بيت المال لا يعاني من أي عجز أو إفلاس، بفضل استمرار تدفق الغنائم الحربية والجزية والخراج، حيث تكون الدولة في عنفوان طاقتها الحربية، وهو ما يوفر فائضا مهما لبيت مالها[4]، يقول الناصري عن فترة حكم أبي تاشفين الأول (718هـ -737هـ/1318-1337م): «خزينته كان بها صامت المال ما لا يعد»[5]، هذه الوضعية المريحة تجعل الدولة تسلك مسلك الجباية المعتدلة القائمة على ما أوجبه الكتاب والسنة.

ب- ضرائب أخرى: هي كل اقتطاع مالي إلزامي تفرضه الدولة على الرعية زيادة على المغارم الشرعية، وهذا النوع تلجأ إليه الدولة عندما تكثر النفقات، وتصبح الجباية غير قادرة على سد عوائد الترف وتغطية أرزاق الجند وعطاؤهم، فتستحدث الدولة أنواعا جديدة من الجبايات «تضربها على البياعات، وتضع المكوس على المبايعات وفي الأبواب، وعلى الرعايا و الأكرة والفلاحين وسائر أهل المغارم»[6]، وهذه الأنواع العديدة يمكن حصرها على النحو الآتي:

- الضرائب على ثروة الأرض والماء: مثل مغارم الحرث والجنات. وفي هذا الشأن يقول المازوني أن سلاطين الدولة الزيانية وضعوا رسوما مختلفة وتسمى الوظائف التي فرضوها على الفلاحين

---

[1]- مؤلف مجهول، زهر البستان، ص77. يقول الوزان أن مقدار دخل البطحاء 20 ألف مثقال، وإقليم بني راشد 25 ألف مثقال، وبني ورنيد 12 ألف مثقال. ينظر: المصدر السابق، ج02، ص27، ص28، ص44.

[2]- العشر: عشور أهل الذمة وتعشيرهم هم ما يؤخذ منهم إذا نزلوا بنا تجارا على ذمة وعهد، وهو اسم لكل ما يؤخذ منهم. ينظر: أبو الحسن علي بن مُحَمَّد المعروف بالخزاعي التلمساني، مختصر تخريج الدلالات السمعية، إع: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة السندس للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة، ط01، 1410هـ/1990م، ص241. لقد كان التجار الأجانب يدفعون ضريبة تقدر بعشر قيمة السلع تجيبها الدولة على المراكب القادمة بمتاجر لموانئها تسمى العشور10%. ينظر الوزان، المصدر السابق، ج02، ص ص15-16.

[3]- خمس الغنائم: أي وضع الخمس كله في مصالح المسلمين، أو يوزع على المذكورين كلهم، أو بعضهم أو غيرهم بحسب المصلحة. ينظر: مُحَمَّد ضياء الدين الريس، المرجع السابق، ص125. هوبكنز، المرجع السابق، ص71. وهو كذلك اسم لما يؤخذ من أموال الكفار بقوة الغزاة وقهرهم، على وجه يكون فيه إعلاء كلمة الله تعالى وحكمه أن يخمس، وأربعة أخماس للغانمين خاصة. ينظر: علي بن مُحَمَّد السيد الشريف الجرجاني (ت 816هـ/1413م)، معجم التعريفات، تح: مُحَمَّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 2004م، ص136. يقول محمود مقديش: «فمن وقعة السعيد مع يغمراسن تأثلت بنو زيان بما احتووا عليه من الذخائر والعدد والآلات». ينظر: نزهة الأنظار، مج02، ص533.

[4]- إبراهيم القادري بوتشيش حلقات مفقودة، ص23.

[5]- الناصري، الاستقصا، ج04، ص125.

[6]- ابن خلدون، المقدمة، ص ص228-229.

بوظائف الحرث والجنات[1]، إضافة إلى مغرم الماء الذي كان يجيبه سلاطين بني زيان، إذ يقول صاحب البغية أنه لما تقلد أبو تاشفين الأول مقاليد الحكم سنة (718هـ-737هـ/1308-1337م): «رفع عن العامة مبتدع الوظائف»[2]، ونفس الأمر قام به أبو الحسن المريني لما اكتسح تلمسان على لسان ابن مرزوق في مسنده: «ومما رفعه -أبو الحسن المريني- وظيفة مغرم الماء»[3].

- الضرائب على الاستثمار: مثل المكوس[4] على التجارة: يقول الوزان أن تلمسان «فتحت فيها خمسة أبواب واسعة جدا، مصاريعها مصفحة بالحديد، وقد أقيمت في جوفها حجيرات يقيم فيها موظفون وحراس ومكاسون»[5]، إضافة إلى ضريبة الخفارة[6] التي كانت تفرض على أموال التجارة والقافلة، مقابل مرورها بشكل آمن، يصف لنا كاربخال صحراء أنكاد بأنها كانت عرضة لسلب ونهب الأعراب، «ومن أجل ذلك يلزم المسافر أن يؤدي مبلغا من المال لأول رئيس جماعة يصادفه فيسلم إليه راية صغيرة على رأس رمح حتى لا ينهب عبر منطقته كلها»[7].

- الضرائب على الدور والفنادق والأسواق: كانت توجد العديد من الفنادق بتلمسان، وهي كلها على النمط الإفريقي، منها اثنان لمقام تجار جنوة والبندقية[8]، يقيم فيها التجار الحاصلون على

---

[1]- المازوني، الدرر، ج03، ص59.

[2]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص134.

[3]- ابن مرزوق، المسند، ص285.

[4]- المكس: بفتح الميم وسكون الكاف والجمع المكوس. لغة: الجباية ومكس البياعة: هو انتقاص ومكس الدرهم: إنقاصه من السعر ونحوه والمكس: دراهم كانت تؤخذ من باعة السلع في أسواق الجاهلية والضريبة يأخذها الماكس صاحب المكس، والمماكسة في البيع هي المنابذة بين المتبايعين، أي انتقاص الثمن واستحطاطه. ينظر: مُحَمَّد عمارة، المرجع السابق، ص ص558-559. و الونشريسي يقول أنها ضريبة يأخذها العشار فأخذ الفوائد في الأبواب والقاعات واكتراء الأسواق والرحاب مكس. ينظر: المعيار، ج02، ص492.

[5]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص20. وقد حدد البكري هذه الأبواب الخمسة بقوله: «باب الحمام، وباب وهب، وباب الخوجة في القبلة، وفي الشرق باب العقبة، وفي الغرب باب أبي قرة». ينظر: المسالك والممالك، ج02، ص259.

[6]- الخفارة: بضم الخاء وفتح الفاء ممدودة: هي أجرة الخفير، والخفر: بفتح الخاء والفاء هي العهد والأمان، والخفير هو مطلق الحارس سواء أكان للزرع أو المتجر أو المنزل. ينظر: مُحَمَّد عمارة، المرجع السابق، ص196.

[7]-كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص292.

[8]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص20.

جواز الاتجار[1]، حيث يدفع التجار حقوق التخزين، والبيع والمكوس المترتبة على ذلك، وتسديد ضريبة ضريبة تسمى قبالة مقابل استيراد واستهلاك الخمر في فنادق الدولة الزيانية[2].

إضافة إلى ضرائب أخرى يمكن إجمالها وفق الجدول الآتي:

الجدول 20: يمثل ضرائب أخرى فرضتها الدولة الزيانية على الرعية

لقب الضريبة	الوعاء الضريبي	المصدر
مغرم الحطب والبيض والدجاج والتين	سلع واسعة الاستهلاك	ابن مرزوق، المسند، ص ص285-286
السخرة	الأشخاص، الجهد البدني	المازوني، الدرر، ج03، ص65
المعونة	الرعية	الونشريسي، المعيار، ج11، ص133.
الوظائف على المسجونين	الرهائن، والمسجونين	ابن بطوطة، الرحلة، مج04، ص200.
الإتاوة	على القبائل البدوية	الوزان، المصدر السابق، ج02، ص ص26-45. ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص188-193.

حصيلة القول أن اقتصاد الدولة الزيانية كان اقتصاد غزو، لأنها استحدثت العديد من الضرائب لتجاوز العجز الذي أصبح ينخرها، وتوفير الرصيد المالي الذي يضمن لها الاستمرار في تحقيق مشاريعها العسكرية.

03- المصادرات:

إن الأموال السلطانية التي تم جمعها عن طريق الغنائم والضرائب[3] يقوم الحاكم بإقطاعها على بعض الأكابر ورؤساء القبائل، إذ يحق لهم جمع ضرائب منطقة معينة لحسابهم الخاص[4]، إلا أنه يعود

[1]- كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص298.

[2]- سهام دحماني، النظام الضريبي للدولة الزيانية 633-962هـ/1236-1554م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة 02، 2018/2017م، ص ص241-242.

[3]- إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة، ص25.

[4]- عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، تج: فضيلة الحكيم، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط02، 1988م، ص85.

إلى انتزاعها عندما تشتد حاجة صاحب الدولة إلى المال، ويرى أنه الأحق بتلك الأموال «فيصطلمها وينتزعها منهم لنفسه شيئا فشيئا على نسبة رتبهم وتنكر الدولة لهم»[1].

وتفيض كتب التراجم بمجموعة من الأمثلة عن المصادرات والنكبات التي تعرضت لها القبائل والأعيان والحشم ورجالات الدولة في العهد الزياني. كما ذكر لنا ابن مرزوق أن الأمير عثمان بن يغمراسن نكث بأسرة الحاجب أبي سعيد بن عامر وابنه الخطيب لما علم بخيانتهما قائلا: «صادر أموالهما وسبى كل من كان لهما من حريم»[2]. أما بخصوص الجيوش التي أرسلها أبو حمو الأول إلى النواحي الشرقية فإنها « فعلت الأفاعيل»[3]، حيث كثرت عمليات المصادرة والسلب، وفي هذا الشأن يقول التنسي: «كثرت فيها الأموال والمسلوبات لدرجة نشوب خصومة بين قواد الجيوش الأربعة»[4].

ويلاحظ أيضا أن عمليات المصادرة كانت تمس الأشخاص الذين لا يسددون الضرائب كضريبة التعشير، حيث تصادر سلعهم كلها، أو يعاقب بتضعيف المخزن خمس مرات وتسمى هذه العقوبة باستغراق السلع.[5]

إن صور النكبات ومصادرة الأرزاق التي مورست على العامة والخاصة، لدليل قاطع على أنه كلما اشتدت حاجة صاحب الدولة إلى المال، وجدها في المجال والسكان الخاضعين له كمصدر لتمويل الحروب المتعددة التي كان عليه خوضها، ويصير حال المالك أو المستفيد كما قال الشاعر "حبلاص الرندي":[6]

لاَ تَـفْرحَنْ بِوِلاَيَة سُوغْتَـهَا فَالثَوْرُ يُعْلَفُ أَشْهُرًا كَي يُذْبَحَا[7]

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص232.

[2]- ابن مرزوق، المجموع، ورقة 42، نقلا عن: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص26، نقلا عن:عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص26 .

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص137.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص137.

[5]- سهام دحماني، المرجع السابق، ص352.

[6]- حبلاص الرندي: كان شاعرا برندة، لا يؤبه به لاختلال عقله، وكان ساقط الهمة، لا يتعدى صلة الدرهم والدرهمين، إلى أن حلَّ برندة أحد رؤساء الملثمين، فمدحه بقصيدة، وأمر له بكسوة وعشرة دنانير. ينظر: ابن سعيد علي بن موسى (ت 685هـ/1286م)، المغرب في حلى المغرب، تح و تع: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، طبعة منقحة، أفريل 1964م، ج01، ص ص336-337.

[7]- المقري، نفح الطيب، ج04، ص133.

واستخلاصا لما سبق فإن اقتصاد الحرب يقوم على ثلاثة موارد: وهي الغنائم، والضرائب القاسية والمصادرات، وهي كلها موارد جاهزة واستهلاكية، لا تتميز بالاستمرارية لأنها ليست ثروات إنتاجية قابلة للنمو مثل الزراعة والصناعة والتجارة بل هي موارد ظرفية، يقول الجابري: «كل ما يؤخذ بالقوة يعطى بسهولة»، أي ما يكسب بسهولة يبدد بسهولة أكبر[1]، مما جعله اقتصاد رخو غير استثماري يدور في حلقة مفرغة.

[1] – مُحَمَّد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، ص263.

المبحث الرابع: التحديات الأمنية للدولة الزيانية:

لا يمكن لأحد أن يتجاهل الحضور المكثف لظاهرة الحرب في ثنايا المصادر المؤرخة للعصر الزياني، حيث اعتبرت الدراسات التاريخية الرصينة أن الحرب في هذه المرحلة ظاهرة مستشرية ودائمة، والسؤال الذي يعترضنا بعمق هو:

– هل تستمر القبيلة التي توصلت إلى أن تفرض نفسها كسلطة مركزية على غيرها من القبائل والحواضر في اعتماد الحرب وسيلة أساسية في أسلوب اشتغالها، حتى بعد أن تتجاوز الحالة التي وسمناها بحروب العوز؟

– هل يمكننا أن نتحدث عن حروب الترف بالنسبة لمرحلة الدولة؟

بعدما تجاوز الزيانيون مرحلة حروب العوز بسبب شظف العيش وخشونته، وبعدما أقاموا دولتهم على جزء كبير من المغرب الأوسط، دخلوا في نوع جديد من الحروب والصراعات مع الدول المجاورة والقبائل المحلية المنافسة لها والرافضة لوجودها، والتي يمكن أن نوجزها فيما يلي:

01–الخلافات والصراعات بين أفراد الأسرة الحاكمة:

عرفت الدولة الزيانية العديد من النزاعات بين أفراد الأسرة الحاكمة، نظرا لكثرة الطامعين في الملك والانفراد به، والسعي للوصول إليه بشتى الطرق والوسائل، حتى لو أدى ذلك إلى قتل الآباء والإخوة والأعمام والاستعانة بالموالي والقاصي والداني[1].

لقد كان الصراع على أشده في هرم السلطة السياسية، فكلما تقلد أمير مقاليد الحكم إلا ووجد معارضة شديدة بإيعاز من الداخل أو الخارج، قد تصل في بعض الأحيان إلى حد التصفية الجسدية أو الاستعانة بالأعداء الخارجيين، مثلما حصل بين أبي حمو وابنه أبي تاشفين، حيث استنجد هذا الأخير ببني مرين ضد أبيه. يقول التنسي: «فاستجاش بني مرين، فبعث معه السلطان أحمد المريني زيان بن عمر الوطاسي بجيوش عظيمة وجاءوا متوجهين إلى تلمسان، فلما وصل خبرهم، خرج المولى أبو حمو إلى لقائهم بمن معه غير مكترث، فلقيهم بجبل بني ورنيد فاقتتلوا قتالا شديدا، فاستشهد المولى أبو

[1]– يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص186.

حمو»[1].

ولو استدلينا بنموذج آخر في الخلافات والصراعات في هرم السلطة الحاكمة، نجد الصراع بين السلطان عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن خولة الذي حكم بضعة أشهر813هـ/1410م، وعمه السعيد بن أبي حمو الثاني 814هـ-827هـ/1411م-1423م، الذي استولى على الحكم وقام بتنحية ابن أخيه بالقوة[2].

الجدول 21: يمثل الصراعات والخلافات بين أفراد الأسرة الحاكمة خلال القرنين 08هـ-09هـ/14-15م.

خلال القرن 08هـ/14م	خلال القرن 09هـ/15م
14 صراع	**07** صراعات

يتبين لنا من خلال هذا الجدول أن الشقاق والنزاع بين أفراد الأسرة الحاكمة في البيت الزياني تفاقمت خلال القرن الثامن هجري 14م نتيجة تطلع كل فرد الانفراد بالحكم والسعي في تحصيل ذلك بشتى الوسائل والطرق كالاستعانة بالقبائل المحلية أو الدول، ووصل بهم الأمر إلى حد التصفية الجسدية مثلما قام به أبو تاشفين مع أبيه أبي حمو الثاني، لكن مع مطلع القرن التاسع هجري 15م تراجعت وتيرة هذه الخلافات الأسرية لكون هذه الصراعات لم تكن منذ البداية متجذرة مع قيام الدولة، بل كانت نتيجة المؤامرات المدبرة من قبل الحفصيين والمرينيين على وجه الخصوص.

الجدول 22: يظهر لنا الفترات التي شهدت خصومات وصراعات أسرية:

السلطان	الخصم	المجال	السنة	المصدر/المرجع
أبو حمو الأول	مُحَمَّد بن يوسف	مليكش	قبل 717هـ	ع. بن خلدون، العبر، ج7، ص138.
أبو تاشفين	مُحَمَّد بن يوسف	جبل وانشريس	719هـ	المصدر نفسه، ص142. التنسي، نظم الدرر، ص143.
أبو حمو الثاني	أبي زيان ابن السلطان أبي السعيد حفيد أبي تاشفين.	جبل وانشريس	761هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان، ص109.

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص ص180-181. وفي هذا الشأن يقول عبد الرحمن بن خلدون: «أن التنافس بين هؤلاء خفيا على الناس بما كان السلطان أبوهم-أي أبو حمو الثاني- يؤامل بينهم ويداري بعضهم عن بعض». ينظر: العبر، ج07، ص191.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص ص234-235.

أبو حمو الثاني	مُحَمَّد بن أبي سعيد	جبل ورنيد قرب تلمسان البطحاء المدية اصطفصيف مازونة	763هـ 765هـ 768هـ 768هـ 777هـ	المصدر نفسه، ص212. يحي بن خلدون، البغية، ج2، ص106-179-185-188-189-305. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص170-174.
أبو حمو الثاني	أبو تاشفين	الشلف تلمسان جبل ورنيد	789هـ 790هـ 791هـ	ع.بن خلدون، العبر، ج7، ص194-195. التنسي، نظم الدرر، ص181.
أبو تاشفين الثاني	أبو زيان بن أبي حمو	تلمسان	792هـ	ع.بن خلدون، العبر، ج7، ص196.
أبو زيان بن أبي حمو	يوسف بن أبي حمو	تلمسان	795هـ	المصدر نفسه، ص197.
عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن خولة	عمه السعيد	تلمسان	814هـ	التنسي، نظم الدرر، ص234.
السعيد بن أبي حمو	أخوه أبو مالك عبد الواحد بدعم مريني	تلمسان	814هـ	المصدر نفسه، ص235.
أبو مالك عبد الواحد	ابن الحمراء بدعم حفصي	تلمسان	827هـ	التنسي، نظم الدرر، ص241. الزركشي، تاريخ الدولتين، ص126.
أبو مالك عبد الواحد	ابن الحمراء	تلمسان	833هـ	التنسي، نظم الدرر، ص245.
أبو العباس احمد العاقل	أبو يحي بن أبي حمو	وهران	838هـ	المصدر نفسه، ص249.
أبو ثابت المتوكل على الله	أبو العباس أحمد العاقل	تلمسان	867هـ	المصدر نفسه، ص257.
	مُحَمَّد بن غالية	جبل ورنيد	868هـ	المصدر نفسه، ص258.

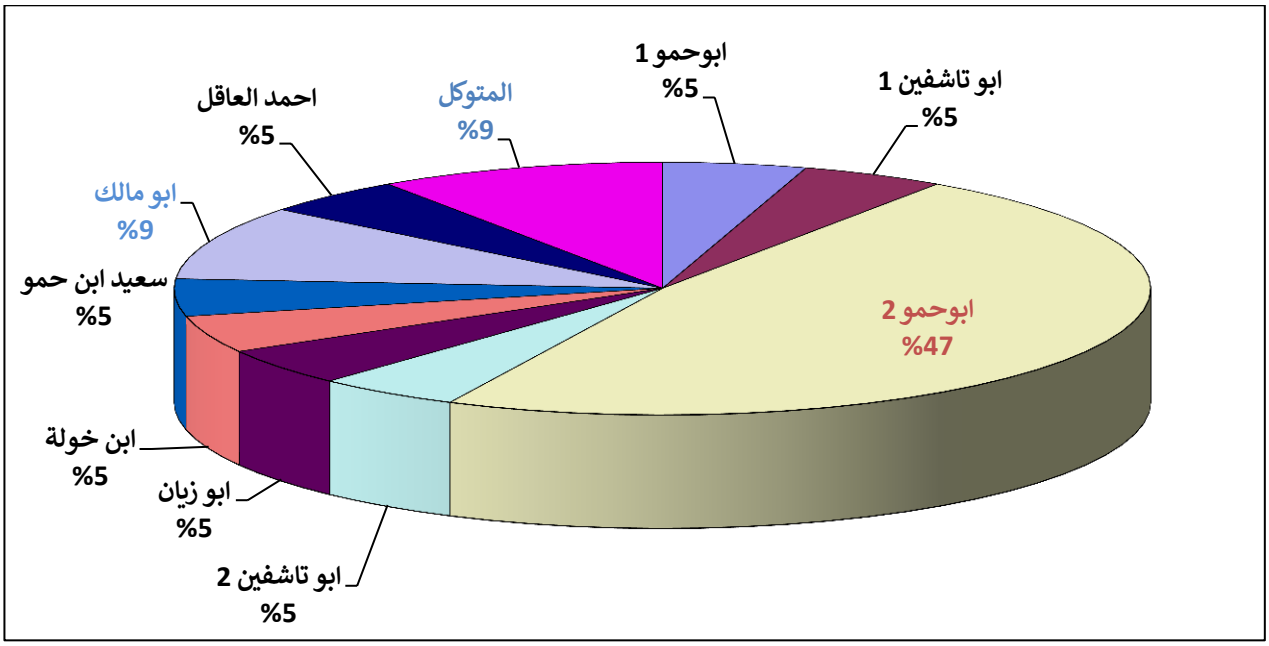

الرسم البياني 4: يمثل الصراعات والخلافات خلال فترات حكم سلاطين الدولة الزيانية

صفوة القول ومن خلال تتبعنا لهذه الصراعات الأسرية لاحظنا أن كل واحد كان يريد الاستئثار بالحكم لأن الملك كما قال ابن خلدون: «منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسانية»[1]، فهو يغري صاحبه بطلب المزيد من الغنائم، يضمن بها انخراط عناصر جديدة تساعده على الوصول إلى سدة الحكم، ولو تأملنا في كيفية صمود السلاطين نجد أن المعطى الاقتصادي وخاصة المال لعب دورا كبيرا في صد الخصوم، فكثيرا ما ترددت في مصادر المرحلة عند تحرك كل أمير أو متمرد عبارة "وبذل الأموال"[2]، وأبو حمو في وصيته لابنه جعل المال من أولويات الحكم حين قال: «به تسهل الأمور الصعاب وتنال الرغائب وتنجو به من المصاب»[3]، وعليه فإن تحركات السلطة الحاكمة ضد المعارضة كانت مكلفة، مهلكة لمال الدولة أكثر مما كانت جامعة له.

02- الصراع الزياني مع القبائل البربرية :

[1] - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص127.

[2] - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص164.

[3] - أبو حمو الثاني، المصدر السابق، ص62.

شهدت دولة بني عبد الواد محنا كثيرة وصعابا جمة على جميع الجبهات الداخلية والخارجية، فعلى الصعيد الداخلي كان الجو مشحونا ومتوترا بينها وبين بعض القبائل البربرية المتمثلة في (توجين[1]، (توجين[1]، ومغراوة، وبني راشد و صنهاجة)، حيث كانت كل قبيلة ترى نفسها الأحق بحكم المنطقة وتكوين إمارة خاصة فيها تكون غير خاضعة لقبيلة أخرى[2]، لأنها كانت تدرك أن الإتاوة والمغرم الذي تؤديه للطرف الغالب والمنتصر، التعبير الوحيد الذي يمكن التمييز من خلاله بين القبيلة المنتصرة السائدة، والقبيلة المنهزمة المسودة[3].

وأمام هذا الوضع أرسل يغمراسن بعثة دبلوماسية إلى الخليفة الموحدي عبد الواحد الرشيد بن المأمون (630-640هـ/1232-1242م)، يذكره فيها بأنه: «سيسالم من يسالمه ويعادي من يعاديه»[4]، يعاديه»[4]، فرد عليه الخليفة بالقبول والرضا، فوضع بذلك حدا لأطماع القبائل المنافسة له من زناتة وأبناء عمومته في المنطقة. وقد عبر ابن خلدون عن هذه المعارضة بقوله: «استقل يغمراسن بن زيان بأمر تلمسان والمغرب الأوسط، وظفر بالسلطان، وعلا كعبه على سائر أحياء زناتة، نفسوا عليه ما أتاه أتاهالله من العز وأكرمه بالملك، فنابذوه العهد وشاقوه الطاعة، وركبوا له ظهر الخلاف والعداوة»[5]، فبدأ بإخضاع الخارجين على تلمسان، فأخضع بني مطهر وبني راشد وتوجين ومغراوة، ومصمودة، ومغيلة، وبني يفرن، وبني واسين، وهوارة، وأولاد منديل، وبني ورنيد، وغيرها من القبائل الأخرى، التي قبل بعضها أداء الإتاوة الحربية لتلافي الاكتساح الزياني وشراء سلمهم مثل بني راشد، الذي كان «يقدم خمسة وعشرين ألف مثقال ويمده بنفس العدد من المقاتلين بين راجلين وراكبين»[6]، وبني ورنيد الذي كان «يقدم اثني عشر ألف مثقال في السنة لمملكة تلمسان»[7]، وفضل البعض الآخر دفعها

[1]- يقول الوزان أن سكان جبل ونشريس موطن قبيلة توجين حاربوا ملوك تلمسان عدة مرات، ودامت الحرب أكثر من ستين عاما بسبب مساندة ملوك فاس. ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج02، ص45.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص62. الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج02، ص443.

[3]- الجابري، العقل السياسي العربي، ص ص125-126.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص164. التنسي، المصدر السابق، ص116.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص164.

[6]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص27. مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص325.

[7]- المصدر نفسه، ج02، ص44.

مرغما بعد قتال مثل توجين ومغراوة حيث «استعبد أحرارهم واستغرم عن يد وهم صاغرون أموالهم»[1] حتى أنه بلغ عدد غزواته ضد القبائل ما تقارب اثنين وسبعين غزوة[2].

ولو تأملنا جيدا في السبب الذي جعل العلاقات فاترة بينهما في عمومها، والعداء الشديد في أغلب الأحيان فإنها تعود إلى الأيام الأولى التي قدم فيها بنو عبد الواد إلى سهول تلمسان واحتلوها، وصاروا ينعمون بحكم الولاية، فتحصلوا بذلك على أحسن ما في الغنيمة وهي السلطة وامتلاك الأراضي الخصبة[3] الواقعة بين البطحاء شرقا ونهر ملوية غربا، وهي كلها أراض تتاخم مواطن بني توجين في الجنوب وتحادي ممتلكات مغراوة في الشرق[4]، فربما التماس الجغرافي الموجود بينهما، هو الذي أشعل فتيل الحرب بينهما، كون بني عبد الواد كانوا يحاولون بسط نفوذهم على كل المغرب الأوسط وبني توجين كانوا يرفضون الخضوع، والذي قد يكون سببه اقتصاديا محضا كون السيطرة على هذه المناطق يعني الحصول على مناطق رعوية وزراعية جديدة للمتغلب وبالتالي فرض ضرائب جديدة[5]، بينما المنهزم يكون خاسرا لهذه المناطق ومن ثم يعاني الإقصاء وربما عليه الفرار إلى مناطق قاحلة والمقصود هنا الصحراء[6]. أما السبب الثاني فهو نفسي كون قبائل (مغيلة، ومغراوة، وبني يفرن، وتوجين) كانت ترى نفسها أحق من بني عبد الواد في رئاسة المغرب الأوسط لأن ملكها فيها أعرق ورئاستها له كانت أقدم، فكانوا ينظرون إلى بني عبد الواد النازحين الجدد نظرة المنافس والخصم المزاحم[7].

ولو أخذنا بعض النماذج عن الصراع الزياني مع هذه القبائل، نجد أن السلطان عثمان بن يغمراسن بعد تولي الحكم سنة (681هـ/1283م) تحرك شرق المملكة لإخضاع القبائل الثائرة عليه، حيث قتل ابن عبد القوي ملك توجين وانتزع ونشريس وصادر أمواله، وانتزع ونشريس والمدية من

---

[1]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص ص115-116.

[2]- التنسي، المصدر السابق، ص128. ابن خلدون، العبر، ج07، ص79، ص81، ص87.

[3]- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ص16-17.

[4]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو حياته وآثاره، ص13. الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج02، ص ص467-471.

[5]- قام يغمراسن سنة 672هـ/1273م بالهجوم على تنس وهي إحدى معاقل مغراوة، بما تمثله من ثقل تجاري خصوصا أنها تتوفر على ميناء مواجه للموانئ الأندلسية، وقد أمكنه منها ثابت بن منديل مقابل اثني عشر ألف دينار. عبد الحميد حاجيات، دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والغرب الإسلامي، ج01، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، ص32.

[6]- عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص100.

[7]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج01، ص18.

أيديهم، وأخذ من أيدي مغراوة مازونة وتنس وبرشك، وفر ملكهم ابن ثابت بن منديل في البحر[1] «فانتسف نعمها وحكم زرعها»[2]، ثم نزل بجاية وقطع جناتها وحرق قراها[3]، واستمر في هذه السياسة إلى أن انتظم المغرب الأوسط كله وبلاد زناتة الأولى[4].

ولا مناص من القول أن القبائل الزيانية في تحركاتها نحو هذه الأقاليم الشرقية كانت تحمل معها نساءها وأطفالها وأموالها وأغراضها مما يعني أن الغنيمة التي تستهدف لم تقتصر فقط على الأموال والأنفال، بل كانت تهتم أيضا بالأرض والمرعى بمائها وكلأها مثلما قام به أبو يعقوب ابن أبي حمو موسى الثاني عندما فتح الشلف ومليانة والمدية والجزائر التي اختارها أن تكون مقرا لولايته[5]، خاصة وأنها كانت تقدم خراجا سنويا لمملكة تلمسان[6].

ومما لا شك فيه أن هذه القبائل تحالفت في العدد من المرات مع الدولة المرينية ضد الدولة الزيانية الزيانية سنة (670هـ/1272م)، وموقعة (680هـ/1281م)، وسنة (683هـ/1284م)[7]، وأثناء الحصار الطويل على تلمسان سنة (698هـ/1298م)[8]«حيث قطعوا الثمار، ونسفوا الآبار، وخربوا الربوع، وأفسدوا الزروع، ولم يدعوا بتلك الجهات قوت يوم حاشا السدرة والدوم»[9]، كما ساعدت أبا بكر الحفصي في غزوه لتلمسان سنة (639هـ/1241م)[10]، والتدخل في الخلافات على الحكم داخل الأسرة الزيانية بين السلطان أبي حمو الأول وابن عمهمُحَمَّد بن يوسف بن يغمراسن سنة (718هـ/1318م)[11]. (718هـ/1318م)[11]. فالتخريب وتدمير البنى الاقتصادية وتحطيم الإنتاج ووسائله هي سمة حروب المرحلة آنذاك.

---

[1]– التنسي، نظم الدر، ص128. يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص118. ابن خلدون، العبر، ج07، ص192.
[2]– عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج02، ص153. الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج02، ص468.
[3]– التنسي، المصدر السابق، ص128.
[4]– يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص ص118–119. التنسي، المصدر نفسه، ص129.
[5]– التنسي، المصدر السابق، ص185.
[6]– الوزان، المصدر السابق، ج02، ص38.
[7]– الناصري، الاستقصا، ج03، ص33.
[8]– ابن خلدون العبر، ج07، ص125 وما بعدها. يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص121. التنسي، المصدر السابق، ص130.
[9]– ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص132.
[10]– التنسي، المصدر السابق، ص118. يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص302.
[11]– عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص102.

وحصيلة القول أن الغنيمة كانت المحفز الأول لهذه التحركات، لأنَّ النصر يغري بمزيد من الغنائم (أموال وذخائر)، تساعدها بشكل جلي في تغذية تحركاتها، والدفع بها نحو التفكير في مغالبة أعدائها التقليديين، لذا نجد كثيرا ما ترددت عبارة «إلى أن ظهروا بالمراد فيهم استئصالا للأموال والأنفس»، أو «فأخذه عنوة واستأصل نفوسهم وأموالهم»، أو «بما استحوذ عليه من الجبايات»[1]، مما جعل قبيلة بني عبد الواد تشهد تحولا في المستوى المعيشي من شظف العيش إلى خصوبته، خاصة وأن الضرائب التي فرضتها على هذه القبائل تجاوزت حد الكفاف بكثير إلى حياة الترف والبذخ.

الجدول 23: يمثل عدد المواجهات العسكرية من القرن 07هـ الى القرن 09هـ.

عدد المواجهات العسكرية من القرن السابع هجري الى القرن التاسع هجري		
القرن07هـ/13م	القرن08هـ/14م	القرن09هـ/15م
25 مواجهة	24 مواجهة	08 مواجهات

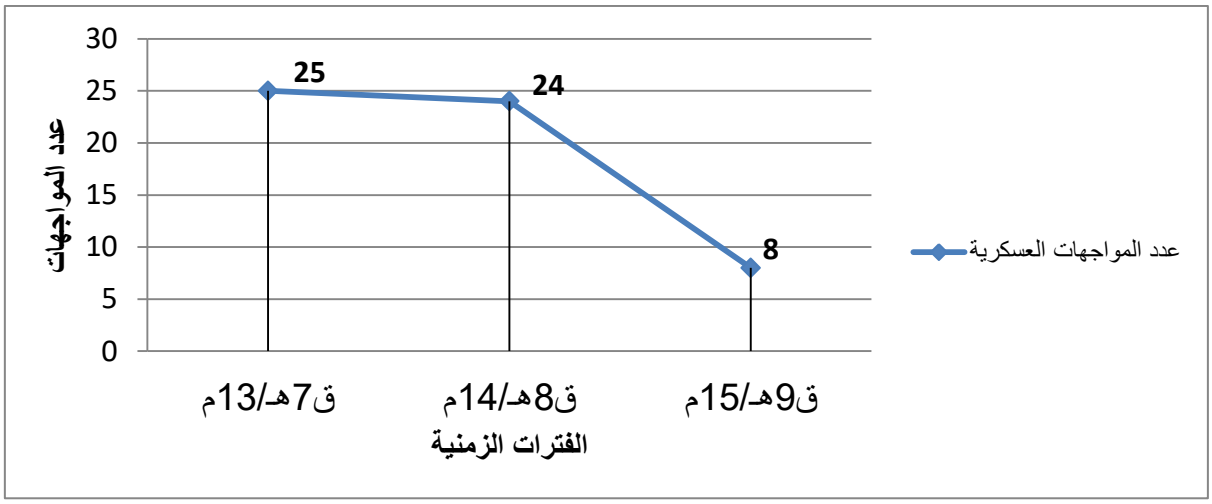

المنحنى البياني1: يمثل عدد المواجهات العسكرية من القرن 07هـ الى القرن 09هـ.

نلحظ من خلال هذا المنحنى البياني ن المواجهات الزيانية مع القبائل البربرية زادت حدتها خلال القرنين السابع والثامن هجريين 13م/14م بسبب سياسة التآمر الممارسة من طرف هذه القبائل مع دول الجوار كالحفصيين والمرينيين والاستغاثة بهم لوقف توسع بني عبد الواد على مجالهم الجغرافي خوفا

[1] – يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص115، ص116، ص125، ص126، ص134.

من فقدان مصالحهم الاقتصادية كالأراضي الزراعية والرعوية وجباية الضرائب، ولكن مع مطلع القرن التاسع هجري 15 م قلّت حدة هذه المواجهات بسبب الضعف الذي دب في المنطقة بشكل عام.

الجدول 24: يمثل المواجهات العسكرية لأبرز أمراء الدولة الزيانية مع القبائل البربرية:

الأمير	عدد المواجهات	الأمير	عدد المواجهات
يغمراسن	12	أبو سعيد وأبو ثابت	07
عثمان بن يغمراسن	14	أبو حمو الثاني	10
أبو زيان	01	المستعين	03
أبو حمو الأول	06	المتوكل	05

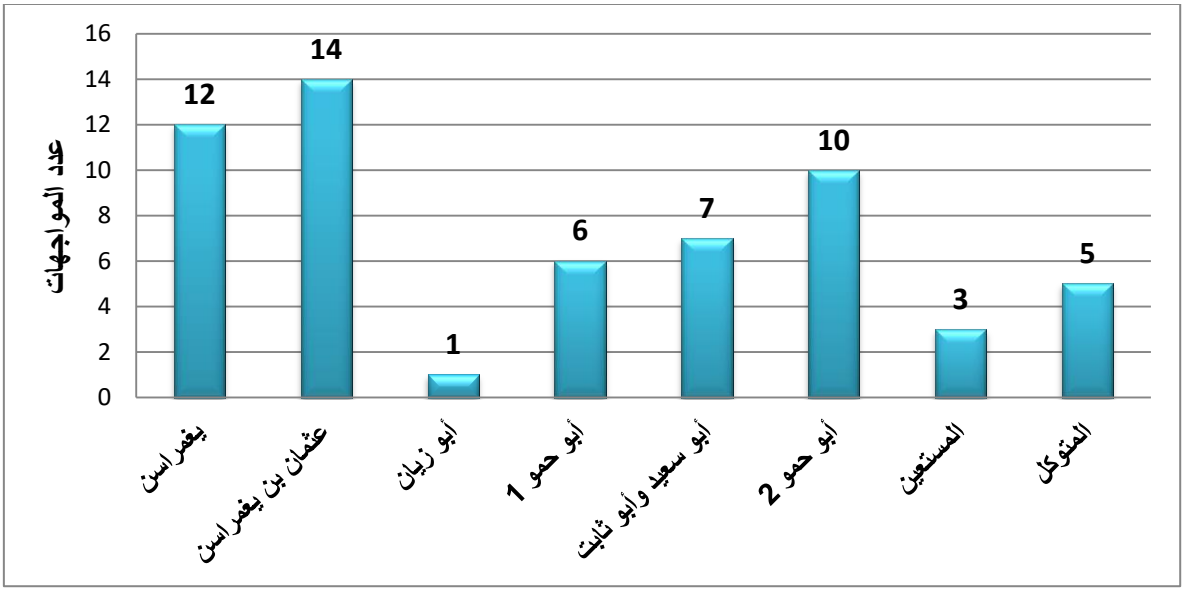

الرسم البياني5: يمثل المواجهات العسكرية لأبرز امراء بني زيان ضد القبائل البربرية.

نستنتج من خلال هذا الرسم البياني أن المواجهات العسكرية لأمراء الدولة الزيانية مع القبائل البربرية تفاوتت من مرحلة إلى أخرى، حيث نلحظ أنها استفحلت خلال فترة حكم الأمراء الأوائل أي من 1235م إلى غاية 1318م وهي فترة نهاية حكم أبو حمو الأول حيث وصلت حوالي 37 مواجهة بسبب وصية يغمراسن لولي عهده بالتوسع شرقا لأجل إخضاع تلك القبائل والسيطرة على ثرواتها من جهة وتأديبها بسبب تآمرها مع المرينيين على وجه الخصوص، بينما المرحلة الثانية من 1318م إلى غاية عهد المتوكل (1462م-1485م) قلت المواجهات، إذ وصلت حوالي 25 مواجهة بسبب الحصارات المتكررة التي ضربت على المغرب الأوسط مما عطل توسع بني الواد على جيرانهم من القبائل البربرية، ضف إلى كذلك انشغال بعض الأمراء بالصراعات الأسرية حول مقاليد الحكم.

الجدول 25: بعض المواجهات العسكرية بين الدولة الزيانية والقبائل البربرية:

الأمير	الخصم	المجال	السنة	المصدر
يغمراسن بن زيان	توجين ومغراوة بنو مطهر، وبنو راشد	توجين ومغراوة.	633هـ	ابن خلدون، العبر، ج7، ص106-107.
	أولاد عباس، أولاد منديل، بنو توجين		645هـ	المصدر نفسه، ص109.
	بنو توجين	بنو توجين	647هـ	المصدر نفسه، ص117.
	بنو توجين	حصن تافركينت	650هـ	المصدر نفسه، الصفحة نفسها
	بنو توجين	بلاد بني توجين	657هـ	المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
	مغراوة	مليانة	668هـ	المصدر نفسه، ص118.
	مغراوة	تنس	672هـ	المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
	بنو توجين	بلاد بني توجين	680هـ	المصدر نفسه، ص117.
	مغراوة	تنس	681هـ	المصدر نفسه، ص118.
	توجين	بلاد بني توجين	681هـ	مؤلف مجهول، فصل الخطاب، ص114-115.
عثمان بن يغمراسن أبو زيان	مغراوة	برشك	684هـ	ابن خلدون، العبر، ج7، ص133
	مغراوة	تنس	688هـ	نفسه، ص123-124، البغية، ج1، 230.
	توجين	حصن تافرجينت	686هـ	التنسي، نظم الدر، ص129.
	توجين	وانشريس	687هـ	ي.ابن خلدون، البغية، ج1، ص230.
	توجين	قلعة بني سلامة	687هـ	ابن خلدون، العبر، ج7، ص124.
	مغراوة	متيجة	688هـ	المصدر نفسه، ص123.
	توجين	المدية	688هـ	المصدر نفسه، ص124.
	مغراوة	بلاد مغراوة	689هـ	المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
	توجين	بلاد توجين	690هـ	ي.ابن خلدون، البغية، ج1، ص230.
	مغراوة	برشك	693هـ	المصدر نفسه، ص230-231، العبر،ج7،ص124.
	البربر	رباط تاسكدلت	695هـ	ابن خلدون، العبر، ج7، ص126
	بنو يدللتن توجين	قلعة بني سلامة	697هـ	المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
أبو زيان	مغراوة	الشلف	706هـ	نفسه، ص130.البغية، ج1، ص234.
أبو حمو موسى الأول	بنو توجين	تيفرجينت	710هـ	ي.ابن خلدون، البغية، ج1، ص235.
	مغراوة	الشلف	714هـ	ابن خلدون، العبر، ج7، ص137.
	مغراوة	جبال بني بوسعيد	714هـ	المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
	بنو توجين	نهل، المدية، مليانة	717هـ	المصدر نفسه، ص138-139.
	مصمودة	بلاد كومية	749هـ	نفسه، ص156.

أبو السعيد	مغراوة	واد ارهيو	750هـ	نفسه، ص157-158. البغية، ج1، ص260
	مغراوة	المدية	751هـ	نفسه، ص158-159، البغية، ج1، ص261.
	مغراوة	مغراوة، المدية، مليانة، برشك، شرشال	752هـ، 753هـ	العبر، ج7، ص160. البغية، ج1، ص، 262، 264. التنسي، نظم الدر، ص153.
أبو حمو موسى الثاني	مغراوة	أطاران وفاطيس، جبل زاتيمة، جبل وانشريس، تنس.	761هـ	ي.ابن خلدون، البغية، ج2، ص75-76.مؤلف مجهول، زهر البستان، ص112.
	مغراوة	تنس	762هـ	البغية، ج2، ص81. زهر البستان، ص115.
	مغراوة	مازونة، جبل بني يليست	774هـ	ي.ابن خلدون، البغية، ج2، ص262،259
	مغراوة	بلاد مغراوة، جبل تيمزوغت	775هـ	نفسه، ص267-268.
	مغراوة	جبل تيمزوغت، المدية، تنس، مليانة	776هـ	نفسه، ص286-287. التنسي، نظم الدر، ص251.
المستعين	مغراوة	متيجة، المدية، تنس	قبل 843هـ	التنسي، نظم الدر، ص251.
مُحَمَّد المتوكل	بنو راشد، هوارة	وطن بنو راشد، وطن هوارة	866هـ	التنسي، نظم الدر، ص254.
	مغراوة	تمزغران، وهران، مستغانم	866هـ	المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

واستخلاصا لما سبق أن المصلحة الذاتية لكل قبيلة كانت تطغى على روابط الدم والعقيدة، غير أن تفوق بني عبد الواد على هذه القبائل الثائرة في العديد من المرات جعل منها القبيلة المهيمنة المحتكرة لثمرات الملك ولكل ما هو جاهز، بما في ذلك السلطة السياسية، حيث أقصت جميع فئات المجتمع الأخرى إما طوعا أو كرها، مما جعلها تستبد بالحكم، وهذا الانفراد بالسلطة يعتبر سمة من سمات دول اقتصاد المغازي، أو اقتصاد الحرب.

03- الصراع الزياني مع القبائل العربية:

لقد أحسَّ بنو زيان منذ الوهلة الأولى أنه لا يمكن أن يتحقق لهم وجود وسيطرة على العاصمة تلمسان إلاَّ بمحالفة القبائل العربية التي استقرت بالمغرب الأوسط، ورغم تأرجح مواقفها بين السلب والإيجاب، والمساندة والمساعدة، والغدر والطعن من الظهر[1]، والثقة التي تكاد تكون منعدمة، والفاصل فيها دوما هو العنف والقوة والقهر، التي تلجأ إليها الدولة بضرب القبائل بعضها البعض، وعند الضعف ولأجل ضمان ولائها تلجأ إلى منحهم إقطاعات وإعفائهم من الإتاوات والمغارم[2].

لم تتفق القبائل العربية في نظرة موحدة للدولة الزيانية، بل اختلفت نظرة كل قبيلة حسب مصلحتها، فنلحظ أن يغمراسن لما خشي على دولته من زغبة حجرهم بالصحراء وأذلهم بالمغرم والعسكرة في جنده واستمروا على ضعفهم المالي والسياسي مدة طويلة[3]، ونفس الشيء قام به السلطان أبو حمو الأول حين جهز عساكره بقيادة ابن عمهمُحَمَّد بن يوسف بن يغمراسن ووجههم إلى إلى متيجة فانقضوا على الثعالبة فخربوا قصورهم وحطموا ديارهم وقضوا على أكثريتهم[4]. كما كان لابنه أبي تاشفين الأول مواجهات مع قبيلة رياح في المغرب الأوسط بعد أن شعر أنها تقدم العون والمساعدة لمحمد بن يوسف بن يغمراسن الثائر ضد السلطان في منطقة القبائل سنة (718هـ/1319م) «وزحف إلى الشرق فأغار على أحياء رياح وهم بوادي الجنان وصبح أحيائهم فاكتسح أموالهم»[5]

---

[1]- مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص131.

[2]- بوزياني الدراجي، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، مؤسسة بوزياني للنشر، الجزائر، 2013م، ص240.

[3]- الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج02، ص373.

[4]- يقول ابن خلدون أن أبا حمو تتبع إخوانه وعشيرته بالقتل والسبي إلى أن اندثروا. ينظر: العبر، ج6، ص ص54-65. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج02، ص134.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص107.

،كذلك هاجم السلطان أبو ثابت قبيلة حصين[1]، وعدد كبير من عرب السويد والديالم والعطاف والحرث وعرب الثعالبة في غرب المغرب الأوسط سنة(752هـ/1351م) بعد أن شعر بتقديمها الدعم للمرينيين ضده[2].

وبطبيعة الحال فإن هذه القبائل العربية استغلت في العديد من المرات الصراع بين الأسرة الزيانية، الزيانية، وكانت سببا في انفصال أقاليم الدولة، ونستدل على ذلك، أنهم قاموا بتنصيب أبي حمو الثاني (760هـ/1359م) من قبل قبائل بني عامر والدواودة، وقيام بني عريف بتنصيب أبي تاشفين (718هـ/1318م)، وأبي عبدالله المستعين الذي قال في شأنه التنسي: «فلما وصل الوطن بايعه أولاد بليل ومليكش وبنو عمر وموسى وجمهور الثعالبة وحصين»[3].

و لا يفوتنا أن ننوه بالدور الإيجابي لهذه القبائل في العديد من مراحل ضعف الدولة، من خلال التضامن مع سلاطين تلمسان حين يتهددهم أي خطر خارجي، فيلجؤون إلى استقدام هذه القبائل و اصطناعهم، ومنحهم إقطاعات، ثم الاستعانة بهم في صد هجمات الخصوم[4]، و هو ما قام به يغمراسن عندما كثر عبث قبائل المعقل وفسادهم في وطنه، استقدم قبائل بني عامر من محلاتهم بصحراء بني يزيد وأنزلهم في جواره بصحراء تلمسان و تبعتهم حميان من بطون بني يزيد لكي يكونوا سدا منيعا بينه و بين قبائل المعقل[5]، وزادت ثقته بشيوخ القبائل لدرجة أن يغمراسن كان يترك أحد مشايخ العرب يتولى أمر العاصمة أثناء خروجه في حملات خارج البلاد[6]. كما منح ابنه عثمان سنة (687هـ/1289م)إدارة جبل و نشريس إلى قبيلة جشم العربية بدل قبيلة توجين البربرية[7]، و

---

[1]- يقول عبد الرحمن بن خلدون: «تعتبر قبيلة حصين من أشد الناقمين على السلطة الزيانية بسبب إلزامهم بالإتاوات والصدقات لذلك رحبوا بكل غاز أو ثائر». ينظر، العبر، ج6، ص41.

[2]- المصدر نفسه، ص ص119-285. يحي بن خلدون، البغية، ج1، ص156. السلاوي، الاستقصا، ج3، ص ص171-172. مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، ص183. بوعقادة عبد القادر، مقاربات في تاريخ المغرب الأوسط، دار الخلدونية، الجزائر، ط1440هـ/2019م، ص91.

[3]- التنسي، المصدر السابق، ص250.

[4]- أمين كرطالي، سلطة شيوخ القبائل العربية في المغرب الأوسط، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر02، 2018/2017م، ص209.

[5]- مُحَمَّد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج01، ص71.

[6]- مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص146.

[7]- الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج02، ص373.

كذلك أبو حمو لما سير جيش عبد بن مسلم لفتح الجهات البجائية «فوض له أمر تلك البلاد، وأن ما أمضاه عنه ليس له من راد»[1]، وكذلك دور قبائل زغبة في صد زحف أبي سالم المريني على تلمسان سنة (761هـ/1360م)[2].

وبما لا يدع مجالا للشك فإن دفاع هذه القبائل عن المغرب الأوسط هو في الواقع دفاع عن امتيازاتها، ومصالحها من الضياع كما قال أحد الباحثين[3]، حيث استبدوا بجباية زناتة، وجباية الطرقات[4]، من خلال ممارسة سياسة الحرابة، وخاصة على المسالك المؤدية إلى السودان مما أدى إلى توقف تجارة الذهب[5]، والاستيلاء على الأراضي الخصبة خاصة في مرحلة ضعف الدولة، حتى أضحوا في رغد من العيش وسعة من السلطان، بلغوا من العزة والقوة مبلغا سما بهم إلى قمة الغرور والطغيان والبطش[6] قد عبر عنها ابن خلدون بقوله: «ما شرحناه مرارا من تغلب العرب على الضواحي والكثير من الأمصار، وتقلص ظل الدولة عن القاصية وارتدادها على عقبها إلى مراكزها بسيف البحر، وتضاؤل قدرتها على قدرتهم، وإعطاء اليد في مغالبتهم ببذل رغائب الأموال وإقطاع البلاد والنزول عن الكثير من الأمصار، والقنوع بالتغريب بينهم وإغراء بعضهم ببعض»[7]، حيث فرضت قبيلة بنو مالك سيطرتها على ضواحي غليزان[8]، واستحوذت قبائل العطاف على نواحي مليانة[9]، وذي منصور

---

[1]- مؤلف مجهول، زهر البستان، ص117.

[2]- مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص144.

[3]- يقول الوزان: «كانت المملكة تحقق سنويا ثلاثمائة ألف وحتى أربعمائة ألف دينار، نصفه ينفق على الأعراب». ينظر: المصدر السابق، ج02، ص23. يقول مقلد الغنيمي: «لقد اتبعت معهم سياسة منح الهدايا، وبذل الأموال والإغراء المادي والسخاء في البذل وأكياس الذهب والفضة وإقطاع الإقطاعيات وغيرها من الأساليب، وكان المال من أحسن الأساليب للسيطرة على هذه القبائل». ينظر: المرجع نفسه، ص131.

[4]- يقول كاربخال:« كانوا غير تابعين لأحد يتقاضون من ملوك تلمسان رواتب ليحافظوا على أمن البلاد وإذا شاءوا ثاروا وانضموا إلى من يؤدي لهم أحسن ثمن». ينظر: المصدر السابق، ج2، ص292.مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج01، ص55.

[5]- محمود إسماعيل عبد الرازق، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص1210.

[6]- عبد الله علام، المرجع السابق، ص235. محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع نفسه، ص1225.

[7]-عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص186.

[8]- يقول ابن خلدون:«كان بنو مالك بن زغبة لهذا العهد يدفعون إتاوات على بلد سيرات ومدينة البطحاء وهوارة».ينظر:العبر: ج6،ص101.

[9]- يقول عبد الرحمن بن خلدون: «استولى العطاف على نواحي مليانة والديالم، فأخذوا المغارم على جبل دراك وما إليه من وادي شلف». ينظر: العبر، ج6، ص101.

على التلول ونواحي تلمسان[1]، وغيرها من القبائل الأخرى، فكان نفوذ هذه القبائل يتحدد حسب قوة أو ضعف السلطة الزيانية، والتي لم تتمكن من الاستغناء عن دعمهم لمواجهة خصومها في الداخل والخارج مقابل الحصول على امتيازات واسعة.

ولا مناص من القول أن هذه القبائل أصبحت في الحقيقة حكومات موازية للدولة إن صح التعبير، حيث مارست حرب اقتصادية على سكان رغم فقرهم مثلما مورس على سكان أنجاد بوجدة، وقد علق على ذلك الحسن الوزان أنهم كانوا « فقراء لأنهم يؤدون الخراج إلى ملك تلمسان وإلى الأعراب المجاورة لهم بمفازة أنجاد»[2] ،كما كانت هذه الأموال المسلوبة من السكان سببا في الانهيار الاقتصادي للدولة الزيانية، لكونها لم تكن تذهب لخزينة الدولة، ولا تصرف في تقوية الجيش وتحسين ثغور الدولة لمواجهة الأخطار الخارجية، بل أغلبها كانت تستعمل في الترفيه على الأمراء والسلاطين وشراء ولاء شيوخ القبائل العربية[3].

الجدول 26: المواجهات العسكرية بين الدولة الزيانية والقبائل العربية:

القرن 07هـ/13م	القرن08هـ/14م	القرن09هـ/15م
مواجهة واحدة (01)	17 مواجهة	مواجهتين (02)

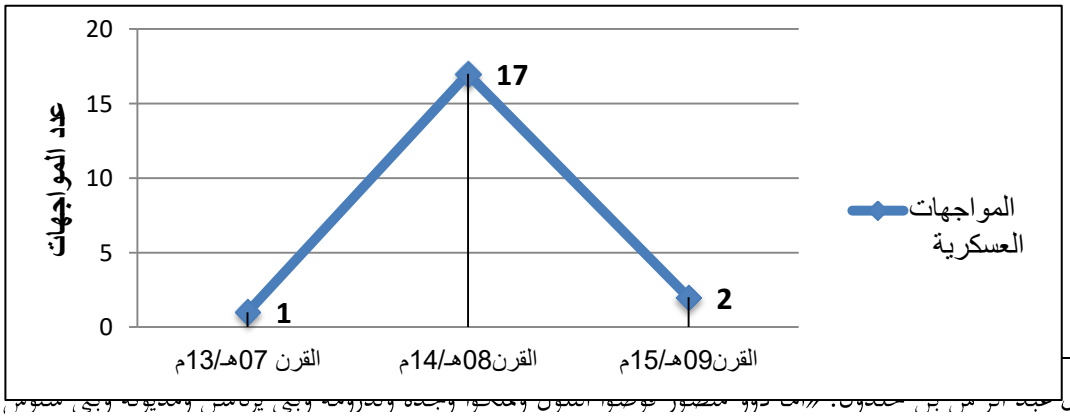

المنحنى البياني 2: يمثل المواجهات العسكرية الزيانية مع القبائل العربية

[1]- يقول عبد الرحمن بن خلدون: «ما دام ملك السلطان ومكانه وجنده والمدافعة عنه يحتاج إلى إقطاعا من

[2]- الوزان، المصدر السابق، ج2، ص114. وأورد المصدر السابق، ج2، ص102.

[3]- وفي هذا الشأن يقول الونشريسي الذي عاصر أواخر القرن09هـ/15م، فأورد مجموعة من النوازل تتعلق بهذا الموضوع قائلا: «توظيف الخراج في عصرنا هذا إخراجه ظلم محض فإنجاد الجند لو استوفت جبايتهم ووزعت على الكافة تكفيهم برهة من الزمن وقدرا صالحا من الوقت وقد تسامح بنعمهم وترفههم في العيش وتبذيرهم للأموال على وجوه العمارات فكيف يقدر احتياجهم لتوظيف خراج لإمدادهم ورفاهيتهم وخاصة أغنياء الدهر فقراء بالإضافة اليهم بقية الناس لو قدرنا إماما مطاعا مفتقرا إلى تكثير الجند لسد الثغور وحماية الملك فالإمام يمكن أن يوظف على الأغنياء ما يراه كافيا لهم في الأموال». ينظر، الونشريسي، المعيار، ج06، ص151. مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج02، ص106.

نلحظ من خلال هذه الأعمدة البيانية أن المواجهات العسكرية بين الدولة الزيانية والقبائل العربية بلغت ذروتها خلال القرن الثامن هجري 14م مقارنة بالقرنين 07هـ/13، والقرن 09هـ/15م بسبب تنامي نفوذ هذه القبائل العربية، حتى أصبح منصب السلطان يتحدد بمدى قوة ونفوذ هذه القبائل ومساعدتها، وكذا تحكمهم في الطرق والمسالك التجارية الواصلة بين المدن، مما جعل الدولة ترضخ لهم بالاصطناع أحيانا وبالمواجهة العسكرية أحيانا أخرى.

الجدول 27: المواجهات العسكرية لأبرز أمراء الدولة الزيانية مع القبائل العربية:

الأمير	عدد المواجهات	الأمير	عدد المواجهات
عثمان بن يغمراسن	01	أبو سعيد وأبو ثابت	03
أبو زيان	01	أبو حمو موسى الثاني	11
أبو حمو موسى الأول	01	أبو مالك عبد الواحد	01
أبو تاشفين الأول	01	المستعين	01

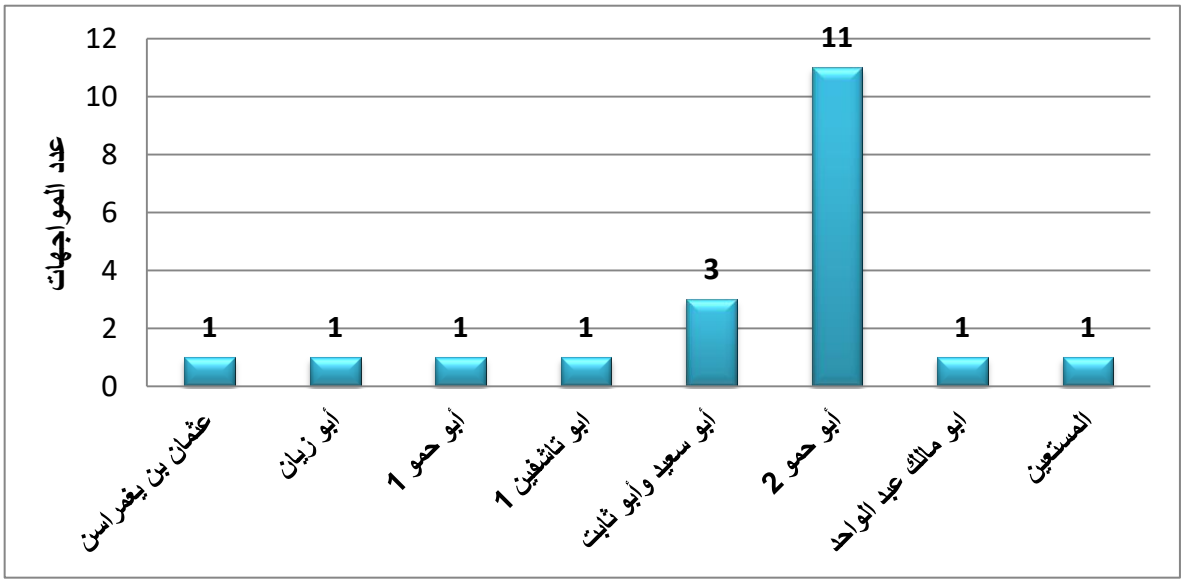

الرسم البياني 6: يمثل المواجهات العسكرية لأبرز أمراء الدولة الزيانية مع القبائل العربية.

نستنتج من خلال هذا الرسم البياني أن المواجهات العسكرية بين أمراء بني عبد الواد والقبائل العربية اشتعل فتيلها منذ العهود الأولى للدولة الزيانية، لكنها بلغت ذروتها في عهد أبي حمو موسى الثاني بسبب ضعف السلطان وحاجته الشديدة لدعمها له ضد منافسيه وأعدائه، فأخذت تتمادى في محيط تلمسان والمغرب الأوسط خاصة خلال النصف الثاني من القرن الثامن هجري 14م.

الجدول 28: المواجهات العسكرية خلال فترة أمراء الدولة الزيانية:

الأمير	الخصم	المجال	السنة	المصدر
عثمان بن يغمراسن	قبائل زغبة- العطاف- الزواودة.	تغالين	696هـ	التنسي، نظم الدر، ص130. البغية، ج1، ص231. العبر، ج7، ص124-125.
أبو زيان	السويد والديالم	السرسو	706هـ	ابن خلدون، العبر، ج7، ص130.
أبو حمو موسى الأول	مليكش	متيجة	712هـ	ي.بن خلدون، البغية، ج1، ص236.
أبو تاشفين الأول	قبائل رياح	بلاد حمزة	719هـ	نفسه، ص239. العبر، ج7، ص143.
أبو سعيد وأبو ثابت	قبائل حصين	جبل حصين	751هـ	ابن خلدون، العبر، ج7، ص159.
	الثعالبة	جبل بني أبي خليل الجزائر	753هـ	ي.بن خلدون، البغية، ج1، ص264.
أبو حمو موسى الثاني	أولاد عريف وادي ملال ريغ، وارجلاء		759هـ	نفسه، ج2، ص21. مؤلف مجهول، زهر البستان، ص37. التنسي، نظم الدر، ص158.
				مؤلف مجهول، زهر البستان، ص30.
	سويد	السرسو	761هـ	ي.بن خلدون، البغية، ج1، ص75.
	أولاد حصين	جبل تيطري	769هـ	التنسي، نظم الدر، ص251.
	زغبة	ذراع الوسط، جبل جزول	773هـ	ي.بن خلدون، ج2، ص242.
	بنو عامر	ملاتة-تل بني راشد	774هـ	ي.بن خلدون، ج2، ص261.
	بنو عامر	قلعة هوارة	777هـ	ابن خلدون، العبر، ج7، ص182.

	بنو عامر	جبال حصين	778هـ	نفسه، ص184.
	الثعالبة	حصن متيجة	778هـ	نفسه، ص185.
أبو مالك عبد الواحد	الثعالبة	الجزائر	814هـ	التنسي، نظم الدر، ص236.
المستعين	الثعالبة	متيجة	بعد841هـ	نفسه، ص251.

وخلاصة القول أن علاقة الدولة الزيانية بالقبائل العربية تأرجحت بين مساندة الدولة والتضامن معها عند الحاجة والمشاركة في إحيائها بعد الانهيار، وبين الانقلاب عليها ومساندة أعدائها تارة أخرى والخروج على شرعية الدولة، هذا التناقض في المواقف أدى إلى استرقاق القبائل المهزومة، والاستيلاء على أراضيها، وإرهاقها بالإتاوات، وبهذه المعطيات ترسخت السلطة المادية لشيوخ القبائل العربية، حتى أنه مع بداية النصف الثاني من القرن 8هـ/14م، أصبحوا لا يكترثون لأي أحد لأن الموارد الأساسية التي تقوم عليها قوة الدولة ومتانة اقتصادها أصبحت بأيديهم.

04- الصراعات الزيانية الحفصية:

لقد شهدت العلاقة بين الدولتين (الزيانية و الحفصية) منذ قيامهما في القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي، حالات مد وجزر، تتخللها التبعية والتحالف أحيانا، والمناهضة والعدوان أحيانا أخرى، خاصة وأن بني عبد الواد حاولوا توحيد المغرب الأوسط تحت راية واحدة، بينما حاول الحفصيون بسط سلطتهم على باقي البلاد، ومن هنا يأتي المغرب الأوسط في صدارة اهتمامات هذه السلطة بحكم بحكم الجوار وباسم الشرعية الموحدية[1].

والظاهر أن المصادر والمراجع التي تناولت هذه الصراعات مليئة بتفاصيل هذه الحملات، وسنحاول التركيز على البعض منها حتى نخرج بتصور عام عن كونها كانت حروب اقتصادية تستنزف الثروات بالدرجة الأولى، حيث وفي سنة (639هـ/1241م-1242م)، تحرك الملك أبو زكريا

[1]- يقول القلقشندي: أن وقوف أبي مُحَمَّد بن عبد الواحد بن أبي حفص من قبيلة هنتاتة البربرية إلى جانب الدولة الموحدية، فأصبح من المقربين منها، ومن العشرة أو من الأشياخ عند الموحدين، تولى ولاية إفريقية وأصبحت وراثية في أبنائه، ومن هذا المنطلق اعتبر الحفصيون أنفسهم ورثة الموحدين. ينظر صبح الأعشى، ج5، ص124.

الحفصي فاستولى على قسنطينة وبجاية ومدينة الجزائر[1]، وواصل حركته إلى مدينة تلمسان في شوال 640هـ/أفريل-ماي 1242م وجيشه أربعة وستون ألفا فافتتحها جيوش الموحدين عنوة من كل حدب وعاثوا فيها[2]، يقول ابن خلدون: «وعاثوا فيها بقتل النساء والصبيان واكتساح الأموال»[3]، وبالتالي اضطر زعيم بني عبد الواد إلى الاعتراف بسيادتهم[4] مقابل اتفاقية تنص على: منح يغمراسن جباية أموال المنطقة الشرقية للمغرب الأوسط التي يبلغ مقدارها مائة ألف دينار سنوي، حيث استغل يغمراسن هذا المبلغ في تحصين عاصمته، وبناء جيشه،- موافقة الدولة الحفصية على وضع تلمسان والمناطق المجاورة لها في غرب المغرب الأوسط تحت إدارة يغمراسن جبايتها وخراجها وجميع الإتاوات المختلفة- الدعوة للحفصيين في منابر تلمسان، وهذا الأمر لم يكن يهم يغمراسن، حين قال: «تلك أعوادهم يذكرون عليها متى شاءوا»[5]. ولو تمعنا جيدا في هذه الاتفاقية نجد أن ابن قنفد القسنطيني مؤرخ الدولة يقول: «أن أبا زكريا رجع إلى تونس غانما سالما، وقد سلم البلاد للعبد الواديين»[6]، ويبدو لنا أن أكبر إنجاز حققه الحفصيون هو تبعية بني عبد الواد لهم شكليا (اسميا فقط)، أما يغمراسن فقد استغل تلك العائدات في تقوية جيشه، وانتظار أي فرصة للتوسع على حساب الأقاليم الشرقية، والدليل على ذلك أنه أوصى ابنه قائلا: «حاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم»[7]، وبخصوص الدعوة لهم على المنابر سرعان ما عطلها عثمان بن يغمراسن

---

[1]- يقول التنسي: « أن سبب مهاجمة أبي زكرياء الحفصي لتلمسان سنة 640هـ/1242م، أن الأمير أبو بكر زكرياء بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي بعث بهدية إلى السعيد، حين ظن أنه استوثق له ملك المغرب، فتعرض لها أمير المسلمين يغمراسن وأخذها، فانتظر الأمير أبو بكر زكرياء انتصار السعيد لنفسه في ذلك، فلم يكن منه إلى ذلك نهوض، فخلع حينئذ طاعته واستقل بنفسه، وتحرك إلى تلمسان». المصدر السابق، ص ص116-117. عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، ص77.

[2]- أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن الشماع، الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح و تق: الطاهر بن مُحَمَّد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، ص59. الزركشي، تاريخ الدولتين، ص29. محمود مقديش، المرجع السابق، ص ص548-549.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص80.

[4]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص787.

[5]- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص149. الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص408.

[6]- أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب بن قنفد القسنطيني (ت810هـ/1407م)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق و تح: مُحَمَّد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص109.

[7]-عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص92.

(681هـ-703هـ/1283-1304م) في أواخر القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي[1]، مما أدى إلى تدهور العلاقة بين الطرفين من جديد[2].

ظل التوتر يطبع العلاقة بين الجانبين بسبب النزاع على بعض الأقاليم والمدن، إذ بدأ الزيانيون يمدون نفوذهم على حساب الحفصيين ويبدو أن الذي حدد هذه العلاقة هو وصية يغمراسن لابنه عثمان بالتوسع شرقا-أي على حساب عمالات الموحدين[3]، «حتى يستفحل بها ملكك، ولعل تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك»[4]، وهو ما تحقق في حكم أحفاده أمثال أبي حمو موسى الأول (707هـ-718هـ-1308-1318م)، الذي أرسل قواته إلى الجهات الشرقية «حتى انتهبوا بونة»[5]، ثم واصلوا سيرهم واكتسحوا ما مروا عليه، حتى وصلوا إلى جبل ابن ثابت المطل على قسنطينة «حدثت بينهم المناكرة حسدا ومنافسة»[6]، أو كما يقول صاحب البغية: «تحاسد الجيوش في السعي حتى لقد كادت الفتنة تقع بينهم»[7].وعليه فإنَّ مثل هذه الممارسات التي حصلت بين قادة الجيش مردها السعي إلى جمع أكبر عدد من الأموال والغنائم من خلال الاشتطاط في فرض الجبايات على السكان حتى يحظوا برضى ملوكهم من جهة، ومن جهة أخرى فإن السلاطين أرادوا أن يجعلوا من الجيش مثلما هو مستهلك للمال، أن يكون جامعا له، كما عبر عنه ابن الخطيب قائلا: «وليكن من الغزو اكتسابهم، وعلى المغانم حسابهم»[8]. ونفس الأمر قام به أبو تاشفين الأول(718هـ-738هـ/1318-1337م) ، الذي استغل الازدهار التجاري الذي شهدته مملكة تلمسان من جهة، والتقوقع المريني من جهة ثانية[9]، حيث شدَّد الخناق على تلك النواحي الشرقية، من خلال الحصارات

---

[1]- انقطعت دعوة الزيانيين للحفصين على منابر تلمسان عند انهزام الحفصين أمام المرينيين في موقعة عرفت باسم مرسى الرؤوس في منطقة الزاب. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص90. عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج02، ص106.

[2]- عبيد بوداود، تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية المرينية، مج: عصور، ع 06-07، جوان-ديسمبر1426هـ/2005م، ص192.

[3]- بسام كامل عبد الرازق شقدان، تلمسان في العهد الزياني، ص112.

[4]- الناصري، الاستقصا، ج03، ص56.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص137

[6]- المصدر نفسه، ج7، ص138.

[7]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص129

[8]- ابن الخطيب، الإشارة إلى أدب الوزارة، ص89.

[9]-أبي عبد الله مُحَمَّد ابن مرزوق التلمساني (ت 781هـ)، المناقب المرزوقية، درا و تح: د. سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2008م، ص35.

المتكررة وبناء الحصون، مثل حصن بكر وانزل به الجند والعتاد[1]، وحصن ياقوتة المقابل لبجاية، كنقطة كنقطة مراقبة جديدة حتى يتحكم في المنطقة[2]، وحصن تمازيزدكت[3]، لأجل نقل المؤن والحبوب والآدم إليه ومختلف المواد الغذائية حتى الملح وأخذ الرهائن من سائر المناطق رمزا للطاعة بعد أن استوفوا جبايتهم، فثقلت وطأتهم على بجاية فاشتد حصارها وغلت أسعارها»[4]. والغرض من هذا العمل هو تقليل إنفاق خزينة الدولة لكي لا يصبح عبئا على خزينة الدولة وحدها، بل إن العامة من السكان مطالبون بتوفير حاجيات الجنود من مؤن وعلوفات الخيل ودواب الجر[5] وغيرها إما طوعا أو كرها.

لقد تواصل الصراع بين الحين والآخر بين الدولتين إما بشكل مباشر عن طريق إخضاع تونس لسلطتهم المباشرة مرتين (706-710هـ/1325-1329م)، من خلال استقبال أبا تاشفين لخصوم العرش الحفصي في بلاطه، يساندهم ويشجعهم ماديا ومعنويا بتقديم المال والجند، وتحريضهم على النهوض والثورة[6]، فساندت جيوش الأمير أبي تاشفين جيش ابن عمران الحفصي المطالب بعرش تونس، حيث انتصروا على السلطان أبي حفص (718هـ-747هـ/1337-1366م) بالواد الشارف من بلاد إفريقية، «واستولوا فيها على حرمه وذخائره»، حيث أقاموا فيها أربعين يوما وأسلموها إلى ابن عمران وقفلوا راجعين إلى تلمسان[7]، بعد أن أخذ الولاء والطاعة وتقديم الجباية من أعيان تونس[8]، وبهذا يصبح الدعم الذي قدمه أبو تاشفين لهؤلاء الخصوم ليس مجانيا بل هو استثمار اقتصادي عسكري، لأنه لما غزا المنطقة استولى على الذخائر، ولما غادر فرض على أعيانها جبايات، وهذا ما

---

[1]- يسمي برنشفيك هذا الحصن باسم "تغار". ينظر: تاريخ إفريقية، ج01، ص178.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص225. يحي بن خلدون، البغية، ج1، ص218. التنسي، المصدر السابق، ص144.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص223. التنسي، المصدر السابق، ص143.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص144. يحي بن خلدون، البغية، ج1، ص137.

[5]- الحسين بولقطيب، أسلوب الإنتاج الحربي، ص82.

[6]- أبو ضيف مصطفى، المرجع السابق، ص134.

[7]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص139.

[8]- التنسي، المصدر السابق، ص246. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج01، ص43.ونفس الشيء سيتكرر مع تلمسان في النصف الأول من القرن 08هـ/14م، حيث عندما احتل الأمير أبو فارس الأمير الحفصي تلمسان عام 827هـ/1424م نصب عليها مُحَمَّد بن الحمراء ليكسب وده، ويضمن ولاءه، ويحمي مؤخرته. ينظر: عبيد بوداود، المرجع السابق، ص196. حاج عبد القادر يخلف، العلاقات الخارجية للدولة الزيانية، مج: عصور الجديدة، ع 2، 1432/2011م، ص46.

يعرف باستعلاء الطرف الغالب على الأطراف المغلوبة، وفي هذا المعنى يقول الجابري: «إن الثروة التي تتأسس فوقها "البنيات الفوقية"، وضمنها الحضارة الاستهلاكية ليست ثروة إنتاجية قابلة للنمو، بل إنها ثروة ناتجة في الغالب الأعم عن الاستيلاء على الخيرات الجاهزة»[1]، ولتوضيح هذا القول نلحظ أن الجيش الزياني لما دخل قسنطينة « أفسد بقطرها الزرع والضرع»[2]، ولما حاصر بجاية « غلت الأسعار وتلاشى أمرهم»[3]، فتضررت قوى الإنتاج الثابتة (الزراعة والثروة الحيوانية)، بينما الأموال التي تم استثمارها في بناء الحصون، كحصن تامزيزدكت نلحظ أنه في أول هجوم للحفصين عليه سنة(713هـ/ 1332م) ، فَـرَّ من كان به من القواد تقية ممن وردهم وأسلموها بما فيها وذلك سنة (714هـ/ 1333م)[4].

ولا مناص من القول أن هذه الأعمال الانتقامية والتخريبية مع كل غارة أو حرب أصبحت أمرا مألوفا يقوم به المتغلب، مما يؤدي إلى تبديد ثروة ذلك البلد، وضرب التراكم الذي يعد من أركان الازدهار المادي الذي ينشده كل بلد.

الجدول 29: المواجهات العسكرية بين الزيانيين والحفصيين:

القرن 07هـ/13م	القرن08هـ/14م	القرن09هـ/15م
مواجهة واحدة	31 مواجهة	03 مواجهات

[1] – الجابري، العصبية والدولة، ص406. الحسين بولقطيب، أسلوب الإنتاج الحربي، ص82.

[2] – يحي بن خلدون، البغية، ج1، ص137.

[3] – يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص137.

[4] – يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص140.

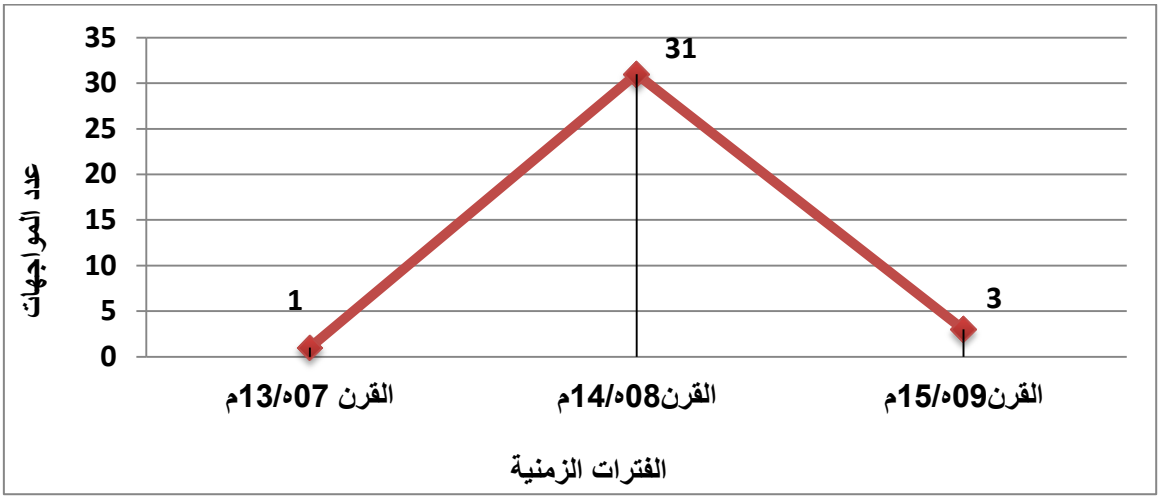

المنحنى البياني 3: يمثل المواجهات العسكرية بين الزيانيين والحفصيين

نلحظ من خلال هذه الأعمدة البيانية أن المواجهات العسكرية بين الزيانيين والحفصين استفحلت خاصة خلال القرن الثامن هجري 14م بسبب تزايد نفوذ الزيانيين على ثغور الحفصيين، مستغلين فرصة الانقسام والصراع بين أبناء البيت الحفصي من جهة، وبين الخارجين عليهم من جهة أخرى.

الجدول 30: المواجهات العسكري لأمراء الدولة الزيانية مع الدولة الحفصية:

الأمير	عدد المواجهات	الأمير	عدد المواجهات
يغمراسن	01	أبو تاشفين الأول	16
عثمان بن يغمراسن	01	أبو حمو موسى الثاني	09
أبو حمو موسى الأول	06	أبو مالك عبد الواحد	01
		ابن الحمراء	02

المنحنى البياني 4: يمثل المواجهات العسكرية لأمراء الدولة الزيانية مع الدولة الحفصية.

الجدول 31: يظهر لنا الفترات التي شهدت مواجهات عسكرية بين الزيانيين والحفصيين:

الأمير	المجال والسنة	المصدر
يغمراسن	تلمسان639هـ-بجاية 686هـ.	التنسي، نظم الدر، ص117-129.
أبو حمو الأول	بجاية714 وأحوازها، قسنطينة، بنو باورار.	ابن خلدون، العبر، ج7، ص137-138.
أبو تاشفين	بجاية719هـ-720هـ-722هـ-724هـ-726هـ729هـ-760هـ-767هـ	نفسه، ص143-144-145-172، البغية، ج1،ص240-241-242-ن ج2، ص21، 170-171.
	قسنطينة721هـ-725هـ-726هـ. مرماجنة723هـ-تونس725هـ. بونة728/727هـ- بلاد هوارة729هـ، الواد الشارف تونس730هـ.	ابن خلدون، العبر، ج7، ص143-144-145. ي.بن خلدون، البغية، ج1، ص240-241. العمري، المسالك، ج4، ص152-153.
أبو حمو الثاني	نفطة759هـ، جبل عياض ببجاية760هـ، تدلس، حمزة، بنو حسن، تاغزوت، زواوة763هـ، تدلس 765هـ، بجاية767هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان، ص23. ي.بن خلدون، البغية، ج2، ص21-99-100-170-171. ابن خلدون، العبر، ج7، ص171-172.
أبو مالك	تلمسان827هـ.	المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج7، ص101.
ابن الحمراء	تلمسان وخارجها831هـ.	التنسي، نظم الدر، ص244.

نستنتج أن الصراعات المتجددة بين الدولتين من حين لآخر أفقدهما توازنهما الاقتصادي بالدرجة الأولى لأن العلاقات الإنتاجية ظلت تئن تحت وطأة الحرب، وظلت كل دولة تصارع من أجل الحياة، حتى اعترى الضعف كل دواليب الدولة مع نهاية القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي فلم يستطيع رجالها الصمود أمام الهجمات الخارجية.

05- الصراع الزياني المريني:

يبدو أن لغة الصراع تجدرت بين أبناء العمومة إلى أن أفل نجمهم، وهذا الصراع لم يكن وليد سقوط الموحدين، حيث كان بين هذين الحيين حسب ابن خلدون «من المناغاة والمنافسة منذ الآماد المتطاولة بما كانت الفريقين بالصحراء المتجاورة، ولما انتقلوا إلى التلول تغلبوا على المغرب الأقصى والأوسط، لم تزل فتنتهم وأيام حروبهم فيها مذكورة»[1]، ومع انتقالهما من مناطق القفر إلى التلول بقيت تلك العداوة بين القبيلتين والأحقاد بسبب المنافسة على رئاسة زناتة والتطلع إلى السلطان المطلق على المغرب الإسلامي[2]، كما لعبت الدولة الموحدية دورا أساسيا في سوء العلاقة بين الدولتين الزيانية المرينية[3]، فكانت كل دولة تتربص بالأخرى، وتحاول كسب رضا الخلفاء الموحدين، فبنو عبد الواد برئاسة يغمراسن وقف مع الخليفة الموحدي أبي دبوس وأرسل إليه رسالة خاطبه بها قائلا: «إياك أن تطمع بني مرين فيما لديك، فأنا أكفيك شرهم وأنا وأنت يد واحدة في حربهم»[4]، وبنو مرين من خلال الأمير أبي بكر عبد الحق سنة (646هـ/1248م)، طلب من الخليفة الموحدي السعيد أن يقوم بدخول تلمسان وإخضاعها بدلا منه بعد أن قطع يغمراسن الخطبة للموحدين، وفي هذا الشأن يقول الناصري أنّالأمير أبا بكر عبد الحق المريني ترجى الخليفة الموحدي السعيد قائلا: «يا أمير المؤمنين ارجع ارجع إلى حضرتك وقوني بالجيش وأنا أكفيك أمر يغمراسن وأفتح لك تلمسان»[5]،كما أن إيواء

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص111.

[2]- هذه الأحقاد والفتن بينهم خلدها الملزوزي في كتابه نظم السلوك ص 122 قائلا:

قَولُوا لَه بالله يا يغْمور(يغمراسن) حتَّى متى تنقَضِي الشرور

وتَذْهبَ الشَّحنَاء والبغْضاء ومن لَه حقَه أَعطَاه

[3]- يقول ابن خلدون:«كانت دولة الموحدين عند اختلالها ولثيابها تستنصر منهم بالتضريب بينهم والفتنة، فتأكدت لذلك أحوالها واتصلت أيامها، وكان بين يغمراسن وأبي يحيى بن عبد الحق فيها وقائع ومشاهد». ينظر: العبر، ج7، ص282.

[4]- بعث أبو دبوس إلى يغمراسن بوفد مصحوب بهدية ثمينة يطلب منه العون والمساعدة وقال: «كن معي يدا واحدة على حربهم» ويقصد بني مرين. ينظر: ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص115، الأنيس المطرب، ص305. مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص119.

[5]- الناصري، الاستقصا، ج02، ص250. ج03، ص13.

الثائرين ورعايتهم، ودعم ومساندة القبائل المحلية، والصراع على المراكز الاستراتيجية، والتدهور الاقتصادي العام الذي وصل إلى أوج تفاقمه حسب أحد الباحثين[1] ،كلها عوامل غذت الصراع بين الحيين وجعلت المغرب الأوسط طيلة هذه المجاورة الحتمية لا يعرف مسالمة قط، إلا في فترات متقطعة تخللتها مهادنات ظرفية[2]، حسب قوة وضعف كل دولة، وبشكل خاص الدولة الزيانية على اعتبار أنها أنها كانت أقل عددا وعدة من الدولة المرينية[3].

لقد سير سلاطين بنو مرين العديد من الحملات العسكرية ضد الدولة الزيانية، وسنكتفي في هذا هذا المقام بتسليط الضوء على بعضها تجنبا لسرد الحملات وما تتحصل عليه الدولة من أموال، ساهمت في كل الأحوال في تغذية الخزينة، وهكذا عندما انهزم يغمراسن أمام بني مرين سنة (647هـ/1249م) «امتلأت أيدي بني مرين بالسبي والغنيمة»[4]، وأثناء موقعة إيسلي سنة (670هـ/1270م) انهزم يغمراسن أمام المرينيين «حيث انتهب معسكره واستبيحت حرمه». ولما دخلوا إلى تلمسان أطلقوا الأيدي في ساحتها بالنهب والعبث، وشن الغارات على البسائط فاكتسحها فاكتسحها سبيا ونسفها نسفا»[5]. ويبدو من خلال الأموال الجليلة التي أغدق بها يعقوب بن عبد الحق من غنيمة بني عبد الواد على شيخ بني توجينمُحَمَّد بن عبد القوي وقومه جراء مساهمتهم الفعالة في هذه هذه الحملة، مدى كثرة هذه الغنائم وضخامتها، فقد «ملأ حقائبهم، وجنب لهم من المائة من المقربات بمراكبها، وأراح عليهم ألف ناقة حلوب وعمهم بالخلع مع الصلات والخلع الفاخرة، واستكثر واستكثر لهم من السلاح والفازات والفساطيط»[6]. وفي حملة أخرى سنة (679هـ/1280م) انهزم

---

[1]- يقول محمود إسماعيل عبد الرازق: «ابتليت بلاد المغرب بمحن عديدة إبان القرون الثلاثة الأخيرة من العصر الوسيط من تفكك الوحدة السياسية وانتشار الاضطرابات والمجاعات وظهور الوهن الديموغرافي وإهمال الفلاحة وسيطرة البداوة والترحال». ينظر: المرجع السابق، ص1201.

[2]- يقول ابن خلدون: «واتصلت بعد ذلك بينهم الحروب والفتنات سائر أيامه وربما تخللتها المهادنات قليلا». ينظر العبر، ج7، ص112. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص71.

[3]- هوارية بكاي، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين (633-962هـ/1233-1554م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008/2007م، ص451.

[4]- ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص113.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص244.

[6]- المصدر نفسه، ج07، ص245. ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، ص23.

يغمراسن «وخلف القباب والأموال والمضارب والعيال، وانتهبت الناس جميع محلته، وأخذ أموال العرب بأسرها وامتلأت أيدي مرين من شاتها وبعيرها»[1].

كان يغمراسن قد أوصى ابنه في حياته أن لا يتحرش ببني مرين بعد أن قاسى هو نفسه الأمرين من عداوتهم، إلا أن ابنه عثمان بعد استقباله لخصوم السلطان المريني أبو يعقوب ابن يوسف المريني (695-706هـ/1286-1307م)[2] قرر مهاجمة تلمسان أربع مرات، وذلك سنوات (689هـ، 695هـ، 696هـ، 697هـ)[3]، وفي الخامسة ضرب عليها حصارا دام ثماني سنوات وثلاثة أشهر وخمسة أيام من شعبان 698هـ/مايو 1299م إلى ذي القعدة 706هـ/مايو 1307م، حيث ضيق على تلمسان تضييقا لم ير مثله[4]، وأنشأ مدينة المنصورة[5] على بعد كيلومترين غربي تلمسان منها لاستقطاب كل الأنشطة خاصة التجارة[6]، خاصة وأنها كانت مركزا تجاريا مهما، ومنفذا أساسيا إلى بلاد السودان، وذلك من جراء المسلك الذي بات يربطها مباشرة ببلاد السودان، وهو مسلك: تلمسان-توات-ولاتة-مالي[7]،

---

[1]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص337. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص270.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص283.إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج02، ص31.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص ص194-196.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص130. يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص124. يقول ابن خلدون: «نالهم من الجهد مالم تنله أمة من الأمم، فغلت الأسعار، حيث استهلك الناس أموالهم و موجوداتهم، وضاقت أحوالهم». ينظر: العبر، ج7، ص128.

[5]- يقول يحي بن خلدون: «وشرع سلطانهم أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق في بناء منصورته». ينظر: البغية، ج1، ص121. أما أخوه عبد الرحمن فقال: «وضرب يوسف بن يعقوب سياجا من الأسوار محيطا بها، وفتح فيه أبواب مداخل لحربها واختط لنزله إلى جانب الأسوار مدينة سماها المنصورة» ينظر: العبر، ج7، ص196.وقد حطمها أهل تلمسان بعدما انفض الحصار ثم أعاد بنائها السلطان أبو الحسن المريني أثناء الحصار الذي ضربه على عاصمة بني عبد الواد من سنة (735-737هـ/1335-1337م). ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص130.

[6]-كانت تقع وسط شبكة من الطرق التجارية العظمى(الطريق الأولى تمر عبر الهضاب العليا بالجريد التونسي ثم الأوراس منتهية بتازا مارة بمدينة تلمسان. الطريق الثاني تنقسم إلى شطرين، الأول يربط شواطئ الدولة الزيانية كميناء هنين بشواطئ أوربا. الثاني يربط بالسواحل الصحراء وبلاد السودان). ينظر: دهينة عطاء الله، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص ص477-478.

[7]- العبدري، الرحلة المغربية، ص278. ذكر لنا أنه «لما وصل إلى تلمسان التقى قافلة تخرج وهي كثيرة تزيد عن الألف، وقال لنا قائد على الباب أن لها في محاولة الخروج نحو ثلاث أشهر حتى تسنى لهم بخفارة على أداء خفارة» فقوله هذا يدل على أن المدينة صارت مركزا تجاريا مهما تنطلق منه القوافل نحو بلاد السودان».

بل ومتنفسا على أوربا وذلك عبر ميناء وهران وهنين[1]، فتشييدهم للمنصورة ضمنوا الاستفادة من موارد التجارة وخاصة الذهب، حتى أن المدينة الجديدة أصبحت تشمل دارا لسك العملة[2].

بعد فك الحصار[3] كان أول عمل قام به الأخوان أبو زيان وأبو حمو هو هدم مدينة يوسف بن يعقوب وحفروا الخنادق، وخزنوا فيها من الطعام والآدم والملح والفحم والحطب ما لا حد له ولا حصر[4]، لأنهم أدركوا أنها كانت حرب تجويع أكثر منها حرب تقتيل، ثم تحركوا نحو الشرق لمعاقبة مغراوة وتوجين على نقضهم الطاعة، حيث استأصلوا أموالهم ونسفوا زروعهم، وأخذوا مراهينهم[5] لأجل تعويض خسائر الحصار.

لقد كان الصراع على أشده بين بني عبد الواد و المرينيين حول المراكز الاقتصادية الاستراتيجية، كسجلماسة بسبب وجودها على الحدود بين المملكتين[6]، حيث وفي سنة (662هـ/1264م) تغلب عرب المنبات على سجلماسة، بعدما قتلوا عاملها عليا بن عمر، وآثروا يغمراسن بملكها وعقد عليها لولده يحي، يساعده القاضي عبد الملك بن حنيفة ومحتسب، واستخلص جبايتها[7]، وظلت تحت حكم بني عبد الواد إلى غاية(672هـ/1273م)وهو تاريخ استرجاعها من قبل المرينيين بعد مقتل أمراء بني عبد الواد والمنبات معا[8]، ويعود هذا الصراع على هذه المدينة لدوافع اقتصادية بحتة، بحكم المكانة

---

[1]- A.L DE PREMARE, Maghreb et Andalousie au Xiv siècle, les notes de Voyage d'un Andalous au Maroc 1344-1345, Lyon, 1981, p69-71.

[2]- محمد عياش، الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديدة والمنصورة بتلمسان، مذكرة ماجيستر في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005م/2006م، ص81.

[3]- بعد فك الحصار حمل أبو ثابت ذخائر جده وأمواله وترك بلده بحالها وما فيها، وطلب من جنوده الانسحاب من مواقعهم بالمغرب الأوسط وتسليم ما في أيديهم من المدن والنواحي إلى أهل البلاد. ينظر: يحي بن خلدون، البغية، ج1، ص124. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص390. محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط02، 1408هـ/1987م، ص94.

[4]- التنسي ، المصدر السابق، ص ص135-136.

[5]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص126. التنسي، المصدر السابق، ص136. ابن خلدون، العبر، ج7، ص209.

[6]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج02، ص214.

[7]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص114. حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1418هـ/1997م، ص201. لحسن تاوشيخت، عمران سجلماسة- دراسة تاريخية وأثرية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط01، 1429هـ/2008م، ص109.

[8]- أحمد عزاوي ، قضايا تاريخية خلال العصرين الموحدي والمريني، مطبعة الرباط نيت، الرباط، 2010م، ص154.

التجارية الهامة التي تبوأتها[1]، فهي ممر دائم للقوافل التجارية من تلمسان إلى السودان الغربي، ومن هذا الأخير إلى تلمسان وميناء هنين[2]، وفق هذه الاعتبارات كانت السيطرة عليها ضرورة حتمية لدولة ناشئة تحتاج إلى مداخيل لتمويل نفسها، خاصة وأنه عين عليها ابنه وابن أخته عبد الملك، وهو ما رجحه أحد الباحثين باستغلال يغمراسن هذا المنفذ التجاري للممارسة التجارية لحسابه[3].

وعلى الرغم من معاهدات السلم و المهادنة التي كانت بمثابة توزيع لمناطق النفوذ بيت هاتين القوتين المتصارعتين[4]، إلا أن الصراع كان يتجدد من حين لآخر. ففي سنة (732هـ/1332م) وقبل غزو تلمسان أرسل أبو الحسن المريني لصهره السلطان أبي يحي الموحدي المدد لضرب أهم القواعد الاقتصادية لتلمسان حصن "تامزيزدكت" الذي كان يضم المؤن والذخائر، قائلا له: «شأنك وتامزيزدكت»[5]، بينما اتجه هو نحو وهران وسواحلها، واجتيازه لطريق البحر والسواحل بهدف قطع الطريق أمام إمدادات بني الأحمر حلفاء بني زيان من جهة[6]، ومن جهة أخرى وجد نفسه مجبرا على الاهتمام بالساحل الإفريقي، والواقع أنه منذ شعبان (732هـ/ماي 1332م) أصبحت موانئ الإمارة التلمسانية تحت رحمته بفضل الأسطول البحري الذي كان أقوى قوة بحرية في شمال إفريقيا آنذاك[7]. وحتى تلبية نداء الحفصيين لوقف الهجمات المتكررة لأبي تاشفين لم تكن إلا ذريعة ليطالب بإعادة ميناء ميناء دلس للتونسيين، وأما رفض السلطان الزياني سيحتل أبو الحسن المريني ندرومة أواخر 735هـ/1234م ووجدة في بداية (736هـ/1335م)، وأقام حصارا على تلمسان وسط سيطرته على الساحل في نفس السنة، من هنين حتى الجزائر، مجددا بذلك تجربة أبي يعقوب[8].

ولأجل تضييق الخناق على ساكنة تلمسان قام أبا الحسن المريني بقطع الطريق أمام المساعدات التي يمكن أن تأتيهم من الجمهوريات الإيطالية التي كانت لها علاقات تجارية طيبة مع بني زيان[9]. ثم

---

[1]- مُحَمَّد أمراني علوي، سجلماسة وتأثير التجارة في العهد المريني، مطبعة أنفو برانت، فاس، 2015م، ص ص38-39.

[2]- حسن حافظي علوي، المرجع السابق، ص202.

[3]- Kably Mohamed, Société Pouvoir et Religion au Maroc a la fin du Moyen âge, Paris, 1986, p73.

[4]- مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص121.

[5]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص140.

[6]- أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د.ط، د.ت، ص400.

[7]- Kably, Societé, Op.cit, p.131.

[8]- المقري، نفح الطيب، ج06، ص216. المنوني، المرجع السابق، ص77.

[9]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج01، ص46.

قصد تلمسان وحاصرها يوم (11 شوال سنة 735هـ/1335م) وأضاق حصر المدينة وسده[1]، ولم يتمكن من دخوله إلا بعد أن تفطن لمصدر المياه التي تزود المدينة فقطعه عنها وتقدم نحو الملعب الواقع أمام باب القرماديين، وأناخ به يوم (27 رمضان سنة 737هـ/1336م)، وفي اليوم التالي تمكن جيشه من اختراق الأسوار ودخول المدينة[2]. ولما خرج إليه أهل تلمسان ولأجل استرضاءهم أصدر عفوا عاما، وفرض لهم العطاء، وبذل لهم من الأموال والمتاع[3]، وأبقى كلا منهم في مكانته التي كان عليها[4].

إنَّ المتأمل في هذه الاستراتيجية التي انتهجها أبو الحسن المريني يلحظ أنه أراد أن يجعل تلمسان في معزل عن كل منفذ حتى ترضخ لشروطه المتبعة آنذاك وهي السيطرة على الأرض من خلال السهول والمراعي، وكذلك التجارة والسلع التي تفد إليها من كل مكان، لكونها ملتقى طريق الأندلس والسودان، وعلى الإنسان من خلال تسديد الضرائب والجبايات لخزينة الدولة[5].

وفي نفس الصدد لما دارت الكرَّة على أبي الحسن في موقعة تيعزيزن سنة (751هـ/1351م)، وهزمه أبو ثابت استخلص ما كان له من مال وحريم وبنات، والدنيا دول، والحرب سجال وعاد السلطان أبو ثابت إلى حضرته بالظفر الذي لا مثل له والغنائم التي ليس فوقها[6].

ما نريد أن نبرزه هنا من خلال هذه النصوص، أن الغنائم ساعدت بشكل جلي في تغذية تحرك دول المرحلة، وحتى انتصارات الدولة المرينية المتكررة لا تعود فقط للتفوق العددي، بل « بما

---

[1]- يحي بن خلدون، البغية، ج1، ص141.

[2]- العمري، المصدر السابق، ج04، 205. كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص299. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج01، ص ص 46-47 نقلا عن ابن مرزوق، المجموع، و/رقم34.

[3]- يقول ابن مرزوق: «وشهدت خروج أهل تلمسان إليه بعد عفوه عنهم، وخروجهم تحت حكمه فأعطاهم ألف فرس من عتاق الخيل بجهازاتها ومهنداتها والكسى المناسبة والجهازات بين مدجج مذهب ومفضض، وأعطى الضعفاء أهل تلمسان اثني عشر ألف دينار من الذهب واثني عشر ألف كساء من الطعام مطامير لا تحصى كثرة، هذا شهدته وشهدت بعضه عدا ما وصل لكبار أهلها من الفقهاء والصلحاء والكتاب وذوي الوجاهة من الناس». كتاب المسند، ص ص 192-193.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص258. مُحَمَّد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص264.

[5]- عبد الله بن مُحَمَّد بن يوسف القيسي الثغري التلمساني (كان حيا نهاية القرن 08هـ/14م)، مناقب التلمسانيين، تح: قندوز بن مُحَمَّد الماحي، دار الوعي للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط01، 1439هـ/2018م، ص23.

[6]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص157. يقول التنسي: «وعاد الأمير أبو ثابت إلى حضرته بالظفر والغنيمة». ينظر: المصدر السابق، ص153.

استحوذوا عليه من جبايات الأمصار والقبائل»[1]، ورغم عدم التكافؤ في موازين القوى بين مملكة فاس ومملكة تلمسان، إلاّ أنَّ هذه الأخيرة استطاعت فرض وجودها وسط هذه البيئة المعادية التي كانت تعيش فيها[2]، والعامل الأساسي الذي جعلها تصمد أمام هذه الأخطار هو قاعدتها الاقتصادية المتينة، كما وصفها أحد الباحثين قائلا: «تكمن في دورها التجاري، حيث كانت مكان تبادل المنتجات الزراعية التي تعطيها السهول المحيطة، وتبادل الحرفيات التلمسانية، والمدينة أيضا مركز توزيع السلع التجارية للمسافات الطويلة»[3].

وتماشيا مع ما تم ذكره فإن الصراع الزياني المريني كان عبارة عن حروب متكررة ومستمرة، لا تنقطع إلاّ لتعود أشد قوة وأشد ضراوة، مما جعلها حروب عقيمة لا فائدة ترجى منها سوى التوسع والسيطرة والتدمير وإثبات الوجود، خصوصا على بني عبد الواد الذين توقفت تجارة بلدهم وأنهكتها الحروب وانتهت باحتلالها وحصارها في العديد من المرات من قبل المرينيين.

الجدول 32: يمثل عدد المواجهات العسكرية الزيانية المرينية:

القرن 07هـ/13م	القرن08هـ/14م
11 مواجهة	46 مواجهة

نستنتج من خلال هذه الإحصائيات أنه ونتيجة الخلافات التي دبت من جديد بين الزيانيين والمرينيين مع مطلع القرن الثامن هجري 14م، زادت حدة المواجهات العسكرية بينهما خاصة مع اعتلاء يوسف بن يعقوب عرش فاس سنة (685-706هـ/1286-1306م)، والذي كان يتطلع

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص105.

[2]- هذه البيئة المعادية جعلتهم يتمتعون في أمن وسلام قرابة مائة وثلاثين سنة فقط دون أن يتعرضوا إلى أذى حسب الوزان، المصدر السابق، ج2، ص08. بينما كاربخال فجعلها أزيد من مائة وعشرين سنة دون أن يكدر الأجانب صفوها. المصدر السابق، ج2، ص303. بينما أكثر من مائة وسبعون سنة كلها حروب واضطرابات داخلية.

[3]- عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، ص69. يقول محمود إسماعيل عبد الرازق: «الدولة الزيانية قدر لها الاستمرار رغم سقوطها عدة مرات على يد الحفصيين والمرينيين نتيجة مواردها المالية الزاخرة من تجارة السودان، المرجع السابق، ص1300.

لتأسيس دولة قوية تحل محل الموحدين، فاستغل كل طرف أي فرصة سانحة أو ذريعة للانقضاض على الآخر، فأصبحت الحروب بينهم سجال و بمعدل غزوة كل سنتين تقريبا.

الجدول 33: المواجهات العسكرية لأبرز أمراء الدولة الزيانية مع المرينيين:

الأمير	عدد المواجهات	الأمير	عدد المواجهات
يغمراسن	11 مواجهة	أبو سعيد وأبو ثابت	06 مواجهات
أبو تاشفين	03 مواجهات	أبو حمو موسى الثاني	37 مواجهة

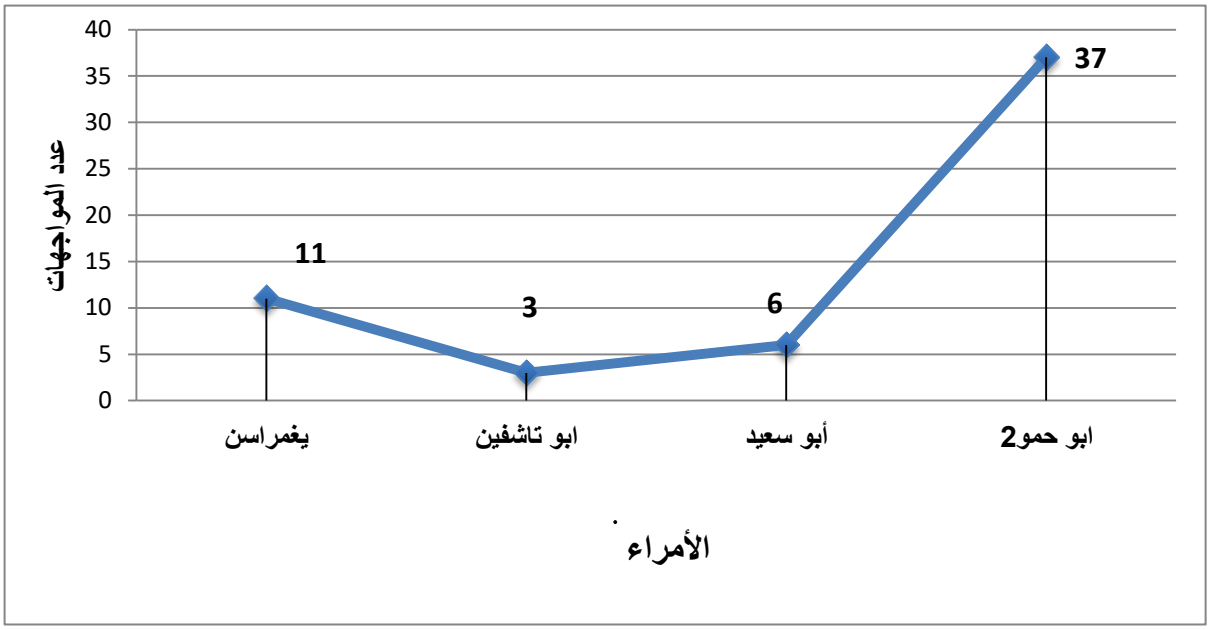

المنحنى البياني5: يمثل المواجهات العسكرية لأبرز أمراء الدولة الزيانية ضد المرينيين

نلحظ من خلال هذا المنحنى البياني أن عهد أبي حمو موسى الثاني الذي استغرق أكثر من ثلاثين سنة من الحكم اتسم بالنشاط العسكري المكثف نتيجة الهجمات المتكررة للمرينيين، واستقبالهم للفارين من تلمسان والمطالبين بالعرش، فكانت حروبا وصراعات شديدة، انتصر فيها أبو حمو حينا وانهزم أحيانا أخرى.

الجدول 34: يظهر لنا المواجهات الزيانية المرينية:

الأمير	المجال والسنة	المصدر
يغمراسن بن زيان	واد ايسلي647هـ، أبو سليط655هـ، سجلماسة655هـ، كلدمان657هـ، تافريست657هـ، سجلماسة662هـ، ثغور المغرب665هـ، وادي تلاغ666هـ، واد ايسلي670هـ، حصن تاوريت675هـ، خرزونة680هـ أحواز تلمسان680هـ	ابن خلدون، العبر، ج7، ص112-115-114-209-238-239-245-283.ابن أبي زرع، الذخيرة، ص76-83-89-128، الروض القرطاس، ص296-305-310-406. الناصري، الاستقصا، ج3، ص25. ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، ص65-66.
أبو تاشفين	جاجرت722هـ، تاوريت731هـ-733هـ.	ي.بن خلدون، البغية، ج1، ص240-242. ابن خلدون، العبر، ج7، ص147.
أبو سعيد وأبو ثابت	وادي ورك750هـ، السرسو751هـ، تيغزين751هـ، الجزائر752هـ، أنكاد753هـ، اغيل آن توفلين753هـ.	ابن خلدون، العبر، ج7، ص157-158-159-160-161. التنسي، نظم الدر، ص154-155.ي.بن خلدون، البغية، ج1، ص260-265
أبو حمو موسى الثاني	ميلة759هـ، جبل بني ثابت759هـ، بنو وزان759هـ، وادي اصطفصيف760هـ، تيط وشقوف760 هـ، قنطرة وهران، 760هـ، تلمسان760هـ، وهران 760هـ، وجدة، تنس، جبل ونشريس، المدية، مليانة، الجزائر (مرتين) 760هـ تاوريت، جبل واشيلاس، حصن تاوريت، حصن أوطاط، تامنصرت، ثنية تاغروطت، حصن آجرسيف، بلاد ملوية، حصن أرجو، متيجة، تاوريت761هـ، وهران762هـ، وادي مينة765هـ، جبل دبدو، قرية تابريديا، آجرسيف766هـ، جبل بني يزناسن، دبدو، بلحني 772هـ، أوماكرا 773هـ.	مؤلف مجهول، زهر البستان، ص25-26-45-46-60-77-78-85-86-87-100-104.ي. بن خلدون، البغية، ج2، ص20-23-24-25-49-55-56-63-73-74-87-140-149-233-234-244. ابن خلدون، العبر، ج7، ص167-171.

خلاصة القول أن الدولة الزيانية مرت بظروف عسكرية وأمنية في غاية التعقيد، أدت بعضها إلى أفولها نتيجة لتعدد جبهات القتال التي أرهقت الجيش الزياني، وأدت إلى الإضرار بخزينة الدولة، حيث بقدر ما كانت هذه الحروب بالنسبة للدولة وسيلة للتكسب، والوصول إلى السلطة وجمع المال، كانت كانت في نفس الوقت مكلفة ومهلكة للمال، لأن قسطا كبيرا منها يذهب في تمويل عوائد الترف والبذخ والانغماس في الملذات والتفنن في مظاهر الحضارة ورقتها (كتشييد القصور والمباني)، لذلك سرعان ما تنضب تلك المداخيل، لأنها موارد استهلاكية، غير قابلة للنمو، فهي أموال جاهزة لم تنتج عن صراع مع الطبيعة، تجمع لتستهلك لا لتستثمر، لذا فهذا النمط من الاقتصاد هو اقتصاد رخو، قوته أو ضعفه من قوة الدولة أو ضعفها.

الفصل الرابع: آثار و انعكاسات الحرب على الأنشطة الاقتصادية

- المبحث الأول: آثار الحرب على النشاط الفلاحي.
- المبحث الثاني: آثار الحرب على النشاط الحرفي.
- المبحث الثالث: آثار الحرب على النشاط التجاري.
- المبحث الرابع: اثر الحروب في بروز بعض الممارسات و انتعاش بعض الحرف

لقد أدت الاضطرابات السياسية التي آلت بدورها إلى التدخل العسكري في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني إلى حالة من الانهيار العمراني، لم تشهد البلاد مثله على حد تعبير ابن خلدون: «انتقص عمران الأرض بانتقاص البشر، فخربت الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل، وضعفت الدول والقبائل، وتبدل الساكن»، ثم يضيف: «وكأنما نادى لسان الكون في في العالم بالخمول والانقباض»[1].

ومن البديهي أن هذه الحروب أفضت إلى تخلخل وتزعزع مختلف القطاعات الإنتاجية، وفي مقدمتها الأراضي الزراعية، و ورشات الحرفيين وانتشار ظاهرة اللصوصية على طول الطرق والمسالك التجارية، وكلها مظاهر عدت من الجوائح والفتن التي لا يستطاع دفعها برأي بعض الفقهاء[2]، وما دل أكثر على خطورتها ما ورد في قول صاحب الذخيرة :«فكثرت الفتن بين القبائل واشتد الخوف في الطرقات والمناهل ونبذ أكثر الناس الطاعة وفارقوا الجماعة وقالوا لولاتهم لا سمع ولا طاعة، فاستوى الدنيء والشريف وأكل القوي الضعيف وكل من قدر على شيء صنعه، ومن أراد شرا ابتدعه إذ ليس مليك يحوطهم ولا أمير يكفهم ويصدهم»[3] ثم يقول في موضع آخر: «فانقطع الحرث واشتد الغلاء في البلاد بسبب ذلك الإهمال والفساد»[4].

وعليه فإن الظاهر من خلال هذا القول أن تلك الغارات وإطلاق الأيدي والأعنة للسلب والنهب ظلت مذهبا في المعاش غير طبيعي، يمكن من الحصول على ثروات جاهزة تنتزع قهرا وغصبا من ممتهني الوجوه الطبيعية للمعاش بالتعبير الخلدوني سواء كانوا فلاحين، أو حرفيين، أو تجارا، حيث أصبحت تشكل موردا هاما في تدبير عيش القبيلة، وفي مالية الدولة لكونها تمثل رافدا لا يمكن الاستغناء عنه، ومن هذا المنطلق نطرح التساؤل التالي: ما هي آثار الحروب على الأنشطة الاقتصادية والأضرار التي يمكن أن تلحقها بالمنتجين ومنتوجاتهم؟

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص27.

[2]- أبو بكر بن عاصم (760هـ-829هـ)، تحفة الحكام في نكث العقود والأحكام (المعروف بمتن العاصمية)، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ط03، 1346هـ/1928م، ص49. يقول ابن رشد: «كل ما أكل من الثمر على وجه لا يمكن الاحتراز منه ولا مدافعة من يريدها من عسكر وعامة الناس ومفسدين فهو جائحة كالبرد ونحوه». ينظر: كتاب فتاوى ابن رشد، ص1614.

[3]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص288.

[4]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص36.

المبحث الأول: آثار الحروب على النشاط الفلاحي:

لقد شكل النشاط الفلاحي المورد الأساسي لغالبية سكان المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، فهي كما وصفها ابن الحاج: «من أعظم الأسباب وأكثرها أجرا »[1]، وهي المصدر الضروري للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبا لأنها « قوام الحياة وقوت النفوس»[2]، ولقد عدت « أساس العمران، ومنها العيش كله، والصلاح جله، بها تملك المدائن والرجال وببطالتها تفسد الأحوال، وينحل كل نظام»[3].

ومن هذا المنطلق لا حاجة إذن إلى التقصي عن أهمية رصد العلاقة بين النشاط الفلاحي وتأثيرات وتأثيرات الحروب والغارات، مادامت الحرب تحيل في أكثر دلالاتها الاجتماعية على الخراب والسلب والنهب والتدمير والفقر واختلال أمر الناس ومعاشهم وفساد أحوالهم[4].

لقد كانت الحروب والغارات أهم مشكل أرَّق الفلاح بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، خاصة وأن ممارسة هذا النشاط تكون في الغالب خارج أسوار المدن وفي البوادي «لأنه متسع لما لا تتسع له الحواضر من المزارع و الفدن والمسارح للحيوان وغير ذلك»[5]، خاصة وأن من كتبوا في سياسة تدبير الحروب ومكائدها، أكدوا أن الأمير إذا أراد أخذ بلد معين فينبغي أن يبدأ بمن حولها من« المدن والضياع والقرى حتى إذا ضعفت سهل أخذها»[6].

---

[1]– ابن الحاج أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد العبدري المالكي الفاسي (ت 737هـ)، المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات على بعض البدع، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، 1348هـ/1929م، ج04، ص03.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– مُحَمَّد بن أحمد بن عبدون التجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح، ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، مصر، 1955م، ص05.

[4]– حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص229. وفي هذا الشأن نقلا عن علي بن أبي الرجال صاحب أرجوزة في الأحكام النجومية: «جعل سعد طالع الفلاح معاكسا للحروب والفتن، وجعل وقت اقتراب كوكب معين لآخر بداية للحرب ويتبعها من خراب للفلاحة». ينظر: حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص280.

[5]– ابن خلدون، المقدمة، ص100.

[6]– ابن رضوان، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ص ص389–399.

ومما لا شك فيه أن ثنائية التخريب والاستسلام من خلال استهداف الموارد الاقتصادية خلال المعارك والحروب تكون حسب "روبار برنشفيك" «متبوعة بأعمال تخريب فظيعة، مثل قطع الأشجار وإتلاف المحاصيل الزراعية، وذلك ليس بدافع إضمار الشر، بل للتأثير في الضحايا الذين يشاهدون أعمال التخريب المذكورة من بعيد وحثهم على الاستسلام في أقرب وقت»[1]، ولما كانت الدولة الزيانية من بين أكثر الدول التي قامت على أراضيها الحروب، فإننا نجد العديد من التوصيفات تحمل دلالات التخريب والتدمير مثل: «ومر بفساسيطه فأضرمها نارا»[2]، « فقطعوا الثمار وأفسدوا الزروع»[3]، «ومطاردة الفلاحين وتهجيرهم من مواطنهم»[4]، وغيرها من السياسات الأخرى، رغم حرص كتب الأحكام على نصح الأمير أن: «لا يحرق المساكن، ولا يقطع الشجر لأنها دار الإسلام»، وأن يكون «مقوما لجنده على صالح الأدب، مانعا لهم من العداء على الرعية»[5].

01- تخريب المحاصيل ونهب المواشي وإنهاك المشهد الفلاحي:

على الرغم من صعوبة تقدير حجم هذه الآثار على المشهد الفلاحي خلال هذه الفترة، يمكن القول أن معظم الحروب والغارات كانت تستهدف المجالات الزراعية والرعوية خاصة في خطوط التماس بين هذه الدول مما أثر على الوضع الفلاحي بشكل عام، حيث لم يتوان السلاطين والقادة العسكريون في تطبيق هذه السياسة في المغرب الأوسط الزياني خاصة خلال القرنين السابع والثامن هجريين (13-14م)، وأوعزوا لجيوشهم وحاميتهم العسكرية باستهداف الأراضي الزراعية[6]، حيث في شهر شوال سنة (638هـ 1240م) افتتح الأمير الحفصي تلمسان « من كل حدب وعاثوا فيها»[7]،

---

[1]- روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، تر، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ج02، ص93.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص244.

[3]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص311.

[4]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص27. ابن خلدون، العبر، ج07، ص224. الناصري، الاستقصا، ج03، ص05.

[5]- ابن رضوان، الشهب اللامعة، ص382.

[6]- عبد القادر بوطبل، تاريخ مدينة حمو موسى في الماضي والحاضر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص27. زيتوني بلال، الأراضي الزراعية والحرب بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني "سياسة إحراق الأراضي الزراعية وتخريبها أنموذجا"، مج: المعيار، مج 25، ع60 ، السنة 2021، ص892.

[7]- الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص29.

والأمر نفسه قام به يغمراسن بن زيان إذ لم يتوان في شن الغارات على ثغور المغرب وإضرامها نارا[1] كلما سنحت له الفرصة لذلك، فيحرق وينسف[2] ويستبيح كل ما مرت به جيوشه[3]، ومن جهته أن أبا يوسف يعقوب المريني بعد تخريبه لوجدة نهض سنة (670هـ/1270م) « إلى تلمسان فحاصرها أياما، وأطلق الأيدي في ساحتها بالنهب والعبث وشن الغارات على البسائط فاكتسحها سبيا، ونسفها ونسفها نسفا»[4]، ونفس الشيء مارسه أبو يعقوب يوسف المريني في حملته على تلمسان (موقعة إيسلي) سنة (647هـ/1249م)، حيث اشتد الحصار على يغمراسن وعظم القتال وضيقت قبائل تجين برئاسة الأميرمُحَمَّد بن عبد القوي على مدينة تلمسان لأخذ الثأر من يغمراسن « فقطعوا الثمار والجنانا وغيرها لاقا بهم اعصارا لخارج يخرج غير الدوم ولم تدع في القطر قوت

وانتهب الناس الذين أصابوا فقطعوا الثمار والجنانا رأت تلمسان بهم أضرارا ولم تدع في القطر قوت

وليس فيهم رجل مصاب ولا اروا وداً ولا جنانا وغيرها لاقا بهم اعصارا لخارج يخرج غير الدوم

ويصف في موضع آخر الوضع الكارثي للمشهد الفلاحي بقوله[7]:

لم يتركوا زرعا ولا سواه حتى تمادى الجوع في حماه

فحين لم يترك له بأرضه حماه

لم يبق في سيج ولا قوتا ولم يطمع ببعض

[1]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص115، ص238، ص244، ص245. الناصري، الاستقصا، ج03، ص20.

[2]- انتسف: بمعنى اقتلع النعم: الإبل والشاة. ينظر: فيروز آبادي، المصدر السابق، ص1163.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص ص235-238.

[4]- المصدر نفسه، ج07، ص245.

[5]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص311.

[6]- الملزوزي، المصدر السابق، ص ص89-91.

[7]-الملزوزي، المصدر السابق، ص130.

سيـــــــــــــــيرات بعضـــــــــــــــه
قَـدْ أَفْنَـوا الـدّيار والمجاشـرا زرع يَـــــرا كَسَـــــائرَ
وأَخلُـوا الحُصـونَ والمطَـامرَ

وفي سنة(689هـ/1290م)، جاب أبو يعقوب يوسف المريني نواحي تلمسان وأحوازها متبعا سياسة الأرض المحروقة[1] «ينسف الآبار، ويخرب القرى، ويحطم الزروع، ولما امتنعت عليه أفرج عنها، وانكفأ راجعا إلى المغرب»[2]، وهو ما أشار إليه كذلك ابن أبي زرع الفاسي قائلا: «فسار نحوها- تلمسان- وبقي يرتحل في أحوازها ويأكل كل زروعها، ويسبي ويغنم أموالها ويخرب قراها»[3]، ففي الحصار الطويل لتلمسان (698-706هـ/1298-1306م) أردف أبو يعقوب يوسف المريني حصاره العسكري بهذه الاستراتيجية: «وهو في كل ذلك يشدد عليهم الحصر، ويقول لأوصلنه عليهم حتى أقتلهم جوعا»[4]. وبالفعل ساهم هذا الحصار بشكل مباشر وفاعل في توقف الدورة الزراعية لسنوات متكررة على اعتبار أن مدة الحصار تجاوزت ثماني سنوات، حيث أفضت إلى إفراغ مناطق وتخريب أخرى، كما قلصت من نسبة مردودية الإنتاج الفلاحي، وكل هذا لأجل إنهاك قدرة الزيانيين على المقاومة وتثبيط معنوياتهم.

لقد حرص كل طرف على إلحاق أكبر الضرر بالآخر من ذلك ما يورده ابن الأحمر عن متاعب تلمسان أيام أبي الحسن المريني، حيث خربت جيوشه «المزارع والأشجار والمراعي والنخيل» ثم يضيف: «وقل ما تنبت شجرة بعد أن تقطع والنخلة تحتاج إلى عشر سنوات لتنمو وتثمر. وشيئا فشيئا سنجد هذه الأراضي الخصبة الواسعة تتعرى مما عليها من الأشجار وتتعرض التربة تحتها للتدهور

[1]- الأرض المحروقة: طريقة في الحرب يحاول فيها أحد المتحاربين إعاقة حركة القوة المعادية وإضعافها عن طريق تدمير طرق المواصلات ووسائل التموين، وكل شيء يمكن أن يستفيد منه العدو، ويمكن أن تستخدم هذه الطريقة إما من قبل قوة متراجعة، لعرقلة تقدم القوات الغازية بصفتها وسيلة دفاعية أو من قبل جيش. ينظر: يحيى مُحَمَّد نبهان، معجم مصطلحات التاريخ، دار يافا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط01، 2008م، ص173.

[2]- الناصري، المرجع السابق، ج03، ص69. مُحَمَّد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610-869هـ/1213-1465م)، دار القلم للنشر والتوزيع، ط02، 1408هـ/1987م، ص 219. غرداوي نور الدين، الاستراتيجية العسكرية لعثمان بن يغمراسن بن زيان في مواجهة الخطر المريني المغربي (681-703هـ/1282-1303م)، مج: الدراسات التاريخية العسكرية، مج02، ع04، جويلية 2020م، ص74-75.

[3]- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص379.

[4]- ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، ص50.

للتدهور ثم تدروها الرياح أو تكتسحها الأمطار ويصبح السهل خبا»[1]. ومما زاد الوضع سوءا أنه استطاع اكتشاف منابع قنوات المياه الداخلة لتلمسان[2]، فاستغل هذه الثغرة وقطعها عليهم مما شكل أزمة لساكنة تلمسان «فقنعوا بالعين التي في داخل بلدهم واكتفوا بالبلالة»[3]، كما أمدنا صاحب زهر البستان بعض أساليب التخريب التي انتهجتها كل دولة لإضعاف الأخرى، فخلال سنوات (760-764هـ/1358-1362م)، كتب أهل الجزائر للقائد أبو سالم طلبا لنصرته «فكان قائد البلد يكتب بضعف بني عبد الواد... ويقولون له أنهم أسروا البلاد، وحرقوا البياد، فلو طلت على أهل البلاد رايتك العلية لهرعت لخلافتك الرعية»[4]، وقد كانت الوطأة أشد عند حلول أبي سالم لأطراف تلمسان وتزامن ذلك مع خروج أبي حمو موسى الثاني للمغرب، «فهذا طالب للبلاد الشرقية وهذا زاحف للبلاد الغربية، وهذا قاصد للتمهيد، وهذا قاصد للتخريب والتنكيد»[5].

والجدير بالذكر أن أبا حمو أوصى ابنه بمهاجمة الأراضي الزراعية للعدو في فصل الصيف خلال مواسم الحصاد ويتضح ذلك في قوله: «ينبغي حينئذ أن تغزوه مرتين في السنة، وذلك زمن الصيف والخريف وحين يستوي الخيرات من بلاده، فترحل إلى بلاده فتأكل زرعهم في أول حصاده»[6]. والجدير بالذكر أن تنظير أبي حمو هذا لم يبق رهين دفتي مصنفه، بل طبق هذه الاستراتيجية ميدانيا مع أعدائه في الخارج والداخل، حينما «حل بفحص حمزة (764هـ-1363م) في إبان حصاد الزرع، فأخذ فأخذ بمخنقهم واجتاح الناس ما ألفوه بوطن حمزة من الزرع»[7].

---

[1]- ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، ص42.

[2]-مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص299.

[3]- العمري، المصدر السابق، ج04، ص205. ونظرا لأهمية الماء في حياة المجتمعات المغربية سواء في مرحلة القبيلة، أو مرحلة الدولة اضطر جيش أبو حمو موسى الثاني في إحدى تنقلاته وبسبب ندرة الماء أن يقوم يدفع ربع دينار ¼ مقابل شربة ماء. ينظر: يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص231.

[4]- مؤلف مجهول، زهر البستان، ص96.

[5]- المصدر نفسه، ص98. هذه الحادثة أوردها أبو حمو في كتابه واسطة السلوك في الفصل الموسوم بـ "أقسام أعداء الملك"، وبين الضوابط التي يلتزم بها جيشه سواء كان هازما أو مهزوما، ويتضح ذلك في قوله: «وهكذا كان حالنا مع عدونا أبي سالم حينما رأينا أنه إلى بلادنا قادم، وكيف ذلك يا بني...لما توغل أبو سالم في البلاد وظن أنه بلغ غاية المراد واستقر بدار تلمسان... أتينا على حصونها نخرب ونهدم ونحرق ونسلب».ينظر:أبو حمو، المصدر السابق، ص171، ص181، ص182.ابن خلدون، العبر،ج7، ص167.

[6]- أبو حمو، المصدر السابق، ص188.

[7]- يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص127.

والأمر ذاته سيتكرر حسب ابن خلدون في إحدى حملات أبي حمو الزياني سنة 1364م: «حيث «حيث انتهب الزروع وشمل بالتخريب والعبث بسائر النواحي، وانكفأ راجعا إلى حضرته، وقد عظمت ببني مرين وثغورهم نكايته، وثقلت عليهم وطأته»[1].

لقد تضررت العديد من مدن المغرب الأوسط من سياسيات التخريب والتحريق التي مورست على القطاع الفلاحي.

الجدول 35: يبرز لنا بعض الشواهد الدالة على تخريب القطاع الفلاحي:

المدن	العبارات الدالة على التخريب	المصدر/ المرجع
البطحاء	يصف لنا الوزان وضعها قبل الحرب، وما آلت إليه بعدها «لا يرى اليوم من البطحاء سوى أسس جدران».	الوزان، المصدر السابق، ج2، ص28.
تلمسان	بعد حصار سبع سنين « ذهبت الأوماق وعجزت الحيل ونفدت الأقوات». وكذلك « نقصت الأموال وقلت الأغذية، وعمت المجاعات».	محمود مقديش، المرجع السابق، ص524. عمورة عمار، المرجع السابق، ص80.
المسيلة	فارتحل غازيا إلى المسيلة حتى نزلها، واصطلم نعمها وخرب أسوارها.	ابن خلدون، العبر، ج6، ص499.
متيجة	فانتسف نعمها وحطم زرعها	المصدر نفسه، ج7، ص123.
تيطري	وأطلق أيدي النهب فيها فلا تسأل عما استولت عليه من زرع ومتاع وضرع.	يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص217.
كارت	فاستباح عمل كارت، واكتسح زروعه وقفل.	ابن خلدون، العبر، ج07، ص144.
وانشريس	وعاث في أوطانهم ونقل زروعها إلى مازونة.	ابن خلدون، العبر، ج7، ص211.
حمزة	واجتاح الناس ما ألفوه بوطن حمزة من الزرع والقائمة حصيده، وانتهبوا ما أدركوه	يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص127.
وهران	فأظهر عليها أعدادا وكتائب، وضرب عليها الفساطيط والمضارب.	مؤلف مجهول، زهر البستان، ص132.

[1]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص171، ص188، ص190، ص191، ص413.

بجاية	فقطع جناتها وأحرق قراها وقفل.	يحي بن خلدون، البغية، ج1، ص230. التنسي، نظم الدر، ص129.

وحري بنا التطرق لفئة الرعاة، أو الكسابين الذين تضرروا بدرجة أكبر من الفلاحين[1]، ومنذ الوهلة الأولى، خاصة وأن التحرك أول مرة كان بسبب البحث عن المراعي، مدفوعا بدوافع التوسع المجالي الصرف بعيدا عن أي اعتبار آخر[2]، فعملية انتزاع الأراضي واكتساح المراعي السهلية عامل مؤسس لا محالة بالنسبة للتجربة الزيانية كلها، ولكن مع نشوب الحروب والغارات بين الزيانيين والمرينيين من جهة ومزاحمة القبائل العربية للقبائل الزيانية في نفس المجال الرعوي[3]، أدى إلى قيام نزاعات حول المراعي المشاعة بسبب ادعاء البعض ملكيته، أو بسبب تجاوز المزارعين حدود أراضي القبيلة التي استأجروا على خدمتها[4].

وبطبيعة الحال أن حصار الثماني سنوات على تلمسان، وما حاق قطعان المواشي والأبقار من هلاك خلال السنوات العجاف بسبب قلة الكلأ والمرعى والقحوط المترتبة على أثر الحصار وكذا إقدام أصحابها على ذبحها لسد رمق الجوع[5]، مما عرضها للإبادة الجماعية، كما عانى أصحابها من كساد تجارتهم وتراجع قدرتهم الشرائية حين باعوا قطعانهم بأبخس الأثمان إبان فصول تلك الأزمات،

[1]– وفي نفس الصدد يقول المؤرخ الفرنسي "مارسيل أمري": «أن الجغرافيين عندما يتكلمون على ضرر البدو، ينسون أن الفلاح يدفن الحبوب في المطامير، ولكنه لا يستطيع أن يخفي الأشجار والماشية، فالكساب هو الذي يتضرر من غارات البدو لا المزارع. وعليه فإن الضرر يلحق الشجر المثمر والحيوان أكثر مما يلحق المحاصيل الزراعية». ينظر: عبد الله العروي، المرجع السابق، ج02، ص224.

[2]– مُحَمَّد القبلي، الدولة والولاية والمجال، ص44.

[3]– المرجع نفسه، ص ص44–50. وفي هذا الشأن يقول الحسن الوزان: « أن هؤلاء العرب كانوا يكسبون عدد لا يحصى من الغنم والبقر الأمر الذي جعلهم لا يستقرون في مكان واحد لعدم وجود أراضي كافية لرعي هذه الأعداد الوافرة من الماشية». ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص62.

[4]– إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ الغرب الإسلامي، ص23.

[5]– يقول ابن خلدون: «أن العطش الذي أصاب ماشية مغراوة كان عاملا حاسما في إنهاء الحصار بعد اشتداد العطش عليها فنزلت تطلب المورد». ينظر: كتاب العبر، ج07، ص160.

ناهيك عما طال هذه القطعان من نهب وسلب في ظل ذلك الوضع المتأزم من طرف المحاصرين وعصابات اللصوص[1].

لقد كان للعرب أعداد كبيرة من الماشية من خلال ما كان يغنمه منهم السلاطين أثناء هزيمتهم لهم ونكتفي بذكر مواقع تلخص ذلك: فالأولى أثناء الصراع بين يعقوب بن عبد الحق و يغمراسن بن زيان «اكتسحت أموال العرب الناجعة الذين كانوا مع يغمراسن وامتلأت أيدي بني مرين من نعمهم وشاتهم»[2].

والثانية: « بعد مقتل السلطان المريني أبي يعقوب يوسف فرح السكان، فقتلوا عددا كبيرا من عدوهم الذي فر شذر مذر، وغنموا أقواتا وكمية وافرة من الماشية اضطر العدو إلى تركها»[3].

أما الثالثة: فحين شب الصراع بين خالد بن عامر وأبي حمو موسى الثاني، فبعد أن تحالفت سويد هذه المرة مع الزيانيين، وبعد أن تمكنت عساكر الزيانيين من إلحاق الهزيمة بخالد بن عامرومُحَّد بن بن زيان «غنم الزيانيون الكثير من الغنم والأنفال التي تدل على وفرتها عندهم»[4].

إن حالة العداء والحروب والحصارات التي فرضت على المغرب الأوسط، انعكست بالسلب على المنطقة، وكثيرا ما أدت إلى انتشار عمليات السلب والنهب للمزروعات والأنعام في إطار ما يسمى بالغنيمة من طرف المحاربين الفوضويين، ولا يخفى أن الأبقار والخيول ودواب الجر كانت وسيلة أساسية من وسائل الإنتاج الزراعي، وحرمان الفلاحين منها يعني التأثير على مردودية أعمالهم الزراعية[5]، وبالتالي تنحبس قدراتهم وتتعطل عن الإنتاج والسعي، وقد تؤدي أحيانا إلى انتشار مجاعات

---

[1]- عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق6-8هـ/12-14م)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2008م، ص108.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر، ج07، ص270.

[3]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص18.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص270.

[5]- عادل يديرة، بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط (دراسة للواقع الاقتصادي والاجتماعي وتأثيرها على السلوك و الذهنيات) من القرن 04هـ/10م إلى القرن 07هـ/13م، مذكرة لنيل ماجستير في التاريخ، جامعة مُحَّد بوضياف المسيلة، 1438هـ/2018م، ص133. يقول ابن خلدون أن أبا ثابت لما خرج لمحاصرة مغراوة سنة 752هـ تضرر الإنسان والحيوان معا من خلال قوله: « فاشتد= الحصار على مغراوة وأصاب مواشيهم العطش، فانحطت دفعة واحدة من الجبل تطلب المورد فأصابهم الدهش». العبر، ج7، ص160. الحسين بولقطيب، جوائح و أوبئة مغرب عهد الموحدين، ص ص96-97.

مجاعات محلية[1]، لقد أصبح عدد كبير من الفلاحين يستلفون البذور لزرع أراضيهم، ويبدو أن نشاط الأحباس سار لمعالجة هذا المشكل، فقد وردت نازلة «عن رجل وضع مائة قدح شعير تحسبا ليستلفها من لا يملك بذورا لأرضه على أن يرجعها بعد الحصار»[2].كما أن الرعاة كانت حياتهم ضنكى مثلما وصفها الوزان بقوله: «سواء منهم سكان الجبال أو سكان السهول الذين يعيشون معيشة ضنكى، ويبقون في بؤس وخصاصة على الدوام»[3].

إن هذا العزوف عن إنتاج الغداء، يكون سببا في المجاعات[4] المؤدية إلى كثرة الأموات، والارتفاع الفاحش للأسعار[5]، وما يعزز ذلك أيضا قول ابن خلدون عن مجاعة 698-707هـ/1299-1307م: «نالهم فيها من الجهد مالم ينله أمة من الأمم، واضطروا إلى أكل الجيف والقطط والفئران حتى زعموا أنهم أكلوا أشلاء الموتى من الناس، وخربوا السقف للوقود، وغلت أسعار الأقوات والحبوب وسائر المرافق»[6]، وكذلك قولهم: «واستهلك الناس أموالهم و موجودهم»[7]. وعليه فالجدول التالي يوضح لنا بعض المنتوجات وأسعارها وقت الغلاء بسبب قلة العرض وكثرة الطلب مثلما تناولتها مصادر المرحلة[8].

الجدول 36: يبرز لنا اسعار بعض المواد الاستهلاكية خلال الحروب.

السلع والمنتوجات	أسعارها	الحيوانات	أسعارها

[1]- محمد البركة وآخرون، النظام الغذائي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط(دراسات في سوسيولوجيا الأحكام والقيم والعوائد)، مطبعة بني يزناسن، سلا، المغرب، د.ط، أكتوبر2016م، ص28.

[2]- الونشريسي، المعيار، ج10، ص344.

[3]- الوزان، المصدر السابق، ج01، ص88.

[4]- ومما يعضد على تفشي المجاعات وصف العبدري لمجاعة (688هـ/1289م) في قوله:« ثم وصلنا إلى مدينة تلمسان فوجدناها بلدا حلت بها زمانة الزمان، وأخذت به حوادث الحدثان، فلم تبق به علالة ولا تبصر في أرجائه للضمآن بلالة». العبدري، الرحلة المغربية، ص09.

[5]- الحسن بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، ص ص100-101. سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588هـ-927هـ/1192م-1520م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009م، ص105.

[6]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص128.

[7]- المصدر نفسه، ص128.

[8]- المصدر نفسه، ص128. ذكر يحي بن خلدون أن بيع صاع القمح بلغ دينارين ونصف في الحصار، وبعده كل ثمانية أصبع بدينار وسعر الشعير نصف ذلك. ينظر: يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص210. ابن خلدون، العبر، ج7، ص128، التنسي، المصدر السابق، ص132.

القمح	12.5 مثقال	البقر	60 مثقال
الشعير	06 مثقال	الضأن	07.5 مثقال
الزيت	16 درهم	لحم البغال والحمير	8/1 مثقال
الحطب	10 دراهم	الخيل	10 دراهم
السمن	16 درهم	الدجاجة	30 درهم
الملح	10دراهم	الكلب	1.5 مثقال
الفول	20 درهم	الفأر	10 درهم

أما الحسن الوزان فقد قدم لنا معطيات مهمة عن الغلاء الذي تفشى في أوساط المجتمع التلمساني أثناء وبعد الحصار الخانق المضروب عليها.

الجدول 37: يبرز لنا تباين اسعار المواد الاستهلاكية أثناء وبعد الحصار:

الزمن/الحالة	الكيل/الكمية	المادة/النوع	السعر/الثمن	الصفحة
أوقات الحصار	روجيو30 مثقال سكورزو رطل	القمح الملح اللحم	30 مثقال 03 مثاقيل ربع ¼ مثقال	الوزان، المصدر السابق،ج1، ص18.
بعد الحصار	سكورزو سكورزو	القمح القمح	03 مثاقيل بيو تشين 14 سنتيم ذهبي.	المصدر، نفسه، ج1، ص18.

أما التنسي فلقد أمدنا بمعطيات عن أسعار القمح وتدني سعره خلال اليوم الواحد (الفترة الصباحية ثم المسائية) .

الجدول 38: يمثل تغير أسعار القمح خلال اليوم الواحد

المادة	المقدار/الكمية	الوقت	السعر	الصفحة
القمح	01 صاع	أول النهار	دينارين وربع	التنسي، المصدر السابق، ص133.
القمح	01 صاع	آخر النهار	ثمن دينار	المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

من خلال هذه الإحصائيات يتضح لنا أن حصار تلمسان ترك آثارا جد سلبية على ساكنة تلمسان سواء من حيث الغلاء الفاحش لمواد الاستهلاك ونقصها أو انعدامها أحيانا في الأسواق، نتيجة غلق جل المنافذ التجارية لدخول البضائع، ومنع الفلاحين والحرفيين من ممارسة نشاطاتهم، مما أدى إلى تفشي المجاعات والأوبئة المختلفة، وهلاك أعداد كبيرة من السكان، ولكن مع انتهاء الحصار تدنت الأسعار وتحسن المستوى المعيشي للسكان بسبب عودتهم لممارسة أعمالهم السابقة.

ومن زاوية أخرى نقول أن الحرب لم تكن لوحدها مسؤولة عن حالة اللاستقرار، بل كانت الحرابة واللصوصية والغصب التي انتهجتها بعض القبائل العربية كنمط حياة لتلقي بكلها على أقاصي العواصم والدول وتثأر لأيام الهضيمة و العسف والمغرم[1]. وفي هذا الشأن يؤكد "جورج مارسيه" (George Marçais) أن هناك: «عشرون شهادة خاصة بالجغرافيين تبين مدى الخراب الذي نشروه والدمار الذي أصابوا به الحياة الاقتصادية وزراعة السهول و البستنة على مشارف المدن»[2] ،كما أنهم أنهكوا الفلاحين أثناء عودتهم من مشاتيهم بداية موسم الحصاد، فيأخذ كل شيخ قبيلة من الفلاحين كميات وفيرة من الحبوب وسط جو من الرعب والخوف، ويصف هذا الوضع عبد الرحمن بن خلدون قائلا: «وربما يلحق أهل العمران أثناء ذلك معرات من إضرارهم بإفساد السابلة ورعي الزرع مخضرا انتهابه قائما وحصيدا إلا ما أحاطته الدولة وذادت عنه الحامية في الممالك التي للسلطان عليهم فيها سبيل»[3].

كما لا يفوتنا أن ننوه بكتب النوازل التي صورت لنا خوف الفلاحين من مداهمة هؤلاء المحاربين أثناء ممارسة نشاطاتهم الفلاحية، ارتأينا تقديم النص كما هو حتى يكون أكثر تعبيرا. يقول الونشريسي في هذا الشأن: «وسئل عم ابتلي به المسلمون من هؤلاء الأعراب الذين اقتطعوا أراضيهم ورباعهم ومنازلهم واقتسموها بالسيف وحالوا بينهم وبينها، فيخرج الناس إلى الحرث والحصاد وجمع الزيتون مستوفرين مستعجلين إلى الرجوع إلى مدائنهم، يخاف كل واحد منهم إن تأخر عن أصحابه على نفسه وماله يتركون في الحرث أرضهم ويحرثون غيرها بحكم وقسم العرب، و يتركون كثيرا من

[1]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص ص271-273.

[2]- جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تح: محمود عبد الصمد هيكل، مرا: مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الابتكار، الإسكندرية، مصر، 1991م، ص227.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج02، ص17.

زيتونهم عند جمعه لبعدهم عنه وعدم تمكنهم من الأسباب فيه والمخاصمة عليه، فيحتاجون لضرورتهم أن يستأجروا على جمع الزيتون قبل طيبه بثلثه وربما كان بنصفه، ولو وجدوا العافية لجمعوه على مهل بعد طيبه بأيديهم وعبيدهم، ويستأجرون على حصاد الزرع سبعة أيام بدينار لكل حصاد غير طعامه، ويكون على نقله إلى المدينة بثلث دينار لكل حمل، فربما بلغ كراؤه وحصاده للضرورة المتقدمة قدر نصف الزرع وأكثر من ذلك، ولو وجدوا العافية لتولوه بأنفسهم وعبيدهم والمساكين شركاؤهم فيه بعشرة»[1] ،كما وردت نازلة أخرى عن أكل الفول قبل يبسه، وإعطائه على وجه السلف[2]، وهي كلها نوازل رصدت لنا الحياة اليومية للسكان، وأثبتت لنا لجوئهم عند حلول الأزمات إلى استهلاكه قبل نضجه.

ومن خلال هاتين النازلتين يتضح لنا جليا أن العديد من شيوخ القبائل العربية استقلوا بالبوادي والأرياف وبعض المدن بعدما نشروا الخوف والفزع بين السكان[3]، فاستبدوا بإدارتها، وأصبحت تضاهي نفوذ الدولة.

الجدول 39: يظهر لنا بعض القبائل العربية التي استفادت من نظام الاقطاع[4]:

القبيلة	المجال
أولاد يحي بن سباع	جبل الأوراس والزاب
بنو مالك	سيرات، البطحاء، هوارة
العطاف	نواحي مليانة
الثعالبة	سهول متيجة ومدينة الجزائر
بنو عامر	مدينة وهران كتاسالة وجبل هيدور وكيدرة المشرفة على المدينة.
قبيلة حصي	مستغانم، الشلف، المدية، بلاد صنهاجة
ذوي عبيد الله وذوي منصور	تلمسان إلى وجدة، ندرومة وبني يزناسن ومديونة، وبني سنوس.
قبيلة سويد	بطون بنو توجين.

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج01، ص ص374-375.

[2]- الونشريسي، المعيار، ج06، ص44.

[3]-عبد العزيز فيلالي، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط،دراسة سياسية، عمرانية وثقافية، دار البعث للطباعة، الجزائر، ج01، ص167.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص64 -65، ج7، ص217. مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص102، ص103-104، ص104، ص105.

ولا مناص من القول أن القبائل العربية شكلت خطرا مميتا وكابوسا أرق الجميع، وخاصة الفلاحين والرعاة بسبب غياب سلطة ردعية وقوية[1] تتكفل بحماية أملاك هؤلاء، خاصة في عهد السلطان أبي حمو الثاني، حيث أصبحت البلاد كلها عبارة عن إقطاعات للقبائل والأشخاص[2]، سواء في ذلك من كانوا من الأسرة الحاكمة أو من أنصارها[3]، مما زاد من تدهور أحوال الفلاحين على النحو الآتي:

- تعاظم ظاهرة بوار المزارع وإحجام الفلاحين على زراعتها[4]، وهذا ما يفسر ترحيب النظم السائدة بالعناصر الموريسكية بهدف استخدامهم في فلاحة الأرض[5].

- إهمال مشروعات الري والاستصلاح والصيانة، ودليلنا على ذلك كثرة النوازل المتعلقة بالمياه والمساقاة.

- ندرة المياه أدى إلى تقلص ظاهرة البستنة وندرة شركات المغارسة في علاقات الإنتاج بالقياس إلى المزارعة[6].

- تقلص المساحات المكسوة بالأشجار، وبالتالي تناقص الثروة الغابية[7].

---

[1]- وفي هذا الشأن يقول عبد الله العروي أن: «البدوي مستعد دائما لكي يستقر ويزاول الزراعة بالمعنى التقليدي المعروف، إذا كانت الدولة قوية قادرة على أن تضمن له الأمن، لا يتمادى في البداوة، إلا إذا تفتت السلطة وضعفت الدولة وقلَّ السكان وبالتالي ندرت القوة الإنتاجية». المرجع السابق، ج02، ص224.

[2]- معنى الإقطاع في العهد الزياني: هو كل ما يمنح من امتيازات للقبائل أو الأشخاص مقابل خدمات يقدمونها للدولة، فالسلطة الزيانية كانت تفوض لشخص أو لجماعة استغلال الأراضي الزراعية، وجباية الأعشا، واستخلاص فوائد الرعي، وقبض الرسوم التي كانت تؤدى على الأبواب أو الممرات أو القناطر أو الأسواق وغيرها. من بين الأشخاص الذين استفادوا من الإقطاع : يوسف بن مهدي:= بلاد البطحاء وسيرات، وعنتر بن طراد: بلاد البطحاء، وداود بن هلال: بلاد حمزة وغيرهم كثير. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص61-69. عبد الله العروي، المرجع السابق، ج02، ص211.

[3]- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج02، ص20.

[4]- الونشريسي، المعيار، ج08، ص ص171-178.

[5]- محمود إسماعيل عبد الرازق، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص1201.

[6]- المرجع نفسه، ص1202.

[7]- عبد الله العروي، المرجع السابق، ج02، ص224.

– فوز الوجهاء والأعيان والمشايخ ورجال الدولة بأنصبة واسعة من الأراضي على حساب المزارعين وتدهور خصوبة الأراضي السلطانية وقلة ريعها بسبب زراعتها عن طريق السخرة، وكذا أراضي الأوقاف والحبوس التي تعرضت للجدب بسبب إهمال خدمات السقاية والصيانة[1].

– استثمار الأراضي الزراعية المنتجة وفق نظام الخماسة (5/1)[2]، وأنَّ الفلاح يتحمل مسؤولية النوازل الطبيعية والبشرية التي تلحق بالزرع، حتى بات الفلاح في الأخير يقدم عمله دون عائد تقريبا[3].

تقريبا[3].

– عجز الفلاحين عن إيجاد أماكن لإبعاد البهائم عن ما قد يجعلها فريسة سهلة في أيدي المحاربين، ونفوق العديد من رؤوس الماشية بسبب المجاعات، وهو ما أثر سلبا على الاقتصاد، خاصة إذا اعتبرنا أن الحيوانات (كالأبقار والخيول) تعتبر قطعة أساسية في العمل الفلاحي[4].

– تكليف الفلاحين من قبل أصحاب الأرض القيام بأعمال جانبية لا علاقة لها بزراعة الأرض كالاحتطاب والرعي، وهو ما عبر عنه محمود إسماعيل عبد الرازق قائلا: «لقد شكّل الفلاحون والرعاة قوام الطبقة العامة، لكن نشاطهم إزاء السلطة اتسم بالخنوع والمهادنة، نظرا لضراوة النظم البدوية العسكرية، فكانت الدولة تلزم الفلاح على سبيل المثال بزراعة الأرض وإن رفض دفع خراجها، لذلك لم يتمرد الفلاحون على السلطة إلاّ نادرا»[5]، الأمر الذي خلق اختلالا مجتمعيا نتيجة تخلي الناس عن أراضيهم الزراعية.

من حصاد ما تقدم، يتضح أنَ حروب العصر الزياني وقلاقله أضرت بالإنتاج الفلاحي وقلصت من مردوديته بفعل تخريب المحاصيل الزراعية ونهب المواشي وإنهاك المشهد الفلاحي، والهدف من وراء كل هذا هو محاولة كل دولة إفقار الدولة الأخرى اقتصاديا، بغية استنزافها ثم السيطرة عليها كليا لأجل ضمان فاعليتها العسكرية.

---

[1] – محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص1202.

[2] – الخمس: بضم الخاء والميم: هو جزء من خمسة. ينظر: مُحَمَّد عمارة، المرجع السابق، ص200.

[3] – مُحَمَّد بن حسن، المرجع السابق، ص63.

[4] – مُحَمَّد الأمين البزاز، المرجع السابق، ص99.

[5] – محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص1278.

02- النزوح القسري للفلاحين نحو الجبال والمرتفعات:

إن توالي الحروب والقلاقل وعدم الاستقرار السياسي وغارات القبائل المتحاربة، فضلا عن المكانة الهامة التي اكتسبتها الأرض بخصوبتها في مجمل الأهداف الأساسية للأطراف المتحاربة، كلها عوامل أفضت إلى عزوف الفلاحين عن سكنى المنبسطات، و تركها في أيدي المحاربين «لا يشاركهم فيها غيرهم»[1] واللجوء إلى المناطق الآمنة، إذ عادة ما شكلت الجبال والمرتفعات المجال الأكثر استقطابا لهؤلاء لأنها حسب ابن خلدون « بمنجاة من عيثهم وفسادهم»[2]، بينما البسائط متى اقتدر عليها المحاربون «بفقدان الحامية وضعف الدولة فهي نهب لهم وطعمة لآكلهم، يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم إلى أن يصبح أهلها مغلبين لهم، ثم يتعاورونهم باختلاف الأيدي، وانحراف السياسة، إلى أن ينقرض عمرانهم»[3].

وتشير المصادر أن بعض قبائل المغرب الأوسط قد هجرت قسرا من طرف سلاطين بني زيان، مثلما حصل مع زناتة التي اعتصمت بالجبال والمرتفعات، وفي هذا الصدد تقول الرواية: «لما استقل يغمراسن بأمر تلمسان والمغرب الأوسط وظفر بالسلطان وعلا كعبه على سائر أحياء زناتة، نفسوا عليه، فنابذوه العهد، وشاقوه الطاعة، وركبوا له ظهر الخلاف والعداوة، فشمر لحربهم ونازلهم في ديارهم، و أحجرهم في أمصارهم ومعتصماتهم من شواهق الجبال ومتمنع الأمصار»[4]. وهذا يدل على أن المرتفعات هي ملجأهم الوحيد لما تتوفر عليه من غابات كثيفة وكهوف ومسالك ضيقة، وبذلك يصعب اللحاق بهم.

---

[1]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص174. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص290. الذخيرة السنية، ص65.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، ص122.

[3]- المصدر نفسه، ص123.

[4]-ابن خلدون، العبر، ج07، ص ص106-107. ونفس الشيء سيتكرر مع عثمان ابن يغمراسن عندما غزا قبيلة مغراوة سنة 693هـ/1293م، حيث استولى على «أمصارهم وضواحيهم وأخرجهم عنها وألجأهم إلى الجبال». ينظر: المصدر نفسه، ج7 ص90. التنسي، المصدر السابق، ص129.

كما أنَّ قيام أمراء بني زيان بنهج سياسة إقطاع الأراضي للقبائل منذ اكتساحها المجال الخصيب وما رافق ذلك كله من أشكال الاستغلال والغصب والتعدي، مثلما تناولتها كتب النوازل[1]، أفضت إلى « قبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر»[2]، مما زاد من تدهور النشاط الفلاحي وتراجع مردوديته.

ونتيجة لهذه الأوضاع المتأزمة، أفصحت لنا مصادر المرحلة عن زيادة الفارين من اليد العاملة الزراعية الخبيرة عن خدمة الأرض و التحصن بالجبال[3]، حيث أصبح الحديث متواترا عن بواد أضحت «مهجورة» وقصور تكاد تكون «غير مسكونة»[4]، ومجاشر «خلت وانجلى عنها أهلها»[5]، وعن رعايا «أجفلوا إلى الحصون»[6]، مثلما ذكره الوزان عن مدينة مستغانم قائلا: «حتى أنها فقدت ثلثي3/2 أهلها في وقتنا الحاضر». ثم يضيف قائلا: «وفي خارجها عدة بساتين جميلة، لكن معظمها مهجور»[7]، ومثلهم سكان مدينة مازونة[8]» حتى أصبحت اليوم قليلة السكان»[9]. وكل هذا بسبب مضايقة الأعراب، وانتزاع الأراضي من السكان الأصليين، وضعف الدولة.

---

[1]- سئل إبراهيم العقباني: «عن رجل تعدى على أرض مجشرها على وجه البغي والظلم فأنكر عليه ذلك ونهى عنه، فصمم على حرثها»، وفي نازلة أخرى سئل أبو الفضل العقباني عن غاصب تعدى على مكثري للأرض وحرثها لنفسه». ينظر: المازوني، المصدر السابق، ج02، ص65، ص76.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، ص248.

[3]- داودي الأعرج، تطور الفلاحة في المغرب الأوسط ما بين القرنين الثاني والسادس هجريين ق12/08م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016-2017م، ص110.

[4]- الوزان، المصدر السابق، ج01، ص217.

[5]- مُحَمَّد بن غازي العثماني، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح:عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط02، 1408هـ-1988م، ص40.

[6]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص472.

[7]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص32.

[8]-كانت مازونة عرضة للتخريب من قبل ملوك تونس تارة، ومن قبل الثوار تارة أخرى، والأعراب الذين أذاقوا الويل لأهلها. ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج2، ص36. كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص359.

[9]- الوزان، المصدر نفسه، ج02، ص36.

وفي نفس الصدد أفصحت لنا كتب النوازل عن مشاكل جمة واجهت الفلاحين مثل: «قد فر بنفسه وبعياله، وبما خف من متاعه»[1]، وعن أراض صاحبها غائب[2]، وعن قرى فر ساكنها «بماله وبما خف من متاعه»[3].

الجدول 40: يظهر لنا كثرة ساكنة الجبال في مراحل ضعف الدولة:

اسم الجبل	موقعه	المصدر والصفحة
جبل ونشريس	بلاد توجين	كاربخال، المصدر السابق، ص360-361. الوزان، المصدر السابق، ج2، ص45.
جبل مطغرة	ستة أميال عن ندرومة	كاربخال، نفسه، ج2، ص351. الوزان، نفسه، ج2، ص43
جبل بني يزناسن	بين قفر كرط وانكاد	الوزان، نفسه، ج2، ص43.
جبل ولهاصة	قرب هنين	الوزان، نفسه، ج2، ص44.
جبل مغراوة	قرب مستغانم	نفسه، ج2، ص44.
جبل ورنيد	قرب تلمسان	نفسه، ج2، ص44.
جبل أغبال	قرب وهران	نفسه، ج2، ص44.

وخلاصة القول ومن خلال هذا الجدول نلحظ أنَّ كثيرا من الفلاحين وبفعل الانفلات الأمني وشبه الفراغ السياسي للسلطة المركزية، هجروا أراضيهم وعادوا إلى حياة الترحال والرعي على حساب التمدن وحياة الاستقرار، وأصبحت أراضيهم في ملك بني زيان والقبائل العربية ذات النجعة والحرب، الشيء الذي أدى في نهاية الأمر إلى تدهور النشاط الفلاحي وتراجع نسبة ممتهنيه.

03- الإتاوات الحربية والإجحاف الضريبي:

رغم أن الزراعة ظلت النشاط الأساسي للسكان، إلا أنها لم تلعب دورا مهما في قوة اقتصاد الدولة الزيانية، وذلك لعدم اهتمام الطبقة الحاكمة بها سوى في حدود ما تضمنه لها من ضرائب الخراج[4]، حيث أن معظم جباية السلطان حسب ابن خلدون: « إنما هي من التجار والفلاحين»[5]، بل

[1]- المازوني، المصدر السابق، ج02، ص26.

[2]- المصدر نفسه، ج02، ص75.

[3]- الونشريسي، المعيار، ج2، ص116.

[4]-إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة، ص28.

[5]- ابن خلدون، المقدمة، ص230.

«نصف جبايته متأتية من الخراج المفروض على الأرض»[1]، وهي الأساس للمداخيل المنظمة والثابتة[2]، خاصة وأن الخراج مهم جدا للسلطان، لأنه به قوته، فمنه تجهز الجيوش التي يحمي بها البلاد[3].

لقد شرح لنا ابن خلدون أثر الضرائب على الفلاحين وزيادتها بكثرة المغارم تؤدي إلى انقباض الفلاحين عن الفلاحة، وتقل جملة الجباية لقلة ما يزرع، أو دخلها النقص المتفاحش بل وتحدث المجاعات[4].

لقد تميزت علاقات الإنتاج بالتشديد على المزارعين في الضرائب (الشطط الجبائي)، وتقليص نصيبهم في ا لعملية الاقتصادية، رغم شيوع الملكية الخاصة وأراضي الإقطاع، ظلت الدولة تعتبر المالك الأعلى للأرض[5]، ومن مسائل التجاوزات التي تعرض لها الفلاحون من طرف أصحاب الجاه والنفوذ ما ذكره الوغليسي (ت786هـ/1385م): «عمن له أرض للحراثة ويعجز عن رفع المظالم التي ينشئها العامل على الحراثين، فيأتي لذي سلطة وجاه ويقول له أشترك معك في حرث أرض على أن تلزم لي جميع المغارم والملازم»[6]،كما ذكر لنا ابن مرزوق الخطيب أن بتلمسان وأعمالها وظيفة مغرم الماء حيث «كان سقي الجنات يضطر فيه إلى مغرم للبراءة، ولصاحب الحوز والحراس، ويجري فيه من المصائب والخسارات والغبن ما لا يدخل تحت حصر»[7]. إذ هناك غرامة الحب مع زكاة الأعشار التي فرضها السلاطين على الرعية لشحن المدن، وتخزين الحب توقعا للحصار، كلها لا شك مغارم أثقلت كاهل الفلاحين، وأصبح في كل الأحوال المغارم يعيش «ذليلا بئيسا بما تتناوله أيدي القهر

[1]- المازوني، الدرر، ج01، ص108.

[2]- عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي، ص77.

[3]- سهام دحماني، النظام الضريبي للدولة الزيانية (633-962هـ/1236-1554م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، جامعة قسنطينة، 2018/2017م، ص456. خاصة في مواجهة تدخلات الحفصيين والأعراب، يقول العقباني: «فالقوم الذين قطعوا أراضيهم وبردوا خراجها عن جمعه لبيت المال إلا ضعفوا وبانت مقاتلهم وحماتهم، وصاروا هدفا لسهام أهل الفساد وطاغية أولي البغي والعناد». ينظر: العقباني، تحفة الناظر، ص154.

[4]- ابن خلدون، المقدمة، ص231. أحمد بن علي المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تح: جمال الدين شيال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2000م، ص63.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص28.

[6]- مُحَمَّد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع، ص378.

[7]- مُحَمَّد ابن مرزوق التلمساني، المسند، ص285.

والاستطالة»[1]، وأضحى نشاطه خاصا «بالمستضعفين وأهل العافية من البدو»[2]، وكل من رفض أو ماطل في دفع الضرائب يعرض نفسه للسجن والمصادرة[3]. وبالجملة فإن «الرعايا استولت عليها المغارم و نَـز فَـها الحلْب حتى عجزت عن الفلح وضعفت عن الإثارة والبذر»[4]،كما أنه نتيجة لتضخم الضرائب المفروضة لم يعد يوجد «سوى القليل من الفلاحين الذين يستطيعون توفير ما يلزمهم ضرورة من لباس وطعام»[5].

من خلال استقرائنا لهذه المصادر يتضح لنا وجود مظالم كانت واقعة على الفلاحين بسبب كثرة المغارم، وزاد تشدد الدولة في الميدان الجبائي، خاصة في المراحل الأخيرة من عمرها من أجل الحفاظ على ولاء المقطعين الذين يكونون في الغالب من القواد العسكريين وشيوخ القبائل، أو من أجل استمالة عناصر مقاتلة إلى صفها[6]، وفي هذا الشأن أفتى المغيلي: «بأنه إذا وقع الناس مصيبة تفتقر لمال ولا شيء في بيت المال، ولا يمكن دفع ضررها إلا من أموالهم، حيث الإعانة عليهم بحسب أحوالهم من غير أن يستمر ذلك عليهم، وذلك كسقوط حصن بمكان خوف، لا كمصيبة نزلت بسلطان من قائم عليه لينزع عنه ما بيده»[7].

وعليه ولأجل تدبير توازنات خزينة الدولة من حيث الموارد الحربية ونفقات حروبها التوسعية الخارجية من جهة[8]، وتغطية نفقات رجال الدولة على حياة البذخ والترف والكماليات[1]، ابتدعوا

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص328.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، 328.

[3]- الونشريسي، المعيار، ج06، ص306.

[4]- ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ج02، ص270.

[5]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص289.

[6]- الحسين بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، ص167.وفي كل الأحوال، فإننا لا نستبعد، أن يكون الخصاص الذي مس الدولة الزيانية، قد ظهر جليا في عهد أبي حمو موسى الثاني، عندما كان مضطرا إلى مكافأة حلفائه، وأنصاره، فوزع عليهم ما كان بيده من أموال وأقطعهم الأراضي، ومنحهم الامتيازات، فأنفق بذلك جل ما ألفاه في بيت المال.ينظر: عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وآثاره، ص91.

[7]- مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1503م)، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تح: مُحَمَّد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1994م، ص53.

[8]- محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص1182.

جملة من الضرائب من بينها: ضريبة الأرض المخزنية[2]، وغرامة الجنات، ووجيبة الحرث، والتسخير في حرث مضمد في أرضهم، حتى أنهم يمنعون الفلاح من بيع أرضه إن احتاج إليها رغم أنه يؤدي مغرمها، وإن رحل عنها استغلوها بالتأجير من آخرين وأخذ كرائها[3]، كما أن منطق الغلبة يلزم الدول، أو القبائل المغلوبة على أمرها والتي يسميها ابن خلدون بالقبائل الحاشدة أو الغارمة تسديد «الحقوق عند الحشد والعسكرة»[4] ، وهو ما قام به يغمراسن عندما «غزا العرب بصحرائهم اثنين وسبعين غزاة إلى أن استعبد أحرارهم واستغرم عن يد وهم صاغرون أموالهم»[5].

وجدير بالإشارة أن إلزام الفلاحين بالمغارم والإتاوات وإرغامهم على دفعها بالقوة خلال هذه الفترة لم يقتصر على الدولة وجبايتها من الأفراد والقبائل، بل شمل مجموعة من القبائل التي استقلت بمجالاتها وفرضت على الفلاحين أداء الإتاوات لتجنب غاراتها وغارات غيرها[6]، وهو ما حدا بأهل مدينة الجزائر ونواحيها سنة (771هـ/1370م) أنهم وفدوا على السلطان عبد العزيز المريني، لتقديم البيعة، ويشتكون حيف الزيانيين وشططهم في المغارم، فزحف هذا السلطان على تلمسان سنة (772هـ/1370م)، واستولى على ملك بني زيان، وأقام بها حتى توفي سنة(774هـ/1372م)[7].

لا شك أن هذه الأمثلة تعكس بعض مظاهر وأجواء الحياة البائسة التي كان يعيشها الفلاحون بسبب الإجحاف الضريبي، الأمر الذي دفعهم في العديد من المرات الاحتماء بأصحاب النفوذ والجاه

---

[1]- يقول الحسن الوزان: «كانت مملكة تلمسان تحقق مردود يبلغ ثلاثمائة ألف وحتّى أربعمائة ألف دينار، لكن نصف هذا المبلغ ينفق على الأعراب وحراس المملكة، والباقي أجور الجند، والقادة وكبار موظفي الحاشية، وكان الملك هو أيضا ينفق على قصره وعلى ما يتطلبه تمثيله، مما جعل بيت المال في أسوء حال»، المصدر السابق، ج02، ص23. عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق ص91.

[2]- ضريبة الأرض المخزنية، كان« مخزنها أكثر من أجر مثلها»، أي أن مخزنها أكثر من أجر مثلها من الأراضي غير المخزنية. ينظر: المازوني، المصدر السابق، ص24. دحماني سهام، المرجع السابق، ص458.

[3]- دحماني سهام، المرجع نفسه، ص458. ويدخل في هذا النطاق الأراضي المتقلبة التي كان الفلاحون يؤدون عنها ضريبة لصاحب القبالة التي اكتراها من الدولة وتسمى ضريبة قبالة الأرض. ينظر: إبراهيم القادري بوتشيش، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، مارس2002م، ص80.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج06، ص271.

[5]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص207.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج06، ص ص91-92.

[7]- الثغري التلمساني، المصدر السابق، ص27.

يعرضون عليهم الاشتغال لصالحهم على أرضهم مقابل حمايتهم، ضمانا لأدنى شروط الحياة من مأكل ومشرب وملبس.

04- التجنيد العسكري للفلاحين:

لقد مثَّل التجنيد العسكري مظهرا آخر لآثار الحرب على النشاط الفلاحي، حيث أن إجبارية المشاركة في الحرب سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أفضت إلى تقليص نسبة السكان الممارسين للنشاط الفلاحي، ولعل هذا كشفته كتب النوازل والسياسة والعقود أن معظمهم كانوا يقبلون التجنيد كمتطوعين لأنهم في الأصل من الفلاحين والرعاة والحرفيين وغيرهم الذين أغرتهم أموال الحرب وغنائمها، ففضلوا نشاطها عن عملهم الأصلي[1] ،كما أشارت لنا كتب العقود عن اضطرار بعض الفلاحين إلى تأجير من ينوب عنهم في الغزو[2]، كما تناولت بعض كتب الأحكام «على الأمير أن لا يُخرِج للغزو رجلا زرع زرعا، ثم لم يحصده»[3].

إن منطق الغلبة السائد آنذاك كان يلزم القبائل المغلوبة على أمرها والتي يسميها ابن خلدون «بالقبائل الحاشدة الغارمة»[4]، مجبرة «بالخفوف إلى العسكرة مع السلطان متى دعوا إليها»[5]، عن طريق طريق تسديد «الحقوق عند الحشد والعسكرة»[6]، من ضرائب ومغارم وجبايات لتغطية نفقات الحرب، أو بطريقة غير مباشرة من خلال توفير حاجيات الجنود من مؤن وعلوفات الخيل ودواب الجر

---

[1]- الونشريسي، المعيار، ج03، ص18، ص97، ص155. ج4، ص ص19-114. حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص109.

[2]- لقد كان عقد إجارة غاز: «كأن يستأجر فلان فلانا الفلاني ومن نعته كذا لينوب عنه في غزاه كذا إلى بلد كذا، ويجاهد عنه عدو الله بما استطاع و ينكيه بما قدر عليه من تحرق ثمارهم وخراب ديارهم وإفساد زروعهم». ينظر: فايز بن مرزوق بن بريكي السلمي المقصد المحمود في تلخيص العقود لعلي بن يحي بن القاسم الجزيري (ت 585هـ)، تحقيق ودراسة، أطروحة دكتوراه تخصص الفقه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/1422هـ، مج02، ص338.

[3]- أبو مُحَمَّد بن عبد الله مسلم بن قتيبة الدينوري (213هـ-276هـ)، عيون الأخبار، تح: منذر مُحَمَّد سعيد أبو شقر، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط01، 1429هـ/2008م، ج01، ص170.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج06، ص32.

[5]- المصدر نفسه، ج06، ص271.

[6]- المصدر نفسه، ج06، ص180.

في كل المدن القرى والمداشر التي يسلكها الجيش، قصد توفير وتهيئة كل أسباب الراحة لهم، مما شكل كارثة حقيقية بالنسبة لسكان المدن والقرى التي تخترقها تلك الحملات[1].

هذه السياسة أضرت بشكل كبير بالإنتاج الفلاحي وقللت من إمكانية الحصول على فائض إنتاج من شأنه أن يسمح بتطور هذا النشاط.

05- النتائج الهيكلية للحرب في القطاع الفلاحي:

بعدما فضل الكثير من الفلاحين التخلي عن أراضيهم فرارا من الغزو والغارات، وهناك من انتزعت أراضيهم قسرا، وهناك من استقر بالجبال والمرتفعات، فكانوا جميعا ملزمين بدفع الإتاوات وتمويل الجيوش، مما ساهم في زعزعة النشاط الفلاحي وانهياره. ونجد هذا الصدى واضحا في وصف ابن خلدون بقوله: «ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة، ومعاش المعتزين أهل الانتجاع الانتجاع والإظعان في نتاج الإبل وظلال الرماح وقطع السابلة»[2].

إن هذه الحروب أسهمت بدور أساسي في تغيير ملامح المنطقة، جعلت العديد من القرى مهجورة وتقلصت المساحات المزروعة خاصة في المناطق السهلية، وانحصار الرقعة المزروعة في قمم الجبال والمرتفعات. الشيء الذي أدى في نهاية الأمر إلى سيادة نشاط الترحال والرعي للتخلص من قبضة الجباة[3].

- ظهور ظاهرة البستنة داخل الأسوار المسورة، تجنبا لتحرشات القبائل المحاربة، كأسلوب لتأطير الخراب في غالب الأحيان، مما أدى إلى تراجع النشاط الفلاحي وتقلصه[4].

---

[1]- الحسين بولقطيب، أسلوب الإنتاج الحربي، ص ص82-83.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج06، ص116.

[3]- الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص103. لقد عبر الوزان عن هذه الحالة بوصف دقيق عن بعض المناطق التي لا يستطيع سكانها استغلالها بقوله: «سهول واسعة صالحة كلها لزراعة الحبوب بسبب إزعاج الأعراب، وإنما يزرعون منحدر الجبل الواقع بين النهر والمدينة». ينظر الوزان، المصدر السابق، ج01، ص ص123-124. مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج1، ص67.

[4]- حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص246.

– غياب كل محفزات العمل و الفلح، وإفلاس الكثير منهم ، مما أجبرهم على بيع أراضيهم بالثنيا[1]، أو الرهن[2] للتخلص منها[3].

– انتشار ثقافة الادخار وتحصيل الغلات القليلة في المطامير تحسبا لأي عدوان[4]، أو لتفشى أي جائحة طبيعية، يمكن أن يطول أمدها من ضيق العيش أو نقص في مواد التموين. وقد أشار إلى هذه الظاهرة الونشريسي في إحدى نوازله بقوله: «من أذن لغيره في حفر مطمورة بداره، فلما حفرها وخزن فيها طعامه قام عليه»[5].

– سمحت ببروز تطورات أخرى على مستوى الاستغلال والإنتاج، حيث اضطر العديد من الفلاحين إلى الاحتماء بأصحاب المال والجاه في إطار عقود شراكة مع أصحاب الأرض الجدد عن طريق المزراعة أكثر من المغارسة، أو العمل كأجير لضمان قوته اليومي وملبسه السنوي، كما يبدو واضحا من خلال عقود شركة الخماسة[6].

– توالي المجاعات والقحط خاصة على أرياف المغرب الأوسط أدت في النهاية إلى زعزعة الأسس المادية للنشاط الفلاحي، وكانت عائقا أمام تطور الزراعة والغراسة والرعي، وتأتي في مقدمة العوائق قلة اليد العاملة في الزراعة والذي يؤدي إلى نقص الأراضي المحروثة بسبب الموت الذي يضرب البلاد بسبب المجاعات[7].

---

[1]– الثنيا: بضم الثاء مشددة وسكون النون: معناها الاستثناء وهي ممنوعة في البيوع والمزارعة، إذا كان المستثنى مجهولا. ينظر: محمد عمارة، المرجع السابق، ص137.

[2]– الرَّهن: بفتح الراء مشددة وسكون الهاء، وجمعه رهن ورهان ورهون. لغة: ما وضع وثيقة في الدين، أو الحبس مطلقا، وشرعا: حبس مال متقوم بحق يمكن أخذه منه. ويطلق الرهن على العين المرهونة. ينظر: أحمد بن عبد الرحمن اليزليتي القروي المالكي، مختصر فتاوى البرزلي، اعتنى به أحمد بن علي، دار ابن حزم، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1432هـ/2011م، ص449. محمد عمارة، المرجع السابق، ص259.

[3]– عمر بن ميرة، النوازل والمجتمع، ص ص117-120.

[4]– لقد كان رجال الدولة يتعقبون صاحب خزين أو مطمورة ، لذا أفتى العلماء «بتضمين من أخبر به الغاصب الذي بحث عن مطمره أو ماله فدله عليه، ولولا لدلته ما عرفه». ينظر: الونشريسي، المعيار، ج09، ص 544، ص556، ص557.

[5]– الونشريسي، المعيار، ج09، ص108. إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ الغرب الإسلامي، ص23.

[6]– محمد فتحة، المرجع السابق، ص316. محمد بن حسن، المرجع السابق، ص52. ويقول الونشريسي أن «وظيفة الخماس يحرث وينقي، ويرفع الأغمار، ويحصد ويدرس، وينقل السنبل إلى الأندر». ينظر، المعيار، ج08، ص151.

[7]– محمد ياسر الهلالي، أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، مقال في كتاب المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، تنسيق بوبكر بوهادي وبوجمعة رويان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة بالتنسيق مع الجمعية المغربية للبحث التاريخي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2002م، ص177.

في ظل هذه الأوضاع المتردية التي عانت منها شريحة كبيرة من الفلاحين، أقرَّ ابن خلدون «بأن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في اكتسابها وتحصيلها، انقبضت أيديهم عن السعي في الاكتساب، فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب، كسدت أسواق العمران، وانقبضت الأحوال واندعر الناس في الآفاق من غير تلك الإيالة في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها فخف ساكن القطر، وخلت دياره، وخربت أمصاره»[1].

نافلة القول أن تواصل العمليات الحربية على العهد الزياني أدت إلى واقع جديد وصعب، اتسم بظهور تحولات اقتصادية على المستوى المجال وأنظمة الاستغلال والإنتاج (للقوى الزراعية والرعوية)، تجلت في تحول السهول الخصبة إلى مجالات ممتدة للرعي والانتجاع، وتراجع المساحة المزروعة وانحصارها في المرتفعات وداخل المدن، وبروز علاقات تراتبية قائمة على السطو والاستغلال والتعسف في فرض مغارم جديدة على الفلاحين الصغار، الأمر الذي دفعهم في الأخير إلى التنازل عن أراضيهم والهجرة إلى مناطق أكثر أمنا حفاظا على أرواحهم.

المبحث الثاني: آثار الحرب في النشاط الحرفي:

من الطبيعي أن تتأثر الحرف والصناعات على غرار الفلاحة بالحروب والصراعات الداخلية، ولا شك أن الضرر الذي لحق بالزراعة من جراء هذه الأوضاع المضطربة ترك بصماته السلبية في النشاط الحرفي لأن الثاني يستمد غالبا مادته الأولية من الأول، فهي ترفد ورشات الحرفيين بالمواد الأولية المختلفة التي لا تستغني عليها صنائعهم وحرفهم كالأصواف والقطن والجلود والأخشاب وغيرها من المواد الخام الأخرى.

ولقد سبق أن أشرنا إلى التخريب الذي طال المحاصيل الزراعية، مما أدى إلى توقف العملية الزراعية وبالتالي انتكاسة الورشات والمنشآت الحرفية ودور الصناعة وتعرضها للتلاشي والزوال[2].

ومن هنا يمكن أن نستنتج أنه كلما أصيبت الفلاحة بالتدهور تعرضت الصناعة إلى الاندحار وتراجع نسبة ممتهنيها.

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص234.

[2]- محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ج03، ص72. الحسين بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، ص103.

01- تخريب الورشات الحرفية وتشريد الحرفيين:

لا شك أن الحروب والغارات التي ضربت بعض مدن المغرب الأوسط انعكست بدور سلبي على هذا القطاع، خاصة بعد هجرة الفلاحين لأراضيهم وتموقعهم في الجبال والمرتفعات وقطع علاقتهم بالمدينة وتوقفهم عن تزويد الحرفيين بالمواد الأولية سواء كانت فلاحية، أو معدنية.

لقد اعتبر ابن مرزوق التلمساني أن الغزو الحفصي على تلمسان سنة (644هـ/1246م)، مثل كارثة حقيقية على الرأسمال التجاري والحرفي الذي نهبه الحفصيون من البيوتات التجارية والحرفية التلمسانية[1]،كبيت ابن مرزوق وآل المدجن وبني اللحام وابن حسون وابن الجلاَّب وغيرهم من أرباب الأموال الطائلة[2]، وقد استغرق «القتل والنهب فيها يوما وليلة»[3]، حتى أن سوق منشار الجلد لم يسلم من قذائف هذا الهجوم[4]، ومن المؤكد أن هذا الفضاء كان يعج بالحرفيين، وقد تعرض لأضرار جسيمة أعاق مواصلة العمل في الحرف والورشات.

ولعل المجاعة التي أصابت المغرب الأوسط سنة (698هـ-706هـ/1299م-1306م) نتيجة الحصار المريني الطويل كان لها وقع شديد على الصناع والحرفيين، حيث تقهقرت الصناعات والحرف، وشهدت تقلصا كبيرا بسبب قلة الصناع الذين هلكوا بالقتل والجوع[5]، ومن بقي على قيد الحياة هاجر من تلمسان إلى المنصورة المدينة المنافسة لها، وربما هذا الأمر هو ما جعل اليد العاملة الصناعية تتراجع كثيرا لعدم إقبالها على العمل[6].

---

[1]- أحلام بوسالم، أثر الحروب على النشاط الاقتصادي في المغرب الأوسط من القرن الثاني هجري إلى القرن السابع هجري ق08م-12م، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الأوسط الاقتصادي في العصر الوسيط، جامعة قسنطينة02، 2020م-2021م، ص142.

[2]- ابن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، ص187.

[3]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص61.

[4]-كما ذكر ابن مريم سوق آخر عرف بسوق منشار الجلد عند تعرضه لهجوم السلطان الحفصي أبي فارس فقال: «أن القذائف التي استعملها كانت تصل إلى سوق منشار الجلد» دون تحديد موقعه الحقيقي. ينظر: ابن مرزوق، المسند، ص121. مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج02، ص ص49-50.

[5]- Ch-Andre Julien, histoire de l'Afrique du Nord bibliothèque historique, Payot, Paris, 1961, p157.

[6]- التنسي، المصدر السابق، ص130. يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص233. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص128.

فبالوقوف وقفة متأنية عند المادة الخبرية نلحظ أن الدولة الزيانية غلّبت الهاجس الأمني في تعاملها تعاملها مع الفاعلين الاقتصاديين بمختلف شرائحهم على بقية الهواجس الأخرى، ذلك أن دولة الزيانيين لم تكن ترى في الحرفيين سوى مصدر للمال لتمويل حملاتها العسكرية[1]، وهذا راجع إلى الطابع البدوي الذي جبلوا عليه واحتقارهم للعمل اليدوي حيث مارسوا عند كل حرب أو حصار سياسة «السلب والنهب والحرق والتخريب»[2]، الممنهج لورشات ودور الصناع والحرفيين، حتى أنهم سموا الصناع حسب محمود إسماعيل عبد الرازق «بعبيد المخزن وهذا يعني حسب اعتقادهم شيوع علاقات إنتاج عبودية في مجال التعدين والصناعة في المعامل الخاصة بالدولة أو المملوكة للأرستقراطية الدينية والإدارية»[3].

إن هذه التلازمية الكارثية المتنامية للحروب والحصارات التي ضربت على تلمسان أدت حسب ابن خلدون إلى نتائج وخيمة حيث «خربت الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم»،[4] وهذا ما أضر كثيرا بالحرفيين والصناع ليس في تلمسان وحدها، بل باقي المدن المجاورة لها كوهران وهنين ومزغران وتنس وشرشال وبرشك والبطحاء ومازونة والونشريس ومليانة والمدية وبلاد مغراوة[5]. وستفضي لا محالة حسب ابن خلدون إلى التناقص «ولا تزال الصناعات في التناقص ما زال المصر في التناقص إلى أن تضمحل»[6]، ومن النصوص التي تقدم لنا صورة ولو جزئية عن حالة الحرف والصناعات في ظل الاضطرابات والأزمات التي شهدها المغرب الأوسط، ذلك النص الذي أورده ابن مرزوق، والذي يصف فيه الحالة التي آلت إليها الصناعة النسيجية الصوفية في قوله: «أن للبضائع، من عمل الصوف، وهذا موضع من أحاد المواضع فانظر هل تجد اليوم في ذلك الموضع، أو ما يجاورهم، عامرا، أو في البلد كلها ما يشتري به بأقل عدد...» [7]، حيث يكشف لنا هذا النص درجة الدمار

---

[1]- الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص128.

[2]- الناصري، الاستقصا، ج03، ص ص09-10. يقول مُحَمَّد بن عمرو الطمار: «لما غادر بنو مرين تلمسان، دخلها أبو حمو الثاني، إذ قام بتشييد مصانع الدولة، وهذا دليل على تعرضها للتخريب والسلب من قبل المرينيين». ينظر: كتاب تلمسان عبر العصور ص151.

[3]- وفي هذا الشأن يؤكد ابن خلدون قائلا: «أنهم يتلفون على أهل الأعمال من الصنائع والحرف أعمالهم، لا يرون لها قيمة ولا قسطا من الأجر والثمن والأعمال، وإذا فسدت الأعمال وصارت مجانا ضعفت الآمال في المكاسب وانقبضت الأيدي عن العمل وانذعر الساكن وفسد العمران». ينظر: المقدمة، ص123. محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص1205.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص335.

[5]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص386.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص335.

[7]- ابن مرزوق، المناقب، ص190.

والتخريب التي كانت تتعرض له ورشات الحرفيين عند كل اقتحام، مما يؤدي إلى توقف أصحابها عن السعي وتصبح ورشاتهم مهجورة بعدما كانت عامرة.

ولكن بعد تجاوز هذه المحن والشدائد سواء في حالات الحصارات أو الغارات، كان السلاطين الزيانيون يقومون بإصلاح الصناعة وإعادتها لسابق عهدها بكراء المصانع[1]، ودعم الصناع ماديا ومعنويا ومعنويا وتشجيعهم على العودة للمدينة بعد نهاية الحصار[2]، وبذلك فإن هذه الإصلاحات من شأنها أن أن تعيد النشاط الصناعي إلى الإنتاج والتطور بمجرد نهاية الأزمة.

وحسبنا في هذا المضمار أن أغلب معارك الحصار التي طوق أصحابها المدن المحصورة، وتجاوزت مدة حصارها الحول من الزمن قد ساهمت بشكل أو بآخر في توجيه ضربات جد موجعة للأنشطة الصناعية من حيث تخريب منتجاتها، أو عرقلة سيرورة عجلة تطورها، أو تضعضع النشاط الحرفي وتراجعه[3]، وهو ما حدث لدار الصناعة التي بناها السلطان أبو حمو موسى الثاني والتي كانت حسب وصف يحي بن خلدون: «تستقطب الصناع على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وديانتهم فمن دراق ورماح ودرُع وسرَّاج وحدَّاد وصانع ودبَّاغ، فتصطك لأصواتهم وآلاتهم الأسماع»[4].كما أشار القلقشندي إلى تضرر صناعات تقليدية بتلمسان كالأغطية الملونة والأحذية والحقائب[5]، وطحن الحبوب، وتجفيف العنب والتين وغيرها من الحرف الأخرى[6]، وهذا ما يدل على وجود معامل صناعية بسيطة منتشرة في أحياء المدينة تظهر فيها بعض الصناعات الخفيفة خارج دار الصنعة مع ضعف الدولة[7]، وهذا ما ذكره الوزان: «وجميع الصنائع و التجارات موزعة على مختلف ساحات المدينة»[8]، لكنها كلها اندثرت وطمست لعدم وجود الصناع ويقول في هذا الصدد ابن ثغري:

---

[1]- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج02، ص83.

[2]- التنسي، المصدر السابق، ص ص135-136.

[3]- البشير بوقاعدة، خطة الحصار العسكري في بلاد المغرب الإسلامي بين القرنين الرابع والثامن هجريين 10م/14م، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب والمشرق الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 1437هـ-1438هـ/2016-2017م، ص484.

[4]- يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص161.

[5]- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ص114.

[6]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ص223.

[7]- مُحَمَّد الطمار، تلمسان عبر العصور، ص182.

[8]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص19.

«فأغلقت دار الصناعة لعدم الصناع»[1]، وتحول معظمهم إلى صناع متجولين كالخرازين والصباغين والنجارين وغيرهم، وهذا دليل على تدهور المعامل والمصانع، كما تعرض الكثير من الحرفيين لمشاكل مع زبائنهم نتيجة النهب واستئصال أموالهم مما أثر بشكل جلي على جل الحرف والحرفيين، وهو الموقف الذي عبر عنه ابن خلدون حول ضعف الصنائع وقلتها في هذه المرحلة بقوله: «يشهد لك بذلك قلة الأمصار بقطرهم، فالصنائع بالمغرب قليلة وغير مستحكمة الأماكن، إلا ما كان من صناعة الصوف من نسجه والجلد في خرزه ودبغه، وكون هذين أغلب السلع في قطرهم لما هم عليه من حال البداوة والحرب والغارة»[2]. الأمر الذي دفع السلطان أبا حمو موسى الثاني الاستعانة بالموريسكيين الأندلسيين للإفادة من خبرتهم في المشروعات العسكرية والعمرانية والدينية لأجل بعث النشاط الصناعي في دولته[3]، وفي ذلك يقول ابن الأعرج: «وكان لعهد نزول الأندلسيين بها –تلمسان– مزدانة بالمصانع المفيدة، فما شئت من أطرزة ومنسوجات الحرير والقطن والكتان والصوف ومعامل الفخار والخزف وأنواع السلاح وسائر الأواني المنزلية»، وفي موضع آخر يقول: «نشروا بين الناس آدابهم وراجت مصانعهم»[4]، ومن بين المدن التي كانت مهجورة وقاموا بإحيائها مدينة شرشال، حيث حيث أنشأوا فيها صناعة المراكب واشتغلوا بصناعة الحرير، إذ وجدوا هنالك كميات لا تحصى من أشجار التوت[5].

أمام هذا الوضع المتأزم للنشاط الصناعي لم يجر استغلال المعادن استغلالا اقتصاديا متطورا نظرا لهيمنة الدولة وشيوع الفوضى، فاقتصر الاهتمام بالدرجة الأولى على استخراج الذهب والفضة والزئبق، أما المعادن الأخرى كالحديد الذي كان يستخرج جهة هنين، ولم يكن له أثر كبير على النشاط الاقتصادي، إضافة إلى الرصاص والقصدير والشب والكبريت والتي استغلتها الدولة في

---

[1]– ابن ثغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ص115. يقول إبراهيم القادري بوتشيش: «إن توقف المصانع يكون بسبب الأزمة والفتن التي تعصف بالبلاد، وكثرة الحروب التي تعرقل نشاط الصناع». ينظر: كتاب إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، مارس2002م، ص06.

[2]– ابن خلدون، المقدمة، ص335.

[3]– محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص1203. خالد بلعربي، آثار المجاعات والأوبئة على تراجع الحرف والصناعات بالمغرب الأوسط، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد الرابع، جوان 2013م، ص118.

[4]– ابن الأعرج السليماني، زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ، تح مختار حساني ضمن كتاب التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م، ص96، ص97، ص100.

[5]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص34.

الصناعات الحربية أو بيعها للصناع، أو لتوظيفها في الصناعات المعدنية اللازمة لسد الحاجات الاستهلاكية التي تفي بحاجات ومطالب رجال البلاط[1]، وما يلاحظ على أساليب الاستخراج ووسائل التصفية فقد تدنت فأصبح المعدن « يخرج أحرش غير طيب»[2]، خاصة في تلك المناطق المحاذية لمعسكرات المحاصرين أو القريبة منها حيث تركها أهلها ونجوا بأنفسهم إلى داخل الحصون والمدن وغيرها من المناطق الآمنة، أو لبوا نداء قادتهم لتدعيم فرق الجيش لحصار مدن الأعداء، وحين تطول مدة مكوثهم ومفارقتهم لصنائعهم، يؤدي ذلك إلى كساد النشاط الصناعي والتقليل من حركته و مردودية إنتاجه[3].

كما أصبحت ظاهرة غصب المعدن من أصحابه بعد استخراجه ظاهرة حاضرة في مثل هذه المراحل الحرجة بسبب ما يلحق بجلابه «من ضرر في الطريق»[4]، ولم يعد بمقدور الصناع الاشتغال إذا كان «المعدن غائبا عن البلد»[5]، كما وردت نازلة عند المازوني تتعلق بمعدن الحديد المستخرج من جبال الدولة كالونشريس والظهرة وموقف الدولة: «هل يمكن استغلاله من قبل الدولة أو إقطاعه مقابل تقديم ضريبة لها ؟»[6]

كل ذلك أضر في النهاية بالحرف والصناعات التي تعتمد المعدن في إنتاجها مثل صناعة سك العملة التي عجزت الدولة في التحكم في هذا النوع من الصناعة إلاّ بعد مرور 70 سنة من التكوين أي حوالي سنة (706هـ/1307م)[7].

كما وجهت الدولة عنايتها بالدرجة الأولى إلى الصناعات الحربية، ولم تستثمر أموالها في مشروعات صناعية كبرى معدة للسوق، وهي نتيجة تعكس تأثير الاقتصاد الموجه للغزو، لذلك ظل

---

[1]- محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص1203. عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر ميلادي، منشورات سعيدان، تونس، ط01، نوفمبر 2002م، ص24.

[2]- ابن رشد، كتاب الفتاوي، ص330.

[3]- البشير بوقاعدة، المرجع السابق، ص485.

[4]- ابن رشد، الفتاوي، ص330.

[5]- المصدر نفسه، ص1260.

[6]- المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ج04، ص47. يقول الوزان: «وجدت كميات وافرة من معدن التوتيا (الزنك) في جبل الونشريس». ينظر: وصف إفريقيا، ج02، ص45.

[7]- مبخوت بودواية، المرجع السابق، 238.

الإنتاج البضاعي المعد للتبادل ضئيلا، فلجأ العديد من الحرفيين[1] إلى «عقد شركات في كراء حانوت واحد»[2]. كما لم تسمح الحروب بنمو نشاط صناعي متطور، حيث لم يسلم هذا القطاع من «العبث والتخريب وفقد الكثير من الحرفيين أموالهم و ورشات عملهم وعقود معاملاتهم في خضم هذه الأحداث»[3].

لقد أفصحت لنا بعض النصوص عن أوضاع الصناع والحرفيين خلال هذه الاقتحامات المتكررة للمدن، فقد سئل الفقيه أبو عبدالله السبطي سنة (737هـ/1336م) والذي لازم تحركات السلطان المريني وعاين عمق الأثر الذي يخلفه اجتياح الجيش للمدن عنوة، فقد استوعب مستجدات المرحلة فأفتى: «أن لا ضمان فيما ادعى أنه تلف في إحدى الدخلات السلطانية للمدن، إلا أن يثبت عليه تفريط أو تضييع»[4].

كما سئل بعض الشيوخ عن الصانع الذي أخذ ذهبا عينا برسم أن يصنع فرنا، وكان ذلك قبل الحصار واقتحام المدينة، ثم ماطل صاحب الفرن في صنعه مدعيا أن المال «ضاع يوم الكائنة»[5]، وفضلا عن ذلك ترددت في نوازل المرحلة ظاهرة ضياع الوثائق والعقود المثبتة للملكية ولقضايا الشركة ومختلف الالتزامات خلال الاقتحامات التي تعرضت لها المدن وما كان يصاحبها من ضروب الغصب والتعدي[6].

وفي نفس الصدد يكشف لنا ابن الخطيب الأوضاع المتردية التي يعيشها حرفيو المدن بسبب الاجتياحات المتكررة، والغارات المستمرة موضحا في تعبير بليغ أن ملجأهم الوحيد هو الفرار بأهاليهم بأهاليهم وما تبقى من أموالهم «تقية من معرة الحرب وصونا لهم تحت الإغلاق لعدم مرانهم على المدافعة، وإغراقهم في الحضارة وفقدانهم السلاح، إنما هم على الأيام حلجة قطن ومواشط كتان

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، مارس2002م، ص97.

[2]- الونشريسي، المعيار، ج08، ص92.

[3]- الونشريسي، المصدر السابق ، ج09، ص372.

[4]- الونشريسي، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[5]- المصدر نفسه، ج08، ص324.

[6]- الونشريسي، المعيار، ج03، ص118.

وأبطال مقاعد حياكة وماعز مغرم سواسية كأسنان المشط، لا يوجبون مزية ولا يشعرون برجحان كفة»[1].

صفوة القول أن تواتر الحروب والغارات كانت كفيلة بتعطيل كافة أوجه الاقتصاد ومنها الصناعات والحرف التي عرف تراجعا حادا بسبب قلة الصناع والحرفيين من جهة، وخراب العديد من الورشات الحرفية في سياق التخريب العام الذي تعرضت له مدن المغرب الأوسط.

[1]- لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب، ج02، ص ص326-327.

02- الضرائب لتمويل المشاريع العسكرية:

لا شك أن حروب الدولة مثلما ساهمت بدور كبير في تخريب العديد من الورشات، قامت بدور هام في استنزاف ما تبقى من الحرف والصنائع، بسبب ما كان الحرفيون ملزمين بدفعه للدولة من مغارم[1] لتمويل تلك الحروب، وكلما تزايدت حدة هذه الأخيرة إلاّ وتسارعت وتيرة سن الضرائب والإجحاف في المطالبة بها[2]، حتى إن «الرعايا استولت عليها المغارم، ونزفها الحلب»[3]، ولم يكن ذلك من الدولة وحدها بل كان على الحرفيين أداء تلك الإتاوات للقبائل الحامية من غارات القبائل الأخرى والمحاربين، وحسبنا أن صاغة توات «ضعفوا في هذا الزمان، وأضر بهم العدم»[4].

لقد فرضت الدولة الزيانية الضرائب على الصناع والحرفيين سواء القاريين، أو المتنقلين الذين كانوا يدفعون المغارم للعشار[5] عادة عند أبواب المدينة[6]، ويرجع تقديرها حسب دخل الصناع، ويقوم بتحصيلها أمين الصنعة في المدينة ويرفعها إلى المحتسب، أو إلى أصحاب الأشغال بالمدينة الذي يحتفظ بإحصاء شامل لكل الصناعات وأربابها وعمالها[7]، مثل "ضريبة المطوى" التي ذكرها ابن مرزوق[8]، وربما

---

[1]- لقد تعدد ألقاب تلك الضرائب، وربما نكتفي بتعليق ابن خلدون حول أسباب ذلك بقوله: «اعلم أن الدولة إذا ضاقت جبايتها واحتاجت إلى مزيد المال والجباية، فتارة توضع المكوس، وتارة بالزيادة في ألقاب المكوس إن كان قد استحدث من قبل»، ثم يضيف: «فيكثرون الوظائف والوزائع حينئذ على الرعايا والأكرة والفلاحين وسائر المغارم... حتى تثقل المغارم على الرعايا وتنهضم وتصير عادة مفروضة». ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص ص228-229.

[2]-ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ج02، 324. محمّد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط03، 1420هـ/2000م، ص92.

[3]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج02، ص313.

[4]- انظر نص النازلة التي أرسلها الفقيه أبو محمّد عبدالله بن أبي بكر العصنوني إلى فقهاء تلمسان وفاس بشأن أوضاع الحرفيين في هذه المنطقة، الونشريسي، المعيار، ج02، ص214 وما بعدها.

[5]- العشار: هو الشخص الذي يتولى جباية المغارم من أصحابها الذين وجبت عليهم. ينظر: الونشريسي، المعيار، ج02، ص492.

[6]- دهينة عطاء الله، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص487. لخضر العربي، الحرف في مدينة تلمسان على العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)، مذكرة ماجستير، كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، 2010-2011م، ص32. وأشار العقباني إلى ما يلحق الناس من إهانة بسبب وظيف المكس في الأبواب، حتى أن المازوني كان يتبرع بأجره من مكس الباب لفائدة الضعفاء من التجار الذين يطالبون بمكوس الباب ولا يستطيعون تسديدها. ينظر: العقباني، تحفة الناظر، ص91. المازوني، الدرر المكنونة، ج02، ص49.

[7]- عمر موسى عز الدين، المرجع السابق، ص ص210-211.

[8]- ابن مرزوق الخطيب، المسند، ص ص285-286.

وربما تكون هي الضريبة المفروضة على النساجين لأن المطوى مأخوذة من مطوى النسيج في النول[1]، كما كان ولاة السوق يأخذون من الفرانين وغيرهم فرائض ويتسامحون معهم فيما غشوه من السلع نظير تلك المغارم التي يؤذونها، وقد شجب العقباني هذا التصرف وطالب ولاة السوق بمراقبة أهل السوق وردعهم عن مفاسدهم[2]، وقد أشار ابن مرزوق إلى تراجع صناعة وتجارة المنسوجات بربض العباد دون أن يفصح بدقة عن زمن وسبب تراجع هذه التجارة[3]، ومن أشكال المصادرات التي تعرض لها أهل المغرب الأوسط التغريم على أهل الحرف والصنائع. سئل ابنا الإمام أبو زيد وموسى نازلة عن سلطان ظالم وعامله أو شيخ قبيلة يفرض على الرعية من البادية على أهل الصنعة والحراثين غرامة على شكل نقود أو زرع وتعيين خدمة (حراسة، بناء)[4].

كما لم تتوقف معاناة الحرفيين من العوائق الجبائية التي كانت تحد من أرباحهم، فتبرز النزاعات بين المتعاقدين حول الكراء أو الشركة أو بالعمل في إحدى المرافق الاقتصادية، كالحوانيت والفنادق والحمامات، وفي هذا الشأن تقول محمد فتحة: «ويحاولون في حالة وقوع الجائحة أن يقللوا من آثارها عليهم على الأقل من جهة الكراء الذي كانوا ملزمين به، ولهذا فهم لم يكونوا يجدون مفرا من استفتاء فقهائهم فيما قدر عليهم، بل نجدهم أحيانا يتقاضون أمام القضاة حينما لا يكون لهم حل آخر»[5].

وعليه فإن هذا الاشتطاط الجبائي المفروض على الحرفيين بالقهر يعتبر في الواقع من المصادر غير الطبيعية للمال. ومن دون شك فإن التأثير العسكري للجيوش أثناء عودتها منتصرة، تخلق انتعاشا اقتصاديا داخل المدينة، فتروج منتجات الحرفيين، وينتشر النهب ويستعمل الجنود القوة للحصول على ما يحتاجونه بالمدينة أثناء الاستنفار أو أثناء الهزيمة[6]، وفي هذا الشأن يقول الحسين بولقطيب: «إن الجيش خلال فترة الاستقرار يتحول إلى مستهلك، لأن مهامه الحربية تجعله يتعالى فوق المنتجين

---

[1]- محمد شفيق، المعجم العربي الأمازيغي (أ-ض)، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1993م، ج01، ص425.

[2]- العقباني، تحفة الناظر، ص118.

[3]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص190.

[4]- المازوني، المصدر السابق، ج04، ص128.

[5]- محمد فتحة، المرجع السابق، ص ص285-286.

[6]- حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص254.

المباشرين، وأثناء الأزمة يتحول إلى عدوهم الأساسي ذلك أن وظيفة الجباية تتحول من أيدي الجباة المدنيين إلى أيدي القادة العسكريين، فيتضخم بذلك دورهم، وتتحول المؤسسة العسكرية إلى دولة داخل الدولة»[1].

إنَّ حضور الجيش بقوة في الحياة الاقتصادية هو الذي يسمح لنا بالحديث عن أسلوب الاقتصاد الحربي خلال تلك الحقبة[2]، خاصة وأن الدولة الزيانية منذ ظهورها، صراعاتها ما هي إلا تعبير عن الجانب المادي الذي يشكل الحافز الأول على هذا الصراع[3].

أمام هذه الممارسات التعسفية، أصبح أصحاب الحرف في غمار العامة، وهم في مرتبة دنيا في المخطط الاجتماعي، ويصدق عليهم القول المأثور: «الحرفة أمان من الفقر، وأمان من الغنى»[4]، ويعطي الحريري فكرة واضحة عن وضعهم المعاشي حين يقول: «وأما حرف أهل الصناعات، فغير فاضلة عن الأقوات، ولا نافقة في جميع الأوقات، ومعظمها معصوب بشبيه الحياة»[5].

وصفوة القول أن النشاط الحرفي تأثر بالحروب والغارات وسياسة الحصار، والتي أفضت كلها إلى تخريب الورشات وإقفال غيرها وتشريد البعض المنتجين بسبب السياسة الجبائية التي أحدثت شرخا واضحا في مسار هذا التطور مما أدى إلى تقليص النشاط الصناعي أو توجيهه وجهة خاصة على الأقل.

المبحث الثالث: آثار الحرب على النشاط التجاري:

لا مراء في أن كثرة القلاقل والحروب التي نشبت في المغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأوسط خاصة مع مطلع القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي عجلت بتراجع النشاط التجاري، نتيجة الهلع الذي تملك الناس جراء انتشار أعمال السلب والنهب والتعدي وقطع الطريق، وهي كلها

---

[1]– الحسين بولقطيب، أسلوب الإنتاج الحربي، ص80. ذهب فريق من الفقهاء إلى حد إعطاء الحق للإمام في فرض المغارم والمكوس على رعاياه في حالة عجز بيت المال عن توفير الإمكانيات المادية الضرورية للدفاع عن مصالح المسلمين الذي «لا تسكن ثغورهم ولا ينكف عنهم عدوهم». ينظر: الونشريسي، المعيار، ج05، ص32. بولقطيب، جوائح وأوبئة المغرب، ص105.

[2]– يقول عبد القادر جغلول: «الجيش أداة قوة الدولة في فترة التوسع، ويصبح في فترة الانكماش عامل إغلال قوي». ينظر: المرجع السابق، ص76.

[3]– محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص1296.

[4]–عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط01، ماي2007م، ص55.

[5]–أبو محمَّد القاسم بن علي الحريري، مقامات الحريري، دار بيروت للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، لبنان، 1398هـ/1978م،ص405.

ممارسات عدوانية انتفى بسببها التعايش داخل المجتمع في مراحل حرجة، استهدفت فيها مصادر عيش الإنسان سواء منها المنقولة أو الثابتة، وبذلك تعطلت كل الوجوه الأساسية لحركة المال والنشاط الاقتصادي.

01- على التجارة الداخلية:

من الطبيعي أن تتعرض التجارة الداخلية للكساد لاعتمادها على الزراعة والصناعة، خاصة وأن قطاعا مثل قطاع التجارة لا يمكن أن ينتعش وينمو إلا في ظروف الأمن والاستقرار[1]، لأجل تسويق الفائض من الإنتاج سواء في الأسواق الداخلية أو الخارجية، ونظرا للمعوقات التي حالت دون تطورها ونموها بسبب الحروب وما أفرزته من تداعيات كانقطاع السفر، وإخافة السبيل وكثرة وتزايد خطر اللصوصية انعدمت رغبة التجار في ولوج الأسواق وانحصر النشاط التجاري داخل أسوار المدن[2]، أو توقف نهائيا أثناء الحصارات والاجتياحات الكبرى[3].

ومما أثر في سيولة ا لحركة التجارية، الصراعات التي نشبت باستمرار بين الزيانيين والمرينيين والتي أدت إلى الإضرار با لحركة التجارية، ضمن ذلك يدخل الحصار التاريخي لقاعدة بني زيان، في إطار الحرب الاقتصادية، بدليل إقامة مدينة تلمسان الجديدة[4]، والتي أخذت الريادة الاقتصادية واستحوذت على التبادلات التجارية التي كانت تلمسان مقرا لها.

وبالموازاة مع هذا الضرر الذي أصاب منظومة الأنشطة التجارية، كان تنقل الجيش يتم عبر الطرق التجارية لأغراض عسكرية[5]، مما يعني تجفيف القنوات التي كانت تضخ الأسواق بألوان البضائع البضائع والسلع المتنوعة إلى حين مرور الجيش، وفي حالة بقائه لفترة طويلة فإنه يفتح الباب على مصراعيه لصالح التجار للاستزادة من الأرباح، وبروز المضاربات[6]، وهو من شأنه أن يؤثر على التجار

---

[1]- المصدر نفسه، ص674.

[2]- حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص261.

[3]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص283.

[4]- والتي تعددت أسماؤها من تلمسان الجديدة والمنصورة إلى البلد الجديد، أو المحلة. ينظر: عبد العزيز لعرج، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية-دراسة أثرية ومعمارية وفنية، أطروحة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية في معهد الآثار، الجزائر 1420هـ/1999م، ص114.

[5]- التجاني، المصدر السابق، ص121. الحميري، المصدر السابق، ص158.

[6]- حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص265.

الصغار الذين يبيعون منتجاتهم بأنفسهم في هذه الأسواق العسكرية التي كانت تصحب الجيش في تنقلاته أثناء غزواته[1].

لقد أعاقت هذه الحروب استمرار عملية التبادل التجاري، وضيقت الخناق على التجار وأموالهم[2]، ولم يعد بأسواق المدن «ما ينطلق عليه اسم شيء بوجه من الوجوه والحوانيت مغلقة»[3]، وأتت ظروف الكساد التي عمت لقلة الطلب على المعروض من السلع[4]، مما أدى إلى ذيوع بعض المعاملات التجارية من مثيل تفشي البيع المغصوب والبيع بالأجل وتدهور التجارة وندرة السلع وظهور وظهور سوق سوداء تديرها عصابات من المنتفعين اصطلى بحرها طلاب العافية ورضيها كل من ذهب ذهب إلى الفساد، فضلا عن احتكار التجار الكبار والتعامل في بعض السلع ضاربين صفحا عن نواهي السلاطين وتنديد كتاب الحسبة وأساليب الغش والتدليس، وانتعاش فرص العمل للوسطاء والمنتفعين للمتاجرة في السلع المشبوهة كبيع النساء دون استبراء، لذلك ازدهرت تجارة الرقيق المجلوب من الأندلس والسودان على حساب السلع الأخرى الأساسية[5]. ولعل أسطع مثال على حقيقة هذا الوضع " شركة آل المقري" التي تعتبر ظاهرة فريدة في هذا العصر من تراجع في رؤوس أموالها وفي نشاطها التجاري، فقد صادف أعضاؤها «توالي الفتن، فلم يزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمن فها أنا أنا –أي المقري الحفيد– لم أدرك من تجارتهم وأموالهم إلا أثر نعمة اتخذنا فضوله عيشا»[6].

وعلى الرغم أن أهم عنصر قام بدور خطير خلال هذه المرحلة في إعاقة المسار الطبيعي للنشاط التجاري يتمثل في القبائل العربية[7]، حيث مارست التلصص في المحاور الرئيسية التي كان يسلكها عادة

---

[1]– ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص352. خالد بلعربي، الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، دورية كان التاريخية، العدد السادس، ديسمبر 2009م، ص33.

[2]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص ص349–350.

[3]– ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب– قسم الموحدين، ص325.

[4]– الونشريسي، المعيارج08، ص73. وفي هذا الشأن يقول مُحَمَّد فتحة: «ذهب بعض المكثرين للحوانيت إلى اعتبار الكساد في التجارة مبررا للتخفيف من الكراء باعتباره جائحة أصابتهم في سنة معينة بسبب ضعف الناس بخلاف ما سبق في الحالات السابقة. أفتى ابن رشد بأن كساد التجارة لا يعتبر جائحة في حد ذاته ولا يوجب الحط من الكراء إن كان مترددا بشأن حوانيت الأحباس وترك للقاضي حرية تقدير ذلك». ينظر: ابن رشد، الفتاوي، ص1283. الونشريسي، المعيار، ج08، ص288. مُحَمَّد فتحة، النوازل الفقهية، ص ص288–289.

[5]– الونشريسي، المصدر السابق، ج08، ص168، ج06، ص ص172–403. محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص1205.

[6]– المقري، نفح الطيب، ج05، ص206.

[7]– بسام كامل عبد الرازق شقدان، المرجع السابق، ص192.

المسافرون والتجار[1]، وخاصة في فصل الشتاء، فمثلا: «القافلة القادمة من تلمسان إلى هنين هاجمتها قبائل العرب، وقتل خمسة وأربعون من المرافقين للقافلة، وقد استولوا عليها لأنها لم تكن مرافقة من قبل الحراس كالعادة[2]، وقد عبر صاحب الرحلة الحجازية عن تفشي هذه الظاهرة في طرقات تلمسان بقوله: «ملك بني عبد الواد هو كثير المصائب، ويكون فيها قطع الطريق وتنحصر الناس عن الأسفار ويضيق عليه الحال والبر متسع ما تعرف الناس بعضهم بعضا فيه، وكذلك جميع هذا البر العدوي كثير الحرميات والقطاع في جميع أقطار هذا البر»[3]، وكان هؤلاء يطبق عليه حد الحرابة، وحث الفقهاء الحكّام على قتلهم درءا لشرهم وفسادهم[4]، مثلما قام به أحمد العاقل الزياني الذي ضرب بيد من حديد، والذي قال عنه التنسي: «أظهر في أول أيامه الحزم أمام اللصوص والعربان»[5].

ونتيجة لهذا الوضع أصبح تأمين الطرق والمسالك من أهم الهواجس التي أرقت التجار والمجتمع عموما وهو ما اضطلع بتحقيقه في بعض الأحيان بعض المتصوفة، فقد سئل سيدي قاسم العقباني عن إقامة المرابط في المواضع المخوفة، فاعتبر أن إقامتها بهذا الموضع الذي كان قبل سكنى الذين به مأوى للمحاربين ومهلكة للمسافرين من باب إعانة اللهفان ودفع الفساد عن أهل الزمان وما أعظم المثوبة في في ذلك»[6]، وعليه فإن هذه العوارض العدوانية أدرجها ابن خلدون ضمن ما اصطلح عليه "بطوارق التعدي" التي كانت تستفحل عادة بموازاة المنعطفات الحرجة التي تمر بها الدول[7]، إذ يرى ابن خلدون أن ممارسة العمل التجاري ليس في متناول جميع الناس الذي يسعى لتنمية رأسماله: «فلابد حينئذ لصاحب المال والثروة الشهيرة في العمران من حامية تذود عنه». ثم يضيف: «ليستظل هو بظلها، ويرتع في أمنها من طوارق التعدي، وإن لم يكن له ذلك أصبح نهبا بوجوه التحيلات وأسباب

---

[1]- لقد عبر ابن قنفد القسنطيني أن حالة الخوف في الطريق إلى تلمسان بقوله: «كان أمر الطريق في الخوف والجوع ما مقتضاه أن كل من يقع قدومنا عليه يتعجب في وصولنا سالمين ثم يتأسف علينا عند ارتحالنا حتى أن منهم من يسمعنا ضرب الأكف تحسرا علينا». ينظر: كتاب أنس الفقير وعز الحقير، ص105.

[2]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص11. عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في السلوكيات، ص79. بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص36.

[3]- عبد الله بن الصباح الأندلسي، نسبة الأخيار وتذكرة الأخيار، ص59.

[4]- الونشريسي، المعيار، ج02، ص402، ص528، ص529. كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص ص50-51.

[5]- التنسي، المصدر السابق، ص249.

[6]- الونشريسي، المعيار، ج02، ص403.

[7]- عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص96.

الحكام»[1]، وهو ما أكد عليه في موضع آخر حين جعل الأمن وانتعاش التجارة أمرين متلازمين، إذ يقول أن: «العمران ووفوره ونفاق أسواقه، إنما بالأعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين جائين، فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران»[2]. لذا نجد أن العديد من التجار انشغلوا بتأمين السبل عبر مختلف الدروب والمسالك التجارية أكثر من اهتمامهم بتنمية تجاراتهم والرفع من مردودها[3].

يستفاد من هذه الأقوال أن محترفي التجارة بالإضافة إلى المال والخبرة لابد من الجاه (حصانة)، والجاه لا يعني شيئا آخر غير حماية ورضا الحاكم، والذي لا يملك الجاه من المستحسن له الابتعاد عن العمل التجاري لأن أمواله معرضة في كل لحظة وحين للمصادرة والضياع.

خلاصة القول أن التجار على اختلاف طبقاتهم وتنوع أصنافهم تأثروا بشكل كبير من جراء الحروب وما رافقها من تداعيات كاللصوصية، مما أدى إلى عرقلة سيرورة النشاط التجاري، فقل الإنتاج، وتضخم سوق العطالة، واختفت كل حوافز السعي والعطاء.

02- على التجارة الخارجية:

إن الموقع الجيو استراتيجي للمغرب الأوسط جعل منها ممرا للقوافل التجارية طيلة الفترة الوسيطة، وأهله للقيام بدور الوساطة التجارية بين عوالمه المختلفة من حيث تبادل السلع والبضائع، وأسهم في أن تصبح التجارة الخارجية موردا هاما بالنسبة لخزينة الدولة، ولكن مع تفشي الحروب والنزاعات في المنطقة مع مطلع القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي، فضلا عن استمرار الصراع بين الضفتين الجنوبية والشمالية للبحر المتوسط في إطار الصراع التاريخي بين "دار الإسلام" و "دار المسيحية"[4]، كل ذلك أعاق تطور ونمو هذا النشاط ووقف حاجزا في حركة تنقل التجار والسلع بين هذه الأقطار.

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص306.

[2]- المصدر نفسه، ص234. يقول علي أومليل: «التجار لابد من وجود سلطة لحمايتهم وموقعهم الاجتماعي الذي هو أدنى من موقع سادة القبائل والملوك». ينظر: كتاب الخطاب التاريخي، ص206.

[3]- جميلة بن موسى، تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن 09م إلى القرن 11م، منشورات بلوتو، الجزائر، 2011م، ص134.

[4]- محمد فتحة، الأحكام والنوازل، ص ص508-532.

أ- مع المغرب الأقصى: لقد كانت الخطوط التجارية التي تربط بين مدن المغرب الأوسط ومثيلاتها في المغرب الأقصى أكثر عرضة لغارات القبائل المحاربة وقطاع الطرق[1]، وذلك منذ العهد الموحدي، فقد كانت حسب وصف الحريري: «عرضة للمخاطرات، وطعمة للغارات، وما أشبهها بالطيور الطيارات»[2]. وحسبنا في ذلك الهدية التي أرسل بها أبو دبوس الموحدي ليغمراسن اتخذت طريق البحر، إذ انطلق المركب الحامل لها من «آسفي وخرج في هنين»[3]، وبالمثل فإن بعض الدلائل تشير إلى تحول طريق القوافل إلى الجنوب الشرقي، حيث أصبحت تنطلق من سجلماسة متبعة الطريق الصحراوي لتصعد بعد ذلك في اتجاه تلمسان دون أن تتخذ الطريق الداخلي الرابط بين تلمسان وتازا وفاس لتحكم المرينيين في شرايينه[4].

فعلى امتداد الحكم ظل الصراع والمناوشات مستمرة بين الزيانيين والمرينيين شملت طرقا أخرى[5] مثل الخط الرابط بين بجاية و سبتة وبعض مدن المغرب الأوسط التي تعطل فيها النشاط التجاري كمليانة ومستغانم وشرشال والونشريس وهنين[6]. هذه الأخيرة «اضطر ملك تلمسان إلى إرسال حامية لتأمين التجارة » حسب وصف كاربخال[7].

ولا شك أن للسيطرة على محاور الطرق التجارية والقيام بدور الوساطة فيها قد شكل أحد أهم دوافع هذا الصراع المحتدم. حيث قام المرينيون بقطع المواصلات التجارية البرية بين المنطقتين وعملوا على تغيير الخيوط والمسالك القوافلية نحو الجهة الشرقية، وبذلك بات لزاما على القوافل القاصدة تلمسان من سجلماسة على سبيل المثال أن تتبع الطريق الصحراوي مرورا بوارجلان أو تيهرت دون أن تسلك الطريق الحيوي المعهود والممر الرئيسي (فاس-تازا-تلمسان). وفي الحصار

---

[1]- وبسبب معاناة التجار مع قطاع الطرق علق أحد الشعراء قائلا:

وأَغْنَت قُطَّاعُ الطُّرقِ عَلَى فَقْرِ التُّجَّارِ وخَيبَةَ السَّفَرِ
نصف البضاعة حين تَظْفرها مكْسٌ لَقَدْ بالَغت في النُّكُرِ

ينظر: محمود عبد الرازق إسماعيل، المرجع السابق، ص1193.

[2]- الحريري، المصدر السابق، ص405.

[3]- ابن عذاري، البيان المغرب-قسم الموحدين، ص465.

[4]- المصدر نفسه، ص466.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج07، ص11، ص112، ص148، ص162. مُحَمَّد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ص218-219.

[6]- الناصري، الاستقصا، ج03، ص80.

[7]- كاربخال، إفريقيا، ج02، ص296.

الطويل الذي ضربه السلطان أبو الحسن المريني على تلمسان توعد من يتسلل بالأقوات إلى المدينة وهو محاصر لها[1] ،كما قام بقطع الطريق الرابط بينها وبين هنين لمنع وصول الإمداد إليها عن طريق البحر، كما منع القوافل التجارية من الدخول إليها برا[2].

وفي نفس الوقت كان الطريق التجاري من فاس إلى تلمسان يستقر به اللصوص من الأعراب، قلّما ينجو التجار من شرهم لا سيما في فصل الشتاء، مما جعل السلاطين الزيانيين يلجؤون إلى تأجير بعض العرب لتأمين الطرق[3] مقابل ضريبة يؤذونها لهم يطلق عليها "الخفارة" معلومة المقدار[4]، غير أن انتقال هؤلاء المؤجرين إلى مشاتيهم كان يفسح المجال أمام اللصوص من أعراب آخرين فيغيرون على قوافل التجار[5].

وفي هذا الإطار ثمة تحالف ظهر واضحا على مستوى تجارة القوافل الكبرى تقسم بين الدولة (حق المداخيل)، والقبائل المرافقة والأرستقراطية (المتاجرة)، لذا صار من الطبيعي أن نرى أعضاء السلالة الحاكمة وبعض الأرستقراطية القبلية وكبار التجار ينسقون العمليات التجارية مع بعضهم البعض لأجل تقسيم الغنيمة[6].

إن غياب الأمن بين الدولتين أفضى إلى خراب الطرق والمسالك التجارية البرية، باستثناء تجارة ركب الحجيج التي بقيت مؤمنة لما حظيت به من احترام واهتمام دول المرحلة، أما التجار كانوا حسب العبدري يتخبطون «في خوض ظلماء، وخبط عشواء، لا يأمن على ماله ولا على نفسه ولا يؤمل راحة في غده إذ لم يرها في يومه وأمسه... يظلم ويخفي ويهتضم. تتعاطاه الأيدي الغاشمة وتتهاداه الأكف الظالمة، لا منجد له ولا معين ولا ملجأ يعتصم به المسكين»[7]، هذه الأوصاف التي

[1]– الوزان، المصدر السابق، ج02، ص17.

[2]– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص442.

[3]– الوزان، المصدر السابق، ج02، ص11.

[4]– عبد الرحمن بن خلدون، العبر، 6، ص81. والخفارة هي عموما إحدى نتائج الحكم الضعيف وبالتالي فإنها تكثر في المناطق التي لا تمتد إليها لسبب ما سلطة الدولة. ينظر: هوبكنز، النظم الإسلامية، ص96.

[5]– الوزان، المصدر السابق، ص11.

[6]– عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، ص77.

[7]– العبدري، الرحلة المغربية، ص17.

قدمها العبدري تدل على صعوبة التنقل والحركة في ظل وجود عصابات متمرسة همها الوحيد هو السلب والنهب.

صفوة القول أن حروب الزيانيين والمرينيين وما نجم عنها من تداعيات وسلوكات عدوانية أفرزت لنا وضعا مزريا اتسم بتوقف المبادلات التجارية بينهما على ما يبدو في العديد من الفترات إلا في لحظات السلم المؤقت بين الطرفين، وإفلاس العديد من التجار وتخليهم عن ممارسة هذه الحرفة، وتحول الأهمية التجارية إلى قوى أخرى، وفقدان دوره كوسيط مما سارع إلى انهيار البنيات الاقتصادية والاجتماعية للمغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة.

ب- مع السودان الغربي والمشرق العربي: بالموازاة مع الضرر الذي أصاب الطرق التجارية الداخلية وطرق البلدان المتجاورة لم تسلم خطوط التجارة ومسالكها الرابطة بين مدن المغرب الأوسط ومدن السودان الغربي الذي كان يمثل خزانا أساسيا للذهب، والذي رسم كثير من معالم التطور التاريخي والحضاري لبلاد الغرب الإسلامي[1].

لا شك أن الصراع الزياني المريني على المناطق الجنوبية أسهم بشكل كبير في تراجع النشاط التجاري مع بلاد السودان، وساهم في تفشي ظاهرة اللصوصية في الطرقات مثلما عبر عنه ابن بطوطة في رحلته عن الأخطار التي واجهت القافلة عند عودته من السودان مرورا بمنطقة الهكار (الهقار بالجزائر) فيقول: « ووصلنا إلى بلاد الهكار، وهم طائفة من البربر ملثمون لا خير عندهم، ولقينا أحد كبرائهم، فحبس القافلة حتى غرموا له أثوابا وسواها...وهم لا يغيرون فيه (يعني شهر رمضان) ولا يعترضون القوافل، وإذا وجد سراقها المتاع بالطريق في رمضان لم يعرضوا له، وكذلك جميع من بهذه الطريق من البربر»[2]. نستشف من هذا النص أن القفار رغم صعوبة الحياة فيها لم تخلو من قطاع الطرق.

إنَّ ظاهرة اللصوصية لم تسلم منها حتى الوفود الرسمية والسفارات والقوافل المرافقة لها، وهذا ما حدث سنة (707هـ/1307م) لركب الحجيج الذي انطلق من فاس وضمنه الوفد المملوكي الذي كان يحمل هدية من السلطان المريني أبي ثابت بن يوسف بن يعقوب إلى سلطان المماليك الناصرمُحَمَّد بن

[1]- المقري، نفح الطيب، ج05، ص206.

[2]- ابن بطوطة، تحفة النظار، ج02، ص713.

قلاوون، حيث تعرضت القافلة إلى غارات القبائل العربية، إذ نهبت من قبل أعراب زغبة، وساد الاعتقاد آنذاك بأن عملية النهب كانت من تدبير أبي حمو الأول الذي أوعز لحلفائه من أعراب زغبة[1] القيام بعملية الاعتداء[2]، وهذا انتقاما من موقف المماليك الداعمين للمرينيين[3].

لقد أصبح الطابع الاقتصادي في الصراعات الزيانية المرينية على سجلماسة كمحطة تجارية استراتيجية واضحا للعيان، خاصة وأنها تقع على الطريق المؤدي إلى بلاد السودان، فهي «أم البلدان المجاورة لحدود السودان، وهي بلد تبر وأديم، ومنمي تجر ومكسب عديم»[4]، حيث تعرضت لاقتحامات موسعة، كان فيها بنو عبد الواد مهاجمين تارة ومدافعين عنها تارة أخرى[5]، هذا الإصرار على الاقتتال أدى إلى إبعاد المنطقة تدريجيا عن تجارة الذهب[6] بسبب تحول الطرق القوافلية عن سجلماسة في اتجاه الشرق، ومن ثمة فَقَدَت العديد من الطرق التجارية أهميتها الاقتصادية من بينها: طريق سجلماسة–ولاتة ثم تمبكتو وجني وغاو – طريق سجلماسة وتوات والهقار وتكدا وكوكو وتمبكتو، والطريق الذي كان يمر بغرداية وتوات وأحيانا يصل هذا الطريق إلى نهر النيجر حيث توجد مدينة جاو التجارية[7]، أما الطريق التجاري الذي كان ينطلق من تلمسان باتجاه مالي فَقَدَ مكانته بعد انفتاح مالي على المشرق وإقبالها على التعامل مع تجار مصر، وما ترتب عن ذلك من ميل تدريجي للمسالك التجارية نحو الشرق[8]. ومن أجل المحافظة على الأرباح التي كانوا يجنونها، ولأجل تعويض طريق سجلماسة، وجدت في واحات الجنوب كتوات وتمنطيط، وتيكورارين طريق آخر يمكن من

---

[1]– يقول ابن خلدون: «واعترضهم في طريقهم أشرار حصن من زغبة... واستولى الأشرار على الركب بما فيه ونهبوا جميع الحجاج ورسل الملك الناصر». ينظر: ابن خلدون، العبر، ج05، ص482.

[2]– المصدر نفسه، ج07، ص351. عبيد بودواد، اللصوصية وأثرها في حركة القوافل بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، ص294.

[3]– القلقشندي، المصدر السابق، ج07، ص30.

[4] – ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص ص180–181.

[5]– عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص323.

[6]– ايف لاكوست، العلامة ابن خلدون، ص160.

[7]– بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص311. هوارية بكاي، شركة آل المقري التجارية ودورها في تمتين العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج: دولية محكمة، ع04، ص168. عطلي مُحَمَّد الأمين، الدور الحضاري للطرق التجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي، مج: العلوم الإسلامية والحضارة، جامعة آفلو، ع06، أكتوبر 2017، ص248.

[8]– لحسن تاوشيخت، المرجع السابق، ص146.

خلاله تدارك هذا النقص الفادح من تجارة الذهب، وذلك باللجوء إلى حليف قديم هو قبائل بني عامر لحماية الطريق[1]، كما استخدم السلاطين مختلف السبل المغلة على المدى القصير لأجل المحافظة على الأرباح وقد وصفها ابن خلدون بقوله: «إن الملك الذي يقوم بالتجارة لمصلحته يسيء إلى تابعيه ويفلس مداخيل الدولة»[2].

وفي نفس الصدد ارتبطت تلمسان وموانئ الدولة الزيانية مثل هنين، وشرشال، والجزائر بعلاقات بعلاقات اقتصادية مع موانئ مصر وخاصة الإسكندرية، وتمَّ تبادل السلع بين الطرفين عن طريق التجارة[3]، وكان التجار يفضلون الطرق البحرية عن البرية لانعدام الأمن في هذه الأخيرة، خاصة الطريق الساحلي من الإسكندرية إلى طنجة والذي كان عرضة لقطاع الطرق من الأعراب، وقد لخص أحد الشعراء خطر القرصنة في البحر وقطاع الطرق في البر بقوله[4]:

نَاهيكَ عَنْ بَـلْدَة مَنْ حَلَّ بِساحَتها ... عَانَى بها العَادِيِينَ: الرُّومَ وَالعَرَبِ
كَمَ ضَلَّ فِي البَّـرِ مَسْلُوبا بِضَاعَته ... وبات فِي البَحرِ يَشْكُو الأَسر والعطَبَا

لذا أصبحت المبادلات التجارية تتم بالسفن انطلاقا من الدول الأوربية إلى وهران ثم تونس والإسكندرية[5]. ومع تزايد الفتن مع مطلع القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي فقد المغرب الأوسط السيطرة على طريق الذهب، وبذلك تحولت الأهمية التجارية من محور (الشمال- جنوب) إلى محور (شرق- غرب) بسبب احتكاك الدولة المملوكية[6] بالمماليك السودانية بعد سيطرتها على أعالي النيل

[1]- حسن حافظ العلوي، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1418هـ/1997م، ص ص427-428.

[2]- إيف لاكوست، المرجع السابق، ص161.

[3]- مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج05، ص160.

[4]- محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص1210.

[5]- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج02، ص147.

[6]- دولة المماليك 648-923هـ/1250-1517م: كون المماليك دولة لهم في مصر والشام، وتنقسم دولتهم إلى قسمين: الأول دولة المماليك البحرية وكانت خلالها القلعة داخل جزيرة الروضة مركزا لحكمهم، ولهم أيضا اسم المماليك الأتراك واستمروا حتى 783هـ-1382م،

والتموين بالذهب التي كانت تحت مراقبة الدول المسيحية. وتمكنوا سنة (716هـ/1316م) من الاستيلاء على هذه المنطقة نتيجة لتلك الضربات التي كانوا يوجهونها لمملكة النوبة المسيحية، والتي أدت إلى انهيارها، وبذلك تمكن المصريون من فتح طريق الجنوب لإقامة علاقات تجارية مع بلاد السودان، وتوثقت العلاقات التجارية بين مالي ومصر أكثر من نهاية النصف الأول من القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي، بعد الرحلة الشهيرة التي قام بها سلطان مالي منسى موسى إلى مكة عن طريق مصر[1].

كما كان لانحراف الطرق القافلية باتجاه مصر آثار وخيمة على شركة آل المقري التي كانت تحقق أرباحا طائلة، لأن بلاد السودان والصحراء «قبل أن يدخلها أهل مصر كانت تجلب لها من المغرب الإسلامي ما لا بال له من السلع»[2]، فبانعزال المغرب الأوسط وفقدانه السيطرة-كوسيط-على على تجارة الذهب، بدأ الضعف والانهيار يدب في أركان الدولة[3]. وبالتالي انحصرت تجارة المغرب الأوسط على مجهودات المسيحيين[4].

وخلاصة القول أن الانفلات الأمني وكثرة ضروب الغصب والتعدي التي عرفتها عدة جهات من المغرب الأوسط أثرت بشكل كبير في شبكة المبادلات التجارية للمغرب الأوسط مع السودان الغربي وبلدان المشرق الإسلامي بسبب اختفاء طرق تجارية قديمة، وظهور خطوط تجارية جديدة معظمها تتجه نحو تونس ومصر المملوكية.

ج- مع بلاد الأندلس: لقد أدرك بنو زيان ضرورة التضامن مع إخوانهم بني نصر في غرناطة رغم رغم الظروف السياسية التي مرت بها دولتهم، إلاّ أن المصادر حفظت لنا صورا عن الدعم الزياني لمملكة غرناطة بالخيل، والمواد الغذائية الأساسية التي كانت عبارة عن حبوب موجهة للجيش المحارب بالدرجة الأولى[5]، ويبدو أن تضامن الدولة الزيانية مع مسلمي غرناطة لم يكن عسكريا ميدانيا

الثاني تعرف بدولة المماليك الشراكسة، واستمروا حتى نهاية دولة المماليك. ينظر: أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط07، 1986م، ص ص197-234.

[1]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص48.

[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج02، ص193.

[3]- إيف لاكوست، المرجع السابق، ص101.

[4]- عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، ص82.

[5]- ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج01، ص287.

كالمشاركة في القتال أو غير ذلك، بل كانت المساهمة إنسانية بدافع ديني[1]، وهي إرسال إمدادات متنوعة يحتاجها الجيش أثناء الحرب سواء في ساحة القتال أو تحت وقع الحصار وهذا بطبيعة الحال يعكس لنا الحالة السياسية غير المستقرة للدولة الزيانية التي تحول دون إرسال الجيوش للقتال كما هو الحال بالنسبة للدولتين الحفصية والمرينية[2]، وفي سنة (767هـ/1365م) استجاب أبو حمو الثاني لنداء إخوانه من أهل غرناطة، وعلق على ذلك يحي بن خلدون بقوله: «فامتعض خليفةالله -أيدهالله- لدين لدين الإسلام واستفزته أريحية الشجاعة وعطفته على غرباء المسلمين بالعدوة، رحم الملة، وحجزه البحر الزاخر عن الوصول إليهم بنفسه، فأمدَّهم في سبيل الله بالأحمال العديدة من الذهب والفضة والخيل المسومة والمراكب المشحونة زرعا أجزل الله ثوابه»[3]، كما كان للزيانيين في عهد أبي حمو الثاني اليد الطولى في فتح الجزيرة الخضراء، فخاطبهم الوزير لسان الدين بن الخطيب بقصيدة يشكره فيها على تضامنه، وفي ذلك يقول:[4]

أَقَمْتَ جِدَارَهَا وَأَفَدْتَ كَنْزًا ... وَلَوْ شِئْتَ اتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرَا

أَنْتَ الَّذِي أَمْدَدْتَ ثَغْرَ اللهِ ... دَقَّاتِ تَبْلُسَ كُرَةَ ابْلِيسَا

بِالصَّافِنَاتِ مُسَوَّمَةً لَا تَعْرِفُ التَّدْلِيسَا

وَأَعَنْتَ أَنْدَلُسًا بِكُلِّ سَبِيكَةٍ

في الختام نستنتج أنه رغم الظروف غير المستقرة التي مرت بها الدولة الزيانية خاصة خلال القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي، لكن ذلك لم يمنعهم من تقديم يد العون لإخوانهم في الأندلس، ورغم

---

[1]- معروف حفصة، دور الأسطول المغربي في النشاط الحربي والحركة التجارية من العهد الموحدي إلى القدوم العثماني لبلاد المغرب أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر02، 2017/2016م، ص294.

[2]- المرجع نفسه، ص ص288-289. يورد يحي بن خلدون نص الرسالة التي أرسلها سلطان غرناطة إلى السلطان الزياني أبي حمو يشكره فيها على تضامنه مع مسلمي غرناطة ويذكر فيها أن لبني زيان في تلك المعارك النصيب والسهم المصيب، وهذا ما يوحي بوجود قوات زيانية في الجيش المحارب، وقد كانت الرسالة من إنشاء الوزير ابن الخطيب. ينظر، يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص ص353-354.

[3]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج02، ص348.

[4]- ابن الخطيب، ديوان لسان الدين بن الخطيب ، تح: محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1409هـ/1989م مج01، ص60. المقري، نفح الطيب، ج06، ص ص507-508.

الخلفيات السياسية التي حركت العمليات في كثير من المراحل، لكن لا يمكن أن ننكر الدافع الديني والتضامن الإسلامي الذي كان المحرك الأساسي.

د- مع دول غرب أوربا المسيحية: من المؤكد أن العلاقات التجارية للدولة الزيانية مع دول غرب أوربا المسيحية قامت على مستويين، المستوى الأول أقرَّه الفقهاء وهو قائم على مبدأ التصادم والصراع المستحكم بين دار الكفر ودار الإسلام[1]، وهذا ما دفع بالفقهاء إلى إصدار فتاوي تجيز البيع والشراء مع العدو حتى في ظل الحروب، إلاّ أنهم حددوا أصنافا من المعاملات التي نص عليها الشرع، ومنها على وجه الخصوص (آلة الحرب، وعدة الفرس، وما يستعان به على حرب المسلمين) [2]. ويستخلص من هذه الجملة لهذا النص أن المبدأ في التحريم هو منع استعانة النصارى بهذه البضائع على حرب المسلمين، وإلى جانب ذلك دعت الفعاليات الدينية التجار إلى عدم السفر إلى بلاد النصارى وكرهوا المقام فيها، لأن في ذلك إعلاء كلمتهم[3]، على الرغم من أنه كان لبعض التلمسانيين أسهم في الأسطول التجاري الذي جاب سواحل البحر المتوسط الشمالية والجنوبية، ففي سنة (732هـ/1331م)كان الوزير هلال القطلاني يملك ثلاثة أرباع السفينة الميورقية[4].

إنَّ الاعتبارات التي دفعت بالفقهاء إلى إقرار تلك الموانع والتحريمات هي الدوافع نفسها التي جعلت الكنيسة تحظر بيع الأسلحة والحديد والخشب، القمح، الشعير، الذرة البيضاء، وحبال القنب وغيرها من المواد التي من شأنها أن تقوي المسلمين على حرب النصرانية[5].

إن الأزمات الاقتصادية[1] والسياسية[2] التي أصابت المغرب الأوسط منذ القرن الثامن هجري 14م[3] جعلت علاقات الزيانيين بالدول المسيحية تدخل مرحلة التنافس والتصادم الدائمين، والابتزاز

[1]- الونشريسي، المعيار، ج05، ص ص103-213. وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص ص512-514.

[2]- الونشريسي، المعيار، ج06، ص67.

[3]- الونشريسي، المعيار، ج02، ص489.

[4]- صالح بن قربة وآخرون، الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وأول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ص481.

[5]- مختار حساني، المرجع السابق، ص ص76-77. يقول مُحَمَّد فتحة: «إن إنشاء الشركات التجارية مع النصارى والاتجار على أرض الكفر في بضائع حرم الفقهاء، والكنيسة على السواء، التعامل بها بين المسلمين وبين النصارى». ينظر: المرجع السابق، ص321.

التجاري الاقتصادي، وعدم التكافؤ في صناعة الأجفان والسفن في البداية، رغم بعض المحاولات التي قام بها أبو حمو وابنه أبو تاشفين بهنين والجزائر[4]، الأمر الذي ساعد الأوربيين بالسيطرة على تجارة المتوسط وانفتاحهم على طرق الأطلسي التي نزعت دور المغرب الأوسط كوسيط تجاري «على محور تلمسان –سجلماسة كمركز تموين لمادة الذهب»[5]، ولقد أثار هذا الوضع شهية القطلانيين وضاعف مطامعهم وانبهارهم بهذا الثراء القادم من المغرب الأوسط، مما دفعهم إلى التعجيل بالسيطرة على غرب البحر المتوسط باحتلال ميورقة وقبليهما صقلية وسردينيا، وبالتحكم في هذه الطريق إلى البلاد المغاربية المغاربية الموصلة إلى نهر الذهب وإلى الثروة عموما[6]، وبالفعل تمكنوا من بلوغ المناطق المنتجة للذهب عن طريق المحيط الأطلسي مباشرة ابتداء من سنة(853هـ/ 1450م) من خلال اجتذاب قسم من تجارة الذهب شطر خليج غينيا[7]، بفضل الجاليات اليهودية التلمسانية، والتي نشأت بمدن هذه الطرق الموصلة إلى الذهب من تلمسان وسجلماسة وتمبكتو حتى أصبحت تعرف لذا القطلانيين بالطريق اليهودية[8].

ومن زاوية أخرى واجهت التجارة البحرية مشكلة القرصنة[9] داخل البحر المتوسط[10]، فقد كانت السفن الإسلامية ومنها التلمسانية عرضة لأعمال القطع والقرصنة، خاصة بعد قدوم

1– يقول عبد القادر جغلول: «انحط الاقتصاد الحضري، والصناعات الحضرية أصبحت في خطر، حيث أصبحت تستورد بكثرة منتوجات الصناعة الحرفية الأوربية، وانتشار الملابس الأوربية بدل الزيانية في إقليم السودان». ينظر مختار حساني، المرجع السابق ص141. عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص82.

2– يقول عمر سعيدان: «إن التخاذل والتنازل والهيمنة والقبول بالهيمنة ظهرت بصورة جلية لما قبل: أبو حمو الأول ومن بعده ابنه تاشفين دفع إيتاء سنوي لقوة الحرس المسيحي من مداخيل القمرق التلمساني كما تشير إليه معاهدة الصلح المبرمة سنة 1323م بسبب الفتن الداخلية، وتحرش الجيران المرينيين والحفصيين». وفي رسالة أخرى مؤرخة بتاريخ 01 صفر عام 723هـ من قبل وزير سلطان تلمسان هلال بن عبد الله طلب من القطلانيين: «أن لا تعينوا لنا أنتم أحد مقابل سلفة ذهب». ويقصد أعداءهم المرينيين والحفصين. ينظر: المرجع السابق، ص60، ص61، ص66، ص67.

3– عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص86.

4– عمر سعيدان، المرجع السابق، ص45.

5– المرجع نفسه، ص09.

6– المرجع السابق، ص30.

7– إيف لاكوست، المرجع السابق، ص161.

8– عمر سعيدان، المرجع السابق، ص30.

9– يقول عبد الرحمن الجيلالي: «القرصنة ليست هي في شيء من الدين، فلا هي مسيحية ولا هي إسلامية، وإنما هي تطاول على الغير حبا في الآثرة والغلبة، وقد تكون دفاعا وذبا عن الحمى، وحينئذ تلحق بباب الجهاد والحرب». ينظر: المرجع السابق، ج02، ص31.

10– يحي بن خلدون، البغية، ج02، ص193.

الموريسكيين ضد مراكب الإسبان والجزائر الشرقية (البليار) [1]، والتي كان معظمها من المملكة الأراغونية، هذه القرصنة سببت قيام صدامات في المتوسط بين السفن الإسلامية والنصرانية، مثل التي تلك الصدامات التي حصلت بين تلمسان وأراغونة سنوات (665هـ/1263م)، (675هـ/1273م)، (678هـ/1275م) (728هـ/1327م)، (769هـ/1464م) [2]، ومع القطلانيين مثلما ورد ذكره في تلك الرسالة بتاريخ: ربيع الثاني761هـ الموافق لـ 23 فبراير 1362م من سلطان تلمسان موسى بن أبي يعقوب بن زيد بن أبي زكرياء إلى ملك أراغون (بيترو الرابع) تخص قطع بعض القطلانيين في مرسى وهران، حيث تعمدوا في جرأة وهتك «حرمة السلطنة وحق الإسلام واستولوا على جفن كان موسوقا زرعا وبضائع أخرى لتجار أندلسيين»، [3] ونفس الشيء قام به تجار وهران حيث أصبحوا «يجهزون على الدوام سفنا شراعية، وأخرى مسلحة يمارسون بها القرصنة» [4] مما أدى إلى تراجع التجارة البحرية على شواطئ المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع هجريين [5].

لاسيما وأنَّ هذه الغارات كانت تستهدف التجارة بالدرجة الأولى واستغلال الموانئ للانسياح في البحر والاستفادة منها كمركز اقتصادي [6]، لأجل الحصول على الأموال من تلمسان بشتى الطرق، إن لم يكن بالإيتاءات، يكون عن طريق السلفة، وبذلك يسترجعون ما يدفعه التجار القطلانيون في الدولة التلمسانية [7]، ومن بين الهجمات والمحاولات المسيحية للسيطرة على المكانة الاقتصادية لموانئ المغرب الأوسط، قيام مركب قشتالي سنة (812هـ/1410م) بأسر مركب بجائي قرب مستغانم محملا بالخشب والجلود باتجاه وهران مع 26 شخصا، وفي سنة (823هـ/1420م) اعترض مركب قرب الجزائر محملا بالخشب البجائي إلى وهران و11 شخصا [8]، كما شهدت وهران مع مطلع القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي هجمات قشتالية على قرية المرسى، ثم تلتها هجمات مرينية بقيادة الأمير

---

[1]- أمين توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، ج02، ص185.

[2]- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ص326.

[3]- عمر سعيدان، المرجع السابق، ص ص93-99.

[4]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص30.

[5]- بوزياني الدراجي، نظم الحكم، ص215.

[6] عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي،دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م،ج02 ص ص335-336.

[7]- عمر سعيدان، المرجع السابق، ص148.

[8]- محمود أحمد علي أحمد، القرصنة وأثرها على حركة التجارة في الحوض الغربي للمتوسط (531هـ-1136م/869هـ-1461م) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الإسلامي، جامعة سوهاج، كلية الآداب، قسم التاريخ، جمهورية مصر العربية 2011م، ص71.

"حاجي أخ السلطان المريني"[1]، ومهاجمة المرسى الكبير وأرزيو بزعامة الكونت بيدرو نينو Pedro Nino[2]، لكن ما وقفنا عليه من خلال كتب الرحلة والجغرافية أنه رغم هذه الهجمات المتتالية إلا أن تجارة وهران لم تتوقف.

ومما ميز علاقة تلمسان بالممالك المسيحية أنها علاقات تأرجحت بالمراوحة بين الشدة واللين، الحرب والسلم، القطع والأمن، القرصنة والتجارة وما تدره من أرباح، وعدم الحصول على أمن مطلق واطمئنان تام حتى في فترات السلم[3]، الأمر الذي جعل من مملكة تلمسان تستمد عائداتها من ضريبة 15% التي يدفعها التجار المسيحيون، تضاف إلى هذه التبعية المالية التي جعلتها تقوم بدور الوكيل التجاري فقط ثم تحولها إلى تبعية سياسية مباشرة مثلما حصل مع الملك الزياني مُحَمَّد الخامس عام (922هـ/ 922هـ/ 1516م)، والذي قبل أن يكون واليا لملك إسبانيا[4].

وعليه فإن اهتمام الدولة الزيانية بتوسيع مشاريعها العسكرية لم يكرس في الاهتمام بالعمارة البحرية وتجهيز الأساطيل، ولا شك أن هذه الوضعية كرست جوا من اللاتكافؤ بين الطرفين، وبالتالي تفوق القرصنة الأوربية على نظيرتها الزيانية في هذه المرحلة، مما شكل هاجسا للتجار قلل من حماسهم في الإتجار مع الدول الأوربية، الأمر الذي أفضى إلى تقلص موارد الدولة المالية من جراء الكساد التجاري وكان من أسباب ضعفها أمام النفوذ الأوربي.

---

[1]- يحي بوعزيز، وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2009م، ص36. حيث توضح الرسالة التي توجه بها السلطان المتوكل موسى بن أبي يعقوب بن زيد بن أبي زكرياء بن أبي يحي يغمراسن بن زيان إلى ملك آراغون دون بيدرو الرابع بتاريخ 04 ربيع الثاني 761هـ/23 فيفري 1360م محملها المتوكل أبو عبد الله مُحَمَّد بن الوزير الشيخ أبي الزبير طلحة الباتشلي، وصحب السفير الزياني مبعوث قطلاني جوان برمجلين تخص موضوع قطع بعض الكتلانيين في مرسى وهران وإرسال سفراء لحل المشكلة وعقد الصلح والرسالة جاءت بعد استعادة ملوك بني زيان ملكهم جاء في نص الرسالة: «فإنا لم نزل نمنح من وصل من جهاتكم وانخراط في سلك طاعتكم من التجار المترددين وغيرهم من ذوي الحاجات أجمعين ونوسعهم إحسانا وإنعاما ونيسر عليهم في جميع مطالبهم وجملة مآربهم إجمالا وإكراما ولم نضيق عليهم قط في جميع ما أرادوا أن يسوقوه لبلادهم ويحملوه في صدرهم وإيرادهم من زرع وغيره من الأمور التي يقضون منها الوطر ونرتكب فيها في ديننا الخطر في مرافقة لهم، فيه أرجع إليهم وتوسعة في كل الأحوال عليهم» توضح الرسالة الامتيازات والتسهيلات التي منحتها الدولة الزيانية لتجار أراغونيا... فقد عمدت طائفة من القطلانيين في أجفان معدين إلى مرسانا الشهير مرسى وهران المحروسة الكبير، وحملوا منه على جهة العمد العدوان والجرأة، والإقدام وهتكوا حرمة السلطنة وحق الإسلام جفنا موسوقا بالزرع وغيره للتجار الأندلسيين كانوا أرادوا الوجه به إلى بلاد المسلمين، واستولوا على الجفن بما فيه». عمر سعيدان، المرجع السابق، ص123، ص124، ص125، ص127.

[2]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص36.

[3]- عمر سعيدان، المرجع السابق، ص149.

[4]- وللمزيد أكثر ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص23. عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص87.

خلاصة القول أن الحروب والأزمات التي شهدها المغرب الأوسط أثرت بشكل مباشر على منظومة الاقتصاد، خاصة وأن كل نشاط يكمل الآخر، لأننا في دورة اقتصادية مترابطة حيث ارتبكت التجارة نتيجة غلق جميع المنافذ، وتعطلت الصناعة نتيجة انقطاع المواد الأولية، وتخلفت الزراعة لعزوف الرعية عن العمل، وهذا ما جعل السلطة والرعية تتخبط في عديد المشاكل التي عطلت أوجه النشاط الإنساني.

المبحث الرابع: أثر الحروب في بروز بعض الممارسات وانتعاش بعض الحرف:

01- أثر الحرب في بروز بعض الممارسات:

لا يقل الغش والتدليس الذي صحب الحروب والأزمات التي عرفها المغرب الأوسط خاصة مع نهاية القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي، تأثيرا من العوامل السابقة، حيث انتشر بوسائل متعددة وأساليب متنوعة في فترة الدراسة، ومما يؤسف أن أغلب أساليب الغش ومظاهر الفساد تمت ممارستها من الباعة والتجار الوافدين على أسواق المغرب الأوسط، وخاصة فئة اليهود، التي اتخذت من الأوضاع المضطربة فرصا ثمينة للاحتيال وتزييف النقود، ورغم محاولات السلاطين للوقوف في وجه هذه التجاوزات من خلال تعيين المحتسبين على الباعة والمبيعات، إلاّ أن مظاهر الفساد تفشت بشكل كبير. وتعتبر كتب الحسبة والنوازل من المصادر الأساسية التي تطرقت لمثل هذه الظواهر السلبية.

أ- تزييف العملة:

تعد السكة مظهرا من مظاهر سلطة الخليفة، أو من ينوب عنه فهي كما قال ابن خلدون «وظيفة ضرورية للملك، إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات»[1]، وعليه فإن قيمة العملة ارتبطت بحالة الاستقرار السياسي وقوة وضعف الدولة الزيانية[2]، ولم تقتصر على المغرب الأوسط دون غيره من الأقطار، ولم تقتصر على زمن دون آخر، بل يجوز أن نؤكد أنها

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص213.

[2]- بصديق عبد الكريم، البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الأوسط وأثرها على المجتمع ما بين القرنين 06-09هـ/12-15م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة وهران، 1438-1439هـ/2017-2018م، ص170.

تستفحل خلال فترات الاضطراب السياسي وا لركود الاقتصادي[1] مثلما أقره العقباني قائلا: «إن فساد سكة المسلمين وغش دراهمهم قد عمَّ وقوعه بهذه البلاد المغاربية بأسرها، ولم يقع لمادة ذلك حسم، حتى كادت رؤوس أموال الناس تنقرض من أيديهم»[2].

إلا أن ظاهرة الغش هي التي سيطرت على الوضع بتلمسان خاصة بعد سنة (791هـ/1390م)[3] لتدخل العديد من المسببات من بينها: قيام السلطان أبي حمو الثاني بتوظيف الجالية اليهودية في المجال المالي والنقدي، وسمحت لهم بالممارسات الربوية في ميدان الصيرفة، وجباية المال التي أنفت منها الرعية[4]، حيث أغرقوا الأسواق بالعملات الزائفة والمغشوشة بتواطؤ مع مالكي الذهب والفضة حتى أصبحوا يعرفون بيهود دار السكة[5]، ولعل أحسن ما يعزز هذه الظاهرة بالأمثلة الحسن الوزان الذي لاحظ «أن بقرب دار السكة سوق في دكاكين الصاغة وأمينهم هو الذي يحتفظ بقالب المعادن وختم النقود ومعظم الصاغة من اليهود»[6]، وقد نبه مارمول كاربخال عند تعرضه للدولة الزيانية قائلا أنهم «كانوا يسكون عملة من الذهب الرديء لا تزن سوى **ريال** وربع، وحتى إذا راجت بين هؤلاء السكان، لم تكن تزن سوى تسع ريالات ونصف ذهبا، وكانوا يزيفون العملة الفضية ويخلطونها بالنحاس»[7]، حتى أصبحت العملات «تباع عددا لا وزنا»[8]، وأن أكثر ما يوضح عملية الغش وتزييف وتزييف العملة الناتج عن اختلاف الوزن هو ابن الخطيب الذي عايش هذه المرحلة فعلى سبيل المثال أشار إلى «تضارب بعض السكان على الأثمان الزيوق بالسيوف»[9]، ويمكن أن نضيف نصا آخر للونشريسي يصف فيه حال انتشار المغشوش في الوزن بتلمسان قائلا: «واستمر مدة إلى أن كثر

---

[1]- مُحَمَّد فتحة، المرجع السابق، ص299.

[2]- العقباني، تحفة الناظر، ص236.

[3]- المصدر نفسه، ص202. رفيق خليفي، حرفيو السك النقدي في المغرب الزياني (أسرة بني الملاح أنموذجا-633-718هـ/1235-1318م)، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد الرابع، جوان 2013م، ص98.

[4]-ابن مرزوق، المسند، ص285. العقباني، المصدر السابق، ص202. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص20.

[5]- رفيق خليفي، المرجع السابق، ص107.

[6]- الوزان، المصدر السابق، ج01، ص219.

[7]- مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج02، ص301. يقول ابن عبدون: « من قَلَب لأحد ذهبا أو فضة، وخرج فيه بعد ذلك رديء، فبدله على المقلب، لأنه غره واطمأن إليه صاحب النقد، فخانه، يجب الإنكار على المدلسين إذا ظفر بهم في كل صناعة، لاسيما في النقد، ولا يكون المدلس في النقد إلا ممن يعرف صرف النقد». ينظر: كتاب ثلاث رسائل أندلسية، ص46.

[8]- الونشريسي، المعيار، ج05، ص ص305-373.

[9]- ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص159.

النقص و تفاحش في نحو ثلاثة أشهر من آخر المدة، وكان الناقص في المدة يجوز بجواز الوازن غالبا، ثم كثر التسامح وشاع في الناس حتى أهملوا الوزن جملة فصار ذلك عادة يعتقد لزومها»[1]، وفي بعض الحالات يحدث الاتفاق بينهم وبين أمراء الدولة الزيانية لقلة المراقبة على العملة[2]، ومما يؤكد على ذلك ما صرح به محمود إسماعيل عبد الرازق أن الدولة تعول على تزييف العملة مما يؤدي إلى تقلص الرأسمال الصناعي والتجاري فيزداد الاقتصاد تدهورا[3].

من هنا فإن رواج النقد الناقص المغشوش أدى الى ظهور مشكلة كبيرة في التعامل بالعملة، وهي وجود العملة المزيفة وهو ما يفهم من سؤال وجه للفقيه البازلي حول-المراطلة-[4]، فأجاب بأنها جائزة، جائزة، لأن معطي الجديدة متفاضلا لا انتفاع له[5]، كما ذكر القلقشندي أن هناك الدراهم القديمة والدراهم الجديدة التي هي من الفضة الخالصة أما القديمة ففضتها مخلوطة بالنحاس[6]، وهذا التزييف راجع أحيانا عندما يسمح لهم بضرب النقود خارج دار السكة، وهي المعروفة بالنقود الخارجية، وهي أقرب إلى الزائفة لعدم خضوعها لرقابة السلطان.

من المفيد التعرف على أحكام الفقهاء بشأن النقود المغشوشة، فمن المعلوم أن كثرة تداولها يترتب عنه إفساد للفعل الاقتصادي، وكثرة المنازعات والمرافعات بين المتعاملين، حيث سئل العبدوسي: «عمن اقتضى دراهما فألفها زيوفا فاستثقل مخاصمة الدافع، فغرم على استنفاقها، فرد عليه بعضها، فأحب ردها على دافعها»، الجواب: «له ذلك»[7].كما أن السلع فقدت قيمتها الحقيقية في الأسواق، وهو ما عبر عنه علي بن يوسف الحكيم بقوله: «إذا استقامت السكة استقر نصاب الزكاة

---

[1]- الونشريسي، المعيار، ج05، ص ص189-190.

[2]- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج02، ص127.

[3]- محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص1183.

[4]- المماطلة: هي بيع الذهب بالذهب بطريقة الوزن، أو بيع الفضة بالفضة وزنا وتتم بطريقتين الأولى أن يوضع الذهب المبيع في كفة ثم يوضع الذهب في الكفة الأخرى حتى يعتدل اللسان وتتساوى القطعتان وزنا لتتم المبادلة بينهما. ينظر: مُحَمَّد سكجال المجابي، أحكام عقد البيع في الفقه الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط01، 2001م، ص51.

[5]- البرزلي، جامع مسائل الأحكام، ج03، ص310.

[6]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج05، ص114. يقول الونشريسي: «تفسد النقود اذا كانت غير خالصة من حيث ذهبها وفضتها كأن يشوبها شيء من النحاس أو أي معدن آخر». ينظر: المعيار، ج06، ص ص129-192.

[7]- الونشريسي، المعيار، ج06، ص47.

وتقادير المعاوضات والتبرعات وقيم المستهلكات وارتفعت الخصومات»[1]، ولعل الجانب الوحيد حسب محمد فتحة من هذا الموضوع الذي لم يقع فيه اختلاف هو ما يتعلق بمعاقبة الجناة المسؤولين عن عن تزييف النقود، فقد كان يقع البحث عنهم حتى إذا تم ضبطهم، يتم التشديد في عقوبتهم، و تطويقهم في الأسواق وسجنهم[2]، حيث أفتى فقيه فاس عيسى بن أحمد الماواسي بأن «يخلد في السجن حتى يموت»[3].

وعليه ومن خلال أحكام الفقهاء ونصوص الرحالة يتضح لنا جليا أن عملة بني زيان كانت عرضة للتزييف والفساد خلال فترات الحروب والفتن، مما أفرز واقعا اقتصاديا مريرا قلص الرأس المال الصناعي والتجاري وصعب على الناس التعامل فيما بينهم.

ب- ظاهرة التهريب:

تعتبر ظاهرة إدخال السلع إلى البلاد خلسة، أو نقلها مع قصد التحايل على الإيرادات الهامة، من الممارسات الشنيعة التي تفشت بكثرة في بلاد المغرب الأوسط خاصة في فترات الأزمات كالحروب والحصارات والاشتطاط الجبائي، فخلال حصار تلمسان من قبل المرينيين سنة (698هـ/1299م إلى غاية 706هـ/1307م)، والذي استغرق مدة طويلة راجع إلى خيانة بعض الشخصيات المرموقة في البلاط، فقد كانت هناك تجارة منظمة ولكن سرية، تقوم بها شبكات التهريب، وكانت تعمل خصوصا بالليل، وكانت لها علاقة مع بعض "رجال البطانة" وبالتالي كانت محمية من طرف سلطات عليا داخل الحاشية السلطانية، وداخل البلاط المريني.

ولا يستبعد أن يكون لاكتشاف هذه العملية عواقب تجلت في تنحية بعض الشخصيات المستفيدة من العملية[4]، فابن خلدون يوضح كيف «استراب السلطان بكثير من حاشيته الملابسين لداره عند أخريات أيامه»[5]، ولا يستبعد أن يكون هؤلاء المستفيدون هم الذين استبقوا الأحداث في

---

[1]- أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تح، حسين مؤنس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد السادس، العدد01-02، 1378هـ/1958م، ص114.

[2]- محمد فتحة، المرجع السابق، ص302.

[3]- أحمد بن القاضي المكناسي (960هـ-1025هـ) ، كتاب جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1973م، ص503.

[4] -Dufourcq, L'Espagne Catalane, Op.cit, p.304.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص ص 114-115.

شهر(ذي القعدة 706هـ/ماي 1307م)باستعمال أحد الخصيان لاغتيال السلطان والتخلي عن حصار حصار تلمسان.

تسلل الأغذية من طرف الجند المريني، فقد أرسل مُحَمَّد بن مرزوق لابن أخته وعاء سمن كان يرسله يرسله له كل مرة، غير أنه وصل الخبر للسلطان المريني الذي كان «قد هدر دم من يوجد داخلا، أو عرف منه ذلك، أو وافق عليه، أو علم به ولم يرفعه، وقتل على ذلك خلقا من كبار بني مرين، وغيرهم»[1]، وعليه نستشف من هذا القول أن السلطان المريني لم يكن يتسامح مع من يقبض عليه متلبسا بإرسال الأغذية للمحاصرين داخل تلمسان، وهو ما أكد عليه ابن خلدون قائلا: «أنه كان ينزل أشد العقاب والسطو بمن يميرها ويأخذ بالمرصاد من يتسلل بالأقوات إليها»[2]، لكن رغم هذا التشديد والقسوة، إلا أن الجنود المرينيين انتهزوا هذه الفرصة للمتاجرة بالأغذية وبيعها خفية للساكنة، للساكنة، بدليل أن البطيخ لا ينبت إلا في فصل الصيف، في حين أن الحصار كان في (ماي 698هـ/ 1299م) أي في فصل الربيع، وهي قرينة قاطعة تدعم ما ذكرناه سابقا. كما أن تداول هذه المواد الاستهلاكية وما صاحبها من غلاء فاحش كانت تتم خارج أسوار تلمسان نظرا للحصار الخانق على السكان، خاصة وأن المال أصبح ليس له أي معنى داخل المدينة، لأن الهم الوحيد للمحاصرين هو النجاة والبقاء على قيد الحياة[3]. تأثر النشاط التجاري لكنه لم ينقطع نهائيا، حيث استمرت سواحل المغرب الأوسط تستقطب التجار المسيحيين، خاصة من ميورقة التي كانت المراكب تغادرها بانتظام سنة (703هـ/1304م) إلى الموانئ الشرقية للدولة الزيانية مثل تنس وشرشال والجزائر[4]، وبعد النزول في في الموانئ الغربية كان التجار الأوربيون يغامرون بالسفر نحو منطقة العمليات الحربية بتلمسان التي أصبحت مقر سوق سوداء مزدهرة، وكانت المنصورة هي المستفيدة من ذلك[5].

---

[1]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص194.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص262.

[3]- مُحَمَّد ناصري، الحرب والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني-دراسة في انعكاسات الحرب على البنى الاقتصادية والاجتماعية والذهنية (633-962هـ/1235-1554م)، 143، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي ليابس، 2020-2021م، ص143.

[4]- Dufourcq (Charles Emmanuel): L´Espagne Catalane et le Maghreb aux XII et XIV siècles, Paris, 1966, p.389

[5] - Dufourcq l´Espagne catalane, p.369.

وفي نفس الصدد وخلال غزو أبي الحسن المريني لتلمسان سنة (735هـ/1335م) ضرب على تلمسان «سياج الأسوار وسرادقات الحفائر أطيفت عليهم حتى لا يكاد الطيف يخلص منهم ولا إليهم»، ثم يضيف: «وضايقوه حتى كاد السرعان من الناس أن يصلوا إليه»[1]. ونستشف من خلال هاتين العبارتين هو أن هذه الظاهرة كانت أكثر نشاطا في مثل هذه الأوضاع، ولذا كيف نفسر مقاومة السكان المحاصرين لسنوات الحصار الطويلة رغم انعدام المؤن، خاصة أن معظم المزروعات كانت تمارس خارج أسوار المدن، لو لم تكن عمليات إدخال البضائع تتم بشكل سري، فهذا التضييق وتشديد الخناق معناه توقيف إدخال المؤن للمحاصرين حتى لا يتقوُّوا بها ويستسلموا في أقرب وقت ممكن.

كما نشطت العديد من شبكات التهريب، حسب أحد الباحثين إذ مثلت تجارة سرية منظمة تولاها كبار التجار المسلمين والمسيحيين على حد سواء، منتهزين الفرصة لتحقيق الثراء[2].

وتماشيا مع ما تم ذكره نجد اليهود والمسيحيين انتعشت تجارتهم خلال الحصار الطويل على تلمسان من خلال تهريب بعض البضائع كالأسلحة، وهو ما يشبه اليوم بالسوق السوداء للمواد المهربة، حيث يقومون برفع أسعارها[3]، كما أن التجار الجنويين قاموا بتهريب بعض المواد الممنوعة مثل خشب البناء والمجاديف، و الصوار و الأسلحة إلى ميناء بجاية، وهذا ضمن رسالة البابا " جريجوار العاشر" (Gregoire X) المؤرخة في(670هـ/ 1272م) تتهم الجنويين ببيع المواد المحرمة للمسلمين[4]، ورغم ذلك تواصلت عمليات التهريب ولكن بشكل خفي ويظهر ذلك من خلال رسالة شركة "داتيني" "Datini" المرسلة سنة (796هـ/ 1395م) من ميورقة إلى بجاية أن عدة تجار باعوا سلعا محرمة في المغرب خصوصا الحديد، رغم التعليمات الصارمة المتمثلة في ضرورة تصريح التاجر بحمولته التجارية قبل المغادرة[5]، ولأنها كانت تمارس بطريقة سرية يصعب معرفة حجم تهريب المواد المحرمة إلى

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج07، ص147.

[2]- البشير بوقاعدة، المرجع السابق، ص157.

[3]- بسام كامل شقدان، المرجع السابق، ص194.

[4]- ورغم أن الحكومة المدنية سنة 1151م أرسلت للقناصل الجنويين مرسوما يمنع لأي كان مقيما بين موناكو، وبرتوفنزي تصدير البضائع إلى الأراضي المسلمة دون رخصة قناصل مجلس المدينة. ينظر: دومينيك فاليرين، بجاية ميناء مغاربي (1067م-1510م)، تج علاوة عمارة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ط01، 2014م، ج01، ص ص488-489.

[5]- تج علاوة عمارة، المرجع السابق، ص489.

موانئ المغرب الأوسط، خاصة وأنَّ بلاد المغرب الأوسط كانت مفتوحة على الكثير من المناطق المجاورة تجاريا كخط البندقية، وبرشلونة، ومالقا، وفلورنسا، وجنوة ومرسيليا[1]، حيث أشار الدكتور عطاءالله دهينة أن تاجرا من اليهود كان يصنع بمرسيليا نقودا ذهبية تحاكي النقود الإسلامية ليقوم بعد ذلك بتهريبها إلى تلمسان وبجاية نقودا مزورة[2].

ومن بين النماذج على تهريب البضائع الممنوعة وإخراجها سرا وبطرق ملتوية خاصة في مرحلة الأزمات استيراد المغرب من إفريقية الآلات الحديدية كالسيوف وسروج الخيل رغم الصراع التقليدي مع الغريم الحفصي[3]. كما أن بعض التجار الزيانيين قاموا بتصدير الخيول والدروع وخوذات وخناجر وسهام وسكاكين ذات نوعية جيدة نحو أوربا وأخرى مهربة كالدروع والسيوف واللجام إلى بلاد السودان[4]. ونفس الشيء قامت به الدولة الزيانية، حين استوردت عدة أنواع من الأسلحة ذات صنع أوربي، خاصة من منطقة "برذيل" المتخصصة في التصنيع الحربي، والواقعة في الحد الفاصل بين النصارى والأندلس، والتي انبهر المقري بجودتها خاصة السيوف والتروس والرماح والسروج[5] ،كما كانت منطقة وارجلان مركز عبور لتجارة الأسلحة المهربة، حيث تأتيها من تجار قسنطينة وتونس أنواع من الأسلحة والسكاكين يستبدلونها مع تجار كناوة (غينيا) بقماش القطن[6].

نافلة القول أنه رغم الحروب والحصارات التي تم ضربها على المغرب الاوسط من قبل جيرانه في الشرق والغرب من جهة، و تشديد الفقهاء على تحريم بيع المواد ذات صلة بالحرب على وجه الخصوص للمسيحين وإصدار الباباوات العديد من المراسيم تمنع تصدير المواد الحربية للمسلمين من جهة ثانية، إلا أن هذه الظاهرة كانت حاضرة في المشهد التجاري لدول الغرب الإسلامي خاصة وأنه

---

[1]- لطيفة بشاري، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية (ق 07-10هـ/13-16م)، رسالة ماجيستر في التاريخ، جامعة الجزائر، 1986م-1987م، ص210.

[2]-Attallah Dhina, le Royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1 et Abou Tachfine1 .O.P.U. Alger 1985.p.245.

[3]- خميسي بولعراس، تجارة السلاح بالغرب الإسلامي- قراءة في الممنوع، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 31 جوان 2018، السنة العاشرة، ص216.

[4]- لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص ص245-260.

[5]- المقري، نفح الطيب، ج01، ص202.

[6]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص163.

معظمها دول عسكرية بامتياز، حيث ارتقت هذه الظاهرة في العديد من المرات إلى صناعة تسترزق منها أعداد هائلة من ساكنة المغرب لأجل زيادة أرباحهم.

ج- ظاهرة الاحتكار في الأسواق:

لقد ارتبطت هذه الظاهرة بالعامل التاريخي الذي يقوم أساسا بأواخر الدولة وضعفها، وتداعي الخراب على الأمصار، وأيام المحن والشدائد، حيث منع الفقهاء والقضاة احتكار السلع من قبل التجار، وقاموا بحثهم على إخراج القمح والشعير وسائر الأطعمة المدخرة، وبيعها في الأسواق لحاجة الناس إليها بسعر معقول، حيث رفعت نازلة إلى الونشريسي(ت 914هـ-1509م)، يتبين لنا من نص جوابها وسؤالها «أن يشتري الرجل الطعام من السوق دون شراكة مع غيره بشروط أربعة وهي: الاتفاق بين أهل السوق للتعاون على التعايش أن يكون ذلك في معظم أبان الشيء ليغنم الرخص أن يكون عادة وعرف الناس اتفاق الشريك والمشترك على ذلك»[1]. ونستنتج من خلال هذه النازلة أن من شروط صحة البيوع والشراكة عدم التواطؤ على أرزاق أسعار الوقت.

كما استنكر ابن خلدون المحتكرين واعتبر فعلهم من أعظم « الظلم وإفساد العمران والدولة والتسلط على أموال الناس بشراء ما في أيديهم بأبخس الأثمان، ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه الغصب والإكراه في البيع والشراء»[2].

ومن صور الاحتكار التي تفشت في أسواق الدولة الزيانية خلال الأزمات ما يقوم به الجزارون والدقاقون أن يتواطؤوا على إخلاء السوق دون سبب موجب «ويرفعون أيديهم عن الأعمال حتى تضيق أحوال الناس ويضطروهم إلى الإذعان لما يريدون، فمعالجة دفع هذا الضرر عن المسلمين واجب»، كما يلجأ المحتكرون إلى باعة آخرين لأجل تعطيل الأسواق والبيع[3].

---

[1]- إبراهيم الناقة، دراسات في تاريخ الأندلس الاقتصادي، الأسواق الصناعية والتجارية في الأندلس في عصر الخلافة الأموية والخلافة الموحدية، تقديم، أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2010م، ص315.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص237.

[3]- العقباني، تحفة الناظر، ص ص135-136.

ومن صور التواطؤ بالبيع اقتسام العاقر بالأجر فإنهم يغلون للناس المحتاجين فلا يبيعون إلا بالقدر الذي يقدرونه، أو بتواطؤ الشركاء فيما بينهم في الشراء بدون المثل ثم بيعه بالغلاء[1].

وفي نفس الصدد قام بعض الجلاب والتجار على احتكار الغذاء والأطعمة بتواطؤ بينهم. وقد منع الفقهاء احتكار الأقوات والسمن والعسل والزيت واللحم والبقول وشبه ذلك في احتكاره و اتباع التغير الذي أقرَّه المحتسب[2]، أو الحاكم لأن الجالب ببيعه ولا يترك التجار يشترونه ليبيعوه على أيديهم[3]. كما مست خسارة المحتكرين التجار المقيمين بالمدينة أو الواردين الجالبين للبضائع «وسائر السوقة وأهل الدكاكين في المآكل والفواكه، وأهل الصنائع فيما يتخذه من الآلات والمواعين فتشمل الخسارة سائر الأصناف والطبقات»[4] ،كما ينجم عن الاحتكار كساد الأسواق وتعطيل الصفقات «...يتثاقل الواردون من الآفاق لشراء البضائع وبيعها من أجل ذلك، فتكسد الأسواق ويبطل معاش الرعايا لأن عامته من البيع والشراء، وإذا كانت الأسواق عطَلا بطل معاشهم»[5].

لقد اعتبر الفقهاء الاحتكار من أشد المنكرات في الأسواق الواجب تغييرها، إذ يقول العقباني: «فمعالجة هذا الضرر عن المسلمين واجب»[6] ،كما طالبوا بإخراج الزرع في أوقات الأزمات من عند مختزنيها، حيث يأمر بذلك صاحب السوق. اختلف في الأسعار التي يباع بها الزرع المختزن بين من يرى أن يبيعوا الأقوات دون فرض تسعير محدد عليهم أو إجبارهم على أثمان محددة. ومن الفقهاء من رأى أن تحقق مضرة للناس بسبب اختزانهم للزرع الذي أجبروا على بيعه وتصديق أثمان أرباحهم كتأديب لهم فإن أعادوا الاحتكار ضربوا وطيف بهم في الأسواق وسجنوا»[7]، وهو ما أكد عليه الونشريسي قائلا: «على أن المحتكر للطعام يجب على المحتسب أن يأمر ببيع الطعام لهم-الرعية-

---

[1]- ابن تيمية، كتاب الحسبة، ص ص28-29.

[2]- المحتسب: صاحب الحسبة، أو الاحتساب هو أخو القضاء، لذلك يجب أن يكون إلا من أمثال الناس وهو لسان القاضي وحاجبه ووزيره، وخليفته، وإن اعتذر القاضي فهو يحكم مكانه فيما يليق به وبخطته ويضرب له أجرة من بيت المال تقوم به، فينصفه القاضي ومن ذلك يعضده ويحميه ويشده ويقوم معه. ينظر: ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة، ص20.

[3]- العقباني، تحفة الناظر، ص133.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص237.

[5]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[6]- العقباني، المصدر السابق، ص135.

[7]- المصدر نفسه، ص127. تشير النصوص الزيانية إلى وجود عدة سجون في مدينة تلمسان واحد بالقرب من سوق السراجين، والثاني بالقصبة، وغيرها من الأماكن الأخرى، ويتضح لنا أنهم كانوا قريبين من الأسواق أين كانت تمارس تلك التجاوزات كالغش والتدليس وغيرها من قبل التجار. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص215. ابن مريم، البستان، ص28.

ويكون للمحتكر رأس ماله، أما الربح فيتصدق به على ذوي الحاجة أدبا له، وإذا عاد التاجر أو البائع إلى انتهاج هذه السياسة مرة أخرى يضرب ويطاف به في الأسواق ويسجن عقوبة له»[1].

يتضح لنا من خلال هذه النوازل أن الفقهاء تشددوا في معاقبة المحتكرين حتى يتسنى تحقيق المصلحة العامة، لأن هؤلاء ينتهزون الفرص والأوقات الصعبة للسيطرة على أقوات وحاجات الناس مما يعود بالضرر والمشقة على الدولة والمجتمع معا.

د- شيوع بيع الغصب والمضغوط في أسواق المغرب الأوسط:

في ظل الظروف السياسية الصعبة التي مرت بها الدولة الزيانية انتشرت العديد من البيوع الفاسدة الفاسدة لانعدام المراقبة من جهة، ولتولي وظيفة الحسبة خاصة في العصر الزياني المتأخر محتسبين لم يقوموا بواجبهم كما ينبغي، إذ تكشف النوازل الفترة ذاتها وكتب الحسبة عن انتشار الغش في الأسواق. ويبدو أن محتسبي الأسواق تركوا العمل لأعوانهم ولم يراقبوهم، ومن بين هذه البيوع: بيع الغصب[2]، والذي غالبا ما يكون عرضة له أهل الصنعة والحراثين في القرى والبوادي من قبل سلطان ظالم، عامل السلطان، أمراء العرب، شيخ قبيلة، إذ يفرضون الوظائف المخزنية والغرامة المثلثة في النقد والزرع[3].

وقد شاع هذا البيع ببلاد المغرب الأوسط من ذلك نازلة شهادة السائل لأبي الفضل العقباني: «إن بلادنا كثيرة الباطل والغصوبات يطلب الإنسان فيما لم يجب عليه ويحبس فيه فيلجئه الحال إلى معاملة في سلع يدفعها للظالم لم يكف بها نفسه، ثم إذا طلبه معاملة في السلعة بثمنها يدعي القهر في ذلك والضغط، هل يحكم بالشاذ لأن في المسألة المصلحة العامة لأهل الموضع لكي لا تنقطع المعاملة

---

[1]- الونشريسي، المعيار، ج06، ص425. عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص ص694-695. كمال السيد أبو مصطفى المرجع السابق، ص ص72-73.

[2]- بيع الغصب: الغصب في اللغة أخذ الشيء ظلما وعدوانا. أمَّا اصطلاحا، أخذ رقبة الملك أو منفعة بغير إذن المالك على وجه الغلبة والقهر يعني أخذ المال والاستيلاء عليه قهرا وتعديا بلا حرابة، كالأخذ كالوديع والمدين، أما التعدي الاستيلاء على المنافع، وقد تبث تحريم الغصب بالكتاب والسنة والإجماع لقوله تعالى في سورة النساء الآية 10: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا١٠﴾. ينظر: أحمد بن فريحة الغريسي، الحياة الإسلامية نظام المعاملات الاقتصادية والاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2006م، ص325.

[3]- المازوني، الدرر المكنونة، ج04، ص128.

بين الناس ولا يجد من يفكه من حبسه مع أن الموضع تكثر فيه مطالبة الظالم»[1]. وورد في جواب القضية فيها احتمال وإن كانت هذه المعارضة في خلاص لنفسه وإن كان في المسألة خلاف لكن أوصى بعدم التجاسر على المشهور في المذهب المالكي، واستشهد بأن قاضي فاس القشتالي كان يفتي بأن «بيع المضغوط حق باللزوم من يبيع غيره لأنه يجبي به نفسه»[2].

استفتي فيها أبو الفضل العقباني «عن رجل اشترى روضا وغصبه فيه غاصب فباع المغصوب منه جزءا من بائعه وهو بيد الغاصب هل يلزمه هذا البيع أم لا؟ فأجاب: المغصوب وربه غير قادر على استرجاع شيئا ما الزوال سلطان الغاصب والحدوث قدرة المغصوب حتى يعود إليه شبيه ويمكث بيده أمنا على نفسه من غصبه ستة أشهر»[3]، ونستشف من جواب الفقيه عدم إلزام المغصوب بهذا البيع في حالة ثبت عجزه عن ذلك، لكنه إن استطاع على استرجاع أملاكه المغتصبة لزمه البيع.

لقد استنكر فقهاء المغرب الأوسط التعامل مع الغاصبين، بل اعتبروا المشتري من الغاصب كالغاصب نفسه «وما من اشترى من الغاصب عالما بغصبه فهو كالغاصب فإن كل ذلك منه حتى استغرق ماله كانت لبيت المال»[4]، أما بيع المضغوط[5] فقد اقترن هذا البيع بتفشي ظاهرة اللصوصية والتعدي على ممتلكات الغير بالمغرب الأوسط خاصة مع بداية القرن السابع عشر هجري 13م، وهذا النوع غالبا ما يلجأ الناس إليه على وجه الضغط والإكراه خوفا من التنكيل أو السجن والتعذيب. سئل الفقيه أبو الفضل العقباني[6] عن مسألة رجل أخذه ظالم لم يستطع مقاومته ولا رده وقد كبله وضربه ضربا موجعا وطلب منه المال على وجه غير شرعي، فدفع المظلوم قدرا من المال فطلب الظالم مالا إضافيا فلم يجد ما يعطيه، فاضطر من شدة خوفه من الهلاك إلى عرض بعض أملاكه من تركة

---

[1]- المازوني، المصدر السابق، ج03، ص57.

[2]- المصدر نفسه، ج03، ص58.

[3]- المازوني المصدر السابق، ج03، ص62.

[4]- المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص181.

[5]- بيع المضغوط: لغة من فعل ضغط/يضغطن ضغطا، فهو ضاغط، والمفعول مضغوط وهو من أكره على البيع أو على سببه قال في القاموس: الضغطة بالضم الضيق والإكراه والشدة، وما أشبهه من بيع. أما اصطلاحا: هو بيع من كان عليه دين فاضطر للبيع وأكره عليه. ولهذا يجب رد المال الذي باعه بعد غرم الثمن الذي قبض، إلا أن يكون المبتاع عالما بضغطته فيبيع الضاغط بالثمن ويرد على المضغوط ماله بغير ثمن والمكره على البيع لا يلزمه البيع. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص2591-2592. أبو عمران موسى الزناتي، كتاب الإحكام لمسائل الأحكام، تح: أحمد إيد موسى، دار الكلمة، القاهرة، 2004م، ص221.

[6]- المازوني، الدرر المكنونة، ج03، ص58.

أبيه فاشتراها منه أناس ودفعوا الثمن وأخذ الغاصب الثمن إما المبتاعين للأملاك. هل يصح هذا البيع؟ نستشف من الجواب عن النازلة أن للبائع حق يستوجب عليه رد البيع ولا يلزمه رد الثمن، وأجاب عن المسألة أيضا فقيه تلمسان إبراهيم الثغري بأن يسترجع المضغوط متى باعه ضغطا من المشتري دون أن يرد الثمن الذي دفع فيها، وأجابمُحَمَّد بن مرزوق التلمساني بأن «البيع غير لازم ولصاحب الملاك الملاك القيام فيما إذا أمن وأخذها بغير ثمن يلزمه ولا رجوع للمبتاعين بما دفعوا من الثمن على الوجه المذكور»[1].

إن هذا النوع من البيع القائم على الإكراه والضغط لم يسلم منه حتى العمال والجباة، حيث كانوا مضطرين في كثير من الأحيان إلى تسليم مبيعاتهم أو بيعها لافتداء أنفسهم، ولعل تفشي هذه الظاهرة في أرجاء المغرب الأوسط أواخر العصر الوسيط يعود إلى ضعف السلطة السياسية للزيانيين، حيث سئل بركات الباروني: «عن كتاب عامل من عمال السلطان، ثم أن عامل السلطان أخذ الكاتب في مال وقال كتبتك بيد من المال الذي أخذته فيه، وقال لأفكه إلا أن يبيع دارا له ليفك بثمنها الكاتب فباعها العامل لأجل الإكراه وأعطى ثمنها للسلطان، هل يلزمه العامل هذا البيع ولا يلزمه لكونه أنكر عليه؟ وأجاب: لا يلزم البيع على الوجه المذكور وله رد الدار وإنما يلزم العامل مع ضغطه لو أخذ فيما عليه»[2].

صفوة القول أن جشع بعض التجار وحاجاتهم المادية المتزايدة هي التي شجعتهم على ممارسة هذا النوع من البيوع الفاسدة خاصة في القرى والبوادي، مستغلين ضعف الدولة في فترات متقطعة، مما جعلها ظاهرة اجتماعية لا تقل ضررا وخطورة عن الممارسات السابقة، وهذا ما يجرنا للبحث أكثر عن تأثيراتها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية خلال تلك المرحلة.

[1] – المازوني، المصدر السابق، ج03، ص59.

[2] – المازوني، المصدر السابق، ج03، ص64.

هـ- ظاهرة الغش والتحايل في الأسواق:

يبدو أن مظاهر الغش والتدليس كثيرا ما تفشت في أسواق الدولة الزيانية كنتيجة حتمية للأوضاع المضطربة التي شهدها المغرب الأوسط، حيث اتخذ بعض الباعة من تلك الظروف فرصا ثمينة للاحتيال على المشترين، كالتطفيف في المكيال، والذي تعددت أسبابه، فلقد ذكر الشيرزي: «أن أهل كل إقليم قد اصطلحوا في معاملاتهم على أرطال تتفاضل في الزيادة والنقصان، مما دعاه إلى الحديث عنها ليزود المحتسب، بما لا يسع جهله ليعلم تفاوت الأسعار بحسب اختلاف مقادير المكاييل»[1]. حيث تبين كتب الجغرافية والرحلة مثلا تباين رطل تاهرت ورطل تنس[2]، واختلافها يرجع إلى المادة التي توزن بها مثل الرطل الفلفلي[3]، ونظرا لجهل العامة وعدم درايتهم بأمور الكيل فقد زاد شطط المطففين، فاستغل بعض المتحايلين ممن احترفوا الخداع والتدليس على الناس وأصبحوا يمارسونه على أهوائهم وما يحقق أرباحهم حيث أنهم لم يتقيدوا بالمكاييل والموازين والذراع خلال شراء السلع والبيع بموازين ومكاييل مغايرة، فكانوا يعطون البائع بالمكيال الصغير ويشترون بالأكبر، ونفس الشيء بالنسبة بالنسبة للذراع، وكذلك التطفيف فيما يتعلق بكيل الحبوب[4]، ومن البيوع التي اقترنت بالبيع بالمكيال المجهول وخاصة في بوادي المغرب الأوسط هو البيع بالجزاف[5]، وفي هذا عقب الونشريسي عن نازلة سئل فيها فقهاء تلمسان عن المانع في بيع الجزاف، فإذا كان البائع عالما بمقدار المبيع وجاهلا بنسبة المكيال المجهول يمتنع أن يبيعه جزافا[6]، وقد جاء عنوان نازلته في كتاب المعيار على الشكل التي « يجوز البيع جزافا وإن قصدت الإفراد إذا قل ثمنها»[7] الأمر الذي حذا بالسلطان الزياني أبو تاشفين الأول

---

[1]- عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر الشيرزي (ت590هـ)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: أحمد فريد المزيدي، و مُحَّد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2003م، ص15.

[2]- جودت عبد الكريم ،المرجع السابق، ص178.

[3]- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص179. مُحَّد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع، ص306.

[4]- الونشريسي، المعيار، ج06، ص76.

[5]- الجزاف: بضم الجيم وفتحها وكسرها والضم أفصح وفتح الزاي ممدودة، هو مجهول القدر والأخذ بكثرة دون تقدير والبيع بالحدس دون كيل أو وزن. ينظر: مُحَّد عمارة، المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، ص148.

[6]- الونشريسي، المعيار، ج06، ص296.

[7]- الونشريسي، المصدر السابق، ج06، ص293.

لمراقبة أسواق الدولة بتمديد المقاييس والمكاييل، فلا يزال لحد الآن الدراع الذي نصبه في القيصرية بتلمسان[1].

ومن أمثلة الغش في الأسواق التي ذكرها الونشريسي على سبيل المثال: «بيع الخبز ناقص الوزن وقيام صاحب الفرن بخلط القمح الرديء بالطيب، وخلط العسل الجيد بالرديء، والزيت القديم بالجديد، ومزج اللبن بالماء، وتبييض الأكسية بالكبريت، ودهن التين بالزيت، وقيام الجزارين بخلط اللحم السمين بالمهزول، أو النفخ في اللحم وغير ذلك كثير»[2]، كما انتشرت في أسواق الدولة الزيانية الزيانية ظاهرة بيع النجش[3] بسبب ضعف الأمن وانعدام المراقبة، وتتمثل العملية في أن التاجر يأتيه تاجر تاجر آخر فيزيد في سعر السلعة دون أخذها وتعرف العملية لدى تجار الدولة "بالبرج"[4]، وقد عرفها ابن رشد بقوله: «هو أن يعطي الرجل العطاء فهي سلعة لا يريد شراءها، ليغير بذلك غيره»[5].

وللوقوف أكثر على مثل هذه الممارسات التي تتعلق بالبيوع والمعاملات وأساليب مكافحتها والتي تفشت بكثرة خلال الحروب والفتن الداخلية، نحاول إبراز بعضها حسب الجدول التالي:

---

[1]- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ص73.

[2]- الونشريسي، المعيار، ج06، ص45، ص309، ص410، ص411، ص413. كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق ص72.

[3]- النجش: هو أن يزيد أحد في سلعة وليس في نفسه شراؤها، يريد بذلك أن ينفع البائع، ويضر المشتري. قال مالك: هو كالعيب والمشتري بالخيار: إن شاء أن يرد رد، وإن شاء أن يمسك أمسك. ينظر: أبو الوليد مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن رشد القرطبي =520هـ-595هـ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تح، ماجد الحموي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط01، 1416هـ/1995م، ج03، ص1231.

[4]- البرج: هي أن تعطي لسلعة البائع أكثر من ثمنها وليس في نفسك شراؤها، فيقتدي بك غيرك ولك الزيادة. ينظر: ابن الحاج مُحَمَّد بن أحمد القرطبي، نوازل ابن الحاج التجيبي، دراسة و تح، أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تيطوان المغرب، 2018م، ص504.

[5]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الجدول 41: يظهر لنا بعض البيوع والمعاملات التي تفشت بكثرة خلال الحروب والفتن الداخلية وأساليب مكافحتها:

الحرير	الإخلال بنظام القياس الموحد. فتل العمائم بالحرير التي ثم صبغها سودا وسقيها بالصمغ	يعمل الحرير في 52 بيتا، تمزيق البيت الفاسد. تفقد المحتسب أحوال الطرازين.	السقطي، في آداب الحسبة، ص56.
الطحين	الطحن في الرحى قرب نقشها	تغريم قمح مثله وتأديبه.	العقباني، تحفة الناظر، ص119.
القمح الشعير السلت القطائن	الخلط: الجيد بالدنيء، الفائق بالرديء، خلط القمح بالشعير.	وجوب الغربلة في الغلث الكثير.	المصدر نفسه، ص107.
اللحم	خلط السمين بالمهزول- خلط لحم الضأن بالماعز- خلط اللحم ببطونه.	لا يجوز بيع الكثير منه والمنع- لا يسعر اللحم إلا وحده ولا يجوز خلطه ببطونه.	نفسه، ص 108 ص109 ص113، ص114.
التوابل والعقاقير	خلط الطيب بالرديء والمتوسط في اللد أو النذ، الزنجبيل، الجوزة المصطكى.	لا يجوز بيعه إلا بعد التصفية.	نفسه، ص115.
النعال	تغليظ الحواشي قبل أن تحذا لتزينيها وتحسينها	التأديب وردها.	نفسه، ص124.
الخبز	الإنقاص في الوزن- الإنقاص في الطبخ- رداءة الدقيق- إضافة حجارة إلى وزنها.	الإخراج من السوق- التصدق بالخبز وثمن بيعه- نهي صاحب الفرن.	نفسه، ص113 ص116، ص118.
الإماء والعبيد	التواطؤ بين العبيد والأسياد على اقتسام الثمن بعد الاباق لإعادة بيعهم في بلد آخر.	تعيين أمينة تتفقد العيوب وتشهد بالاستبراء.	السقطي، في أداب الحسبة ص48،ص56.
الملبوس، ثياب الصوف والكتان والقطن.	تتريب الفراء لتحسين مظهرها بالتراب وإخفاء العيوب- التحايل بإظهار الدنيء من الفرو عاليا- قص الفرو بالمقص والضرب بالقضيب.	الزجر والتأديب- رد المبيع.	المصدر نفسه ص122، ص123.

إجمالا ومن خلال هذه الأمثلة نلحظ أن هناك العديد من التجاوزات انتشرت وبكثرة في أسواق المغرب الأوسط وخاصة في فترة الاضطرابات، مما حذا بالفقهاء ورجال الحسبة الوقوف لها بالمرصاد قبل أن تستعصي وتستفحل من خلال إصدار جملة من الأحكام أباحها الشرع الإسلامي تتأرجح بين التنبيه والتأنيب، وبين الأدب والسجن في حالة التمادي في حالات الغش والتحايل على الناس.

02- أثر الحرب في انتعاش بعض الحرف:

إن الحرب بقدر ما أضرت ببعض الورشات الحرفية وإفلاس كثير من الحرفيين، فإننا لا نعدم من القرائن ما يثبت انتعاش حرف وصنائع أخرى، كانت القوى المتصارعة في حاجة ماسة إلى مواردها، أو إلى أيدي عاملة تدفع بجل الصناعات نحو التخصص أكثر فأكثر في المنتوج ذي صلة بالميدان العسكري والحربي. ومن بين هذه الصناعات:

أ- صناعة الأسلحة:

لقد انتعشت الورشات الحرفية ذات الارتباط بهذا الميدان، وفي مقدمتها صناعة السروج والرايات والرايات والألوية والبنود وألبسة الجنود والأبواق والطبول والأحذية التي يحتاج إليها الجنود أثناء المعارك. ويبدو أن تطور هذه الصناعة مرتبط بمدى وفرة الثروة الحيوانية والنباتية بالمغرب الأوسط[1] واتساع قاعدة المشتغلين بصناعة الأسلحة، إذ يقول الونشريسي: «وتكاثرت أعداد الحرفيين الذين فضلوا اختيار هذا النوع»[2]،كما انتشرت صناعة «آلات الحرب من التروس والرماح والسيوف»[3]، فقد كانت مدينة تفسرة معروفة بأن فيها «حدادون كثيرون»[4]، خاصة وأن صناعة الحديد تندرج ضمن الصناعات الحربية، إذ استغل هذا المعدن في صناعة السيوف والسكاكين، ومدينة هنين التي اشتهر سكانها بالعمل «كلهم تقريبا في القطن والمنسوجات»[5]. ومن القرائن الدالة على تطور هذه

[1]- أحلام بوسالم، المرجع السابق، ص153.

[2]- الونشريسي، المعيار، ج06، ص190.

[3]- المقري، نفح الطيب، ج01، ص202.

[4]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص24.

[5]- المصدر نفسه، ج02، ص15.

الصناعات وجود سوق بإقليم بني راشد «تعرض فيه الحبال والسروج والأعنة وحاجيات الخيل»[1]، وسوق منشر الجلد[2]، وسوق الخرازين[3]، والسراجين أين تزاول حرفة تطريز السروج بالذهب وتباع بأثمان باهظة، وقد برز اليهود في هذا المجال بشكل خاص[4]. والواضح أن المغرب الأوسط اتخذ الطبول لإرهاب العدو قبل بداية المعركة، والرايات والأعلام شارة من شارات الملك والسلطان مثلما أكد عليها ابن خلدون[5].

لاسيما وأن هذا النوع من الحرف كان ينمو وينتعش في لحظات الحشد والاستنفار، إذ غالبا ما تستنفر الدولة لهذا الغرض أعداد هامة من الحرفيين لهذا الغرض[6]. وفي هذا الشأن يقول محمود إسماعيل: «أن الدولة لجأت في كثير من الأحيان إلى خبرة الصناع وأهل الحرف في أعمالها العسكرية التوسعية والعمرانية»[7]، وتقدم المصادر أمثلة في هذا الصدد، عندما قام السلطان أبو حمو الثاني بتشييد دار صناعة سنة (766هـ/1365م) ذات الفائدة الحربية ونظرا لأهميته وإنتاجه الحربي الاستراتيجي الهام، الهام، فقد كان يتفقد صناعته مرتين في كل يوم،[8] كما أوصى أبو حمو ابنه الاهتمام بأهل الحرف قائلا: «فربما تدعوك الضرورة إلى الانتفاع بهم في الشدائد، فيقفون معك الموقف المرضي في المصادر والموارد»[9].

عموما نقول رغم أن أصحاب هذه الحرف كان نشاطهم مرتبط بالعمل العسكري الذي تقوم به الدولة إلا أن هذا النوع من الصناعات، استطاع أن يغطي على بعض التناقضات الاجتماعية التي أفرزتها الحروب كالتقليل من عدد العاطلين عن العمل في أوساط المجتمع.

---

[1]- المصدر نفسه، ج02، ص27.

[2]- ابن مرزوق، المسند، ص417.

[3]- العقباني، المصدر السابق، ص124. بلحاج طرشاوي، الحرف والمهن في المغرب الأوسط من خلال كتب الحسبة دراسة في تحفة الناظر للإمام العقباني، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، العدد 04، جوان 2013م، ص356.

[4]- مختار حساني، المرجع السابق، ص ص48-94.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص ص210-211. إبراهيم القادري بوتشيش، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي ص91.

[6]- حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص258.

[7]- محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص1278.

[8]- يحي بن خلدون، البغية، 02، ص161.

[9]- كان أبوحمو موسى الثاني يقدر أصحاب الحرف، ووضعهم في مرتبة الأشراف والفقهاء مباشرة، حينما يجلس لاستقبال الفئات المختلفة للمجتمع التلمساني في قصره بالمشور يوم الجمعة. ينظر: كتاب واسطة السلوك، ص152-153.

ب- صناعة السفن والمراكب البحرية:

لقد أضحت صناعة السفن والمراكب البحرية ضرورة ملحة لبعض الحكام والسلاطين الذين تعاقبوا على حكم بلاد المغرب الأوسط، لأجل رد غزو وغارات السفن المسيحية التي طالما هددت سواحل المنطقة من جهة، كما أن وفرة مادة الخشب في العديد من المدن مثل بجاية التي وصفها الحميري قائلا: «وبها دار لصناعة المراكب وإنشاء السفن لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير»[1]، حيث يصف عبد الرحمان الجيلالي تطور هذه الصناعة في المغرب الأوسط قائلا: «بأنهم اتخذوا مثل الأوربيين أساطيل للغزو، وكانوا لهؤلاء القراصنة كيلا بكيل»[2]. ومن البراهين الدالة على اهتمام السلاطين الزيانيين بهذا النوع من الحرف والصنائع، المحاولات الأولى التي قام بها أبو حمو بوهران وابنه أبو تاشفين بهنين والجزائر[3].

ولابد أن ننوه بالدور الإيجابي الذي قام به مهاجرو الأندلس الثغريين العارفين بالملاحة وفنونها الماهرين في صناعة السفن والمجاديف والصواري والسلالم، كما استخدموا الحديد لعمل المسامير، والمراسي والكلاليب وغيرها من الآلات اللازمة، أما النحاس فقد استخدموه في صناعة السلاسل، وكذلك الألياف النباتية استخدمت لعمل الحبال[4]، أما الزفت والقطران فهي مواد استخدمت لطلاء السفن لحمايتها من الاهتراء عند ملامستها الماء[5]، كما استخدموا القطران مع الكبريت في صنع النفط البحري لحرق سفن الأعداء[6]، فأخذت مدن المغرب الأوسط تنتعش فيها هذه الحرفة ذات الارتباط العسكري بالدرجة الأولى خلال هذه المرحلة مثل وهران التي أصبح تجارها « يجهزون على الدوام سفنا شراعية وأخرى مسلحة يمارسون بها القرصنة»[7]، وشرشال التي «أنشأوا فيها صناعة المراكب»[1]، والجزائر التي تحول سكانها إلى قراصنة يسلحون سفنا»[2]، ودلس وبجاية وغيرها من المدن الأخرى[3].

---

[1]- الحميري، الروض المعطار، ص81.

[2]- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج02، ص ص30-31.

[3]- عمر سعيدان، المرجع السابق، ص45.

[4]- أحلام بوسالم، المرجع السابق، ص159.

[5]- عبد اللطيف عبد الهادي السيد، الدولة الفاطمية، المكتب الجامعي الحديث، ليبيا، 2010، ص107.

[6]- سالم أبو القاسم مُحَمَّد غومة، تاريخ المغرب وحضارته- دراسة للجيش والأسطول والمنشآت في الدولة المرينية 668هـ-869هـ/1269م-1465م، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2014م، ص177.

[7]- الوزان، المصدر السابق، ج02، ص30.

صفوة القول أن هذه الصناعة استطاعت استقطاب العديد من الحرفيين خاصة بعد قدوم الغرناطيين مع نهاية القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي، وبالتالي أسهمت في التقليل من الآثار السلبية للحرب.

ج- تطور حرفة البناء والتحصين:

لا مراء في أن الحروب أفضت إلى تخريب مدن بكاملها، غير أن حاجة الدولة الزيانية إلى مدن محصنة تقي أهلها وتدفع عنهم كل «ما يتوقع على الملك من أمر المتنازعين والمشاغبين»[4]، سمح بشكل كبير في بروز أشكال أخرى من العمران تتماشى والواقع المعاش الذي كان لا يخلو من الحروب والصراعات فانتعشت حركة بناء الحصون والقلاع والأسوار والقناطر أو إصلاحها. فارتبطت هذه الصناعة بالحاجة الدفاعية، وهذا ما عمل على رواجها[5]، حيث نلحظ أنه بعد وصول السلطان يوسف المريني (685-706هـ/1286-1306م) وجيوشه الجرارة فكر في إنشاء معسكر لإقامة قواده وتوفير كل ما تحتاج إليه من المؤونة دون اضطرار العودة إلى المغرب الأقصى، فشرع في بناء مدينته[6]، والتي تعد ظروف تخطيطها أنموذجا تاريخيا يؤكد أهمية المعمار العسكر، فشرع في اختطاط قصره، ثم بنى جامعا كبيرا، وأمر بعد ذلك بتسويرها بسور عظيم لتحصينها أكثر، وأمر الناس بالبناء، فشيدت الحمامات والفنادق والأسواق وسماها المنصورية[7].

إن انتعاش هذا النوع من المنشآت العسكرية أفضت إلى مزيد من الطلب على البنائين والنقاشين والجباسين والكلاسين والنجارين والحدادين لتدبير حاجيات الدولة[8]، وبآلاف الأسرى النصارى في إنجاز مشاريعهم العمرانية الكبيرة وصناعاتهم الحربية بمدينة تلمسان[9](الدفاعية والهجومية) وإحاطتها

---

[1]- المصدر نفسه، ج02، ص34.

[2]- نفسه، ج02، ص38.

[3]- عمر سعيدان، المرجع السابق، ص44.

[4]- ابن خلدون، المقدمة، ص286.

[5]- البيدق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تح: عبد الوهاب منصور، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1971م، ص90-93. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص139.

[6]- يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص40.

[7]- التنسي، المصدر السابق، ص130. أحلام بوسالم، المرجع السابق، ص175.

[8]- ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ج02، ص ص305-306. ابن خلدون، العبر، ج07، ص258، ص292، ص293.

[9]- يحي بن خلدون، البغية، ج01، ص216. التنسي، المصدر السابق، ص140. برنشفيك، المرجع السابق، ج01، ص480.

بالأسوار وتدعيمها بأبراج مراقبة على طول الساحل[1]. أما في المناطق الداخلية فقد تم تشييد العديد من من المدن محاطة بأسوار دون استجابة للدوافع الجمالية، بقدر ما فرضته الضرورات الأمنية والدفاعية[2]، والدفاعية[2]، من أجل منع توغل العدو ورصد تحركاته، وتقريب مراكز التموين للجيش وتوفير الراحة والاستقرار له بإقامته في الحصن بدلا من المعسكرات[3]. ومن بين المنشآت العسكرية الزيانية "حصن تامزيزدكت"، وبفضل هذا الحصن تمكن الأمير أبو تاشفين بسط سيطرته على العديد من المناطق المجاورة لبجاية[4]. كما أن الأبراج والقلاع والأسوار التي كانت تحيط بمدينة تلمسان من كل الجهات كانت عاملا مهما في تسهيل مهمة المراقبة والدفاع عن السكان، وربما هذا ما جعل أهلها يصمدون في المقاومة[5].

تجدر بنا أن نشير أن حالة الحرب كثيرا ما شكلت فرصة لبعض الحرفيين لإنعاش حرفهم ورواج منتجاتهم، والتي كانت بمثابة سوق نافقة لحرفهم وخبرتهم، إذ اعتاد الكثير من هؤلاء مرافقة الجيش في تنقلاته[6]، فمثلا عند غزو أبي الحسن المريني لتلمسان حسب صاحب المسند أنه «أقام المحارس والمناظر على طول الطريق إلى غاية جزائر بني مزغناي»[7]، وفي الجامع الكبير بتلمسان «أجمع الصناع يومئذ على أن منبر المشيد لم يعمل مثله في المعمور»[8] ،كما أنه بنى «قنطرة وادي سطفسيف، وقنطرة باب الجياد، وسد سيرات وقنطرة ميناء»[9]. فجل هذه المنشآت التي ظهرت كان العامل العسكري من وراء تشييدها في مرحلة مليئة بالتجاذبات السياسية، والصراعات العسكرية.

خلاصة القول أنه رغم الهاجس الأمني الذي خيم على الوضع العام خلال المرحلة وأدى إلى محو وتخريب مدن بصفة نهائية، إلا أن حركة البناء المطبوع بالطابع الحربي من مثيل صناعة الأسلحة

[1]- أحلام بوسالم، المرجع السابق، ص167.

[2]- الحسين بولقطيب، أسلوب الإنتاج الحربي، ص84.

[3]- بوزياني الدراجي، نظم الحكم، ص267.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص143.

[5]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج01، ص114.

[6]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص352. ابن خلدون، العبر، ج07، ص293.

[7]- ابن مرزوق التلمساني، المسند، ص397.

[8]- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص403.

[9]- المصدر نفسه، ص418. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص156.

والسفن، وتشييد الحصون وغيرها من الحرف الأخرى أصبحت أكثر نشاطا وانتعاشا، وشكلت فرصة لبعض الحرفيين لتعويض ما تكبدوه من خسائر، وبالتالي ضمان الحد الأدنى من العيش الكريم لعدد كبير من الساكنة سواء في الأرياف أو المدن.

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع البحث المسمى:(الحرب والاقتصاد بالمغرب الأوسط من القرن (07-09هـ/13-15م)) وعبر مراحل البحث والتقصي فيما تيسر لنا من مصادر ومراجع متنوعة حول ثنائية الحرب والاقتصاد بالمغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين ، واعقبتها عملية نقد وتحليل ، ومن ثم كتابة الافكار التي توصلنا اليها، كان لابد لنا من وضع خاتمة للبحث تتضمن الاراء والنتائج التي توصلنا اليها، يمكن تلخيصها بالشكل الاتي :

- أنَّ مشكلة المصطلح كما هو مصوغ يحوي عددا من الصعوبات، حيث ارتبط تاريخيا بمفاهيم عدة (كالغزو-القتال-الجهاد، العنف..) والتي حاولنا شرح بعضها بإيجاز لكي نبرز الربط الجدلي بين الحرب والاقتصاد، خاصة وأنَّ ما مارسته قبائل بنو عبد الواد خلال مرحلة القبيلة كان عبارة عن غزو أو غارات أو حرابة، كونها افتقدت للتنظيم والإدارة والرغبة، وعدم وجود عدو نشيط منظم، عكس مرحلة الدولة التي أصبحت فيها الحرب ظاهرة جمعية تحدث بين الجماعات، ولها مشروعيتها إلى حد ما.

- نوعية الغنائم المتحصل عليها في مرحلة القبيلة كانت عبارة عن مواشي وإبل وغيرها، أما في مرحلة الدولة تطورت وأصبحت عبارة عن سهول خصبة وذخائر ونفائس، وضرائب وجبايات مختلفة.

- حاولنا معرفة مدى قدرة الأحكام التشريعية النظرية في مسايرة المتغيرات التاريخية والحضارية التي ميزت بلاد المغرب الأوسط، والغرب الإسلامي برمته، فلاحظنا أن مقصد الإسلام هو السلم، بينما الحرب حالة استثنائية عارضة غير مرغوب فيها، والغنيمة لم يجعلها غايته ومقصده، بل نتيجة فقط تترتب على الحرب.

- قمنا بإخضاع حروب العصر الزياني لهذا الشكل النظري خلال فترة دراستنا سواء في مرحلة القبيلة أو مرحلة الدولة.

- تعرفنا على الإطار السياسي للمغرب الأوسط، والزمن الجغرافي أو المورفولوجي وأدركنا أنها كلها عوامل تسهل علينا فهم أنماط عيش السكان وتحديد درجات التبادل أو التنافس والصراع بينهم.

– لا يمكن فهم طبيعة العلاقات الاجتماعية دونما ردها إلى ما يقابلها على مستوى مورفولوجية الأرض، أي بمقدار ما تتغير معالم الأرض تقل أو تكثر مواردها، تبرز لنا علاقات التنازع أو الصراع بين القبائل وإفراز الحرب كظاهرة اجتماعية وسياسية.

–كثرة الثروات وقلتها سواء الزراعية أو المعدنية رهين بما تجود به الأرض ويسمح به المناخ من موارد، سمحت لنا بمعرفة أساليب الاستغلال وأنظمته والمعوقات الطارئة التي قد تعصف بالمنتوج.

– ما قدمته لنا المصادر الوسيطية خلال القرن 07هـ–09هـ لم تتجاوز بعض الإشارات والإيماءات الخجولة باستثناء الموروث الخلدوني في هذا الصدد، أو الملاحظات القيمة التي زودتنا بها بعض كتب الجغرافيا والنوازل.

– توصلنا أن من بين النقاط المتفق عليها في مختلف المتون والنصوص التاريخية أن القبائل الزناتية كانت مولعة بممارسة الحرب، وأنها كانت عادة متأصلة لدى بعض القبائل التي اتخذتها حرفة تسترزق منها من خلال أوصاف المؤرخين والجغرافيين وغيرهم.

– لأجل فك بعض ألغاز الحرب استعنا بعلم الأنثروبولوجيا، (أو علم الإنسان، أو علم التاريخ الجديد)، حيث تنوعت آرائهم وفسروها وردوها على أنها خاصية الإنسان البيولوجية، وأحيانا إلى التنافس الحيوي بين الجماعات، أو إلى التبادل الذي قوامه الأخذ والعطاء، ومنهم من ردها على أنها أداة سياسية تحافظ من خلالها الجماعة على هويتها ووجَودها السياسي.

– ما يمكن تأكيده هو أن الحرب ظاهرة حاضرة منذ القدم بالشيوع والاستمرار، ولا يمكن تفسيرها في حيز ضيق على أساس ديني أو عرقي، بل لا بد من مقاربتها مقاربة علمية من خلال البحث عن دوافعها الموضوعية سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو تاريخية، وإعمال العقل قصد تبين أنساقها وفهمها فهما صحيحا.

–كانت الحرب تخفي العديد من التناقضات داخل القبيلة، حيث تختفي العصبية وتطفو المصلحة الذاتية لكل قبيلة مثلما حدث بين بني عبد الواد وبني مرين في حروبهم المتواصلة، حيث لم يتم استحضار الجد الأعلى والمشترك لزناتة، مادام الصراع والحاجة إلى التكتل هنا مرتبط بتنازع الوحدات

الوحدات القبلية الداخلية للقبيلة الأم، والتي تحولت إلى قوة اجتماعية جديدة باحثة عن تحقيق ذاتها داخل الكل الاجتماعي.

– هذا التنافر والتنازع والصراع مرده الاختلاط والولاء والالتجاء والتزاوج والاحتماء الحاصل داخل القبيلة الواحدة.

– الشروط المادية للحياة داخل الإقليم الجغرافي الواحد سواء من حيث (الخصب والجذب، الوفرة والندرة) هي التي كانت تفرض نمطا من أنماط العيش للسكان، وبالتالي شكلا معينا من الحياة الاجتماعية إما (الزراعة، أو الرعي، أو التجارة، أو الغزو).

– وجود بيئة تتميز بعدم تبات مناخها (ظاهرة الجفاف) والموارد المعرضة للنضوب في أي لحظة كان بديهيا أن تطفو على السطح ظواهر اجتماعية كرد فعل لقهر تلك الظروف الطبيعية القاسية، ومنها ظاهرة الحرب كضرورة حتمية لتأمين الرزق وحماية الذات.

– إن العيش في بيئة اقتصادية محرومة يوازي البساطة في استعمال الوسائل والتقنيات، وهو ما يمثل الطور الأدنى من العمران، ويحتم على أفرادها التضامن والتآزر للحصول على الأسلاب والمغانم وهو ما يعبر عنها بحروب العوز.

– الحرب وتنازع البقاء في المجال الجغرافي الواحد لأجل المحافظة على ما تم اكتسابه والتطلع للقيام بأدوار أكبر وأوسع.

– يعتبر العامل الاقتصادي الدافع الأساسي لحركة القبائل، حيث حصل تحول دون أن يمر عبر مثل أعلى ديني، خلال مرحلة دراستنا، حيث أن تحركات القبائل ما هي إلا تعبير عن الجانب المادي الذي شكل الحافز الأول للصراع على موارد الرزق.

– استقرار تلك القبائل في المناطق السهلية الخصبة، مكنتهم من ضمان قوة اقتصادية أهلتهم لتبوء مناصب قيادية في الدولة.

– الجذور الأولى لتأسيس الجيش الزياني لم يكن وليد الصدفة وإنما ارتبط ارتباطا وثيقا بالجيش الموحدي من حيث الشكل والتنظيم.

– تنوع العناصر المقاتلة في الجيش الزياني أعطى دفعا قويا للجهاز العسكري وجعله أكثر خبرة من قبل بفضل الخبرات القتالية المتنوعة وتميز كل عنصر بأسلوب قتالي خاص به.

–كان لتخصص فرق الجيش حسب التركيبة البشرية والأسلحة المستعملة أثر كبير في تنظيم الجيش وتفوقه في مناسبات عديدة.

– اعتماد الجيش الزياني في نظمه العسكرية على التعبئة المادية من خلال صف الجند في مواقعهم لخوض الحروب كالميمنة والميسرة والقلب، والاعتماد على خبرة عناصر أجنبية أخرى، وتنويع الخطط حسب طبيعة كل معركة.

–كان للتعبئة المعنوية دور كبير في تفعيل القدرة الحربية للمقاتلين، خاصة وإنها عامل مكمل لجميع الوسائل والإمكانات المادية، فالمعنويات في الحرب لم تكن أهدافا ولكنها نتيجة لآثار مادية لأن الخصوم يتصارعون بسلاح يستعمله الرجال.

– أعطى ديوان الجند منذ نشأته الصبغة الاحترافية للجيش الزياني من خلال إحصاء العساكر بأسمائهم وتقديم أرزاقهم وصرف أعطياتهم حسب المسؤولية الموكلة لهم.

– تنوع الأساليب القتالية للجيش الزياني بتنوع الخصوم وطبيعة المعركة كحرب العصابات، المسالمة والمهادنة وغيرها من الأساليب الأخرى.

– شكّل الجند أحد الموارد الرئيسية للدولة الزيانية، بما كان يدره على خزينة الدولة من أموال جاهزة ومغتصبة، وضرائب شرعية، ومصادرات وغيرها من الموارد الأخرى، والتي توجه كلها لتخدم الإنتاج الحربي المباشر.

– تعتبر هذه الموارد إحدى سمات اقتصاد المغازي، وهي كلها موارد ظرفية استهلاكية لا تتميز بالاستمرارية لأنها ليست ثروات إنتاجية قابلة للنمو ، وأكثر من هذا كان جزء كبير منها تنفق على حياة البذخ والترف.

– شهدت الدولة الزيانية منذ ظهورها على مسرح الأحداث في النصف الأول من القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي محنا كثيرة وصعابا جمة على جميع الجبهات الداخلية والخارجية.

-كانت القبائل الزناتية المعارضة ترى نفسها أنها الأحق بحكم المنطقة لأنها كانت تدرك أن الإتاوة والمغرم الذي تؤديه للطرف الغالب هو التعبير الوحيد الذي يمكن التمييز من خلاله بين القبيلة المنتصرة السائدة والقبيلة المنهزمة المسودة.

- هذه الصراعات كان سببها اقتصادي محض كون السيطرة على مناطق النفوذ يعني الحصول على أسلاب ومغانم جديدة، وبالتالي فرض ضرائب جديدة، بينما يكون المنهزم الخاسر لهذه المناطق مجبرا على الفرار إلى مناطق قاحلة والمقصود بها الصحراء.

- شكلت الغنيمة المحفز الأول لهذه التحركات، لأن النصر يغري بمزيد من الغنائم تساعدها بشكل جلي في تغذية تحركاتها والدفع بها نحو التفكير في مغالبة الأعداء التقليديين.

- تفوق بني عبد الواد على هذه القبائل (توجين مغراوة، إقليم بني راشد)، وغيرها في العديد من المرات جعلها تهيمن على ثمرات الملك وتستبد بالحكم، وهذا الاستبداد هو سمة من سمات دول اقتصاد الحرب، أو اقتصاد المغازي.

- تأرجحت علاقة بنو عبد الواد بالقبائل العربية بين السلب والإيجاب، والمساندة والمساعدة، والغدر والطعن، والثقة التي تكاد تكون منعدمة، وهذا التناقض في العلاقة أدى إلى استرقاق القبائل المهزومة والاستيلاء على أراضيها وإرهاقها بالإتاوات وبذلك ترسخت السلطة المادية للشيوخ القبائل العربية بداية من النصف الثاني من القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي، حيث أصبحوا لا يكترثون لأي أحد لأن الموارد الأساسية التي تقوم عليها قوة الدولة ومتانة اقتصادها أصبحت بأيديهم.

- شهدت العلاقات الزيانية الحفصية حالات شذ ومد -التعبئة والتحالف أحيانا، والمناهضة والعدوان أحيانا أخرى.

- كانت الأعمال التخريبية والانتقامية أمرا مألوفا بين هاتين الدولتين مع كل هجوم أو اكتساح أفقدهما توازنهما الاقتصادي وأدى إلى تبديد ثرواتهم وضرب التراكم الذي يعدّ من أركان الازدهار المادي الذي تنشده كل دولة.

– تجدد الصراعات الزيانية المرينية والتطلع إلى السلطان المطلق على المغرب الإسلامي، من خلال التنافس على ضم المراكز الاقتصادية الكبرى مثل سجلماسة كحلقة وصل بين السودان الغربي والمغرب الإسلامي، وبناء المنصورة بالقرب من تلمسان لكي يجعل هذه الأخيرة في معزل عن كل منفذ حتى ترضخ للشروط المتبعة آنذاك وهي السيطرة على الأرض من خلال السهول والمراعي، وعلى الإنسان من خلال تسديد الضرائب والجبايات لخزينة الدولة.

–كانت حروب عقيمة لا فائدة ترجى منها سوى التوسع والسيطرة والتدمير وإثبات الوجود، وبقدر ما كانت هذه الحروب وسيلة للتكسب والوصول إلى السلطة، كانت في نفس الوقت مكلفة ومهلكة للمال، وحتى في حالات السلم والمهادنة بين الدولتين كانت بمثابة توزيع لمناطق النفوذ بين هاتين القوتين المتصارعتين.

– أضحت هذه الحروب مذهبا في المعاش غير الطبيعي فأفضت إلى تخلخل وتزعزع مختلف الأنشطة التجارية من زراعة وصناعة وتجارة.

– مثلت تلك الحروب موردا هاما في تدبير عيش القبيلة وفي مالية الدولة، لكونها تمثل رافدا لا يمكن الاستغناء عنه.

– تفضيل الكثير من الفلاحين التخلي عن أراضيهم فرارا من الغزو والغارات أفضت في النهاية إلى سيادة نشاط الترحال والرعي للتخلص من قبضة الجباة، فترتب عن ذلك نقص الغذاء والذي كان سببا في انتشار الغلاء وتفشي المجاعات المؤدية إلى كثرة الأموات.

–لم تكن الحرب وحدها مسؤولة عن حالة اللاستقرار، بل كانت الحرابة واللصوصية الممارسة من قبل القبائل العربية كابوسا أرَّق الفلاحين والرعاة على حد سواء بسبب غياب سلطة ردعية وقوية.

– فرض إتاوات حربية على الفلاحين وإجبارهم على المشاركة في الحرب أفضت إلى تراجع نسبة الممتهنين للنشاط الفلاحي.

-لم تكن الدولة ترى في الحرفيين والصناع سواء متنقلين أو قاريين سوى مصدر لتمويل حملاتها العسكرية وهذا راجع إلى الطابع البدوي الذي جبلوا عليه واحتقارهم للعمل اليدوي.

- انتشار أعمال السلب والنهب والتعدي في الطرقات عطلت كل الوجوه الأساسية لحركة المال والنشاط الاقتصادي، فتم تضيق الخناق على التجار وأموالهم فقلَّ الإنتاج وتضخم سوق العطالة واختفت كل حوافز السعي والعطاء.

- تنافس دول المرحلة في بسط سيطرتها على المراكز والطرق التجارية: سجلماسة التي سيطر عليها الزيانيون لمدة طويلة نظرا لبعدها الاستراتيجي نحو السودان الغربي، وهذا هو العمق الاستراتيجي للجزائر اليوم نحو إفريقيا، لكن مع زوالها نتيجة الحروب المستمرة ظهرت مراكز وطرق تجارية جديدة معظمها تتجه نحو تونس ومصر.

- تأرجحت العلاقة بين تلمسان والممالك المسيحية بين المراوحة والشدة واللين، والحرب والسلم والقطع والأمن والقرصنة والتجارة وعدم الحصول على أمن مطلق واطمئنان تام حتى في فترات السلم.

- أدت الحروب إلى ظهور العديد من الممارسات وذيوع بعض المعاملات التجارية المذمومة كالاحتكار وتزييف العملة وظاهرة التهريب وغيرها من مظاهر الغش والتدليس التي ساهمت في تعميق الأزمة وتعطيل أوجه النشاط الإنساني.

- بقدر ما أضرت الحرب ببعض الحرف، ساهمت في انتعاش حرف وصنائع ذات صلة بالميدان العسكري والحربي كالأسلحة والحصون والسفن نظرا لحاجة دول المرحلة المتصارعة إلى مثل هذه الموارد لرد أي عدوان، أو خطر خارجي.

- ساهمت هذه الصناعات في تغطية بعض التناقضات الاجتماعية التي أفرزتها الحروب كالتقليل من عدد العاطلين عن العمل في أوساط المجتمع.

في الأخير وبعد البحث والتقصي تبقى دراستنا في حاجة إلى الاهتمام أكثر لتغطية الموضوع، وذلك من جوانب أخرى كالكشف عن الأبعاد الاقتصادية للحرب على المغرب الاسلامي برمته،

وربطها بالتحولات العميقة التي مست الغرب الإسلامي برمتها، والتي على إثرها انتقلت موازين القوى والثقل الحضاري للأوربيين خاصة مع نهاية القرن 09هـ/15م، والتي ربما لم أوفق في التوصل إليها بالدراسة خاصة بعض المراجع الأجنبية والمصادر المخطوطة، وما تكتنزها من معلومات والتي لم نستطع الحصول عليها، والتي كان بإمكانها أن تضيف لهذه الدراسة الكثير من المستجدات غابت عنا.

هذا ما جاد به الفكر والقلم وجد المقل.

لله الحمد أولا وأخيرا وصل اللهم على سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ

الملاحق

ملحق رقم **01**:

مجـــال الدولــة الزيانيـــــة

ملحق رقم 2:

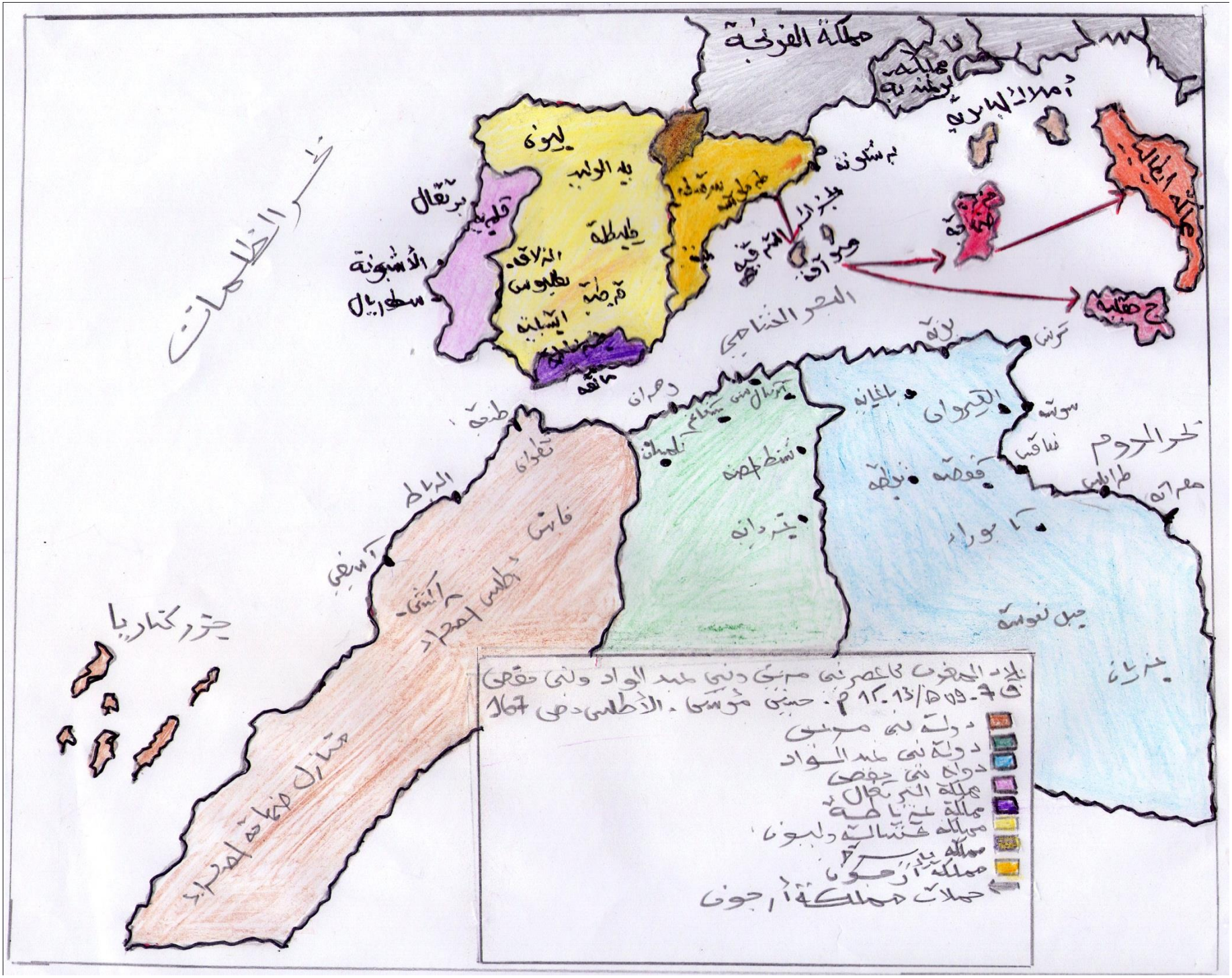
مملكة الفرنجة
جزر الخالدات
جزر كناريا
البحر المتوسط
البحر الأحمر
الصحراء
بجاية
تونس
القيروان
سوسة
صفاقس
قفصة
نفطة
توزر
جبل نفوسة
طرابلس
مصراتة
تلمسان
فاس
سبتة
طنجة
تطوان
الرباط
أسفي
وهران
مستغانم
الجزائر
تنس
شرشال
بسكرة
ليون
بلنسية
مملكة أرجون
مملكة قشتالة وليون
مملكة نافارا
مملكة البرتغال
دولة بني حفص
دولة بني عبد الواد
دولة بني مرين
حملات مملكة أرجون

ملحق رقم 03:

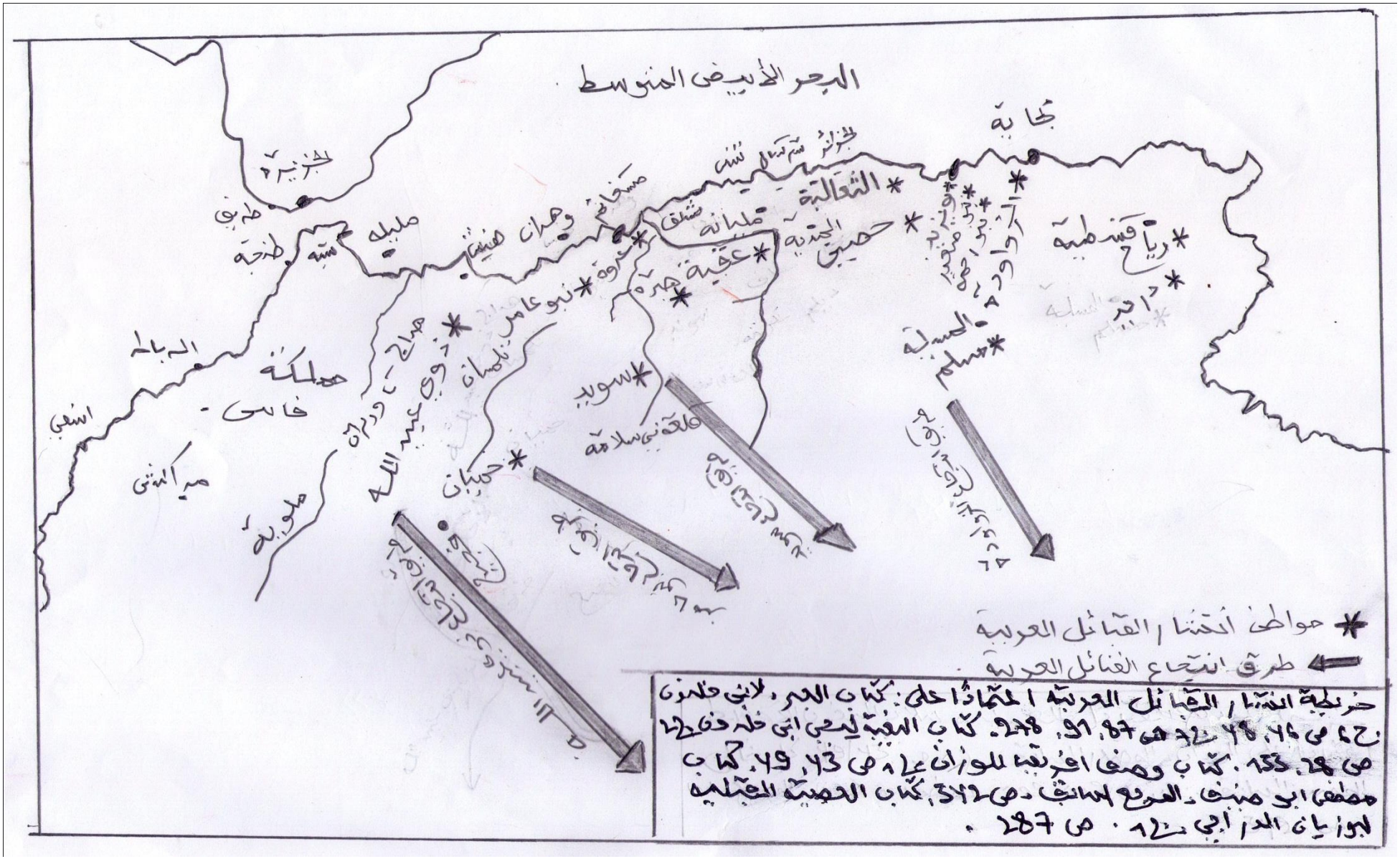

خريطة انشاء القبائل العربية اعتمادا على: كتاب العبر، لابن خلدون ج 6 ص 74، 76، 78، 87، 91، 278. كتاب البغية لبني ابي خلدون ج 2 ص 26، 153. كتاب وصف افريقيا للوزان ج 1 ص 63، 79. كتاب مصطفى ابو ضيف. العرب السابق. ص 342. كتاب الحضرة العثمانية لبوزياني الدراجي ج 2. ص 287.

ملحق رقم 04:

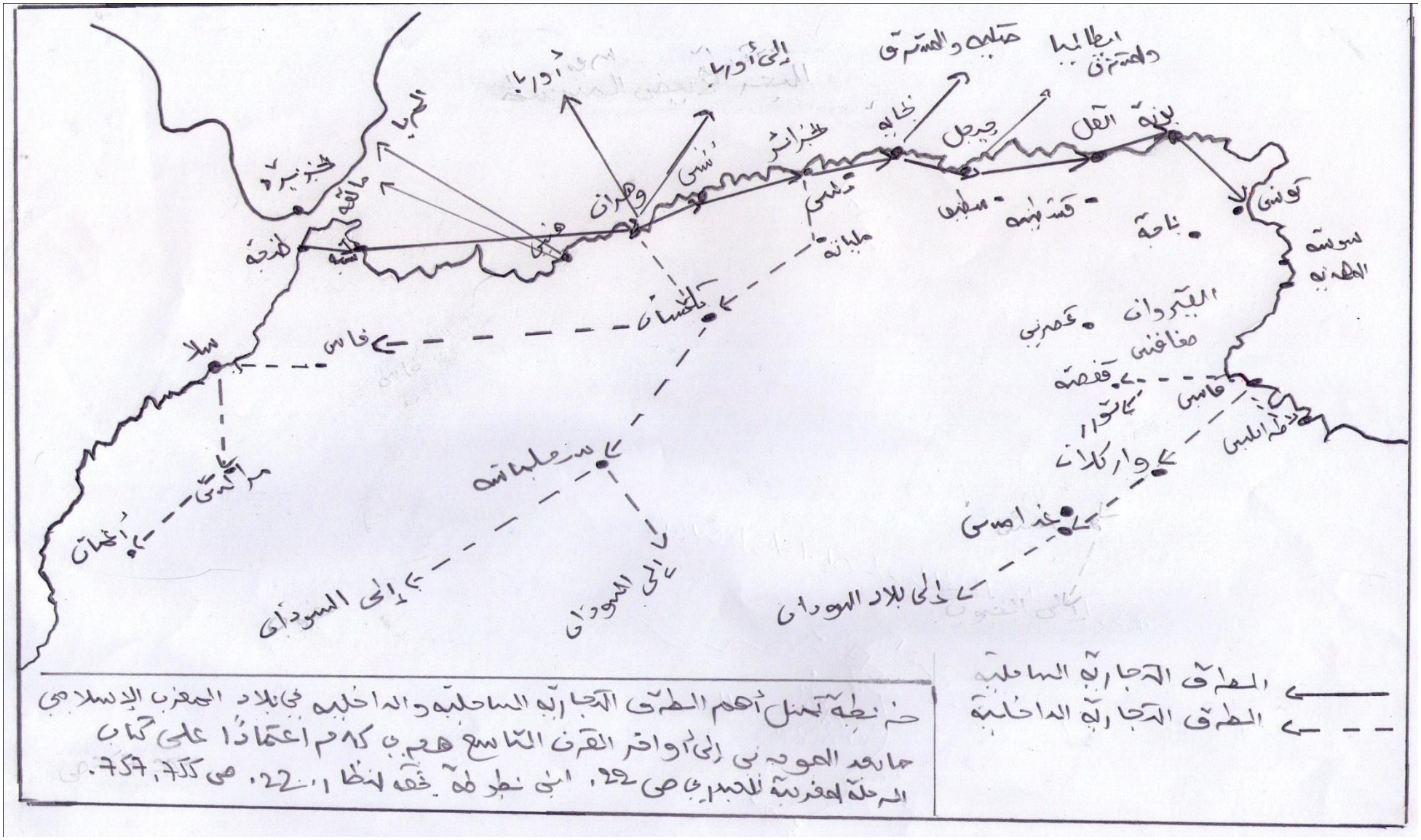

خريطة تمثل أهم الطرق التجارية الساحلية والداخلية في بلاد المغرب الإسلامي خلال العهود التي تلت القرن التاسع هجري 15 م اعتمادا على كتاب الرحلة المغربية للعبدري ص 22، انظر خريطة أخرى ملحق رقم 22، ص 757، 758.

ملحق رقم 05:

خريطة الامتداد الجغرافي لمجال الدولة الزيانية في أوج اتساعها في القرن الثامن هجري 14م.

..... الحدود الجغرافية للدولة الزيانية

~~~ الأودية

من إعداد الطالب اعتمادا على المصادر: الصيرفي، الوفي المعطار، ص 198. الحلل الوشية، كتاب: وصف افريقيا، ج2، ص 22. ص 250. 252. 253. مارمول كارخال، افريقيا، ج2، ص 291.
~~~

ملحق رقم 06:

خريطة تمثل مواطن انتشار القبائل الأمازيغية بالمغرب الأوسط إعتمادا على المصادر والمراجع: أبي جلدة في: العرب ج2 ص 72، 92، 114، 256. المكري: المسالك والممالك ص 70. كتاب: تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي ج2، ص 13. عبد العزيز فيلالي تلمسان في العهد الزياني ج2، ص 31، 32، 33.

ملحق رقم 07:

خريطة تمثل توزيع المجاري المائية ببلاد المغرب الأوسط اعتمادا على المصادر الإدريسي، كتاب: نزهة المشتاق، ص 107، البكري، كتاب المسالك والممالك، ص 66، 67، 69، 76 مجهول، صاحب الاستبصار، ص 134، الحميري، الروض المعطار، ص 558.

ملحق رقم 08:

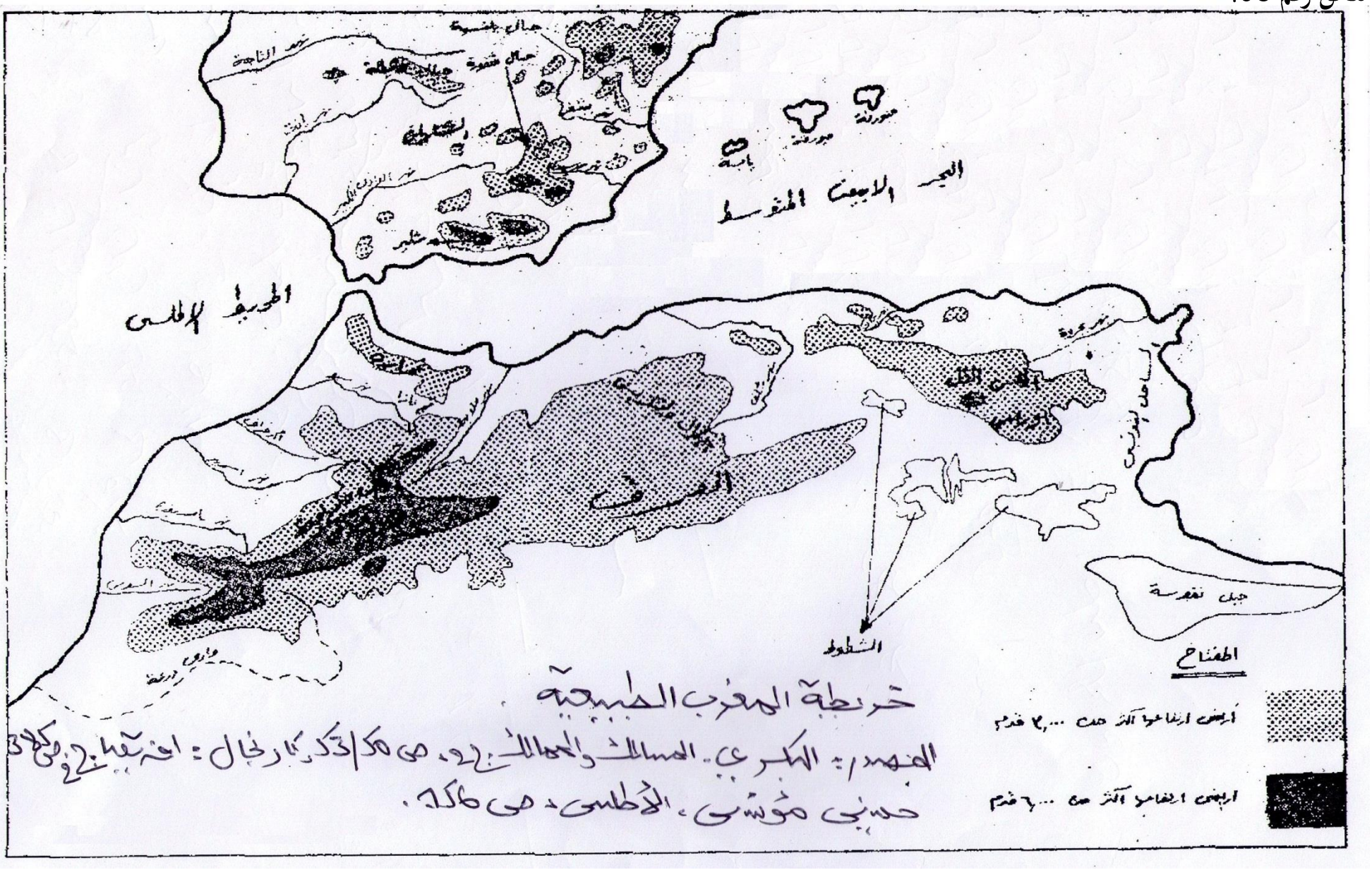

خريطة المغرب الطبيعية

المصدر: البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص ٥٧٨ / أدريس الخال: أطلس حلبي مونسي، الأطلس، ص ٥٤.

ملحق رقم 09: مخطوط الدرر المكنونة لأبي زكرياء يحي بن موسى المغيلي المازوني. المصدر: شبكة الألوكة

ملحق رقم 10

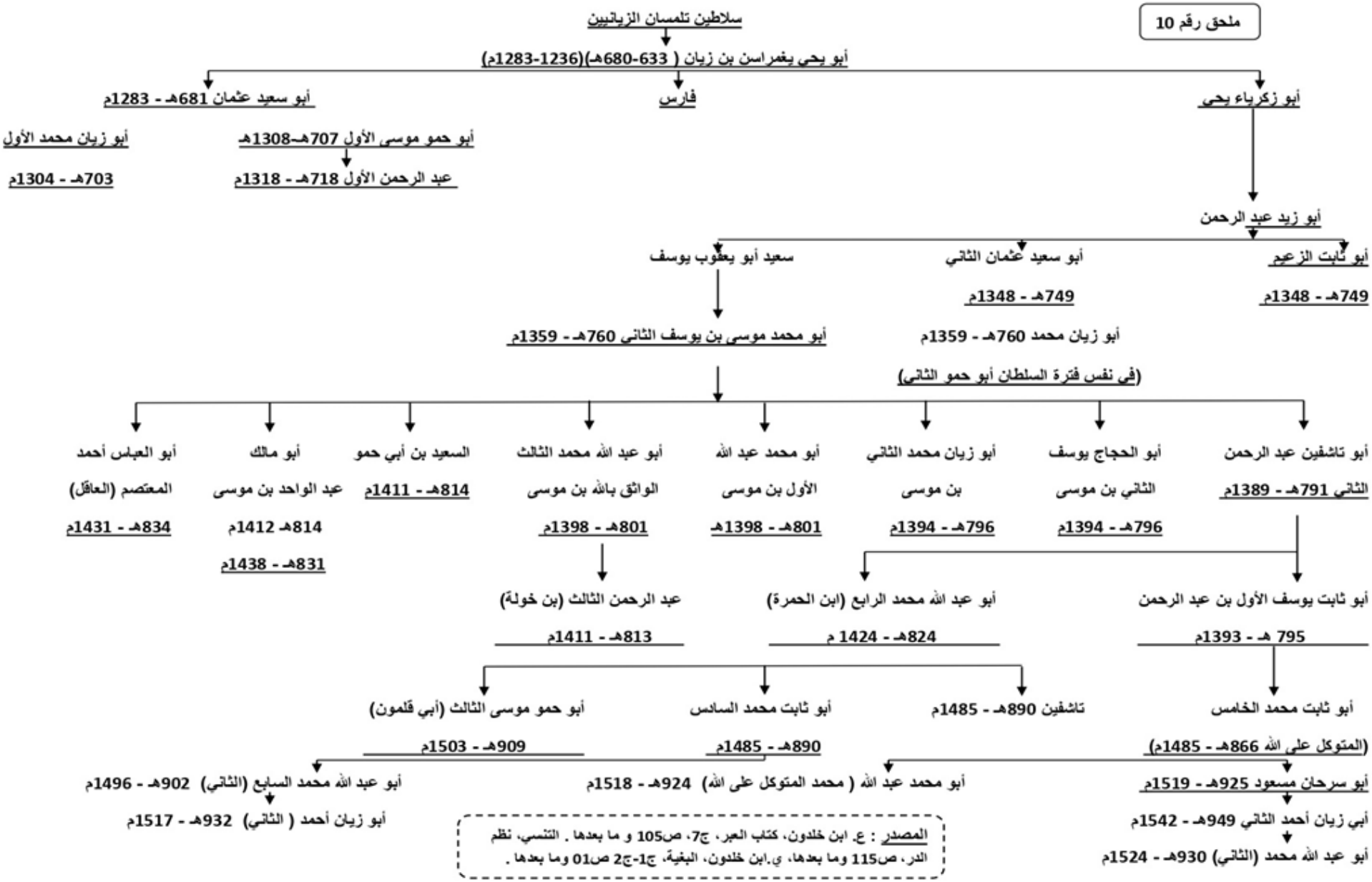
سلاطين تلمسان الزيانيين
أبو يحي يغمراسن بن زيان (633-680هـ)(1236-1283م)
أبو زكرياء يحي
فارس
أبو سعيد عثمان 681هـ - 1283م
أبو زيان محمد الأول
703هـ - 1304م
أبو حمو موسى الأول 707هـ-1308هـ
عبد الرحمن الأول 718هـ - 1318م
أبو زيد عبد الرحمن
أبو ثابت الزعيم
749هـ - 1348م
أبو سعيد عثمان الثاني
749هـ - 1348م
أبو زيان محمد 760هـ - 1359م
سعيد أبو يعقوب يوسف
أبو محمد موسى بن يوسف الثاني 760هـ - 1359م
(في نفس فترة السلطان أبو حمو الثاني)
أبو تاشفين عبد الرحمن
الثاني 791هـ - 1389م
أبو الحجاج يوسف
الثاني بن موسى
796هـ - 1394م
أبو زيان محمد الثاني
بن موسى
796هـ - 1394م
أبو محمد عبد الله
الأول بن موسى
801هـ - 1398هـ
أبو عبد الله محمد الثالث
الواثق بالله بن موسى
801هـ - 1398م
السعيد بن أبي حمو
814هـ - 1411م
أبو مالك
عبد الواحد بن موسى
814هـ 1412م
831هـ - 1438م
أبو العباس أحمد
المعتصم (العاقل)
834هـ - 1431م
أبو ثابت يوسف الأول بن عبد الرحمن
795 هـ - 1393م
أبو عبد الله محمد الرابع (ابن الحمرة)
824هـ - 1424 م
عبد الرحمن الثالث (بن خولة)
813هـ - 1411م
أبو ثابت محمد الخامس
(المتوكل على الله 866هـ - 1485م)
تاشفين 890هـ - 1485م
أبو ثابت محمد السادس
890هـ - 1485م
أبو حمو موسى الثالث (أبي قلمون)
909هـ - 1503م
أبو سرحان مسعود 925هـ - 1519م
أبو محمد عبد الله (محمد المتوكل على الله) 924هـ - 1518م
أبو عبد الله محمد السابع (الثاني) 902هـ - 1496م
أبو زيان أحمد (الثاني) 932هـ - 1517م
أبي زيان أحمد الثاني 949هـ - 1542م
أبو عبد الله محمد (الثاني) 930هـ - 1524م
المصدر : ع. ابن خلدون، كتاب العبر، ج7، ص105 و ما بعدها . التنسي، نظم الدر، ص115 وما بعدها، ي.ابن خلدون، البغية، ج1-ج2 ص01 وما بعدها .

فهرس الآيات والأحاديث

فهرس الآيات والأحاديث:

- **الآيات:**

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ 24

﴿وَلَوْلَا دِفَعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ 25

﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ 25

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ 28

﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ 28

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ 28

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ 28

﴿فَاقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ 29

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ 30

﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ 31

﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ 32

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ 33

﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ 34

﴿رُعِنَا﴾ 35

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ 37

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ 39

﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ 36

﴿وَاقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ 42

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ 42

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ 46

﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ 54

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ 55

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ 55

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ 57

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٧ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دِفَعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ 57

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ 57

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ 58

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ 59

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ 60

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ 61

﴿فَاقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ 78

﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ 104

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ 104

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُوناً فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ١٢﴾ 106
﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ 111
﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتاً﴾ 114
﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤﴾ 114
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ 350

● الأحاديث:

«أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النّاس حتى يقولوا: لا إلَه إلّا الله ،فمن قالَ: لا إلَه إلّا الله، عصم منّي مالَه، ونَفْسه إلّا بحَقّه، وحسابه على الله»..... 29
«لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»..... 29
«من جهز غازيا ومن خلف غازيا في أهله فقد غزا»..... 31
«ما عالَ من اقتصد»..... 31
«السَّمت الحسن والتُّؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة»..... 43
«وأسألُك القصد في الفقر والغنى»..... 43
«فأمر له بصاعٍ — أو صاعين — من طَعام، وكَلَّم مواليه فخفَّف عن غلّته أو ضريبته »..... 48
«فقطع له النبي - ﷺ- أرضا وغيلا بالجوف»..... 50
« استقطع الملح الذي يقال له: ملح شذا، بمأرب فأقطعه له »..... 50
«من اقْتَطَع مالَ امرئ مُسْلمٍ بيمين كَاذبة، لَقي اللَّه وهو عَلَيْه غَضْبانُ»..... 50
«المجالس بالأمانة، إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق»..... 50
«خرجنا مع رسول الله ﷺ عام خيبر فلم نغنم ذهبا ولا ورقا إلا الثياب والمتاع والأموال». 54
«ما من غازية، أو سريَّة، تغْزو فتغْنم وتسلَم، إلّا كانوا قَدْ تعجَّلُوا ثُلُثَي أُجُورهمْ، وما من غازية، أو سريَّة، تُخْفق وتصابَ، إلّا تَمَّ أُجورهم»..... 54
«إنَّ أبي يريد أن يجتاح مالي»..... 56
«انطلقوا باسم الله وعلى ملّة رسول الله لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلاً ولا صغيرا ولا امرأةً ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إنّ الله يحبُّ المحسنين »..... 58
«إنّ النُّهبة ليست بأحلَّ من الميتة» أو «إنّ الميتة ليست بأحلَّ من النُّهبة »..... 58
«انهوا جيوشكم عن الفساد فإنه ما أفسد جيش قط إلا قذف الله تعالى في قلبه الرعب»..... 58
«من قاتل لتكُونَ كَلمةُ اللَّه هي العلْيا فهو في سبيل اللَّه»..... 59
«الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغنم»..... 60
«أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع»..... 116

فهرس الجداول و الرسومات و المنحنيات البيانية

فهرس الجداول و الرسومات و المنحنيات البيانية

• الجداول

الجدول 1: الألفاظ والمعاني ذات صلة بالحرب: 35
الجدول2 :يمثل تقاليد العرب في علم الأنساب: 45
الجدول 3: الحد الجغرافي للمغرب الأوسط من خلال المصادر الجغرافية: 82
الجدول 4: يمثل نسب بنو عبد الواد (الزيانيين): 85
الجدول 5: يمثل أشهر مراسي المغرب الأوسط: 91
الجدول 6: يمثل أهم السهول والأحواض الداخلية بالمغرب الأوسط: 100
الجدول 7: يمثل أهم الشطوط المنتشرة في منطقة الأنجاد: 102
الجدول 8: يقدم لنا مقياس المناخ في نقط مختلفة من إقليم التل: 106
الجدول 9: يمثل درجة الحرارة في مدينة وهران خلال فصول السنة: 107
الجدول 10: يصور لنا مميزات فصول السنة بالمغرب الأوسط. 108
الجدول 11: يمثل لنا واقع التساقطات المطرية والثلجية في بعض مناطق المغرب الأوسط في فترة دراستنا: 110
الجدول 12: يمثل لنا شبكة الأودية بالمغرب الأوسط..... 113
الجدول 13: يمثل أهم العيون المنتشرة بالمغرب الأوسط 115
الجدول 14: يمثل لنا محاصيل أخرى كانت منتشرة في بعض مدن وقرى المغرب الأوسط: 130
الجدول 15: يمثل: الصناعات الأخرى التي مارسها سكان بلاد المغرب الأوسط: 141
الجدول 16: جرد لأهم العبارات التي اعتمدتها المصادر للدلالة على قدم ظاهرة الحرب القبلية واستمرارها: 172
الجدول 17: يمثل لنا تعداد الجيش الزياني حسب العمري: 260
الجدول 18: يمثل أعداد الجند حسب فترات متفرقة من الحكم الزياني:..... 260
الجدول 19: يمثل رواتب وأعطيات الجند والقبائل: 262
الجدول 20: يمثل ضرائب أخرى فرضتها الدولة الزيانية على الرعية 276
الجدول 21: يمثل الصراعات والخلافات بين أفراد الأسرة الحاكمة خلال القرنين..... 280
الجدول 22: يظهر لنا الفترات التي شهدت خصومات وصراعات أسرية: 280
الجدول 23: يمثل عدد المواجهات العسكرية من القرن 07هـ الى القرن 09هـ. 286

الجدول 24: يمثل المواجهات العسكرية لأبرز أمراء الدولة الزيانية مع القبائل البربرية:..... 287
الجدول 25: بعض المواجهات العسكرية بين الدولة الزيانية والقبائل البربرية:..... 288
الجدول 26: المواجهات العسكرية بين الدولة الزيانية والقبائل العربية:..... 293
الجدول 27: المواجهات العسكرية لأبرز أمراء الدولة الزيانية مع القبائل العربية: 294
الجدول 28: المواجهات العسكرية خلال فترة أمراء الدولة الزيانية: 295
الجدول 29: المواجهات العسكرية بين الزيانيين والحفصيين: 300
الجدول 30: المواجهات العسكري لأمراء الدولة الزيانية مع الدولة الحفصية:..... 301
الجدول 31: يظهر لنا الفترات التي شهدت مواجهات عسكرية بين الزيانيين والحفصيين: 302
الجدول 32: يمثل عدد المواجهات العسكرية الزيانية المرينية: 309
الجدول 33: المواجهات العسكرية لأبرز أمراء الدولة الزيانية مع المرينيين:..... 310
الجدول 34: يظهر لنا المواجهات الزيانية المرينية: 311
الجدول 35: يبرز لنا بعض الشواهد الدالة على تخريب القطاع الفلاحي: 320
الجدول 36: يبرز لنا اسعار بعض المواد الاستهلاكية خلال الحروب: 324
الجدول 37: يبرز لنا تباين اسعار المواد الاستهلاكية أثناء وبعد الحصار: 324
الجدول 38: يمثل تغير أسعار القمح خلال اليوم الواحد..... 324
الجدول 39: يظهر لنا بعض القبائل العربية التي استفادت من نظام الاقطاع:..... 326
الجدول 40: يظهر لنا كثرة ساكنة الجبال في مراحل ضعف الدولة:..... 331
الجدول 41: يظهر لنا بعض البيوع والمعاملات التي تفشت بكثرة خلال الحروب والفتن الداخلية وأساليب مكافحتها:..... 378

- **المنحنيات البيانية:**

المنحنى البياني1: يمثل عدد المواجهات العسكرية من القرن 07هـ الى القرن 09هـ. 286
المنحنى البياني 2: يمثل المواجهات العسكرية الزيانية مع القبائل العربية..... 293
المنحنى البياني 3: يمثل المواجهات العسكرية بين الزيانيين والحفصيين..... 301
المنحنى البياني 4: يمثل المواجهات العسكرية لأمراء الدولة الزيانية مع الدولة الحفصية..... 302
المنحنى البياني 5: يمثل المواجهات العسكرية لأبرز أمراء الدولة الزيانية ضد المرينيين 310

- **الرسومات البيانية :**

الرسم البياني 1: يمثل مقياس المناخ في نقط مختلفة من إقليم التل..... 107
الرسم البياني 3: يمثل تعداد الجيش الزياني من الفرسان. 260
الرسم البياني 4: يمثل تعداد الجنود الزيانيين خلال فترات متفرقة. 261
الرسم البياني 5: يمثل الصراعات والخلافات خلال فترات حكم سلاطين الدولة الزيانية..... 282
الرسم البياني 6 : يمثل المواجهات العسكرية لأبرز امراء بني زيان ضد القبائل البربرية. 287
الرسم البياني 7: يمثل المواجهات العسكرية لأبرز أمراء الدولة الزيانية مع القبائل العربية. 294

فهرس القبائل والأقوام

فهرس القبائل والأقوام

ا

الإفرنج ---------- 252

الأندلسيون ---------- 125, 134, 233, 246, 328, 350

البربر -- ر, 44, 65, 66, 74, 87, 154, 159, 161, 162, 164, 165, 194, 200, 204, 210, 223, 251, 268, 273, 342

التومرتية ---------- 217

الثعالبة ---------- 214, 252, 275, 276, 280, 281, 312

الحرث ---------- 113, 157, 175, 209, 260, 276, 299, 311, 320

الحفصيون ---------- ث, ذ, ر, 44, 64, 65, 79, 265, 271, 282, 283, 286, 294, 318, 325, 347

الديالم ---------- 214, 276, 278, 280

الذواودة ---------- 276

الزيانيون -- ط, 44, 48, 71, 75, 107, 108, 196, 219, 225, 227, 228, 231, 237, 239, 247, 283, 286, 295, 303, 306, 307, 326, 327, 335, 340, 341, 347, 356, 367, 376

السكاكون ---------- 144, 160, 209, 356, 365

الصقالبة ---------- 136, 229

العبيد ---------- 52, 55, 136, 144, 178, 230, 238, 246, 364

العطاف ---------- 214, 276, 278, 280, 312

العلوج ---------- 246

الغز ---------- 223, 228, 229, 237, 241, 246

المرابطون ---------- ط, 147, 162, 217, 256, 257

المرتزقة ---------- 228, 230, 231, 240, 246, 248

المرينيون -- ث, ذ, ر, ض, 44, 68, 79, 162, 189, 195, 218, 219, 224, 231, 232, 240, 241, 245, 249, 250, 251, 265, 271, 283, 289, 291, 294, 295, 306, 326, 332, 335, 339, 340, 341, 347, 354

المسيحيون ---------- 22, 137, 230, 231, 234, 344, 350, 354, 355

المصامدة ---------- 44

المعقل ---------- 109, 138, 214, 227, 247, 276

الموحدون ث, 44, 70, 73, 76, 77, 78, 107, 108, 109, 140, 158, 159, 162, 164, 173, 189, 208, 217, 218, 219, 222, 229, 231, 245, 250, 255, 256, 282, 283, 288, 295, 308, 319, 324, 336, 339, 368

الموريسكيون ---------- 328, 348
الوصفان ---------- 231, 232, 234, 246, 249
اليهود ---------- 259, 351, 352, 355, 365

أ

أولاد بليل ---------- 276
أولاد عباس ---------- 272

ب

بلاد الملثمين ---------- 217
بنو باورار ---------- 287
بنو حفص ---------- ز, 73, 78, 109, 253
بنو زردال ---------- 190, 194, 195
بنو زيان –ز, 74, 75, 76, 77, 79, 87, 108, 134, 135, 141, 219, 225, 228, 240, 253, 254, 257, 258, 259, 260, 271, 275, 292, 315, 316, 317, 332, 335, 345, 349, 354, 389
بنو عامر ---------- 87, 109, 138, 214, 227, 247, 251, 258, 276, 281, 312, 343
بنو عبد المؤمن ---------- 152, 219
بنو عبد الواد–ث, د, ر, ز, 32, 44, 64, 68, 73, 74, 75, 76, 77, 78, 88, 107, 108, 109, 137, 138, 143, 151, 154, 158, 162, 163, 186, 190, 191, 192, 194, 195, 196, 200, 214, 216, 218, 219, 222, 223, 224, 225, 226, 227, 230, 232, 238, 240, 245, 248, 249, 254, 257, 267, 280, 282, 270, 271, 275, 268, , 288, 289, 290, 291, 294, 304, 337, 343, 370, 371, 374, 389
بنو عريف ---------- 276
بنو فاتن ---------- 190, 196
بنو مالك ---------- 108, 109, 214, 227, 277, 278, 312
بنو مرين –ز, ض, 61, 68, 70, 73, 78, 108, 109, 151, 152, 158, 160, 163, 189, 190, 192, 194, 195, 213, 214, 216, 226, 227, 235, 238, 245, 249, 250, 251, 264, 288, 289, 290, 303, 305, 307, 326, 371
بنو مطهر ---------- 268, 272
بنو واسين ---------- 226, 268
بنو ومانو ---------- 68, 78, 107, 226
بنو يدللتن ---------- 273
بنو يفرن ---------- 190, 196, 268

بنو يلومي ---------- 68, 78, 226
بني كمي ---------- 194, 195

ت

توجين –ض, 68, 85, 108, 149, 152, 190, 250, 252, 267, 268, 269, 272, 273, 277, 289, 291, 312, 317, 374

ج

جشم---------- 277

ح

حصين---------- 109, 136, 276, 280, 281
حميان ---------- 276

ذ

ذوو عبيد الله----------109, 214, 312

ر

رياح ---------- 94, 214, 247, 275, 280

ز

زغبة ----------108, 109, 138, 214, 275, 277, 278, 280, 281, 342
زناتة 62, 63, 64, 68, 74, 76, 125, 126, 152, 153, 154, 156, 157, 158, 160, 164, 188, 190, 192, 196, 200, 214, 222, 225, 237, 251, 267, 269, 277, 288, 315, 371
زواغة---------- 190
زواوة ----------36, 65, 68, 85, 160

ص

صنهاجة ---------- 158, 222, 229, 267, 312

ك

كتامة ----------68, 85, 88, 158

كومية ---------- 67, 84, 87, 226, 273

م

مصمودة ---------- 162, 222, 268, 273
مظغرة ---------- 63, 133
مغراوة ض, 68, 85, 149, 152, 190, 201, 226, 250, 252, 267, 268, 269, 272, 273, 274, 291, 307, 308, 315, 317, 326, 374
مغيلة ---------- 83, 196, 268
مليكش ---------- 250, 252, 265, 276, 280

هـ

هوارة ---------- 68, 103, 108, 214, 226, 268, 274, 278, 281, 312

و

وجديجة ---------- 190

فهرس الأماكن و البلدان

فهرس الأماكن والبلدان

إ

إثيوبيا ---------- 144

آ

آجرسيف ---------- 72,141,296

أ

أدنة ---------- 104

أرزيو ---------- 142, 349

آ

آرشقول ---------- 90

آسفي ---------- 68, 339

آشير ---------- 69, 72, 125

أ

أطاران وفاطيس ---------- 274

أغمات---------- 141

ا

اغيل آن توفلين ---------- 296

إ

إفريقية ---ز, 29, 62, 63, 65, 67, 69, 72, 73, 81, 88, 94, 109, 110, 117, 118, 132, 154, 158, 238, 282, 284, 285, 301, 356

أ

أكفادو---------- 71

ا

الإسكندرية ---------- 33, 64, 92, 124, 292, 311, 344, 357

الأندلس -ز, ط, 29, 47, 56, 67, 74, 75, 86, 94, 95, 103, 106, 118, 125, 129, 130, 132, 139, 143, 147,
148, 159, 199, 233, 238, 257, 291, 292, 303, 307, 308, 336, 345, 346, 348, 356, 357, 367, 402
الأوراس ---------- 85, 86, 91, 94, 140, 163, 290, 312
البطحاء -------- 70, 77, 90, 108, 112, 120, 152, 214, 226, 259, 265, 268, 278, 305, 312, 313, 326
البندقية---------- 145, 261, 356
البيض ---------- 127, 150, 261
الجامع الكبير ---------- 369
الجزائر - 31, 32, 36, 37, 40, 41, 47, 62, 64, 68, 69, 70, 71, 72, 74, 75, 77, 78, 79, 80, 81, 82, 83, 87,
88, 89, 91, 92, 94, 96, 100, 108, 110, 116, 117, 118, 126, 129, 131, 133, 135, 137, 140, 141,
142, 143, 152, 154, 157, 158, 165, 191, 201, 206, 207, 218, 219, 224, 226, 227, 228, 231, 235,
239, 250, 252, 255, 267, 268, 269, 275, 276, 277, 280, 281, 282, 283, 289, 290, 291, 296, 299,
302, 304, 312, 327, 332, 335, 338, 342, 344, 345, 347, 348, 349, 354, 355, 356, 359, 360, 367
الجزائر الشرقية ---------- 348
الحضنة---------- 91, 92, 103, 140
الدولة المملوكية ---------- 344
الزاب---------- 69, 71, 74, 89, 103, 121, 125, 139, 158, 213, 218, 233, 283, 312
السرسو ---------- 89, 201, 280, 281
السوس---------- 117, 217
الظهرة ---------- 89, 131, 330
العباد---------- 62, 111, 130, 159, 161, 332
الغدير ---------- 63, 72
القل ---------- 82, 88, 141, 143, 239, 253
القلعة ---------- 63, 72, 84, 105, 119, 122, 158, 216, 344
القيروان ---------- 81
المحيط الاطلسي ---------- 94, 348
المدية---------- 72, 89, 96, 158, 227, 265, 269, 273, 274, 296, 312, 326
المرسى الكبير ---------- 82, 349
المرية ---------- 252
المسيلة ---------- 63, 69, 72, 84, 86, 95, 103, 119, 120, 123, 124, 125, 126, 127, 133, 305, 308
المغرب الأدنى ---------- 61, 62, 73, 173

المغرب الأقصى -- ظ, 61, 62, 64, 65, 68, 70, 73, 86, 95, 109, 117, 132, 151, 158, 192, 199, 288, 323, 339, 376, 401

المغرب الأوسط ,1ث, ج, ح, خ, د, ز, س, ش, ط, ظ, 32, 36, 48, 61, 62, 63, 64, 65, 66, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 74, 76, 77, 78, 79, 80, 81, 83, 91, 93, 94, 96, 98, 99, 100, 102, 103, 104, 105, 106, 107, 112, 113, 115, 116, 117, 118, 119, 120, 121, 122, 125, 126, 127, 128, 129, 131, 133, 134, 135, 137, 138, 140, 141, 142, 143, 144, 145, 147, 149, 150, 152, 153, 157, 158, 164, 186, 191, 196, 197, 199, 200, 204, 206, 209, 211, 212, 213, 214, 218, 222, 225, 226, 227, 228, 235, 246, 250, 267, 268, 269, 271, 275, 276, 277, 280, 282, 283, 289, 291, 299, 300, 301, 302, 305, 307, 308, 315, 316, 323, 325, 327, 328, 331, 333, 334, 336, 339, 340, 341, 342, 343, 344, 345, 347, 349, 350, 351, 354, 355, 359, 360, 361, 362, 364, 365, 366, 367, 370, 397, 398, 399, 402

المنصورة ---------- 290, 291, 326, 335, 354, 374

المنيعة ---------- 93, 253

النيل ---------- 143, 230, 344

الهقار---------- 141, 342, 343

الواد الشارف ---------- 285, 287

الواد الكبير---------- 66, 103

اليمن---------- 20, 74, 77, 259

انكاد---------- 317

أ

أوربا ---------- 124, 136, 142, 144, 148, 290, 291, 346, 356, 402

ب

باب الجياد---------- 369

باب القرماديين ---------- 293

باغاي ---------- 63

بجاية -- 63, 64, 65, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 81, 82, 85, 86, 96, 103, 105, 121, 122, 131, 132, 140, 141, 143, 145, 158, 201, 216, 233, 234, 250, 269, 282, 284, 285, 287, 306, 340, 355, 366, 367

بحر الروم---------- 63, 69, 72

برشك ---------- 63, 65, 72, 120, 123, 126, 129, 142, 152, 269, 272, 273, 274, 326

برشلونة ---------- 145, 356

برقة ---------- 66, 81
بسكرة ---------- 69, 85, 98, 105, 121
بلاد الجريد---------- 140
بلاد تازا ----------63, 64, 65, 72
بلاد حماد ---------- 63, 72
بلاد مصعب---------- 71
بلزمة ---------- 63, 123
بني سنوس ---------- 278, 312
بودا ---------- 121
بونة ----------32, 64, 67, 69, 70, 71, 81, 82, 89, 124, 127, 283

ت

تاغزوت ---------- 287
تافيلات ---------- 70, 163
تامزيردكت ---------- 71
تامنصرت ---------- 296
تاوريرت ---------- 71, 214
تبسة ---------- 69
تدلس ---------- 63, 72, 81, 123, 124, 287
تسالة ---------- 88, 89, 118
تغازى ---------- 141
تغالين ---------- 280
تفسرة ---------- 90, 121, 131, 201, 365
تقرت ---------- 143
تكدا---------- 141, 143, 343
تكوش ---------- 82
تل بني راشد---------- 281
تلمسان ر, ز, س, ش, ص, ط, 36, 62, 63, 64, 65, 66, 67, 68, 70, 71, 72, 73, 75, 76, 77, 79, 81, 83, 84,
85, 86, 87, 88, 89, 90, 95, 96, 97, 100, 101, 102, 105, 107, 108, 109, 110, 115, 118, 120, 123,
125, 127, 129, 131, 132, 133, 134, 135, 136, 137, 138, 139, 151, 145, 144, 143, 142, 141, 140,
152, 158, 196, 200, 201, 206, 207, 212, 214, 216, 218, 219, 222, 224, 225, 226, 227, 229, 230,

231, 232, 233, 235, 249, 250, 251, 252, 253, 254, 255, 259, 260, 261, 264, 265, 266, 267, 268, 269, 275, 276, 277, 278, 280, 282, 283, 285, 288, 289, 290, 291, 292, 293, 294, 295, 302, 303, 304, 305, 306, 308, 311, 312, 315, 316, 317, 318, 320, 325, 326, 327, 328, 329, 332, 335, 337, 339, 340, 343, 344, 347, 348, 349, 350, 352, 354, 355, 359, 361, 362, 368, 369, 374, 376

تمبكتو ---------- 141, 343, 348

تمزغران ---------- 274

تنزل ---------- 64, 72, 226

تنس - 63, 64, 71, 81, 82, 84, 85, 105, 109, 118, 120, 126, 140, 142, 152, 199, 268, 269, 272, 274, 296, 326, 354, 362

توات ---------- 69, 71, 93, 120, 141, 291, 332, 343

تونس 43, 64, 65, 78, 94, 101, 109, 120, 121, 137, 147, 162, 229, 230, 233, 255, 282, 283, 284, 287, 316, 329, 344, 345, 356, 376

تيزيل ---------- 83

تيفرجينت ---------- 273

تيكورارين ---------- 70, 73, 343

تيمزوغت ---------- 274

تيهرت ---------- 74, 84, 85, 95, 105, 120, 151, 196, 340

ث

ثنية تاغروطت ----------296

ج

جبال البابور ---------- 88

جبال البليدة ---------- 88, 89

جبال الرحمن ---------- 88

جبال الضاية ---------- 87, 88

جبال ايدوغ ---------- 88

جبال بني إسماعيل ---------- 87

جبال تارة ---------- 86, 131

جبال تيطري ---------- 88

جبال سعيدة ---------- 88, 151

جبال سور الغزلان ---------- 88

جبال متيجة ---------- 88
جبال ونشريس ---------- 64, 84, 87
جبال يسر ---------- 84
جبل البغل ---------- 84
جبل الزان ---------- 71
جبل الصخرتين ---------- 84
جبل العنصل ---------- 87
جبل بني أبي خليل ---------- 280
جبل بني بوسعيد ---------- 85
جبل بني جبير ---------- 85
جبل بني عباس ---------- 85
جبل بني ورنيد ---------- 84, 253, 264
جبل بني يزناسن ---------- 66, 83, 296, 317
جبل تاجرا ---------- 87
جبل تاري ---------- 83
جبل تاقريست ---------- 84
جبل تامروت ---------- 87
جبل تنوشفي ---------- 87
جبل جزول ---------- 84, 281
جبل جيدر ---------- 84
جبل دبدو ---------- 296
جبل راشد ---------- 76
جبل زاتيمة ---------- 274
جبل سحاو ---------- 86
جبل عجيسة ---------- 84
جبل عمور ---------- 91
جبل عياض ---------- 287
جبل عين الدنيا ---------- 87
جبل فاساس ---------- 85
جبل قصر عطية ---------- 87

جبل مسينون ---------- 86
جبل مظغرة ---------- 63
جبل مغراوة ---------- 85, 317
جبل هيدور ---------- 87, 312
جبل واشيلاس---------- 296
جبل ولهاصة---------- 84, 160, 317
جبل يعرب بزيغيري ---------- 85
جزائر بني مزغنة ---------- 63, 81, 82
جزيرة الحمام---------- 127
جناوة ---------- 238
جنوة---------- 145, 261, 356
جيجل---------- 63, 66, 72, 73, 82, 88, 126

ح

حصن أرجو ---------- 296
حصن العقاب----------ث, 159, 257
حصن أوطاط ---------- 296
حصن بكر ---------- 71, 284
حصن ياقوتة---------- 284

خ

خميس مليانة---------- 70

د

دار مرين---------- 63
دار ملول---------- 63, 72
درعة---------- 141, 227
درن ---------- 69, 86
دلس---------- 70, 71, 81, 90, 119, 127, 130, 367
دور مدين ---------- 72

ر

رأس الحمراء ---------- 82
رأس بوفحل ---------- 82
رباط تاسكدلت ---------- 273
ريغ281 ,123

ز

زا---------- 66, 73, 102
زاغر الشرقي ---------- 92
زكار ---------- 44, 68, 89
زيدور ---------- 90
زيز 65

س

سبدو ---------- 102
سجلماسة – 64, 70, 121, 139, 141, 144, 145, 213, 224, 230, 234, 257, 291, 292, 339, 340, 343, 347, 374, 376
سردينيا---------- 348
سطيف ---------- 86, 90, 95, 140
سهل حمزة ---------- 88
سهل كرط---------- 89
سهول بني راشد---------- 89
سوق حمزة ---------- 105, 135
سيدي واضح ---------- 150
سيرات ---------- 103, 108, 214, 278, 312, 313, 369

ش

شرشال---- 74, 83, 118, 120, 121, 123, 126, 130, 142, 152, 199, 274, 326, 328, 340, 344, 354, 367
شط همیان ---------- 93
شيلية---------- 91

ص

صحراء نوميديا ---------- 66, 73, 86
صقلية ---------- 120, 137, 348

ط

طبنة ---------- 63, 72, 104, 105, 119, 121, 123, 124
طنجة ---------- 344

ع

عين أبي السباع ---------- 87, 104
عين الغزال ---------- 104
عين خرارة ---------- 104
عين صالح ---------- 93
عين عبد السلام ---------- 105
عيون سي ---------- 105

غ

غانا ---------- 144, 257
غاو ---------- 141, 144, 343
غرداية ---------- 71, 98, 152, 343
غرناطة ---------- 139, 345
غليزان ---------- 78, 218, 278
غينيا ---------- 238, 348, 356

ف

فاس – ز, 63, 65, 71, 79, 102, 129, 130, 133, 136, 139, 141, 143, 145, 154, 157, 159, 257, 267, 291, 292, 293, 295, 332, 339, 340, 342, 354, 360
فجيج ---------- 71, 76, 93
فلسطين ---------- 23, 66, 74, 154, 242
فلورنسا ---------- 356

ق

قالمة ---------- 96, 140
قرية تاورت---------- 105
قزرونة ---------- 88
قسنطينة ح, 63, 64, 65, 67, 68, 70, 72, 73, 85, 86, 89, 94, 95, 96, 100, 104, 117, 118, 121, 126, 140, 141, 143, 233, 261, 282, 284, 285, 287, 308, 312, 318, 325, 356
قصر الفلوس---------- 83

ك

كارت ---------- 306
كوكو ---------- 85, 141, 343

ل

لمتونة---------- 69, 158
لوريط ---------- 105

م

مالقا ---------- 356
مخلد ---------- 104
مدينة أرزوا---------- 131
مديونة ----------84, 278, 312
مراكش---------- 64, 78, 79, 143, 183, 249
مرسى آزمور ---------- 64
مرسى الخزر ---------- 81, 143
مرسى الدجاج---------- 82, 118, 122, 123
مرسى الزيتونة ---------- 88
مرسى مغيلة ---------- 83
مرسيليا---------- 356
مستغانم ----------85, 122, 140, 199, 274, 312, 316, 317, 340, 349
مسكيانة----------104

مصر ,21, 31, 32, 33, 44, 47, 49, 54, 62, 63, 65, 66, 72, 74, 75, 77, 78, 80, 92, 94, 95, 103, 108, 113
119, 124, 125, 136, 139, 148, 151, 156, 162, 166, 171, 174, 175, 177, 187, 207, 228, 233, 236,
239, 242, 244, 256, 258, 260, 263, 292, 300, 311, 328, 343, 344, 345, 349, 357, 367, 376
مقرة ---------- 63, 72, 118, 122, 139
مكة ---------- 25, 51, 62, 232
مكناس ---------- 143
مكناسة ---------- 67, 316
ملاتة ---------- 281
ملوية ---------- 66, 68, 70, 71, 72, 73, 74, 77, 91, 151, 158, 213, 218, 226, 227, 268, 296
مليانة -- 63, 64, 65, 72, 89, 105, 108, 120, 129, 131, 140, 152, 158, 252, 269, 272, 273, 274, 278,
296, 312, 326, 340
مليلة ---------- 64, 70, 143, 250, 252
منسا ---------- 141, 230
منشار الجلد ---------- 136, 325
موريطانيا القيصرية ---------- 65
ميلة ---------- 72, 87, 104, 129, 140
ميورقة ---------- 348, 354, 355

ن

نقاوس ---------- 63, 72, 119
نهر سطفسيف ---------- 84

و

واد ارهيو ---------- 149, 273
واد سهر ---------- 103
وادي الزيتون ---------- 238
وادي السبت ---------- 152
وادي الصومام ---------- 71
وادي تافنة ---------- 89
وادي سطفسيف ---------- 369
وادي سوف ---------- 98

وادي شال---------- 86
وادي مجمع ---------- 63, 72
وادي ملال ---------- 281
وادي مينا ---------- 218
وادي ميناس ---------- 218
وادي ورك ---------- 296
وجدة ---------- 68, 70, 71, 73, 77, 79, 141, 197, 224, 278, 296, 312
ورجلان ---------- 71
ورقلة ---------- 141
وركلان ---------- 69
وهران -- 32, 48, 62, 64, 68, 73, 74, 77, 81, 82, 83, 84, 87, 88, 89, 96, 97, 109, 118, 120, 123, 124, 126, 129, 131, 132, 133, 138, 142, 152, 199, 218, 226, 257, 266, 274, 291, 292, 296, 306, 312, 317, 326, 344, 348, 349, 351, 367

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

إ

إبراهيم الثغري 353
إبراهيم القادري بوتشيش ,203 ,202 ,198 ,197 ,196 ,195 ,192 ,188 ,177 ,173 ,172 ,165 ,159 ,156 ,153 ,150 ,147 ,146 ,20
210, 255, 257, 259, 302, 312, 314, 317, 321, 323, 358

ا

ابن أبي زرع ,292 ,287 ,285 ,284 ,267 ,251 ,242 ,240 ,238 ,224 ,220 ,216 ,213 ,211 ,204 ,199 ,193 ,176 ,160 ,157 ,15
295, 297, 298, 299, 309, 319, 320, 328, 360, 361
ابن الأحمر ..... 299 ,292 ,285 ,235 ,219 ,213 ,190 ,136 ,76
ابن الأعرج 322
ابن الحاج ..... 355 ,296 ,240 ,229 ,133 ,131 ,91
ابن الحكم القرشي 68
ابن الحمراء ..... 283 ,282 ,281 ,263
ابن الخطيب ..... 360 ,344 ,338 ,337 ,335 ,325 ,324 ,313 ,280 ,253 ,234 ,224 ,202 ,164 ,80 ,19
ابن الزيات التادلي 159
ابن القاسم ..... 33 ,25
ابن القيم 44
ابن المناصف ..... 62 ,61 ,60 ,59 ,33 ,31 ,30 ,29 ,19
ابن بصال ..... 207 ,122 ,106 ,101
ابن بطوطة ..... 334 ,258 ,203 ,142 ,140 ,121
ابن حجر 30
ابن حسون 319
ابن حوقل ..... 225 ,207 ,155 ,126 ,125 ,124 ,123 ,121 ,120 ,119 ,107 ,85 ,84 ,83
ابن حيان القرطبي 125
ابن خلدون .. ,153 ,152 ,150 ,146 ,128 ,110 ,109 ,94 ,81 ,80 ,79 ,78 ,76 ,72 ,71 ,53 ,49 ,48 ,41 ,40 ,39 ,35 ,34 ,26 ,20 ,7
154, 155, 156, 158, 160, 161, 163, 170, 174, 175, 177, 181, 185, 187, 188, 190, 191, 192, 193, 194, 195, 196,
198, 199, 200, 203, 204, 205, 206, 208, 209, 211, 212, 213, 215, 216, 219, 220, 222, 223, 224, 225, 226, 230,
233, 237, 238, 241, 242, 243, 245, 246, 247, 248, 249, 250, 253, 255, 257, 258, 260, 262, 263, 264, 265, 266,
267, 270, 271, 272, 274, 277, 279, 280, 283, 284, 285, 286, 287, 289, 292, 295, 296, 297, 298, 300, 301, 302,
303, 304, 306, 307, 309, 310, 312, 313, 314, 315, 316, 318, 320, 322, 325, 330, 332, 334, 335, 343, 349, 350,
358, 360, 361
ابن رشد ..... 355 ,329 ,323 ,322 ,295 ,156 ,62 ,60 ,30 ,29 ,15
ابن رضوان ..... 297 ,296 ,252 ,251 ,246 ,36
ابن سعيد المغربي ..... 143 ,122 ,119 ,75 ,66
ابن عابدين 101
ابن عبد المنعم الحميري 67
ابن عذاري ..... 332 ,329 ,227 ,226 ,222 ,206 ,204 ,135
ابن عرفة ..... 210 ,116 ,115 ,30
ابن عمران الحفصي 281
ابن فارس 46
ابن فرحون ..... 33 ,25
ابن فضل العمري 120

ابن قنفد 16, 203, 252, 279, 329
ابن مرزوق الخطيب 16, 312, 325
ابن مريم 16, 135, 203, 210, 319, 351
ابن منظور 24, 28, 29, 31, 34, 36, 39, 40, 42, 47, 49, 50, 55, 106, 112, 113, 114, 115, 123, 134, 166, 352
ابن وحشية 101

أ

أبو إسحاق الحفصي 247, 252
أبو البيان واضح 149
أبو الحسن المريني 193, 232, 257, 286, 288, 289, 299, 332, 347, 361
أبو السعيد 262, 271
أبو الفدا 67, 75, 86, 92, 95, 105, 143
أبو الفضل العقباني 352
أبو بكر بن عريف 256
أبو تاشفين 47, 74, 110, 136, 141, 225, 227, 229, 230, 232, 243, 255, 257, 261, 262, 263, 272, 273, 276, 277, 280, 282, 283, 290, 292, 339, 354, 359, 361
أبو تاشفين الأول 74, 110, 136, 141, 257, 272
أبو ثابت 263, 269, 273, 276, 277, 287, 289, 290, 292, 303, 334
أبو ثابت المتوكل على الله 263
أبو حمو 14, 18, 20, 36, 47, 77, 78, 80, 110, 136, 138, 194, 220, 221, 222, 223, 225, 226, 227, 228, 229, 230, 231, 234, 235, 236, 237, 238, 239, 241, 242, 245, 247, 248, 249, 250, 251, 252, 253, 255, 256, 259, 261, 262, 263, 264, 266, 267, 269, 270, 271, 272, 273, 276, 277, 279, 282, 283, 287, 290, 291, 292, 300, 303, 307, 313, 320, 321, 334, 337, 339, 343, 358, 359
أبو حمو الأول 47, 247, 259, 262, 267, 269, 272, 283, 334, 339
أبو حمو موسى الثاني 14, 20, 77, 78, 80, 110, 136, 138, 220, 221, 222, 223, 226, 229, 230, 231, 234, 236, 237, 238, 241, 242, 248, 252, 253, 256, 267, 271, 276, 277, 282, 290, 291, 292, 300, 303, 313, 321, 358
أبو دبوس 284
أبو راس الناصر 72, 75, 89, 273
أبو زكرياء الحفصي 250, 252, 278
أبو زيان الأول 206
أبو زيد 256, 326
أبو سالم المريني 274
أبو سعيد بن عامر 259
أبو عبد الله السبطي 324
أبو عبد الله محمد بن المعلم 241
أبو فارس 19, 135, 238, 281, 319
أبو مالك عبد الواحد 263, 276, 277
أبو يحيى 80, 220, 252, 284
أبو يحيى أبو بكر 252
أبو يحيى يغمراسن 80
أبو يعزي 159
أبو يعقوب 84, 151, 232, 244, 267, 286, 298, 299, 303
أبو يوسف يعقوب 108, 298
أحمد الشرباصي 44, 46, 51, 52, 55, 56, 178
أحمد المريض 210

أحمد المريني 261
أحمد بن محمد المروذي 121
أحمد توفيق المدني 82, 83, 91, 92, 93, 94, 95, 97, 98, 100, 198

آ

آل المدجن 319
آل المقري 139, 141, 335

ا

الإدريسي 17, 65, 66, 67, 75, 84, 105, 107, 118, 119, 120, 122, 123, 124, 126, 140, 143, 153, 156, 183
الأزهري 24, 33, 34, 38, 54
الأصطخري 85
البغدادي المالكي 55, 60, 61
البكري 17, 65, 66, 72, 75, 84, 85, 86, 87, 88, 90, 92, 97, 105, 107, 121, 122, 123, 124, 132, 133, 160, 222, 258
البلوي 98, 102
التجاني 68, 75, 328
التنسي ,265, 263, 262, 261, 259, 252, 251, 250, 247, 243, 230, 229, 226, 225, 221, 216, 206, 205, 111, 81, 80, 78, 14
361, 360, 330, 321, 319, 310, 305, 304, 301, 292, 289, 287, 286, 283, 281, 280, 278, 277, 273, 271, 270, 267, 266
الجابري ,217, 213, 201, 199, 197, 195, 194, 193, 192, 191, 189, 188, 187, 177, 170, 163, 161, 147, 49, 41, 39, 35, 20
281, 265, 260
الجاحظ 233
الجوهري 20, 23, 24, 29, 32, 34, 35, 36, 37, 39, 40, 42, 47, 50, 52, 54, 167, 197
الحريري 110, 287, 289, 299, 327, 331, 332
الحسن .. ,127, 126, 121, 120, 119, 116, 113, 110, 102, 89, 87, 86, 83, 81, 79, 78, 69, 68, 67, 59, 51, 33, 19, 18, 17, 16
249, 245, 241, 237, 228, 223, 221, 213, 208, 205, 203, 200, 199, 164, 161, 160, 156, 150, 149, 144, 142, 140, 138, 135, 133, 131, 128
349, 345, 343, 342, 330, 329, 322, 321, 314, 313, 305, 304, 303, 302, 289, 288, 275, 265, 257, 256, 252, 251, 250
الحسن آبركان 252
الحسن الوزان . ,156, 149, 144, 142, 140, 135, 133, 128, 127, 126, 121, 120, 119, 116, 113, 110, 87, 86, 83, 81, 68, 18
349, 343, 342, 330, 329, 322, 321, 314, 313, 305, 303, 302, 275, 265, 245, 241, 223, 221, 213, 208, 205, 203, 200, 199, 161, 160
الخليل 23, 47
الخوارزمي 48, 51
الرشيد بن المأمون 265
الزركشي 103, 263, 278, 297
الزهري 68, 70, 72, 75, 102, 113, 224, 226
السعيد أبو الحسن الموحدي 251
السقطي 16, 356
السيرافي 24
الطاهر بونابي 73, 142
الطرطوشي 18, 37, 229, 231
العبدري 17, 91, 140, 202, 210, 286, 296, 304, 333
العبدوسي 345
العز بن عبد السلام 44
العياشي 149, 160

الغبريني..... 69, 207
الفراء 24, 356
القزويني..... 65, 127, 141, 162
القلقشندي..... 120, 162, 206, 216, 278, 321, 334, 344, 345
الكاساني..... 30
الكونت بيدرو نينو..... 341
المارشال دوساكس..... 244
المازوني 15, 23, 131, 137, 138, 148, 149, 210, 255, 257, 258, 310, 311, 312, 314, 323, 325, 326, 351, 352, 353
الماوردي..... 33, 51, 55, 59, 60, 61, 108, 241
المبرد..... 23
المتوكل..... 14, 78, 269, 271, 341
المراكشي 69, 70, 81, 130, 222, 329, 332
المرتضى 224
المستعين 269, 271, 273, 276, 277
المستنصر بالله 125
المسعودي..... 150, 154, 155, 162
المقدسي 84, 141
المناوي..... 48
الناصر بن علناس 65
الناصر محمد بن قلاوون..... 334
الناصري..... 38, 92, 131, 192, 200, 204, 211, 213, 237, 240, 257, 267, 279, 284, 292, 297, 299, 320, 332
النووي..... 48, 115, 116
النويري 214, 232, 237, 238
الهرثمي 229, 230, 231, 236, 237, 250
الونشريسي 15, 33, 108, 109, 111, 112, 114, 115, 116, 129, 137, 138, 148, 158, 204, 205, 207, 239, 255, 256, 257, 258, 275, 303, 306, 308, 311, 313, 315, 317, 323, 324, 325, 327, 329, 330, 338, 344, 345, 349, 351, 354, 355, 357
اليعقوبي..... 84, 105
انجلز..... 170, 175, 179, 191

أ

أنس بن مالك 58

ب

برتشارد..... 171, 190
بركات الباروني 353
بكر بن حماد..... 97
بلكين بن زيري 164
بني اللحام..... 319
بيار كلاستر 180, 183, 186
بيترو الرابع 340

ج

جابر بن يوسف 79, 191
جاستون بوتول..... 26
جريجوار العاشر 348

جورج بالانديه 183, 184
جورج دوبي 217
جيرار لكلرك 20, 167, 168, 169, 170, 171

ح

حاجي أخ السلطان المريني 341

خ

خالد بن عامر 303

د

ديفورك 227

ر

روبار برشفيك 225
روينز 45
ريتشارد تابر 167, 173, 175, 176, 181, 183, 185, 201

ز

زيان بن عمر الوطاسي 261

س

ساوندرز 186

ش

شوقي 58, 260

ظ

ظافر مهدي 226

ع

عابد الوادي 76
عبادة بن الصامت 29
عبد الحميد حاجيات 20, 80, 166, 226, 248, 252, 266, 313, 314
عبد الرحمن بن خلدون .. 14, 26, 30, 34, 39, 48, 53, 70, 71, 78, 80, 89, 94, 109, 110, 121, 126, 128, 134, 138, 146, 151, 153, 155, 158, 161, 174, 175, 176, 177, 178, 181, 185, 187, 188, 190, 191, 192, 193, 194, 196, 199, 201, 202, 203, 206, 208, 209, 213, 215, 220, 221, 222, 224, 225, 227, 229, 237, 239, 240, 242, 246, 247, 250, 251, 252, 254, 255, 259, 262, 264, 265, 267, 272, 273, 274, 279, 280, 284, 285, 286, 295, 303, 306, 314, 315, 319, 320, 333, 335, 343, 347, 351, 358
عبد الرحمن بن محمد بن خولة 262, 263
عبد العزيز فيلالي 20, 73, 74, 77, 195, 222, 223, 225, 227, 229, 230, 246, 247, 249, 250, 251, 266, 281, 288, 307, 321, 361
عبد الله العروي 20, 110, 165, 173, 206, 209, 215, 219, 287, 302, 307, 308
عبد الله بن الصباح 120, 330
عبد الله بن كندوز 195
عبد الله بن مسلم 194
عبد المؤمن بن علي 34, 69, 79, 81, 86, 89, 123, 131, 139, 213, 215, 222

عثمان..... 79, 80, 138, 220, 226, 233, 246, 247, 252, 259, 266, 269, 270, 273, 276, 277, 279, 282, 286, 299, 310
عثمان بن يغمراسن 226, 247, 259, 266, 269, 276, 277, 279, 282, 299
عطاء الله دهينة 348
علي بن أبي طالب..... 69, 78
علي بن تاكرارات 226
علي بن حسن..... 225
علي بن سعود الخزاعي 47

غ

غلاب 197, 341
غودليي..... 152

ف

فون بوجيسيلافسيكي..... 26
فيروز أبادي 47, 50, 52

ك

كارل بوبر 173
كلود ليفي ستراوس..... 182
كلوزفتير 27

ل

لسان الدين بن الخطيب 35, 102, 119, 139, 203, 324, 338
ليليا بنسالم..... 182, 189, 190, 208

م

مارتن..... 26
مارسيل أمري..... 206, 302
مارشال..... 45
مارمول كاربخال ,18, 66, 68, 73, 75, 83, 85, 87, 88, 89, 92, 100, 119, 127, 129, 130, 149, 160, 200, 245, 265, 275, 299
344
مالك..... 28, 33, 49, 110, 112, 115, 212, 223, 263, 274, 283, 307, 355
محمد ابن مرزوق 313, 353
محمد الخامس 70, 342
محمد القبلي..... 152, 173, 208, 211, 214, 215, 239, 254, 302
محمد المستاوي 180, 183
محمد بن حسن 146, 152, 165, 172, 197, 308, 317
محمد بن زيان..... 303
محمد بن عبد الحق العقيلي..... 76
محمد بن عبد القوي 149, 285, 298
محمد بن عبد الكريم المغيلي..... 313
محمد بن غالية 263
محمد بن يغمراسن 246
محمد بن يوسف 262, 267, 272
محمد فتحة..... 112, 113, 204, 207, 208, 312, 317, 326, 329, 331, 339, 343, 345, 354

محمود إسماعيل ... 20, 147, 154, 162, 202, 208, 212, 216, 219, 274, 285, 290, 308, 309, 314, 318, 320, 322, 327, 329, 336, 344, 358
محمود مقديش..... 74, 80, 86, 88, 89, 121, 123, 151, 255, 256, 278, 301
مختار حساني 20, 51, 94, 96, 111, 113, 123, 124, 135, 137, 138, 139, 220, 228, 274, 275, 307, 316, 319, 321, 336, 339, 344, 354, 358
مسامح 226
مصطفى نشاط 147, 227
موسى بن أبي يعقوب 340, 341
موسى بن علي 225, 237
موسى بن علي بن برغوث 237
مؤلف مجهول..... 66, 74, 75, 76, 153, 207, 213, 223, 235, 245, 247, 256, 262, 266, 270, 271, 274, 277, 283, 292, 300, 301, 309

ه

هشام جعيط..... 147, 217
هلال القطلاني 226, 339
هويشي 71, 81, 251

و

وهبة الزحيلي 27, 28, 31, 33, 57, 61, 338

ي

ياقوت الحموي..... 65, 118, 121, 125, 141
يحيى بن خلدون ,231 14, 76, 78, 79, 81, 90, 103, 110, 117, 129, 133, 138, 205, 207, 215, 216, 221, 225, 226, 227, 230, 235, 236, 237, 238, 241, 242, 251, 252, 253, 254, 256, 257, 261, 265, 266, 267, 268, 273, 280, 281, 286, 287, 288, 289, 300, 301, 304, 314, 319, 321, 337, 338, 340, 358, 360
يعقوب بن عبد الحق 195, 237, 246, 252, 285, 302
يوسف بن أبي حمو..... 263
يوسف بن تاشفين 224

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ثانيا- الحديث النبوي الشريف.

1. البخاري(ت256)، الجامع الصحيح، ج03، اعتنى به، أبو عبد الله محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة، ط01، 2003م.
2. التاريخ الكبير، ج07، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، د.ت.
3. صحيح البخاري ، تح: د. مصطفى ديب البغا، دار اليمامة للنشر، دمشق، ط5، 1414هـ/1996م.
4. جلال الدين السيوطي (ت911)، الجامع الكبير، ج7، تح: مختار إبراهيم الهائج، عبد الحميد مُحَمَّد ندا، حسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف، القاهرة، مصر. 11- السيوطي (ت911)، الجامع الكبير، ج7، تح: مختار إبراهيم الهائج، عبد الحميد مُحَمَّد ندا، حسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف، القاهرة، مصر
5. الجامع الصغير وزيادته، كتاب إلكتروني، د.ت، دط.
6. الجامع الكبير، ج7، تح: مختار إبراهيم الهائج، عبد الحميد مُحَمَّد ندا، حسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف، القاهرة، مصر.
7. ابن حبان (ت354)، صحيح ابن حبان، ج7، تح: مُحَمَّد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1433هـ/2012م.
8. أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، ج9، تح مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ/2003م.
9. الطبراني (ت320)، المعجم الأوسط، ج7، تح: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن مُحَمَّد وأبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ/1995م.
10. أبو الحسين مسلم (261هـ)، صحيح مسلم، ج3، تح: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374هـ/1955م.
11. ابن ماجه (ت273هـ)، سنن ابن ماجه، ج3، تح: الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ/2009م.

أولا- المصادر المخطوطة:

1- المازوني أبو زكرياء يحي بن موسى المغيلي (ت 883هـ)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، شبكة الألوكة.

ثانيا- المصادر المطبوعة:

01- آبادي فيروز محي الدين مُحَمَّد بن يعقوب (ت1291م)، القاموس المحيط دار الحديث، القاهرة، المجلد، سنة الطبع1429/2008هـ.
02- ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996م.

03- ابن أبي دينار مُحَمَّد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، دار المسيرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط03، 1993م .

04- ابن الأبار أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي بكر الفضاعي (595-658هـ/1199-1260م)، الحلة السيراء، تج: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط02، 1985م .

05- ابن الأثير الجزري أبي الحسن علي بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المتوفى سنة 630هـ، الكامل في التاريخ، مج08، راجعه مُحَمَّد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1407هـ/1987م.

06- ابن الأحمر أبي الوليد إسماعيل، أعلام المغرب والأندلس- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، حققه وقدم له، مُحَمَّد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط02، 1407هـ/1987م.

07- تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تق و تح وتع هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط01، 1421هـ/2001م.

08- روضة النسرين في دولة بني مرين، مطبوعات القصر الملكي، الرباط، المغرب، 1382هـ/1962م .

09- ابن الأزرق أبو عبد الله (ت 896هـ)، بدائع السلك في طبائع الملك، تح وتع، علي سامي النشار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط01، 1429هـ/2008م .

10- ابن الأعرج السليماني، زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ، تحقيق مختار حساني، ضمن كتاب التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م.

11- ابن الثغري جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن بردي الأتابكي (813هـ-874هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1966م.

12- ابن الحاج أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد العبدري المالكي الفاسي (ت 737هـ)، المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات على بعض البدع، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، مصر، ط01، 1348هـ/1929م.

13- ابن الحاج التجيبي القرطبي أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد (ت 529هـ)، نوازل ابن الحاج التجيبي، دراسة و تح، أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تيطوان المغرب، 1439هـ/2018م.

14- ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد مُحَمَّد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1990م.

15- ابن الخطيب لسان الدين السلماني، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج02، تحقيق عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1394هـ/1974م.

16- الإشارة إلى أدب الوزارة، دراسة و تح، مُحَمَّد كمال شبانه، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط01، 1424هـ/2004م .

17- تاريخ اسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، ط02، 1956م.

18- ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني، تج، مُحَمَّد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1409هـ/1989م.

19- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، حقق نصه ووضع حواشيه مُحَمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط01، 1401هـ/1981م

20- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح: مُحَمَّد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، مصر، طبعة 1423هـ/2002م.

21- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ج02، نشر وتعليق، أحمد مختار العبادي، مراجعة، عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، د.ت. ج03، تقديم وتحقيق، د/ سعدية فاغية، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، المغرب، د.ط، 1989م.

22- ابن الزيات أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي (617هـ/1220م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب، ط02، 1997م.

23- ابن الشماع أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد، الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح و تق، الطاهر بن مُحَمَّد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، د.ط، 1984م.

24- ابن العوام أبي زكرياء يحي بن مُحَمَّد الاشبيلي (ت 580هـ-1184م)، كتاب الفلاحة الأندلسية، تحقيق: أنور أبو سويلم و سمير الدروبي وأرشيد محاسنة، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن، 1423هـ/2012م.

25- ابن القاضي المكناسي أحمد (960هـ-1025هـ)، كتاب جدوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1973م.

26- ابن المناصف مُحَمَّد بن عيسى بن أصبغ الأزدي (ت 620هـ- 1223م)، الانجاد في أبواب الجهاد، دراسة و تح قاسم عزيز الوزاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 2003م.

27- ابن بصال مُحَمَّد بن إبراهيم، الفلاحة، تج خوسيه ماريه مياس و مُحَمَّد عزيمان، مطبعة كريماس، تطوان، المغرب، 1955م.

28- ابن بطوطة أبو عبد الله مُحَمَّد ، رحلة ابن بطوطة- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج01، تحقيق: مُحَمَّد عبد المنعم العريان، مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط01، 1407هـ/1987م .

29- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

30- ابن حوقل النصيبي أبو القاسم مُحَمَّد بن علي البغدادي ، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ط02 1938م.

31- ابن حيان الأندلسي أبي مروان بن خلف ابن حيان الأندلسي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط01، 1426هـ/2006م.

32- ابن خلدون عبد الرحمن (732-808هـ/1332-1406م)، المقدمة، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط01، 2010م.

33- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج07/06 ، وضع الحواشي خليل شحادة، وراجعه سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، 1421هـ/2000م.

34- ابن خلدون يحي أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر بن الحسن ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج01، طبع بمطبعة فونتانا الشرقية، الجزائر، 1321هـ/1903م.

35- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج02-03، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2011.

36- ابن رشد القرطبي أبي الوليد مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد (520هـ-595هـ)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج03، حققه ماجد الحموي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 1416هـ/1995م

37- فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1407هـ/1987م

38- المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمريات مسائلها المشكلات، ج01 تحقيق مُحَمَّد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت،ط01، 1408هـ/2008م .

39- ابن رضوان المالقي أبي القاسم (ت783هـ/1381م)، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تح، علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1404هـ-1984م.

40- ابن سعيد علي بن موسى(ت 685هـ/1286م)، المغرب في حلى المغرب، حققه وعلق عليه: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، طبعة منقحة، أفريل 1964م .

41- كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط02، 1982م.

42- ابن سلام أبو عبيد القاسم (154هـ 224هـ)، كتاب السلاح، تحقيق حاتم صالح الضامن، كلية الآداب، بغداد، العراق، د.ط، د.ت.

43-كتاب الأموال، صححه، مُحَمَّد حامد الفقي، دار الكتب المصرية، مصر، د.ط، د.ت.

44- ابن صعد الأنصاري التلمساني مُحَمَّد (ت 901هـ)، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2009م.

45- ابن عابدين أمين، حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، دراسة وتحقيق وتعليق: علي مُحَمَّد معوض و عادل أحمد عبد الموجود، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة خاصة، 1423هـ/2003م.

46- ابن عاصم الأندلسي الغرناطي أبو بكر بن مُحَمَّد (760هـ-829هـ)، متن العاصمية المسمى ب "تحفة الحكام في نكث العقود والأحكام"، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ط03، 1346هـ/1928م .

47- ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري(257هـ-871هـ)، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط02، د.ت.

48- ابن عبدون التجيبي مُحَمَّد بن أحمد، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق، ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، مصر، 1955م.

49- ابن غازي مُحَمَّد العثماني، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح، عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط02، 1408هـ-1988م.

50- ابن فرحون إبراهيم بن علي بن مُحَمَّد برهان الدين اليعمري المالكي(ت 799هـ): تبصرة الحكام في أمور الأقضية والأحكام، مج02، راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، 1406هـ/1986م.

51- ابن قتيبة الدينوري أبي مُحَمَّد بن عبد الله مسلم (213هـ-276هـ)، عيون الأخبار، ج01، تحقيق، منذر مُحَمَّد سعيد أبو شقر، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط01، 1429هـ/2008م.

52- ابن قنفد القسنطيني أبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب (ت 810هـ-1407-1408م)، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه مُحَمَّد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، المغرب، 1975م .

53- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم و تحقيق، مُحَمَّد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.

54- ابن قيم الجوزية أبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب (691هـ-751هـ)، الفروسية المحمدية، تحقيق زائد بن أحمد النشيري و إشراف بكر بن عبد الله بوزيد، دار علم الفوائد، مكة المكرمة، 2007م.

55-كتاب الروح، مج01، حققه مُحَمَّد اجمل أيوب الإصلاحي، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، د.ت.

56- ابن مرزوق التلمساني أبي عبد الله مُحَمَّد (ت 781هـ)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق، ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم، محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م.

57- المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق، سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط01، 1429هـ/2008م.

58- ابن مريم أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق مُحَمَّد بن يوسف القاضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د.ط، 2010م.

59- ابن مغيث أحمد الطليطلي المتوفى سنة 459هـ، المقنع في علم الشروط، وضع حواشيه، مُحَمَّد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1420هـ/2000م.

60- ابن منظور الأنصاري بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الرويفعي الإفريقي(ت 711هـ)، لسان العرب، تولى تحقيقه عبد الله علي الكبير-مُحَمَّد أحمد حسب الله-هاشم مُحَمَّد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

61- ابن منكلي مُحَمَّد الناصري (ت778هـ/1376م)، الأدلة الرسمية في الثعابي الحربية، قدمه وحققه، محمود شيت خطاب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د.ط، 1988م.

62- الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، دراسة وتحقيق نبيل مُحَمَّد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2000م.

63- ابن هذيل الأندلسي علي بن عبد الرحمن، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تحقيق عبد الإله أحمد نبهان ومُحَمَّد صالح زغل، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1، 1425هـ/2004م .

64- حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق وتعليق، مُحَمَّد عبد الغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، د.ط، 1951م.

65- ابن وحشية، أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني (ق04هـ/10م)، الفلاحة النبطية، تحقيق، توفيق فهد، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ،دمشق، سوريا، ط01، 1993.

66- ابن يوسف الحكيم أبو الحسن علي، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تح، حسين مؤنس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد السادس، العدد01-02، 1378هـ/1958م.

67- أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن مُحَمَّد بن عمر (ت732هـ)، المختصر في أخبار البشر، ج01، تقديم حسين مؤنس، تحقيق مُحَمَّد زينهم عرب و يحي سيد حسين و مُحَمَّد فخري الوصيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.

68-كتاب تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

69- أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر الزهري(المتوفى في أواسط القرن السادس هجري)، كتاب الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب، تحقيق مُحَمَّد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، د.ت.

70- الإدريسي الشريف أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الله إدريس الحمودي الحسني (من علماء القرن السادس هجري/12م) ، المغرب وأرض السودان والمغرب، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1422هـ/2002م.

71- الأزهري أبو منصور مُحَمَّد بن أحمد (282هـ-370هـ)، تهذيب اللغة، ج05/01، حققه عبد السلام مُحَمَّد هارون وراجعه مُحَمَّد علي النجار، الشركة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، د.ت، د.ط.

72- الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن مُحَمَّد الفارسي (ت346هـ)، كتاب المسالك والممالك، تحقيق مُحَمَّد جابر عبد العال الحيني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 1961م

73- البرزلي أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي (ت 841هـ/1438م)، فتاوى البرزلي- جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، ج03، تقديم وتحقيق مُحَمَّد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 2002م.

74- البكري أبي عبيد الله ، المسالك والممالك، ج02/01، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1424هـ/2003م.

75- البلوي خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد (ت 767هـ)، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ج01، مقدمة وتحقيق الحسن بن مُحَمَّد السائح، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، المملكة المغربية، د.ط، د.ت.

76- البيدق أبو بكر علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق وتعليق، عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.

77- البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحسروجردي الخراساني (ت 458هـ)، السنن الصغير للبيهقي، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، ط01، 1410هـ/1989م.

78- التجاني أبو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن أحمد ، الرحلة، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981م.

79- التمكروتي علي بن مُحَمَّد، كتاب النفحة المسكية في السفارة التركية(1589م)، حققه مُحَمَّد الصالحي، دار السويدي للنشر و التوزيع، الإمارات العربية، ط01، 2007م

80- التميمي الفارسي أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الكريم (ت 603هـ أو 604هـ)، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تيطوان، المغرب، ط01، أوت2002م.

81- التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ج02/01، اشراف وتقديم: عبد الحميد عبدالله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط01، 1398هـ/1989م.

82- التنسي مُحَمَّد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2011م.

83- الثغري التلمساني عبد الله مُحَمَّد بن يوسف القيسي (كان حيا نهاية القرن الثامن هجري 14م)، مناقب التلمسانيين، اعتنى به تحقيقا وتغليفا و إخراجا قندوز بن مُحَمَّد الماحي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 1439هـ/2018م.

84- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (150هـ-255هـ)، البيان والتبيين، تح وشرح، عبد السلام مُحَمَّد هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط01، 1368هـ/1949م.

85- الجرجاني علي بن مُحَمَّد السيد الشريف (ت 816هـ/1413م)، معجم التعريفات، تح، مُحَمَّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 2004م

86- الجزنائي علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق، عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ط01، 1411هـ/1991م.

87-الجوهري أبي نصر إسماعيل بن حماد (ت 398هـ)، تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه واعتنى به: مُحَمَّد تامر وأنس مُحَمَّد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، د.ط، 1430هـ/2009م.

88- الحريري أبي مُحَمَّد القاسم بن علي، مقامات الحريري، دار بيروت للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1398هـ/1978م.

89- الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي ت626هـ، معجم البلدان، مج02، تصحيح وقراءة مُحَمَّد أمين الخانجي وأحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة السعادة، مصر، ط01، 1323هـ/1906م.

90- الحميري مُحَمَّد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، مكتبة بيروت، لبنان، ط02، 1984م

91- الخزاعي علي بن مُحَمَّد بن سعود، مختصر تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق إحسان عباس، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1419هـ/1999م.

92- الخوارزمي أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن يوسف الكاتب، مفاتيح العلوم، مطبعة الشروق للنشر، الازهر، مصر، 1342هـ.

93- الرازي مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة خاصة مدققة، 1986م.

94- الراشدي أحمد بن عبد الرحمن الشقراني ، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم نصر الدين سعيدوني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط02، 1986م .

95- الرصاع أبو عبد الله مُحَمَّد الأنصاري، (ت894هـ/1489م)، كتاب شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، تحقيق مُحَمَّد أبو الأجفان والطاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1993م

96- الزركشي أبي عبد الله مُحَمَّد بن إبراهيم ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تقديم وتعليق، مُحَمَّد ماضود، المكتبة العتيقة، تونس، د.ط، 1966م.

97- الزناتي أبي عمران موسى بن أبي علي (ت 702هـ)، كتاب الإحكام لمسائل الأحكام، تحقيق أحمد إيد موسى، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الديار المغربية، 2017م.

98- الزياني أبو حمو موسى بن يوسف (ت 971هـ/1389م)، واسطة السلوك في سياسة الملوك، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2011م .

99- السراج الفاسي أبو زكريا يحي بن أحمد ، فهرسة السراج، تحقيق نعيمة بنيس، دار الحديث الكتانية، المملكة المغربية، ط01، 2013م

100- السقطي المالقي الأندلسي أبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، في آداب الحسبة، مكتبة آرنست ليروكس، باريس، فرنسا، د.ط، د.ت.

101- الشوكاني مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد (1250هـ)، نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار، قدم له واعتنى به وأخرج أحاديثه: رائد بن صبري ابن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية، لبنان، د.ط، 2004م.

102- الشيرزي عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر (ت590هـ)، النهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق مُحَمَّد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2003م.

103- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق، أحمد فريد المزيدي، ومُحَمَّد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2003م.

104- الطرسوسي مرضي بن علي بن مرضي (ت 589هـ)، تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء، تح، كلود كاهين، الجامعة الأمريكية، مكتبة بيروت، 1948م.

105- الطرطوشي الفهري أبو بكر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الوليد (ت520هـ)، كتاب سراج الملوك، المطبوعات العربية، مصر، 1289هـ/1872م.

106- العباسي الحسن بن عبد الله (ت 710هـ/1310م)، آثار الأول في ترتيب الدول، حققه عبد الرحمن عميرة، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط01، 1409هـ/1989م.

107- العبدري مُحَمَّد البلنسي (ت 725هـ/1325م)، الرحلة المغربية، تقديم سعيد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، 1428هـ/2007م.

108- العزفي أبو العباس (557هـ-633هـ)، دعامة اليقين في زعامة المتقين، تحقيق أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، الرباط، 1989م.

109- العقباني مُحَمَّد بن أحمد بن قاسم بن سعيد، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي، المعهد الثقافي الفرنسي، دمشق، سوريا، د.ط، 1967م.

110- العمري ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت 749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج04 تحقيق، كامل سلمان الجبوري، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2010م.

111- العياشي عبد الله بن مُحَمَّد ، الرحلة العياشية(1661م-1663م)، حققها وقدمها سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ط01، 2006م.

112- الغبريني البجائي أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (644هـ-714هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط02، أبريل1989م.

113- الغرناطي أبو حامد عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي الأندلسي ، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط01، 1413هـ-1993م.

114- الفاسي علي بن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972م.

115- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، اعتنى بنشره الشيخ مُحَمَّد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، 1921.

116- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب،1972م.

117- الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت 170هـ)، كتاب العين، مادة ضرب، ج03، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط0، 1424هـ/2003م

118- القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت 182هـ)، كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1399هـ/1979م .

119- القراب الحافظ أبي يعقوب إسحاق بن أبي إسحاق، مستند الأنجاد في آلات الجهاد، تحقيق وشرح، أسامة ناصر النقشندي، دار الوثائق للدراسات والطبع والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، د.ط، د.ت.

120- القزويني زكرياء بن مُحَمَّد بن محمود ، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

121 - القلصادي الأندلسي أبي الحسن علي (ت891هـ)، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق، مُحَمَّد أبو الأجفان، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، د.ط، 1978م.

122- القلقشندي أبو العباس أحمد ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج01، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/1922م.

123- القيرواني أبو مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن (ت386هـ)، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تح، مُحَمَّد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1999م .

124- كاربخال مارمول،كتاب إفريقيا، تج مُحَمَّد حجي وآخرون، ج04/03/02، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1984م .

125- المازوني أبو زكرياء يحي بن موسى المغيلي، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ج04/03/02، تحقيق مختار حساني، مراجعة مالك كرشوش الزواوي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

126- المازوني أبو عمران موسى بن عيسى، صلحاء وادي الشلف، تج: عبد القادر بوباية، مكتبة الرشاد، الجزائر، ط01، 2017م.

127- المالكي أبو مُحَمَّد عبد الوهاب البغدادي ، التلقين في الفقه المالكي، ج01، تحقيق ودراسة مُحَمَّد ثالث سعيد الغاني، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، مكة المكرمة، د.ط، د.ت.

128- الماوردي أبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن حبيب البصري (ت450هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق الدكتور أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة ، الكويت، ط01، 1409-1989م.

129- المدخن ابن الصباح الأندلسي الحاج عبد الله ، نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار (الرحلة الحجازية)، تحقيق جمعة شيخة، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، الشرقية، تونس، 2012م. الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1424هـ/2003م.

130- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق مُحَمَّد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، د.ت

131- المسعودي أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج02، راجعه كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 1425هـ/2005م.

132- المغيلي مُحَمَّد بن عبد الكريم (ت 909هـ/1503م)، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تقديم وتحقيق عبد القادر زبايدية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1974م.

133- تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تج، مُحَمَّد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1994م.

134- المقدسي شمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر (ت380هـ)، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه: مُحَمَّد أمين الضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1424هـ/2003م.

135- المقرئ أحمد بن مُحَمَّد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مكتبة لبنان، 1987م.

136- المقري التلمساني أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج05، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1963م .

137- المقريزي أبي العباس أحمد بن علي (ت 845هـ)، إغاثة الأمة بكشف الغمة، دراسة وتحقيق كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، ط01، 1427هـ/2007م.

138- الملزوزي أبي فارس عبد العزيز، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1382هـ/1963م.

139- مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن هجري، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب،ط01، 1439هـ/1979م.

140- مؤلف غير معروف، زهر البستان في دولة بني زيان، ج02، تحقيق وتقديم بوزياني الدراجي، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت.

141- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول، دار الشؤون الدينية، بغداد، د.ط، د.ت.

142- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، الرباط، المملكة المغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط01، 2005م.

143- النووي أبو زكرياء محي الدين يحي بن شرف (ت676هـ)، تحرير لغات التنبيه، تحقيق وتعليق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2010م.

144- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج06، تحقيق علي بوملحم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1424هـ/2004م. ج24 ، تحقيق عبد المجيد الترجيني، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

145- الهرثمي صاحب المأمون، مختصر سياسة الحروب، تح، عبد الرؤوف عون، مُحَمَّد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ط، د.ت.

146- الوارجلاني أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي (ت570هـ/1174م)، رحلة الوارجلاني، تج وتعليق يحي بن يهون حاج أمُحَمَّد، غرداية، الجزائر، ط01، 2006م.

147- الوزان الحسن بن مُحَمَّد الفاسي المعروف بليون الإفريقي، كتاب وصف إفريقيا، ج02/01 تج مُحَمَّد حجي و مُحَمَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط02، 1983م

148- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي (ت914هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب، ج11/09/06/04/02/01 أخرجه مُحَمَّد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1981.

149- اليزليتي القروي المالكي أحمد بن عبد الرحمن، مختصر فتاوى البرزلي، اعتنى به أبو الفضل الدمياطي أحمد بن علي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط01، 1432هـ/2011م.

150- اليعقوبي أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت284هـ)، كتاب البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1422هـ/2002م.

المراجع العربية والمعربة:

1- أبو السعود محمود، خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط02، .1968

2- أبو ضيف مصطفى، القبائل العربية في المغرب عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

3- أبو مصطفى كمال السيد، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1996م.

4- أحميتي عبد العالي، كتاب الأمن الغذائي مدخل استراتيجي للأمن السياسي: الدول الوسيطة نموذجا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، الرباط، المغرب، 2019م.

5- استينو مُحَمَّد، الفقر والفقراء نماذج من القرنين 16 و17م، مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة، المغرب، ط01 ،2004م.

6- إسماعيل أحمد علي، الجغرافية العامة-موضوعات مختارة-، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1996/1995م .

7- أكنوش عبد اللطيف، كتاب تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، د.ت.

8- البركة مُحَمَّد وآخرون، النظام الغذائي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط(دراسات في سوسيولوجيا الأحكام والقيم والعوائد)، مطبعة بني يزناسن، سلا، المغرب، د.ط، أكتوبر 2016م.

9- البزاز مُحَمَّد الأمين، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 1992م.

10- البياض عبد الهادي، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك و ذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق6-8هـ/12-14م)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2008م.

11- الموارد المائية بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط بين التضييق الفلاحي والتوزيع الجغرافي، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1430هـ/2009م.

12- الجابري مُحَمَّد عابد، العقل السياسي العربي- محدداته وتجلياته-، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط04، 2000م.

13- فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط06، 1994م

14- الجريسي خالد عبد الرحمن، العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، تقديم، عبد الله بن سليمان بن منيع، مؤسسة الجريسي، المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت .

15- الجيلالي مُحَمَّد بن عبد الرحمان، المرجع السابق، تاريخ الجزائر العام، ج02، المطبعة العربية، الجزائر، 1375هـ/1955م.

16- الحديثي معزز إسكندر، آراء الإمام أبي إسحاق الشيرازي الاقتصادية والمالية- دراسة مقارنة في الاقتصاد الإسلامي- الذاكرة للنشر والتوزيع، بغداد، العراق، ط01، 1439هـ/2018م.

17- الحريري مُحَمَّد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط03، 1987م.

18- تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط02، 1408هـ/1987م

19- الحمودي عبد الله، الأنثروبولوجيا والتاريخ(الانقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة السياسية والقداسة –ملاحظات حول أطروحات كلينز)، تر، عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، د.ت.

20- الحميميدي مُحَمَّد بن علي، الحرب والذكاء والقيم الفكرية والمعنوية، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، السعودية، ط02، 1435هـ.

21- الخالدي محمود، مفهوم الاقتصاد في الإسلام، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989م.

22- الخزاعي كريم عاتي، أسواق بلاد المغرب من القرن السادس هجري حتى نهاية القرن التاسع هجري، الدار العربية للموسوعات، د.ط، د.ت.

23- الخطيب مُحَمَّد، علم الاجتماع البدوي، دار علاء الدين للطباعة و النشر و التوزيع، سوريا، ط2020م.

24- الخفيف علي، الملكية في الشريعة الإسلامية مع المقارنة بالشرائع الوضعية، دار الفكر العربي، 1996م.

25- الخلاصي علي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة، الجزائر، ط01، 2007م.

26- الدراجي بوزياني، العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية على ضوء الفكر الخلدوني، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط01، 2003م.

27- القبائل الأمازيغية (أدوارها-مواطنها-أعيانها)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، د.ط، 2007م.

28- ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، مؤسسة بوزياني للنشر، الجزائر، 2013م.

29- الدراجي بوزياني، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1993م.

30- الدوري عبد العزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط01، ماي2007م.

31- الريس مُحَمَّد ضياء الدين، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار المعارف، مصر، ط03، 1969م.

32- الزحيلي وهبة، آثار الحرب في الفقه الاسلامي، دراسة مقارنة، دار الفكر، المطبعة العلمية بدمشق، دمشق، ط4، 1992م.

33- الزناتي أنور محمود، كتاب معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الاسلامية ، جامعة عين شمس، عمان، الأردن، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، ط01، 2011م.

34- السلاوي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن مُحَمَّد الناصري الدرعي الجعفري (ت 1315هـ)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولتان المرابطية و الموحدية، ج03/01، تح، جعفر الناصري و مُحَمَّد الناصري، دار الكتب، دار البيضاء، المغرب، 1957.

35- السيد عبد اللطيف عبد الهادي، الدولة الفاطمية، المكتب الجامعي الحديث، ليبيا، 2010م.

36- الشرباصي أحمد، المعجم الاقتصادي الإسلامي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.

37- الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 10-11هـ، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط01، 2003م،

38- الطمار مُحَمَّد بن عمرو، تلمسان عبر العصور(دورها في سياسة وحضارة الجزائر)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

39- الطيبي أمين توفيق، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، 1997م.

40- العبادي أحمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، د.ط، د.ت.

41- العبيدي سعيد علي، الاقتصاد الاسلامي، دار دجلة، عمان، الأردن، ط01، 2011م.

42- العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، مج01، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1996م.

43- العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، مج02، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط02، 2000م.

44- العقلا عبد الله بن قريح، إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسسه، إشراف وتقديم، مُحَمَّد بن عبد الله بن عرفة، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع، السعودية، ط01، 1423هـ/2003م.

45- العلوي حسن حافظ، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1418هـ/1997م.

46- الغنيمي عبد الفتاح مقلد، موسوعة تاريخ المغرب العربي، مج05، مكتبة المدبولي، القاهرة، مصر، ط01، 1414هـ/1994م.

47- القاسيمي هاشم العلوي، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع هجري، منتصف القرن العاشر ميلادي، ج02، مطبعة فضالة المغرب، د.ط، 1415هـ/1995م.

48- المجابي مُحَمَّد سكجال، أحكام عقد البيع في الفقه الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط01، 2001م.

49- المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائري، الجزائر، 1948م.

50- المنوني مُحَمَّد، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط03، 1420هـ/2000م.

51- الميلي مبارك بن مُحَمَّد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج01، تقديم وتصحيح مُحَمَّد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، د.ت.

52- النبراوي فتحية، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط22، 2020م.

53- الهروي علي بن أبي بكر،التذكرة الهروية في الحيل الحربية، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ط، د.ت.

54- الهلالي مُحَمَّد ياسر، أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، مقال في كتاب المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، تنسيق بوبكر بوهادي و بوجمعة رويان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة بالتنسيق مع الجمعية المغربية للبحث التاريخي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2002م.

55- مباحث في تاريخ المغرب مسارات ودراسات- التاريخ الاجتماعي لمغرب أواخر "العصر الوسيط" مسار تجربة في البحث التاريخي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، 2019م.

56- الهندي إحسان، أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط01، 1993م.

57- اليسوعي لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، ط07، 1931م .

58- إنجلز فريدريك، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، ترجمة أحمد عز العرب، دار الطباعة الحديثة، مصر، د.ط، أفريل 1957م.

59- أومليل علي، الخطاب التاريخي- دراسة لمنهجية ابن خلدون، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط03، 1985م.

60- إيفنر بريتشارد إيفنر، الإناسة المجتمعية وديانة البدائيين في نظريات الأناسين، تر،حسن قبيسي، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 1986م.

61- بالانديه جورج، الأنثروبولوجيا السياسية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط02، 1428هـ/2007م.

62- برنشفيك روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م الى نهاية القرن 15م، ج02، تر، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م.

63- بل ألفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر، عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط03، 1987م

64- بلعربي خالد وآخرون، الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب الأوسط(160هـ962هـ/777م-1554م)،منشورات ألفا للوثائق، قسنطينة، الجزائر، ط01، 2020م.

65- بلعربي خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة سياسية وحضارية 633هـ-681هـ/1235م-1282م، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2011م.

66- ورقات زيانية، دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني، دار هومة، الجزائر، 2014م.

67- بن حسن مُحَمَّد، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع للنشر، تونس، ط01، 1988م.

68- بن عبود أمُحَمَّد، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، تق، مُحَمَّد المنوني، مطبعة النور، تطوان، المغرب، 1408هـ/1987م

69- بن عميرة مُحَمَّد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

70- بن قربة صالح وآخرون، الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وأول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.

71- بن قربة صالح، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

72- بن منصور عبد الوهاب، قبائل المغرب، ج01، المطبعة الملكية الرباط، 1388هـ/1968م.

73- بن موسى جميلة، تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن 09م إلى القرن 11م، منشورات بلوتو، الجزائر، 2011م.

74- بنسالم ليليا، الأنثروبولوجيا والتاريخ (التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير: حصيلة وتقييم)، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، د.ت.

75- بوبر كارل، بؤس الايديولوجيا (نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي)، ترجمة عبد الحميد صبره، الطبعة العربية، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط01، 1992م.

76- بوبريك رحال، القبيلة(السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط01، 2012م.

77- بوتشيش إبراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

78 - حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 2006م.

79- تاريخ الغرب الإسلامي- قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، سبتمبر 1994م.

80-إضاءات حول ثرات الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، مارس 2002م.

81- بورويبة رشيد وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج03، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

82- بوطالب مُحَمَّد نجيب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط01، 2002م.

83- بوطبل عبد القادر، تاريخ مدينة حمو موسى في الماضي والحاضر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

84- بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر، ج01، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

85- – تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

86- بوعقادة عبد القادر، مقاربات في تاريخ المغرب الأوسط، دار الخلدونية، الجزائر، ط1440هـ/2019م.

87- بولانتزاس نيكوس، كتاب السلطة السياسية والطبقات الاجتماعية، ترجمة عادل غنيم، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، مصر، ط02، 1982م.

88- بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 06و07هـ/12و13م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م .

89- بيار كلاستر بيار، مجتمع اللادولة، تعريب وتقديم مُحَمَّد حسين دكروب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط03، 1411هـ/1991م.

90- بيرك جاك وآخرون، الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، تر، عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1988م.

91- بيريه جان، الذكاء والقيم المعنوية في الحرب، تعريب أكرم دبري و أكرم القرنوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط03، 1986م.

92- تاوشيخت لحسن، عمران سجلماسة- دراسة تاريخية وأثرية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط01، 1429هـ/2008م.

93- تيتاو حميد، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني(609-869هـ/1212-1465م)، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، ديسمبر2009م.

94- ج .بيلتو بيرتي، دراسة الأنثروبولوجيا (المفهوم والتاريخ)، ترجمة كاظم سعد الدين، عالم الحكمة، بغداد، العراق، 2010م .

95- جبور جبرائيل، البدو والبادية، مراجعة: سمير أبو حمدان، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1988م.

96- جغلول عبد القادر، الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون، ترجمة فيصل عباس، مراجعة خليل أحمد، دار الحداثة للنشر، بيروت، لبنان، ط04، 1987م.

97- مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، تج، فضيلة الحكيم، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط02، 1988م.

98- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجريين(09م-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.

99- جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب مُحَمَّد مزالي والبشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011م.

100- حاجيات عبد الحميد، أبو حمو حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م.

101- حساني مختار وآخرون، التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن 16م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، ثورة أول نوفمبر، دار القصبة، الجزائر، 2007م، ص241.

102- تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال الاقتصادية والثقافية)، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر، طبعة 2009م.

103- حسن مُحَمَّد، أصناف الإنتاج الزراعي بإفريقية من القرن 06هـ/12م إلى القرن09هـ/15م، ضمن كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، منشورات عكاظ، 2001م.

104- خطاب .محمود شيت، العسكرية العربية الإسلامية، سلسلة كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، العدد الثالث، قطر،ط01، 1991م.

105- العسكرية العربية الإسلامية، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ط01، 1403هـ.

106- خلفات مفتاح، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 06هـ-09هـ/12م-15م دراسة في دورها السياسي والحضاري، مؤسسة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، 2011م.

107- خنوف علي، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، منشورات الأنيس، الجزائر، 2011م.

108- دهينة عطاء الله، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

109الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

110- رضوان محمود حسن، أساسيات الاقتصاد الاسلامي، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط01، 1426هـ/2004م.

111- روجي لي تورنتو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني والثالث عشر، تر، أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1982م.

112- روزلين ليلى قريش، استراتيجية القتال في سيرة بني هلال، ديوان المطبوعات الجامعية، ط01، 2009م.

113- زايد أحمد، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، عالم المعرفة، الكويت، أبريل، 2006م.

114- زنيبر مُحَمَّد، المغرب في العصر الوسيط: الدولة-المدينة-الاقتصاد تنسيق مُحَمَّد المغراوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ط01، 1420هـ/1999م.

115- زيدان جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، مج01، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط02. د.ت.

116- سالم السيد عبد العزيز ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1999م.

117- سالم مُحَمَّد عبد الله، المعجم العسكري المملوكي، دار كنوز للمعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ط01، 2011م.

118- ستروس كلود ليفي، الأنثروبولوجية البنيوية، تر، مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، سوريا، 1977م.

119- سحنون. محمود، الاقتصاد الإسلامي: الوقائع والأفكار الاقتصادية، ط01، دار الفجر، القاهرة، 2006م

120- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج01 دار المعارف، الاسكندرية، مصر، 1993م.

121- سعيدان عمر، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر ميلادي، منشورات سعيدان، تونس، ط01، 2002م.

122- سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1990م.

123- سيد سابق، فقه السنة، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط01، 1425هـ/2004م.

124- سينثياستوكس براون، تاريخ الأحداث الكبرى من الانفجار الكبير إلى الزمن الحاضر، ترجمة أيمن توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط01، 2010م.

125- شاوش الحاج مُحَمَّد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001م .

126- شربل كمال موريس، الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط01، 1418هـ-1998م.

127- شفيق مُحَمَّد، المعجم العربي الأمازيغي (أ-ض)، أكاديمية المملكة المغربية، ج01، المغرب، 1993م.

128- شلبي أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط07، 1986م .

129- طريح شريف عبد العزيز، كتاب الجغرافية المناخية والنباتية مع التطبيق على مناخ إفريقيا ومناخ العالم العربي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م.

130- عارف عبد الغني، نظم الاستخبارات عند العرب المسلمين، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1991م.

131- عبد الرازق محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، سنا للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ، ط04، 2000م.

132- عبدلي لخضر، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، النديم للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط01، 2011م.

133- عبده عيسى، وأحمد إسماعيل يحيى، الملكية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، د.ط.1984م.

134- عزام عبد الرحمن، الرسالة الخالدة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط01، 1432هـ/2001م.

135- عزاوي. أحمد ، قضايا تاريخية خلال العصرين الموحدي والمريني، مطبعة الرباط نيت، الرباط، 2010م .

136- عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، نقله وقدمه أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، 1389هـ/1980م.

137- عطوة خالد مُحَمَّد، الخداع في الحرب, رسالة ماجستير في الفقه المقارن، كلية الشريعة، قسم الفقه المقارن، الجامعة الاسلامية، غزة، فلسطين، 2005م.

138- علام عز الدين، الآداب السلطانية، عالم المعرفة، الكويت، محرم 1424هـ/فبراير 2006م.

139- عمارة علاوة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2008م.

140- عمارة مُحَمَّد، الإسلام والحرب الدينية، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، ط01، 1982م.

141- عمارة مُحَمَّد، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط01، 1413هـ/1993م.

142- عمور عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2002م.

143- غازي بن سالم بن لافي التمام، اقتصاديات الحرب في الإسلام –دراسة فقهية اقتصادية معاصرة-،ط01 ، 1990م .

144- غلاب السيد ويسري الجوهري، الجغرافية التاريخية، القاهرة، ط01، 1968م.

145- غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م.

146- غمق ضو مفتاح، نظرية الحرب في الإسلام وأثرها في القانون الدولي، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، ط01، بيروت، لبنان، 1988م.

147- غومة سالم أبو القاسم مُحَمَّد، تاريخ المغرب وحضارته- دراسة للجيش والأسطول والمنشآت في الدولة المرينية 668هـ-869هـ/1269م-1465م، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2014م.

148- فاليرين دومينيك، بجاية ميناء مغاربي (1067م-1510م)، ج01، تج، علاوة عمارة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ط01، 2014م.

149- فتحة مُحَمَّد، النوازل الفقهية والمجتمع-أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن06هـ إلى القرن09هـ/12م-15م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 1999م.

150- فريول جبل، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة ابتسام مُحَمَّد الأسعد، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط01، 2011م.

151- فهيم حسن، قصة الأنثروبولوجيا (فصول في تاريخ علم الإنسان)، عالم المعرفة، الكويت، فبراير، 1986م.

152- فيلالي عبد العزيز، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م.

153- تلمسان في العهد الزياني، ج01 المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002م.

154- دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2012م،

155- مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، دراسة سياسية، عمرانية وثقافية، ج01، دار البعث للطباعة، الجزائر.1984م.

156- كاستلان جورج، تاريخ الجيوش، ترجمة كمال دسوقي، مكتبة الإسكندرية، مصر، د.ت، د.ط.

157- كامل السعيد مصطفى، محاضرات في علم الاقتصاد، دار النهضة العربية، القاهرة، 1970م.

158- لاكوست إيف، العلامة ابن خلدون، ترجمة الدكتور ميشال سليمان، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط02، 2017م.

159- لكحل زهيرة، بلاد المغرب خلال القرنين السابع والثامن الهجريين 13-14م- مجال للتقاسم بين دول ما بعد الموحدين، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2019م.

160- لنتون رالف، الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، ترجمة عبد الملك الناشف، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1967م.

161- مارسيه جورج، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تج، محمود عبد الصمد هيكل، راجعه، مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الابتكار، الإسكندرية، مصر، 1991م.

162- مارسيه جورج، تلمسان، تر: سعيد دحماني، دار التل للنشر، الجزائر، 2004م.

163- مارك أوجيه وكولاين جون بول، الأنثربولوجيا، تر،جورج كلوز، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، 2008م.

164- مجموعة من المختصين، قاموس الفكر السياسي، ج 01، تر، أنطوان حمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1994م.

165- محجوب مُحَمَّد عبده، مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية منهج وتطبيق، وكالة المطبوعات، الكويت، ط02، د.ت.

166- محفوظ مُحَمَّد جمال الدين، العسكرية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، 1905م .

167- مسعد سامية مصطفى، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية، ط01، 2000م.

168- مشهور عبد اللطيف، الإقطاع- الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف محمود حمدي زقزوق، وزارة الأوقاف، القاهرة، مصر، 1424هـ/2003م.

169- مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، مج01، تح، علي الزواوي ومُحَمَّد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1988م.

170- مؤنس حسين، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، ط01، 1407هـ/1987م.

171-تاريخ المغرب وحضارته، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط01، 1412هـ/1992م.

172- نبهان يحي مُحَمَّد، معجم مصطلحات التاريخ، دار يافا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط01، 2008م.

173- نشاط مصطفى، الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية، ضمن أعمال ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المملكة المغربية، 1995م.

174- هوبكنز. ج.ف.ب، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، نقله عن الانجليزية: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1980م.

175- هويثي مراندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تج، عبد الواحد أكمير، مطبعة النجاح الجديدة- مطبعة الزمن- الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2004م

176- وجدي مُحَمَّد فريد، دائرة معارف القرن العشرون، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، 1971م.

177- ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ج01، تق، محي الدين صابر، تج زكي نجيب محفوظ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

178- ولد الشيخ عبد الودود، القبيلة والدولة في إفريقيا، سلسلة أوراق الجزيرة رقم 32، ترجمة مُحَمَّد بابا ولد اشفع، مركز الجزيرة للدراسات، ط01، 1434هـ/2013م.

المراجع الأجنبية:

1- A.L DE PREMARE, Maghreb et Andalousie au Xiv siècle, les notes de Voyage d'un Andalous au Maroc 1344-1345, Lyon, 1981, p69-71.

2- Attallah Dhina, le Royaume ABD-ELoadid á l'époque d'Abou Hammou Moussa 1erdabouTachfin 1er office des publications universitaires, Alger, édition n°, 1985.

3- Auzias Jean- Marie- L'anthropologie Contemporaine-Premier Edition- Puff- paris- 1976.

4- Bonté Pierre et Izard Michel- Dictionnaire de l'ethnologie- 2éme Edition-Puf-Paris-2002.

5- Capot- Rey: l'Afrique blanche Française, Revue de Géographie Alpine, Imprimerie Allier GRENOBLE France, 1954.

6- Ch-Andre Julien, histoire de l'Afrique du Nord bibliothèque historique, Payot, Paris, 1961.

7- Charles Emmanuel Dufourcq, L'Espagne Catalane et le Maghreb aux 12 et 13 siècles, presses universitaires de France, Paris, 1966.

8- Dhina, Le royaume Aledelandid, quelque aspect sa vie économique dans majallat et tarikh 1978.

9- Dufourcq hespagne, catalane et le Maghreb au XII et XIV siècle p.j. fiance paris 1966.

10- Gastin Bouthoul، La guerre، traduction Arabe de Marwan EL-Quanawati, Edition OUEIDAT Beyrout, Paris, 1981.

11- Gaston Bouthoul،Traité de polémologie: sociologie des guerres، Payot paris، 1991.

12- Gautier (E.F), le passé de l'Afrique du nord. Paris, 1964.

13- Kably Mohamed, Société Pouvoir et Religion au Maroc a la fin du Moyen âge, Paris, 1986.

14- Mas Latrie, Louis de (1815-1897), Les relations et commerce de l'Afrique du monde au Maghreb au moyen Âge, henripalon, imprimeur de l'empereur, paris, 1866.

15- Maurice Godelier, les Tribus dans l'histoire et face aux états (Paris. CNRS éd, 2010).

16- Piesse: "Tlemcen", In Revue d'Afrique Française, Maison Quantin, N°511988.

17- R .l.lawlesse and G.H. Blake. Tlemcen Continiuty and change in Algerian Islamic Tawn, Bowker London and New-York, 1976.

المقالات:

1- أبو سمرا مروان، فردناند بردويل مؤرخ المتوسط والعالم المتوسطي، الصحراء، البدو، والإسلام قطب المتوسط التاريخي، مجلة الاجتهاد، الكويت، العدد،17، السنة الرابعة، خريف1992م.

2- الزين عبد الفتاح، التراتبات المجالية والصراع الاجتماعي بالمغرب، قراءة في سيرورة العلاقات البدوية الحضرية بمراكش في الجنوب المغربي، مجلة الاجتهاد ، الكويت، العدد17، السنة الرابعة، خريف1413هـ/1992م

3- السامرائي عامر حميد و مُحَمَّد حسن سهيل، الأمراض والأوبئة وأثرهما على الحياة الاجتماعية لبلاد المغرب العربي في العصور الإسلامية- دراسة تاريخية، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق، العدد41/1، 2020م.

4- الشجاع عبد الرحمن عبد الواحد، تحييز التاريخ قضية في منهجية كتابة التاريخ، مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة الأغواط، الجزائر، العدد29، ديسمبر2009م.

5- الشيخلي صباح إبراهيم، "المياه ووسائل استنباطها في مؤلفات الفلاحة العربية"، مجلة أفاق الثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، العدد43، السنة11، 2003م.

6- العبادي أحمد مختار ، من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، مجلة الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، العدد01، المجلد11، نوفمبر 1980م.

7- القتامي متعب بن حسين، أضواء على الرعي والفلاحة وأنظمتها في المغرب الأوسط من خلال كتاب النوازل للونشريسي، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، عدد03، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،1438هـ/2017م.

8- المستاوي مُحَمَّد، بيار كلاستر مزحزحا مركزية الفكر العربي، مجلة الكلمة، العدد65، سبتمبر 2012م.

9- بشاري -بن عميرة- لطيفة، الأوضاع الاقتصادية في الإمارة الزناتية، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد08، السنة1994/1993م

10- بشاري بن عميرة- لطيفة، صادرات إمارة تلمسان الفلاحية في عهد بني عبد الواد، مجلة عصور الجديدة، العدد07-08، الجزائر،1433هـ-1434هـ/2012م-2013م.

11- بصديق عبد الكريم، ظاهرة الغصب واللصوصية ببلاد المغرب الأوسط وأثرها على الحراك الاجتماعي في العهد الزياني ق07-09هـ/13-15م، مجلة عصور، وهران، الجزائر، مج20، العدد01، ماي2021م.

12- بكاي الهوارية، شركة آل المقري التجارية ودورها في تمتين العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، الوادي، الجزائر، مج01، العدد04، 2016م.

13- بلعربي خالد، الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، دورية كان التاريخية، العدد السادس، ديسمبر 2009م.

14- بلعربي خالد، المجاعات والأوبئة في العهد الزياني 698-845هـ/1299-1442م، دورية كان التاريخية، العدد الرابع، جوان2009م.

15- بن عربة مُحَمَّد، ثروات المغرب الأوسط النباتية والحيوانية خلال العصر الوسيط من خلال مصنفات الرحلة والجغرافيا، مج02، ع06، مدارات تاريخية- دورية دولية محكمة ربع سنوية-جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، جوان 2020م

16- بن قري كوثر، الولي في المغرب الأوسط في مواجهة السلطة والحروب والنزاعات- قراءة في كتابة مناقب صلحاء وادي الشلف- مجلة المعيار، قسنطينة، الجزائر، مج04، عدد52، 2020م .

17- بوجلال قدور، جهود العالم عبد القادر المشرفي في الرد على القبائل المتعاملة مع الاسبان بوهران على ضوء مؤلفه "بهجة الناظر"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، الجزائر، مج13، العدد01، 2022م.

18- بوداود عبيد، اللصوصية وأثرها في حركة القوافل بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج10، العدد02، ديسمبر2019م.

19- بوداود عبيد، تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية المرينية، مجلة عصور، وهران، الجزائر، العدد 06-07، جوان-ديسمبر1426هـ/2005م.

20- بودواد عبيد و بلحسان مُحَمَّد، اللصوصية وأثرها في حركة القوافل بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، الجزائر، مج10، العدد02، ديسمبر2019م.

21- بورقبة رحمة، المجتمع القبلي بين المخزن والدولة، ترجمة لرحمة بورقبة، مراجعة خالد زيادة، مجلة الاجتهاد، الكويت، العدد17، السنة الرابعة، خريف1413هـ/1992م.

22- بولعراس خميسي ، تجارة السلاح بالغرب الإسلامي- قراءة في الممنوع، مجلة دراسات وأبحاث، الجلفة، الجزائر، السنة العاشرة، العدد31، جوان، 2018م.

23- بولقطيب الحسين، أسلوب الإنتاج الحربي والتحول المعاق: حالة المغرب الوسيط، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دار المنظومة، العدد02، المغرب ، 2020م.

24- بومنقار معاد، زناتة المغرب الأوسط بين مشروع تأسيس دولة قوية والاصطدام بفشل السلطة السياسية ما بين القرنين(02-04هـ/08-10م)، مجلة عصور الجديدة، وهران، الجزائر، مجلد10، العدد04، ديسمبر1412هـ/2020م.

25- تاير ريتشارد، الأنثروبولوجيا والمؤرخون والقبيلة حول القبيلة ونشوء الدولة في المشرق العربي، مجلة الاجتهاد، الكويت، العدد17، السنة الرابعة، خريف 1413هـ/1992م.

26- تركي علي الربيعو، نحو تأسيس إناسة لدراسة المجتمع البدوي(قبيلة طيء نموذجا)، مجلة الاجتهاد، الكويت، العدد 17، السنة الرابعة، خريف1413هـ/1992م .

27- تيتاو حميد، نحو مقاربة اجتماعية- نفسية لبعض إخفاقات الجيش المغربي خلال العصر المريني، مقال تاريخي، د.ط، د.ت.

28- حاج عبد القادر يخلف، العلاقات الخارجية للدولة الزيانية، مجلة عصور الجديدة، وهران، الجزائر، العدد 2، 2011/1432م.

29- حاجيات عبد الحميد، موقف المدرسة الغربية من تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد 02، مج03، جوان 1988م

30- حساين عبد الكريم، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط بين القرنين 07-09هـ/13-15م، دورية كان التاريخية، دار ناشري للنشر الالكتروني- الكويت، مج05، العدد 17، 2012م.

31- حمودة عمر رمضان، التاريخ والأنثروبولوجيا وجدلية التاريخ الجديد- مقاربة في المفاهيم، مجلة الجامعي، الهيئة الليبية للبحث العلمي، ليبيا، لعدد 25، 2017م.

32- حمودي عبد الله، الداخلي والخارجي في التنظير للظاهرة القبلية خطوة في طريق تأسيس خطاب أنثروبولوجي مستقل، مجلة العمران، المغرب، العدد19، 2017م.

33- خالد بلعربي، آثار المجاعات والأوبئة على تراجع الحرف والصناعات بالمغرب الأوسط، مجلة الناصرية، معسكر، الجزائر، العدد 04، جوان 2013م.

34- خليفي رفيق، حرفيو السك النقدي في المغرب الزياني (أسرة بني الملاح أنموذجا-633-718هـ/1235-1318م)، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، معسكر، الجزائر، العدد الرابع، جوان 2013م.

35- خوري فؤاد إسحاق، مفهوم السلطة لذا القبائل العربية، مجلة الفكر العربي، بيروت، لبنان، السنة الثالثة، العدد22، 1981م.

36- رابح رمضان، اقتصاد الحرب والمغازي وأثاره بالأندلس خلال فترة الفتح والولاة، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الوادي، العدد 08، 1435هـ/2016م.

37- ساوندرز، البدو وبناء الإمبراطوريات دراسة مقارنة للفتوحات العربية والمغولية، مجلة الاجتهاد، الكويت، العدد17، السنة الرابعة، خريف1413هـ/1992م.

38- شلق الفضل، القبيلة والدولة والمجتمع، مجلة الاجتهاد، الكويت، العدد 17، السنة الرابعة، خريف، 1413هـ/1992م .

39- طرشاوي بلحاج، الحرف والمهن في المغرب الأوسط من خلال كتب الحسبة دراسة في تحفة الناظر للإمام العقباني، مجلة الناصرية، جامعة معسكر، الجزائر، العدد 04، جوان 2013م.

40- طرطاق الوردي، الطرق والمسالك التجارية بالمغرب الأوسط، مجلة الأحياء، الجزائر، مج01، العدد28، جانفي2021م.

41- طوهارة فؤاد، النشاط الاقتصادي في تلمسان خلال العصر الزياني(07هـ-09هـ/13م-15م)، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد 02، 2014م.

42- عاطف عطية، الدولة المؤجلة دراسة في أنثروبولوجيا القبيلة عند فؤاد خوري، مجلة الاجتهاد، الكويت، العدد17، السنة الرابعة، خريف1413هـ/1992م.

43- عبد العزيز رشيد، الحبوب في أسواق المغرب الأوسط، مجلة عصور الجديدة، العدد 11-12، جامعة وهران، الجزائر، فبراير 1434-1435هـ/2013-2014م.

44- عبد الكريم حساين، حضور الأنثروبولوجيا الدينية في كتابات إبراهيم القادري بوتشيش: حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي نموذجا، جامعة تلمسان، الجزائر، مج16، العدد02، جوان2020م

45- عطلي مُحَمَّد الأمين، الدور الحضاري للطرق التجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، جامعة آفلو، العدد السادس أكتوبر 2017م.

46- غرداوي نور الدين، الاستراتيجية العسكرية لعثمان بن يغمراسن بن زيان في مواجهة الخطر المريني المغربي (681-703هـ/1282-1303م)، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في التاريخ العسكري الجزائري، الجزائر، مجلد 02، العدد 04، جويلية 2020م.

47- فرنان بردويل، فرنان بردويل مؤرخ المتوسط والعالم المتوسطي- الصحراء، البدو، والإسلام قطب المتوسط التاريخي، مراجعة مروان أبي سمراء، مجلة الاجتهاد، الكويت، العدد 17، السنة الرابعة، خريف1413هـ/1992م .

48- قدوري عبد الرحمن، تجارة القوافل عبر الصحراء بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال نهاية العصر الوسيط، مجلة متون، سعيدة، الجزائر، مج11، العدد01، 2019م.

49- قوسيم مُحَمَّد، مفاهيم جغرافية عند المسلمين في العصر الوسيط، دورية كان التاريخية، دار النشر الإلكتروني، الكويت، سبتمبر 2011م، العدد13

50- كوبان جان، جورج بالانديه عالم المجتمع المتخصص في القضايا الإفريقية، ترجمة مُحَمَّد الإدريسي، المجلة العربية لعلم الاجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان المجلد 17، العدد 36، 2017م.

51- كوسة نور الدين، إشكاليات المحددات الأنثروبولوجية لموضوع القبيلة ببلاد المغرب في العصر الوسيط، مجلة عصور جديدة، وهران، الجزائر، المجلد01، العدد02، جوان1442هـ/2021م.

52- مبخوث بودواية، الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، مجلة القرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، الجزائر، العدد التجريبي، ديسمبر2008م.

53- مكي رجاء، القانون في المجتمع البدوي ليوسف شلحد، مجلة الاجتهاد، الكويت، العدد 17، السنة الرابعة، خريف، 1413هـ/1992م.

54- ميلودي زهرة، دور المراسي في نشاط التجارة الساحلية وأثره على التجارة المتوسطية بالمغرب الأوسط من القرن 04هـ-10م/06هـ-12م، مجلة القرطاس، تلمسان، الجزائر، العدد 05، جوان2017م

55- نشاط مصطفى، دراسة نقدية كشكول من الجوانب الحضارية للغرب الإسلامي-كتاب حلقات مفقودة للقادري بوتشيش 2009م.

56- هادي رياض عزيز، مفهوم الدولة ونشوءها عند ابن خلدون، مجلة العلوم السياسية، العراق، العدد37، د.ت.

الرسائل الجامعية:

1- أبو المعاطي يحيى، الملكيات الزراعية وأثرها في المغرب والأندلس- دراسة تاريخية مقارنة، ج02، رسالة دكتوراه بقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2000م.

2- الأعرج داودي، تطور الفلاحة في المغرب الأوسط ما بين القرنين الثاني والسادس هجريين ق12/08م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016-2017م.

3- الدراجي بوزياني، العصبية القبلية وأثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي من القرن السادس الى التاسع هجري، بحث لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر،1987-1988م.

4- الرميح مُحَمَّد بن مطلق، النوازل الفقهية المالية من خلال المعيار المعرب للإمام الونشريسي ت 914هـ دراسة نظرية وتطبيقية، رسالة ماجستير في الفقه، 1432هـ/2011م.

5- السلمي فايز بن مرزوق بن بريكي، المقصد المحمود في تلخيص العقود لعلي بن يحيى بن القاسم الجزيري (ت 585هـ)، مج02، تح ودراسة، أطروحة دكتوراه تخصص الفقه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/1422هـ.

6- الشايع علي بن جاسر بن سليمان، ألفاظ المال والتجارة في الحديث الشرف—دراسة لغوية-، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا العربية، كلية اللغة العربية و آدابها، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1425هـ.

7- العربي لخضر، الحرف في مدينة تلمسان على العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)، مذكرة ماجستير، كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، 2010-2011م .

8- بشاري- بن عميرة- لطيفة، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية (ق 07-10هـ/13-16م)، رسالة ماجيستر في التاريخ، جامعة الجزائر، 1986م-1987م.

9- بصديق عبد الكريم، البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الأوسط وأثرها على المجتمع ما بين القرنين 06-09هـ/12-15م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة وهران، 1438-1439هـ/2017-2018م.

10- بكاي عبد المالك، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 07هـ-10هـ/13م-16م، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2013هـ/2014م.

11- بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين 633-962هـ/1233-1554م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008/2007م.

12- بلحسان مُحَمَّد، ظاهرة اللصوصية في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين ق13-15م، أطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2022/2021م .

13- بن داود نصر الدين، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 07هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، تلمسان، 2009م/2010م.

14- بن مصطفى إدريس، العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جنوب غرب أوربا في الفترة ق07هـ-10هـ/13م-16م، رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-2013م/2014م.

15- بورملة عربية، إمارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين(07-08هـ/13-14م) من خلال كتاب العبر، عبد الرحمن بن خلدون، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1430-1431هـ/2009-2010م

16- بوسالم أحلام، أثر الحروب على النشاط الاقتصادي في المغرب الأوسط من القرن الثاني هجري إلى القرن السابع هجري ق08م-12م، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الأوسط الاقتصادي في العصر الوسيط، جامعة قسنطينة 02، 2020م-2021م.

17- بوقاعدة البشير، خطة الحصار العسكري في بلاد المغرب الإسلامي بين القرنين الرابع والثامن هجريين 10م/14م، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب والمشرق الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 1437هـ-1438هـ/2016-2017م.

18- بولعراس خميسي، فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014/2013م.

19- حساني مختار، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الدولة الزيانية (633هـ-962هـ/1235م-1554م)، رسالة دكتوراه، المعهد الوطني للدراسات التاريخية، وزارة التعليم العالي، جامعة الجزائر، 1985م-1986م.

20- خداوي مُحَمَّد، القبيلة، الأحزاب والانتخابات في ظل التعددية في الجزائر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص أنثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2013-2014م.

21- خدة طاهر، الهجرة في المغرب الأوسط واقعها وآثارها من منتصف القرن السادس إلى أواخر القرن الثامن الهجري (12م/14م)- أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة أحمد بن بلة وهران01، 2016-2017م.

22- دحماني سهام، النظام الضريبي للدولة الزيانية633-962هـ/1236-1554م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، جامعة قسنطينة، 2018/2017م .

23- شخوم سعدي، خصائص النظم التجارية لدويلات المغرب الأوسط- النظم التجارية لدويلات المغرب الأوسط من ظهور الرستميين إلى نهاية الزيانيين(160-962هـ/777-1554م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة وهران، 2014/2013م.

24- عباس قويدر، الجيش في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي ليابس، 2015-2016م.

25- عز الدين عمر أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي في القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي، رسالة دكتوراه في التاريخ، بيروت، لبنان، أكتوبر 1975م.

26- عشي علي، المغرب الأوسط في عهد الموحدين دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية(534هـ-1139م/633هـ-1235م)، رسالة دكتوراه في التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011م/2012م.

27- عياش مُحَمَّد، الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديدة والمنصورة بتلمسان، مذكرة ماجيستر في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005م/2006م.

28- قدور أحمد، المدن الموحدية وعلاقتها بالأقاليم، رسالة ماجستير، جامعة مُحَمَّد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1987م-1988م.

29- كرطالي أمين، سلطة شيوخ القبائل العربية في المغرب الأوسط، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر02، 2018/2017م.

30- لعرج عبد العزيز، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية-دراسة أثرية ومعمارية وفنية، أطروحة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية في معهد الآثار، الجزائر 1420هـ/1999م.

31- مالكي فاطمة الزهراء، المخابرات العسكرية النبوية، رسالة ماجيستر، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2009م.

32- مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2005م/2006م.

33- محمود أحمد علي أحمد، القرصنة وأثرها على حركة التجارة في الحوض الغربي للمتوسط(531هـ-1136م/869هـ-1461م) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الإسلامي، جامعة سوهاج، كلية الآداب، قسم التاريخ، جمهورية مصر العربية 2011م.

34- مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط 588هـ-927هـ/1192م-1520م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009م.

35- مشوقة حمزة عدنان يلدار، ملامح الفكر الاقتصادي عند الإمام العز بن عبد السلام، أطروحة دكتوراه في الاقتصاد والمصارف الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن،2018-2019م.

36- معروف حفصة، دور الأسطول المغربي في النشاط الحربي والحركة التجارية من العهد الموحدي إلى القدوم العثماني لبلاد المغرب أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، 2017/2016م.

37- مكيوي مُحَمَّد، الأوضاع السياسية والثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2001/2000م.

38- ناصري مُحَمَّد، الحرب والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني-دراسة في انعكاسات الحرب على البنى الاقتصادية والاجتماعية والذهنية(633-962هـ/1235-1554م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي ليابس، 2020-2021م.

39- يديرة عادل، بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط (دراسة للواقع الاقتصادي والاجتماعي وتأثيرها على السلوك والذهنيات) من القرن 04هـ/10م إلى القرن 07هـ/13م، مذكرة لنيل ماجستير في التاريخ، جامعة مُحَمَّد بوضياف المسيلة، 1438هـ/2018م.

الملخص:

تعالج هذه الدراسة موضوع" الحرب والاقتصاد بالمغرب الأوسط من القرن (07-09هـ/13-15م) إذ شهد المغرب الاسلامي خلال هذه الحقبة ظهور العديد من الدول على مسرح الأحداث، من بينها الدولة الزيانية المنبثقة من رحم قبيلة بني عبد الواد الزناتية، والتي تطلع مؤسسها منذ البداية الخروج من البداوة والتطلع للحضارة من خلال تجاوز شظف العيش وخشونته إلى نوافله ورقته وزينته، اعتمادا على الحرب كأحد رواسب التوجه القبلي تأمينا للرزق وحماية للذات، مركزة في نفس الوقت على القوى الحربية من (غنائم وضرائب ومصادرات وغيرها)كحجر الزاوية في نظامها الاقتصادي لتوسيع مشاريعها العسكرية، و الحفاظ على كينونتها، خاصة وأنها كانت تقع بين فكي كماشة (الحفصيين من الشرق، والمرينيين من الغرب)، هذا التحول أفضى إلى انعكاسات عميقة في البنيات والنظم وفي مختلف مظاهر الحياة الاقتصادية، وفي تطوير بعض الصناعات الحربية، وظهور بعض التجاوزات التي أضرت بقيم المجتمع وتغيير مسلماته.

الكلمات المفتاحية: الحرب، الاقتصاد، الغنائم، المغرب الأوسط، الدولة الزيانية.

Summary :

This study focuses on war and economy in the Middle Maghreb from (07-09 AH / 13-15 AD), when the Islamic Maghreb witnessed the emergence of many countries, including the Zayani state, which arose from Bani Abd al-Wad, whose founder aspired to desert Bedouinism and pursued civilization, luxury and elegance ; depending on war to ensure subsistence and self-protection, while simultaneously focusing on war powers (spoils, taxes, confiscations, etc.) as the base of its economic system in developing its military projects and preserving its entity, especially given its location between the Hafsids and the Marinids. This transition had far-reaching consequences for its structures and systems, in different sectors of economic life, and in the development of some war industries and the rise of some violations that affected society's ideals and changed its postulates.

Keywords: war, economy, spoils, central Maghreb, Zayani state.

Resumen:
Este estudio aborda el tema de la "guerra y economía en el Magreb Medio a partir del siglo (07-09 AH / 13-15 d. C.), lugar que fue testigo del surgimiento de muchos estados, incluido los Cianíes que provienen de los Cenetes, cuyo fundador quiso pasar del nomadismo al modo citadino, trascendiendo la dureza de la vida a sus virtudes y delicadeza, dependiendo de la guerra como modo de salvación, seguridad y preservación de la entidad tribal, constituyendo esto la piedra angular de su sistema económico para expandir sus proyectos militares; sobre todo porque estaba situada entre *hafsíes* y *meriníes*. Esta transformación influyó en la vida económica, en el desarrollo de algunas industrias de guerra y en el surgimiento de ciertas transgresiones dañosas respecto a los valores y supuestos sociales.
Palabras clave: Guerra, economía, botín, Magreb Medio, estado zianí.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

كلمة شكر وتقدير

إهـداء

قائمة المختصرات

مقدمـــة: 7

الفصل التمهيدي: ضبط المفاهيم..... 25

المبحث الأول: مصطلحات ذات دلالة عسكرية وسياسية: 26

1.الحرب: 26

2.القتال: 31

3.الجهاد: 32

4.الغزو : 34

5.الحِرَابَةُ: 37

6.الدَولة: 38

7.الرعية : 39

8.الجيش: 40

9.الحصار: 41

10.العصبية: 42

11.القبيلة:..... 44

المبحث الثاني: مصطلحات ذات دلالة اقتصادية:..... 46

1.الاقتصاد:..... 46

2.تعريف المال: 50

4. الملكية:..... 54

6.الاحتكار: 57

7.الغنائم: 59

8.الجباية: 60

9.الجائحة (الجوائح):..... 61

المبحث الثالث: الحرب والاقتصاد في التشريع الإسلامي:..... 63

الفصل الأول: المجال الجغرافي والموارد الاقتصادية بالمغرب الأوسط..... 70

المبحث الأول: المجال الجغرافي والسياسي:..... 71

01- الإطار السياسي للمغرب الأوسط: 71
02- العهد الزياني في المغرب الأوسط: 83
03- المكونات الجغرافية للمغرب الأوسط: 89
أولا: الساحل: 90
ثانيا: التل: 92
ثالثا: منطقة الهضاب(النجود): 101
رابعا: الصحراء: 103
خامسا: المناخ: 103
سادسا: مصادر المياه ببلاد المغرب الأوسط: 108
المبحث الثاني: المقدرات الثابتة للمغرب الأوسط: 116
01- أنواع الملكيات الزراعية في المغرب الأوسط: 116
أ- أراضي الإقطاع: 117
ب- أراضي الظهير: 119
ج- أراضي الموات: 120
د- أراضي الأوقاف (الأحباس): 121
02- الإنتاج الزراعي وتوزيعه الجغرافي: 125
أ- القمح والشعير: 126
ب- محاصيل أخرى: 128
ج- الأغنام: 131
د- الأبقار وحيوانات أخرى: 132
المبحث الثالث: الإمكانيات الصناعية: 137
أ- صناعة المنسوجات: 137
ب- الصباغة: 138
ج- صناعة الجلود: 139
د- الصناعة المعدنية: 139
هـ- الصناعة الخشبية وصناعات أخرى: 140
المبحث الرابع: الإمكانيات التجارية: 143
أ- أسواق ريفية: 145
ب- أسواق حضرية (المدن): 145
ج- السكة والنقود: 146

د- أصناف التجار: 147
هـ- الطرق والمسالك التجارية ببلاد المغرب الأوسط: 149
و- المبادلات التجارية لبلاد المغرب الأوسط: 151
الفصل الثاني: الحرب والقبيلة بين الرصد المصدري والتفسير الأنثربولوجي. 156
المبحث الأول: مستويات حضور الحرب القبلية من خلال المصادر الوسيطة: 166
المبحث الثاني: الحرب والقبيلة من منظور أنثروبولوجي: 180
01- الاتجاه الطبيعي: 187
02- الاتجاه الاقتصادي: 192
03- الاتجاه التبادلي: 195
04- الاتجاه السياسي: 197
المبحث الثالث: الحرب القبلية وظاهرة العصبية: 201
المبحث الرابع: المحددات الاجتماعية و الاقتصادية للحرب القبلية: 211
01- البيئة البدوية واقتصاد الكفاف: 212
02- المناخ وخصائصه: 217
03- تقنيات الإنتاج ووسائله: 221
04- حد الكفاية (الندرة) ودورها في إنتاج اقتصاد الحرب (الغنيمة): 223
05- الحرب وتنازع البقاء في المجال الجغرافي الواحد: 226
06- الهجرات الكبرى ونزوع القبائل نحو مناطق الخصب: 229
الفصل الثالث: الدولة الزيانية والحرب: بين التعبئة العسكرية والتحديات الأمنية. 233
المبحث الأول: تنظيم الجيش الزياني: 234
01- المقوم البشري (التركيبة البشرية): 235
02- فرق الجيش الزياني: 243
03- اختصاصات الفرق المقاتلة: 248
المبحث الثاني: التنظيمات التعبوية والإدارية للجيش الزياني: 251
01- تعبئة الجيش: 251
02- التعبئة المادية: 252
03- التعبئة المعنوية للجيش: 254
04- التنظيمات الإدارية للجيش الزياني: 258
05- استراتيجية الجيش الزياني وأساليبه القتالية: 263

01-أسلوب الكر والفر:..... 265
02-أسلوب الزحف والمواجهة:..... 266
03- أسلوب حرب العصابات:..... 267
04- أسلوب القلاع والحصون:..... 268
05- أسلوب المسالمة والمهادنة:..... 269
المبحث الثالث: المقوم المالي للحرب (مصادر التمويل):..... 270
01- الموارد الجاهزة: غنائم الحروب:..... 271
02- موارد أخرى: ضرائب الحرب 272
03- المصادرات:..... 277
المبحث الرابع: التحديات الأمنية للدولة الزيانية:..... 279
01-الخلافات والصراعات بين أفراد الأسرة الحاكمة:..... 279
02- الصراع الزياني مع القبائل البربرية :..... 282
04- الصراعات الزيانية الحفصية:..... 296
05- الصراع الزياني المريني:..... 303
الفصل الرابع: آثار وانعكاسات الحرب على الأنشطة الاقتصادية..... 313
المبحث الأول: آثار الحروب على النشاط الفلاحي:..... 315
01- تخريب المحاصيل ونهب المواشي وإنهاك المشهد الفلاحي:..... 316
02- النزوح القسري للفلاحين نحو الجبال والمرتفعات:..... 329
03- الإتاوات الحربية والإجحاف الضريبي:..... 331
04- التجنيد العسكري للفلاحين:..... 335
05- النتائج الهيكلية للحرب في القطاع الفلاحي:..... 336
المبحث الثاني: آثار الحرب في النشاط الحرفي:..... 338
01- تخريب الورشات الحرفية وتشريد الحرفيين:..... 339
02- الضرائب لتمويل المشاريع العسكرية:..... 346
المبحث الثالث: آثار الحرب على النشاط التجاري:..... 348
01- على التجارة الداخلية:..... 349
02- على التجارة الخارجية:..... 352
أ- مع المغرب الأقصى 353
ب- مع السودان الغربي والمشرق العربي 355
ج- مع بلاد الأندلس 358

د- مع دول غرب أوربا المسيحية 360
المبحث الرابع: أثر الحروب في بروز بعض الممارسات وانتعاش بعض الحرف: 364
01- أثر الحرب في بروز بعض الممارسات: 364
أ- تزييف العملة:..... 364
ب- ظاهرة التهريب: 367
ج- ظاهرة الاحتكار في الأسواق: 371
د- شيوع بيع الغصب والمضغوط في أسواق المغرب الأوسط: 373
هـ- ظاهرة الغش والتحايل في الأسواق:..... 376
02- أثر الحرب في انتعاش بعض الحرف:..... 379
أ- صناعة الأسلحة:..... 379
ب- صناعة السفن والمراكب البحرية:..... 381
ج- تطور حرفة البناء والتحصين: 382
خاتمة:..... 386
فهرس الآيات والأحاديث:..... 406
فهرس الجداول و الرسومات و المنحنيات البيانية..... 408
فهرس القبائل والأقوام 413
فهرس الأماكن والبلدان..... 418
فهرس الأعلام 431
قائمة المصادر والمراجع:..... 439